

نام كتاب: مواقف الشيعة

نويسنده: احمدي ميانجي، علي

تاريخ وفات مؤلف: 1421 هـ. ق

موضوع: كلام

زبان: عربي

تعداد جلد: 3

ناشر: مؤسسة النشر الاسلامي

مكان چاپ: قم

سال چاپ: 1422 هـ. ق

نوبت چاپ: دوم

ص: ١

الجزء الاول

مواقف الشيعة تأليف علي الاحمدي الميانجي مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين / قم المشرفة

ص: ٢

مواقف الشيعة (ج ١) تأليف: آية الله الشيخ علي الاحمدي الميانجي الموضوع: تاريخ طبع ونشر: مؤسسة النشر الاسلامي عدد الاجزاء: ٣ أجزاء الطبعة: الاولى المطبوع: ١٠٠٠ نسخة التاريخ: رجب المرجب ١٤١٦ مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة

ص: ٣

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد والثناء لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى عترته آل الله، واللعنة الدائمة على أعدائهم أعداء الله إلى يوم لقاء الله.

وبعد، فإن الناظر في كتب السير والموسوعات التاريخية عند المسلمين يجدها حافلة بأخبار الملوك والامراء وذكر مجالسهم ومحافلهم على اختلاف مستوياتها حتى لو كانت مجالسا فاقدة للضوابط الخلقية والاداب والرسوم الشرعية، وكأن وظيفة

المؤرخ والكاتب لم تكن إلا الكتابة عن حياة الخلفاء وسلاطين الجور وما جرى عليهم من حوادث، أما سائر الناس فلا تجد الإشارة إلى عظمائهم وما حفلت به حياتهم من مواقف كريمة أو ما جرى عليهم من جور وظلم وتضييع للحقوق وسفك للدماء المحترمة فضاع الكثير الكثير من الأرقام التاريخية التي يمكن لولا ذلك التضييع أن تؤثر في نتائج الكثير من الدراسات والبحوث في مقاطع التاريخ الإسلامي والذي يؤدي بدوره إلى اظهار كثير من الحقائق المخفية وتزييف الكثير من الدعاوى الباطلة التي صارت سببا في تشتت الأمة وتفرق الكلمة.

وأكثر جماعة بخس حقها في هذا المجال على رغم أصالتها وموقعها المهم في المسيرة الإسلامية هم الشيعة الامامية لا لذب إلا التمسك بالثقلين الشريفين كتاب الله وعترة نبيه صلوات الله عليهم أجمعين، فلم يكتب في حقهم إلا النزر اليسير وعلى شكل مبعثر في الكتب لا يناسب شأن هذه الجماعة وموقعها في الأمة

ص: ٤

الإسلامية. هذا مضافا إلى تزوير الكثير مما يتعلق بهم وتشويه سمعتهم وإلصاق التهم بهم، كل ذلك خدمة لاعدائهم، الامر الذي يضاعف المسؤولية على ذوى الاقلام النزيهة والكتاب المنصفين في حقل التاريخ أن يهبوا لنصرة الحق وتفنيد الاباطيل وإزالة الغبار عن ناصية هذه الطائفة الغراء ولا يخافوا في الحق لومة لائم.

والكتاب - المائل بين يديك عزيزنا القارئ - يعد واحدا من الجهود المشكورة والمساهى المبرورة في هذا المضمار، فقد أشار فيها المؤلف سماحة آية الله الشيخ على الاحمدى الميانجى زيد عزه إلى الكثير من مواقف الشيعة ورجالاتها وما جرى بينهم وبين أهل زمانهم من أحداث ووقائع ولطائف وحكايات جديرة بالا اعتبار وجمعها في كتاب واحد وسماه بـ "مواقف الشيعة" بعد أن كانت موزعة في العشرات من المصادر والكتب، فجزاه الله خير الجزاء.

وقد تصدت مؤسستنا لطبع هذا الكتاب ونشره بعد تصحيحه وتنظيمه خدمة للمكتبة الإسلامية، سائلين المولى عز شأنه للمؤلف وللمن ساهم في تهيئته هذا الكتاب المزيد من التوفيق إنه بالاحسان والتفضل لخليق.

مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة

ص: ٥

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف بريته وخاتم رسله وأنبيائه محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين.

اللهم كن لوليک الحجة ابن الحسن صلواتک عليه وعلى آبائه في هذه الساعة وفى كل ساعة وليا وحافظا وقائدا وناصرا ودليلا وعينا حتى تسكنه أرضك طوعا وتمتعه فيها طويلا.

أحمدك اللهم استتماما لنعمتك واستسلاما لعزتك واستزادة لكرمك واستعصاما من معصيتك، وأستعينك اللهم فاقه إلى كفايتك والتجاء إلى هدايتك إنه لا يضل من هديته ولا يفتقر من كفيته ورحمته.

اللهم نور قلوبنا بمعرفتك ومعرفه نبيك وآل نبيك الطاهرين المعصومين ولأه أمرك المأمونين على سر، وأدخلنا في حصن ولايتهم واسلك بنا منهجهم، وألّزنا طاعتهم وجنبنا معصيتهم.

وبعد، فقد من الله على بإتمام طبع كتاب " مواقف الشيعة " المشتمل على المناظرات والاحتجاجات الواقعة بين الشيعة وبين خصومهم، فرأيت أن أذكر امورا ترتبط بهذا الموضوع ولا يخلو ذكرها عن فائدة.

فنقول:

ص: ٦

١- الجدل والجدال كما قال الراغب: هـ و المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، وأصله من جدلت الحبل أى: أحكمت فتله.

قال الطبري رحمه الله: المخاصمة والمجادلة والمناظرة والمحاجة نظائر وإن كان بينهما فرق، فإن المجادلة هي المنازعة فيما وقع فيه خلاف بين اثنين، والمخاصمة:

المنازعة بالمخالفة بين اثنين على وجه الغلظة، والمناظرة: فيما يقع بين النظيرين، المحاجة: في محاولة إظهار الحجة، وأصل المجادلة من الجدل وهو شدة القتال^١.

ظاهر عبارتي الراغب والطبرسي: أن الجدل أعم من أن يكون فيه الشدة أم لا؟ ولكن ظاهر كلام بعض اللغويين أنه ما كان بالشدة ولعله بالنظر إلى أصل اللغة وهو اشتقاقه من جدلت الحبل أى فتلته^٢.

٢- وعلى كل حال الجدل على قسمين: محمود ومذموم.

فالمحمود: ما كان لغرض ظهور الحق وإزهاق الباطل ولم يستلزم ارتكاب حرام.

قال الطبرسي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: " وجادلهم بالتي هي أحسن ":

^١ (١) مجمع البيان: ج ٣ / ١٠٦ الطبعة الخامسة في تفسير قوله تعالى " ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم " الآية / ١٠٨ من سورة النساء

^٢ (٢) قال في تاج العروس: " جدله أى الحبل احكم فتله. قال ابن الكمال: الجدل: وراء يتعلق بإظهار المذهب وتقريرها. وقال الفيومي هو التخاصم بما يشغل عن ظهور الحق ووضوح الصواب ثم استعمل على لسان حملة الشرع في مقابلة الأدلة لظهور أرجحها وهو محمود إن كان للوقوف على الحق، وإلا فمذموم ". (راجع تاج

العروس: ج ٧ / ٢٥٤)

^٣ (٣) التحل / ١٢٥

ناظرهم بالقرآن وبأحسن ما عندك من الحجج وتقديره: بالكلمة التي هي أحسن.

والمعنى: افتل المشركين واصرفهم عما هم عليه من الشرك بالرفق والسكينة ولين الجانب في النصيحة ليكونوا أقرب إلى الاجابة فإن الجدل هو قتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج، وقيل: هو أن يجادلهم على قدر ما يحتملونه^٤.

ص: ٧

وقال في تفسير قوله تعالى: "ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن"^٥: أى بالطريقة التي هي أحسن وإنما يكون أحسن إذا كانت المناظرة برفق ولين الارادة الخير والنفع بها، ومثله قوله تعالى: "فقولا له قولاً لنا لعله يتذكر أو يخشى"^٦ والاحسن الا على فى الحسن من جهة قبول العقل له، وقد يكون أيضاً أعلى من جهة قبول الطبع وقد يكون فى الآخرين جميعاً . وفى هذا دلالة على وجوب الدعاء إلى الله تعالى على أحسن الوجوه وألطفها واستعمال القول الجميل فى التنبيه على آيات الله وحججه " إلا الذين ظلموا منهم " أى إلا من أبى أن يقر بالجزية منهم ونصب الحرب فجادلوا هؤلاء بالسيف"^٧.

اقول: إذا كان الجدل والحجاج لاظهار الحق وإقامة الدليل والبرهان ولم يكن مستلزماً لانكار الحق ولا وهنه ولا طرد الناس عن قبول الحق وكان فى لين وسكينة ورفق وبعبارة أخرى: كان بطريقة أحسن من كل الجهات فهو محمود .

ومن أجلى مصاديق الجدل بالتي هي أحسن ما حكاها الله سبحانه عن أنبيائه العظام صلوات الله على نبينا وآله وعليهم كاحتجاجات إبراهيم ونوح وشعيب وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام واحتجاج مؤمن آل فرعون، ومن ألطفها ما ذكره فى ذيل آية المجادلة " ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون "^٨ حيث رخص فى المجادلة بالتي هي احسن ثم اتى بالمثال للمجادلة بالتي هي احسن من حيث البيان فى عدم التصريح بكفرهم واظهار الايمان بما جاء به نبيهم ثم التعقيب بقوله: " ونحن له مسلمون ".

والمذموم: ما كان على خلاف ما ذكر:

ص: ٨

بأن كان لاجل المغالبة وإظهار القدرة والمفاخرة، أو لاجل جلب قلوب الضعفاء من الناس ونيل الشهوات أو إطفاء نائرة الغضب وتشفى النفس.

^٤ (٤) راجع مجمع البيان: ج ٣٩٢ / ٦ الطبعة الخامسة وراجع أيضاً الكشف وتفسير ابن كثير والقرطبي

^٥ (١) العنكبوت / ٤٦

^٦ (٢) طه / ٤٤

^٧ (٣) المجمع: ج ٢٨٧ / ٨

^٨ (٤) العنكبوت / ٤٦

أو كان الغرض حقا ولكن كان المجادل ضعيفا عن إقامة الدليل فيأتي بالباطل ليثبت الحق، أو ينكر الحق للعجز عن الجواب لو اعترف به^٩.

وفى الحديث: ذكر عند الصادق عليه السلام الجدل في الدين وأن رسول الله صلى الله عليه وآله والائمة المعصومين عليهم السلام قد نهوا عنه، فقال الصادق عليه السلام: لم ينه عنه مطلقا لكنه نهى عن الجدل بغير التي هي أحسن، أما تسمعون الله يقول: "ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن" و"قوله تعالى: "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن" فالجدل بالتي هي أحسن قد قرنه العلماء بالدين^{١٢} والجدل بغير التي هي أحسن محرم وحرمة الله على شيعتنا. وكيف يحرم الله الجدل جملة وهو يقول:

"وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى"^{١٣} قال الله تعالى: "تلك أمانيتهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين"^{١٤}. فجعل علم الصدق والايمان بالبرهان، وهل يؤتى بالبرهان إلا في الجدل بالتي هي أحسن! قيل: يا ابن رسول

ص: ٩

الله فما الجدل بالتي هي أحسن والتي ليست بأحسن؟ قال: أما الجدل بغير التي هي أحسن: أن تجادل مبطلا فيورد عليك فلا تردده بحجة قد نصبها الله تعالى ولكن تجحد قوله أو تجحد حقا يريد ذلك المبطل أن يعين به باطله فتجحد ذلك الحق مخافة أن يكون له عليك فيه حجة لانك لا تدري كيف المخلص منه فذلك حرام على شيعتنا أن يصيروا فتنة على ضعفاء إخوانهم وعلى المبطلين. أما المبطلون فيجعلون ضعف الضعيف منكم إذا تعاطى مجادلته وضعف في يده حجة له باطله، وأما الضعفاء فتغم قلوبهم لما يرون من ضعف المحق في يد المبطل. وأما الجدل التي هي أحسن فهو ما أمر الله تعالى به نبيه أن يجادل به من جحد البعث بعد الموت وإحياءه له فقال الله حاكيا عنهم "وضرب لنا مثلا"^{١٥} الحديث^{١٦}.

أقول: قال العلامة المجلسي رحمه الله تعالى ونعم ما قال: ويظهر من الاخبار أن المذموم منه ما كان الغرض فيه الغلبة وإظهار الكمال والفخر أو التعصب وترويج الباطل. وأما ما كان لإظهار الحق ورفع الباطل ودفع الشبه عن الدين وإرشاد المضلين فهو

^٩ (١) ذكر الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم المجادلة المذمومة وذكر أيضا الجهة الموجبة للذم، قال الله سبحانه في سورة الحج / ٣: "ومن الناس من يجادل في الله بغير علم" ذمهم بمجادلتهم من غير علم وقال في سورة الحج/ ٨: "ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير" ذمهم بمجادلتهم من غير علم ولا هداية من الله ولا كتاب. وقال في سورة غافر/ ٥: "وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق" ذمهم بمجادلتهم في الباطل وبدليل باطل لادحاض الحق

^{١٠} (٢) العنكبوت/ ٤٦

^{١١} (٣) النحل/ ١٢٥

^{١٢} (٤) كذا في البحار: ج ٢ / ١٢٥ والاحتجاج: ج ١ / ١٤ ونور الثقلين: ج ٣ / ٩٥ والبرهان: ج ٢ / ٣٨٨، وفي كنز الدقائق ج ٥ / ٤١٩ "قد أمر به العلماء بالدين والمعنى على هذا واضح، وعلى الاول" أن الجدل بالتي هي أحسن جعله العلماء قرينا للدين" يعني واجب ولازم لمن كان له الدين

^{١٣} (٥) البقرة/ ١١١

^{١٤} (٥) البقرة/ ١١١

^{١٥} (١) يس/ ٧٩

^{١٦} (٢) راجع المصادر المتقدمة

من أعظم أركان الدين لكن التمييز بينهما فى غاية الصعوبة والاشكال، وكثيرا ما يشتبه أحدهما بالآخر فى بادية النظر وللنفس تسويلات خفية لا يمكن التخلص منها إلا بفضل الله تعالى^{١٧}.

قال الاحمدى: ولاجل ذلك نهى الامام عليه السلام ثلثة من أصحابه عن الجدل لما يرى فيه من الضعف فى إقامة البرهان والحجة ورخص لجمع منهم أو أمرهم على الاحتجاج والمجادلة بالتى هى أحسن. قال عليه السلام للطيار: أما كلام مثلك فلا بأس (أى من إذا طار يحسن أن يقع وإذا وقع يحسن أن يطير). وقال لعبد الرحمن بن الحجاج: يا عبد الرحمن كلم أهل المدينة، كان أبو الحسن

ص: ١٠

عليه السلام يأمر محمد بن حكيم أن يجالس أهل المدينة، وأن يكلمهم ويخاصمهم^{١٨}.

٣- قام بهذا الركن الدينى العظيم الانبياء العظام عليهم السلام كما حكى الله سبحانه عنهم فى القرآن الكريم وأتباعهم كمؤمن آل فرعون، وقام به رسول الله صلى الله عليه وآله فى مكة فى احتجاجه صلى الله عليه وآله مع المشركين وفى المدينة مع اليهود والنصارى والمشركين، وبعده أمير المؤمنين على بن أبى طالب وآله المعصومين عليهم السلام فى الدعوة إلى الله تعالى بالموعظة والمجادلة بالتى هى أحسن.

وهذه الاحتجاجات مضبوطة فى كتب الفريقين، وقد جمعها العلامة المحقق أبو منصور أحمد بن على بن أبى طالب الطبرسى رحمه الله تعالى من علماء القرن السادس فى كتابه القيم "الاحتجاج". ونقل العلامة المجلسى رحمه الله تعالى ما فى الاحتجاج وغيره فى البحار.

وألف جماعة من علمائنا كتباً فى الاحتجاج. وذكر العلامة المحقق المتتبع الاغا بزرگ رحمه الله أسماء هذه الكتب وأسماء مؤلفيها فى كتابه: "الذريعة إلى تصانيف الشيعة" تحت عناوين: "الاحتجاج" و"الاحتجاجات"^{١٩} و"رد" و"ردود"^{٢٠} و"الجواب" و"الجوابات"^{٢١} و"المناظرة" و"المناظرات"^{٢٢} عدا ما ذكره بأسماء أخرى كالمسائل والرسائل والرجعة والرجوع و...

وقد أوردنا فى هذا الكتاب المتواضع طرفاً من احتجاجات الشيعة مع خصومهم كى يكون تذكرة لى ولغيره. نعم قد ذكرنا استطراد الجدل بين الشيعة أيضاً.

^{١٧} (٣) البحار: ج ١٢٧ / ٢

^{١٨} (١) إلى غير ذلك ممن رخص لهم أو أمرهم بذلك ومن نهاهم، ذكرها العلامة المجلسى رحمه الله تعالى فى البحار ج ١٢٧ / ٢ ب ١٧

^{١٩} (٢) راجع الذريعة: ج ٢٨٤ - ٢٨١ / ١

^{٢٠} (٣) المصدر السابق: ج ٢٣٨ - ١٧٣ / ١٠

^{٢١} (٤) المصدر السابق: ج ٢٤١ - ١٧٠ / ٥

^{٢٢} (٥) المصدر السابق: ج ٣٥٠ - ٢٨٠ / ٢٢

٤- سميناه بـ " مواقف الشيعة مع خصومهم " والمراد من الشيعة هنا ما اصطلح عليه علماء العامة، فإنهم يطلقون هذا الاسم على كل من يفضل عليا على عثمان.

قال الحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ في ترجمة أبان بن تغلب: فالتشيع في عرف المتقدمين هو اعتقاد تفضيل علي على عثمان، وأن عليا كان مصيبا في حروبه، وأن مخالفه مخطئ مع تقديم الشيخين وتفضيلهما، وربما اعتقد بعضهم أن عليا أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وإذا كان ذلك ورعا دينيا صادقا مجتهدا فلا ترد روايته بهذا لا سيما إن كان غير داعية. وأما الشيع في عرف المتأخرين فهو الرفض المحض، فلا تقبل رواية الرفض الغالي ولا كرامة^{٢٣}.

وقال الحافظ الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ وفي ترجمة أبان بن تغلب: فالتشيعي الغالي في زمان السلف وعرفهم من تكلم في عثمان والزبير وطلحة ومعاوية وطائفة ممن حارب عليا رضي الله عنه وتعرض لسبهم، والغالي في زماننا وعرفنا هو الذي يكفر هؤلاء السادة ويتبرأ من الشيخين أيضا فهو ضال معثر ... ولم يكن أبان يعرض للشيخين أصلا بل قد يعتقد عليا أفضل منهما^{٢٤}.

وقال ابن حجر المتوفى سنة ٨٥٢ هـ: والتشيع محبة علي وتقديمه على الصحابة، فمن قدمه علي أبي بكر وعمر فهو غال في تشيعه ويطلق عليه رافضي وإلا فشيوعي، فإن انضاف إلى ذلك السب أو التصريح بالبغض فعال في الرفض وإن اعتقد الرجعة إلى الدنيا فأشد في الغلو^{٢٥}.

٥- من تدبر في هذه الاحتجاجات يستفيد منها الامور التالية.

ألف: يعرف ميزان القوة العاقلة والتفكر والدقة عند الشيعة، وأنهم علماء وحكماء وعقلاء بل في القمة من العقليات، وأن لهم النشاط السامي في التفكير

والتحقيق والغور في المسائل النظرية وتمييز الحق من الباطل لا يسأمون ولا يملون فيقف طبعاً عندئذ على ضعف مخالفهم من هذه الجهات.

ب: هذه الاحتجاجات تفيد القارئ شدة اهتمام الشيعة بالامور الدينية اصولا وفروعا.

^{٢٣} (١) تهذيب التهذيب: ج ٥٤ / ١

^{٢٤} (٢) ميزان الاعتدال: ج ٦ / ٢

^{٢٥} (٣) مقدمة فتح الباري: ص ٤٥٩ و ٤٦٠

وقد اشتهرت الشيعة بذلك فى القرون السالفة، اشتهروا بالدقة والتحرى فى امور دينهم واهتمامهم بذلك بحيث إذا رأى الناس أحدا يدقق فى المسائل الدينية حكموا بأنه رافضى . كان اسد بن عمرو على قضاء واسط فقال : رأيت قبله واسط رديئة جدا وتبين لى ذلك فتحررت فيها، فقال قوم من أهل واسط : إنه رافضى، فقبل لهم: ويلكم هذا من أصحاب أبى حنيفة^{٢٦}.

ج- يظهر للقارئ المدقق المنصف فطانة الشيعة ويقظتهم وأنهم لا يخدعون، ويتضح إحاطة الشيعة بكتب مخالفيهم وعقائدهم بعد احاطتهم بكتبهم وعقائدهم حتى أن الشيعى يطير ولا يقع ويفحم خصمه ولا يفحم ويغلب ولا يغلب .

د- يظهر أيضا إنصافهم فى البحث وتحريهم الحق فى الجدل، لا يريدون غير إثبات الحق وانكشاف الواقع.

٦- إذا لاحظ المتدبر المنصف هذه الاحتجاجات واستنتج منها ما ذكرنا من عقل الشيعى ودقته وتدبره وغوره فى المسائل وتحريه الحقائق وتجنبه عن الباطل والاعتساف وتحليه بالحلم والانصاف واهتمامه بالمسائل الدينية وإحاطته بعقائد مخالفه وتبحره فى عقيدته سأل نفسه : من أين اكتسب هؤلاء هذه الفضائل؟ وفى أى مدرسة؟ وعند أى استاذ؟ وأجاب أكتسب من بيت الوحي وفى مدرستهم وعند أئمة أهل البيت عليهم السلام، فيتضح له معنى قوله سبحانه : " قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى"^{٢٧} وقوله تعالى: " قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجرى

ص: ١٣

إلا على الله"^{٢٨} وقوله تعالى: " قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا "^{٢٩} حيث جعل أجر الرسالة المودة إلى القربى وأثمرت المودة الهداية والتكامل والتقوى وكل فضيلة، ويفهم معنى ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله فى فضائل أهل البيت عليهم السلام كحديث الثقلين وحديث السفينة وا لمنزلة وحديث أنا مدينة العلم إلى مئات والوف من الاحاديث المضبوطة فى كتب الفريقين متواترا أو متظافرا.

وصح عندئذ ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام فى أهل بيته صلوات الله عليهم:

" هم عيش العلم وموت الجهل، هم الذين يخبركم حكمهم عن علمهم وصمتهم عن منطقهم وظاهرهم م عن باطنهم، لا يخالفون الدين ولا يختلفون فيه "^{٣٠} و " وبينكم عترة نبيكم وهم أئمة الحق وأعلام الدين ألسنة الصدق فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن وردوهم ورود الهيم العطاش "^{٣١} و " فيهم كرائم القرآن وهم كنوز الرحمن إن نطقوا صدقوا وإن صمتوا لم يسبقوا "^{٣٢}.

^{٢٦} (١) الصحيح من السيرة: ج ١ / ٢٠ و ج ٣ / ٢٧٥

^{٢٧} (٢) الشورى / ٢٣

^{٢٨} (١) سباء / ٤٧

^{٢٩} (٢) الفرقان / ٥٧

^{٣٠} (٣) نهج البلاغة: الخطبة / ١٤٥

^{٣١} (٤) نهج البلاغة: الخطبة / ٨٥

فمن صدقهم وقبل ولا يتهم ونزل بمعناهم وسكن في مدارسهم - مدارس الايات - صار من حملة علومهم وتحلى بالفضائل وتخلي عن الرذائل وارتوى من منهل عذب صاف نمير تطفح ضفتاه ولا يترنق جانباه، اللهم اجعلنا ممن يواليهم ويحبهم ويتبرأ من أعدائهم، آمين.

٧- فمن راجع كتب المخالفين (أى أهل السنة) وشاهد كلماتهم في الشيعة وعلمائهم رأى عجباً من الاعتساف وترك الانصاف، وقد جمع العلامة المنتبج المحقق الاميني في الجزء الثالث من كتابه القيم "الغدير"^{٣٣} كلماتهم في الشيعة، ولا بأس

ص: ١٤

بالإشارة إلى بعضها:

فعن ابن عبد ربه في العقد الفريد "الرافضة يهود هذه الامّة يبغضون الاسلام كما يبغض اليهود النصرانية".

وعن الفرق بين الفرق للبغدادى: "لم يكن في الروافض قط إمام في الفقه ولا إمام في رواية الحديث ولا إمام في اللغة والنحو ولا موثوق به في المغازى والسير والتواريخ ولا إمام في التأويل والتفسير وإنما كان أئمة هذه العلوم أهل السنة والجماعة".

وعن كتاب الفصل "إن الروافض ليسوا من المسلمين ...".

ثم نسبوا إلى الشيعة عقائد سخيصة مما لا يرتضيه أى شيعى، اقرأ واقض بما أراك الله تعالى، ثم قس بين المدرستين وبين خريجيهما، والحمد لله رب العالمين صلى الله عليه محمد وآله الطاهرين.

قم المحمية يوم الثلاثاء ١٨ من المحرم الحرام عام ١٤١٥ الموافق لـ ١٣٧٣ / ٤ / ٧ هـ ش على الاحمدى الميانجى.

ص: ١٥

(١) المفيد رحمه الله مع الخياط

قال: وأخيرنى الشيخ أيده الله قال: قال أبو القاسم الكعبى: سمعت أبا الحسين الخياط يحتج فى إبطال قول المرجئة فى الشفاعة بقوله تعالى: "أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من فى النار" قال: والشفاعة لا تكون إلا لمن استحق العقاب.

فيقال له: ما كان أغفل أبا الحسين وأعظم رقدته ! أترى أن المرجئة إذا قالت : إن النبى صلى الله عليه وآله يشفع فيشفع فيمن يستحق العقاب قالوا:

^{٣٢} (٥) نهج البلاغة: الخطبة/ ١٥٤

^{٣٣} (٦) راجع ص ٣٢٩ - ٧٨

إنه هـ الذى ينقذ من فى النار؟ أم يقولون : إن الله سبحانه هو الذى أنقذه بفضلـه ورحمته وجعل ذلك إكراما لنبيه صلى الله عليه وآله؟ فأين وجه الحجة فيما تلاه؟ أو ما علم أن من مذهب خصومه القول بالوقف فى الاخبار وأنهم لا يقطعون بالظاهر على العموم والاستيعاب؟ فلو كان القول ل يتضمن نفى خروج أحد من النار لما كان ذلك ظاهرا ولا مقطوعا به عند القوم، فكيف ونفس الكلام يدل على الخصوص دون العموم بقوله تعالى : " أفمن حق عليه كلمة العذاب "، وإنما يعلم من المراد بذلك بدليل دون نفسه، وقد حصل الاجماع على أنه توجه إلى الكفار، وليس أحد من أهل القبلة يدين بجواز الشفاعة الكفار، فيكون ما تعلق به الخياط حجة عليه.

ثم قال أبو القاسم : وكان أبو الحسين - يعنى الخياط - يتلو فى ذلك أيضا قوله عز وجل : " نالـه إن كنا لـفى ضلال مبين * إذ نسويكم برب العالمين *

ص: ١٦

وما أضلنا إلا المجرمون * فما لنا من شافعين * ولا صديق حميم " ٣٤.

قال الشيخ أدام الله عزه : فيقال له : ما رأيت أعجب منكم يا معشر المعتزلة ! تتكلمون فيما قد شارككم الناس فيه من العدل والتوحيد أحسن كلام حتى إذا صرتم إلى الكلام فى الامامة والارجاء صرتم فيهما عامة حشوية ! تخبطون خطب عشواء، لا تدرون ما تاتون وما تذكرون ! ولكن لا أعجب من ذلك، وأنتم إنما جودتم فيما عاونكم عليه غيركم واستفدتموه من سواكم، وقصرتم فيما تفردتم به، لا سيما فى نصره الباطل الذى لا يقدر على نصرته فى الحقيقة قادر.

ولكن العجب منكم فى ادعائكم الفضيلة والبينونة بها من سائر الناس، ولو والله حكى عنكم هذا الا استدلال مخالف لكم لا رتبنا بحكايته، ولكن لا ريب وشيوخكم يحكونه عن مشائخهم، ثم لا يقنعون حتى يوردوه على سبيل التبيح به والاستحسان له . وأنت أيها الرجل من غلوك فيه جعلته أحد الغرر.

وأنت وإن كنت أعجمى الاصل والمنشأ فأنت عربى اللسان صحيح الحس، وظاهر الاية فى ال كفار خاصة، لا يخفى ذلك على الانباط فضلا عن غيرهم، حيث يقول الله عز وجل حاكيا عن الفرقة بعينها وهى تعنى معبوداتها من دون الله تعالى وتخطبها، فيقول: " إذ نسويكم برب العالمين " فيعترفون بالشرك بالله عز وجل، ثم يقولون: " وما أضلنا إلا المجرمون " وقبل ذلك يقسمون فيقولون: " نالـه إن كنا لـفى ضلال مبين ".

فهل يا أبا القاسم - أصلحك الله - تعرف أحدا من خصومك فى الارجاء والشفاعة يذهب إلى جواز الشفاعة لعباد الاصنام المشركين بالله عز وجل والكفار برسله عليهم السلام حتى استحسنت استدلال شيخك بهذه الاية على

ص: ١٧

المشبهة زعمت والمجبرة ومن ذهب مذهبه من العامة؟ فان ادعيت علم ذلك تجاهلت، وإن زعمت أنه إذا بطلت الشفاعة للكفار فقد بطلت في الفساق أتيت بقياس طريف من القياس الذى حكى عن أبى حنيفة أنه قال : " البول فى المسجد أحيانا أحسن من بعض القياس".

وكيف تزعم ذلك؟ وأنت إنما حكيت مجرد القول فى الآية ولم تذكر وجه الاستدلال منها.

وإن ما توهمت أن الحجة فى ظاهرها غفلة عظيمة حصلت منك ! على أنه إنما يصح القياس على العلل والمعانى دون الصور والالفاظ.

والكفار إنما بطل قول من ادعى الشفاعة لهم أن لو ادعاها مدع بصريح القرآن لا غير، فيجب أن لا تبطل الش فاعة لفساق الملة إلا بنص القرآن أيضا أو قول من الرسول صلى الله عليه وآله يجرى مجرى القرآن فى الحجة، وإذا عدم ذلك بطل القياس فيه.

مع أنا قد بينا أنك لم تقصد القياس وإنما تعلقت بظاهر القرآن، وكشفنا عن غفلتك فى التعلق به، فليتأمل ذلك أصحابك وليستحيوا لك منه.

على أنه قد روى عن الباقر محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام أنه قال : فى هذه الآية دليل على وجود الشفاعة، قال:

وذلك أن أهل النار لو لم يروا يوم القيامة الشافعين يشفعون لبعض من استحق العقاب فيشفعون ويخرجون بشفاعتهم من النار أو يعفون عنها بعد الاستحقاق لما تعاظمت حسراتهم ولا صدر عنهم هذا المقال، لكنهم لما رأوا شافعا يشفع فيشفع وصديقا حميما يشفع لصديقه فيشفع عظمت حسرتهم عند ذلك وقالوا:

" فما لنا من شافعين* ولا صديق حميم* فلو أن لنا كره فنكون من المؤمنين " ولعمري إن مثل هذا الكلام لا يرد إلا عن إمام هدى أو من أخذ عن أئمة الهدى عليهم السلام!

ص: ١٨

فأما ما حكاه أبو القاسم الكعبى فيليق بمقال الخياطين، ونتيجة عقول السخفاء والضعفاء فى الدين ^{٣٥}.

(٢) المفيد مع المخالفين

ومن كلام الشيخ أدام الله عزه : سئل فى مجلس الشريف أبى الحسن أحمد بن القاسم العلوى المسمى أدام الله عزه فقيل له : ما الدليل على أن أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام كان أفضل الصحابة؟ فقال : الدليل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وآله : " اللهم ائتنى بأحب خلقك إليك يأكل معى من هذا الطائر " فجاء أمير المؤمنين عليه السلام وقد ثبت أن أحب

الخلق إلى الله عزوجل أعظمهم ثوابا عند الله تعالى وأن أعظم الناس ثوابا لا يكون إلا لأنه أشرفهم أفعالا وأكثرهم عبادة لله تعالى، وفي ذلك برهان على فضل أمير المؤمنين عليه السلام على الخلق كلهم سوى الرسول عليه وآله السلام.

فقال له السائل: ما الدليل على صحة هذا الخبر؟ وما أنكرت أن يكون غير معتمد، لأنه إنما رواه أنس بن مالك وحده، وأخبار الاحاد ليست بحجة فيما يقطع على الله عزوجل بصوابه.

فقال الشيخ أدام الله عزه : هذا الخبر وإن كان من أخبار الاحاد على ما ذكرت من أن أنس بن مالك رواه وحده، فإن الامة بأجمعها قد تلقته بالقبول، ولم يروا أن أحدا رده على أنس ولا أنكر صحته عند روايته، فصار الاجماع عليه هو الحجة في صوابه، ولم يخل ببرهانه كونه من أخبار الاحاد بما شرحناه.

مع أن التواتر قد ورد بأن أمير المؤمنين عليه السلام احتج به في مناقبه يوم

ص: ١٩

الدار، فقال: انشدكم الله، هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله : " اللهم ائتنى بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر " فجاء أحد غيري؟ قالوا : اللهم لا، قال : اللهم اشهد، فاعترف الجميع بصحته . ولم يك أمير المؤمنين عليه السلام ليحتج بباطل لا سيما وهو في مقام المنازعة والتوصل بفضائله إلى أعلى الرتب التي هي الامامة والخلافة للرسول صلى الله عليه وآله وإحاطة علمه بأن الحاضرين معه في الشورى يريدون الامر دونه، مع قول النبي صلى الله عليه وآله : " على مع الحق والحق مع على يدور حيثما دار " وإذا كان الامر على ما وصفناه دل على صحة الخبر حسبما بيناه.

فاعترض بعض المجبرة فقال : إن احتجاج الشيعة برواية أنس من أطرف الاشياء، وذلك أنهم يعتقدون تفسير أنس بل تكفيره فيقولون: إنه كنم الشهادة في النص حتى دعا عليه أمير المؤمنين عليه السلام ببلاء لا يواريه الثياب، فبرص على كبر السن ومات وهو أبرص، فكيف يستشهد برواية الكافرين؟.

فقلت المعتزلة: قد أسقط هذا الكلام الرجل ولم يجعل الحجة في الرواية أنسا، وإنما جعلها الاجماع، فهذا الذي أوردته هذيان، وقد تقدم إبطاله.

فقال السائل: هب إنا سلمنا صحة الخبر، ما أنكرت أن لا يفيد ما ادعيت من فضل أمير المؤمنين عليه السلام على الجماعة، وذلك: أن المعنى فيه " اللهم ائتنى بأحب خلقك إليك يأكل معي " يريد أحب الخلق إلى الله عزوجل في الاكل معه، دون أن يكون أراد أحب الخلق إليه في نفسه لكثرة أعماله، إذ قد يجوز أن يكون الله سبحانه يحب أن يأكل مع نبيه من غيره أفضل منه، ويكون ذلك أحب إليه للمصلحة.

فقال الشيخ أدام الله عزه : هذا الذي اعترضت به ساقط، وذلك أن محبة الله تعالى ليست ميل الطباع وإنما هي الثواب، كما أن بغضه وغضبه ليسا

باهتياج وإنما هما العقاب، ولفظ " أفعل " فى أحب وأبغض لا يتوجه إلا إلى معناه من الثواب والعقاب، ولا معنى على هذا الاصل لقول من زعم: أن أحب الخلق إلى الله عزوجل يأكل مع رسول الله صلى الله عليه وآله توجه إلى محبة الاكل، والمبالغة فى ذلك بلفظ " أفعل " لانه يخرج اللفظ عما ذكرناه من الثواب إلى ميل الطباع، وذلك محال فى صفة الله سبحانه.

وشئ آخر: وهو أن ظاهر الخطاب يدل على ما ذكرناه، دون ما عارضت به أن لو كانت المحبة على غير معنى الثواب، لانه صلى الله عليه وآله قال: " اللهم ائتنى بأحب خلقك إليك يأكل معى من هذا الطائر " وقوله: " بأحب خلقك إليك " كلام تام، وبعده: " يأكل معى من هذا الطائر " كلام مستأنف ولا يفتقر الاول إليه، ولو كان أراد ما ذكرت لقال: " اللهم ائتنى بأحب خلقك إليك فى الاكل معى " فلما كان اللفظ على خلاف هذا وكان على ما ذكرناه لم يجز العدول عن الظاهر إلى محتمل على المجاز.

وشئ آخر: وهو أنه لو تساوى المعنيان فى ظاهر الكلام لكان الواجب عليك تحميليها اللفظ معا، دون الاقتصار على أحد هما، إلا بدليل، لانه لا يتنافى الجمع بينهما، فيكون أراد بقوله: " أحب خلقك إليك " فى نفسه وللاكل معى، وإذا كان الامر على ما بيناه سقط اعتراضك.

فقال رجل من الزيدية - كان حاضرا - للسائل: هذا الاعتراض ساقط على أصلك وأصلنا، لانا نقولا جميعا : إن الله تعالى لا يريد المباح، والاكل مع النبى صلى الله عليه وآله مباح وليس بفرض ولا نفل فيكون الله يحبه، فضلا عن أن يكون بعضه أحب إليه من بعض . وهذا السائل من أصحاب أبى هاشم، فلذلك أسقط الزيدى كلامه على أصله، إذ كان يوافقه فى الاصول على مذهب أبى هاشم.

فخلط السائل هنيئة، ثم قال للشيخ أدام الله عزه: فأنا أعترض باعتراض

آخر، وهو أن أقول: ما أنكرت أن يكون هذا القول إنما أفاد أن عليا عليه السلام كان أفضل الخلق فى يوم الطائر، ولكن بم تدفع أن يكون قد فضله قوم من الصحابة عند الله تعالى بكثرة الاعمال والمعارف بعد ذلك؟ وهذا الامر لا ي علم بالعقل، وليس معك سمع فى نفس الخبر يمنع من ذلك، فدل على أنه عليه السلام أفضل من الصحابة كلهم إلى وقتنا هذا، فانا لم نسألك عن فضله عليهم وقتنا بعينه.

فقال الشيخ أدام الله عزه: هذا السؤال أو هن مما تقدم، والجواب عنه أيسر، وذلك : أن الامة مجمعة على إبطال قول من زعم أن أحدا اكتسب أفعالا زادت على الفضل الذى حصل لامير المؤمنين عليه السلام على الجماعة، من قبل أنهم بين قائلين:

فقائل يقول: إن أمير المؤمنين عليه السلام كان أفضل من الكل فى وقت الرسول صلى الله عليه وآله ولم يساوه أحد بعد ذلك، وهم الشيعة الامامية والزيدية وجماعة من شيوخ المعتزلة وجماعة من أصحاب الحديث.

وقائل يقول: إنه لم يبين لأمير المؤمنين عليه السلام في وقت من الاوقات فضل على سائر الصحابة يقطع به على الله تعالى ويجزم الشهادة بصحته، ولا بان لاحد منهم فضل عليه، وهم الواقفة في الاربعة من المعتزلة، منهم : أنبي على وأبو هاشم وأتباعهما.

وقائل يقول: إن أبا بكر كان أفضل من أمير المؤمنين عليه السلام في وقت الرسول صلى الله عليه وآله وبعده، وهم جماعة من المعتزلة وبعض المرجئة وطوائف من أصحاب الحديث.

وقائل يقول: إن أمير المؤمنين عليه السلام خرج عن فضله بحوادث كانت منه فساواه غيره، وفضل عليه من أجل ذلك من لم يكن له فضل عليه، وهم الخوارج جماعة من المعتزلة، منهم: الاصم والجاحظ وجماعة من أصحاب

ص: ٢٢

الحديث أنكروا قتال أهل القبلة.

ولم يقل أحد من الامة : إن أمير المؤمنين عليه السلام كان أفضل عند الله سبحانه من الصحابة كلهم ول م يخرج عن ولاية الله عزوجل ولا أحدث معصية الله تعالى ثم فضل عليه غيره بعمل زاد به ثوابه على ثوابه، ولا جوز ذلك فيكون معتبرا، فإذا بطل الاعتبار به للاتفاق على خلافه سقط، وكان الاجماع حجة يقوم مقام قول الله تعالى في صحة ما ذهبنا إليه، فلم يأت بشئ.

ذاكراني الشيخ آدام الله عزه هذه المسألة بعد ذلك فزادني فيها زيادة ألحققتها:

وهي أن قال: إن الذي يسقط ما اعترض به السائل من تأويل قول النبي صلى الله عليه وآله : " اللهم ائتنى بأحب خلقك إليك " على المحبة لالكل معه دون محبته في نفسه بإعظام ثوابه بعد الذي ذكرناه في إسقاطه : أن الرواية جاءت عن أنس بن مالك أنه قال: لما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله أن يأتيه الله تعالى بأحب الخلق إليه قلت : اللهم اجعله رجلا من الانصار ليكون لى الفضل بذلك، فجاء على عليه السلام فرددته وقلت له: رسول الله على شغل، فمضى، ثم عاد ثانية، فقال لى: استأذن على رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت له : إنه على شغل، فجاء ثالثة فاستأذنت له ودخل، فقال له النبي صلى الله عليه وآله : قد كنت سألت الله أن يأتينى بك دفعتين، ولو أبطأت على الثالثة لاقسمت على الله عزوجل أن يأتينى بك.

فلولا أن النبي صلى الله عليه وآله سأل الله عزوجل أن يأتيه بأحب خلقه إليه في نفسه وأعظمهم ثوابا عنده وكانت هذه من أجل الفضائل لما آثر أنس أن يختص بها قومه، ولولا أن أنسا فهم ذلك من معنى كلام الرسول صلى الله عليه وآله لما دافع أمير المؤمنين عليه السلام عن الدخول ليكون ذلك الفضل لرجل من الانصار فيحصل له جزء منه.

ص: ٢٣

وشئ آخر: وهو أنه لو احتمل معنى لا يقتضى الفضيلة لأمير المؤمنين عليه السلام لما احتج به أمير المؤمنين عليه السلام يوم الدار، ولا جعله شاهدا على أنه أفضل من الجماعة، وذلك : أنه لو لم يكن الامر على ما وصفناه وكان محتملا لما ظنه

المخالفون- من أنه سأل ربه تعالى أن يأتيه بأحب الخلق إليه في الاكل معه - لما أمن أمير المؤمنين عليه السلام من أن يتعلق بذلك بعض خصومه في الحال أو يشتبه ذلك على إنسان، فلما احتج به على القوم واعتمده في البرهان دل على أنه لم يك مفهوما منه إلا فضله. وكان إعراض الجماعة أيضا عن دفاعه عن ذلك بتسليم ما ادعى دليلا على صحة ما ذكرناه.

وهذا بعينه يسقط قول من زعم : أنه يجوز مع إطلاق النبي صلى الله عليه وآله في أمير المؤمنين عليه السلام ما يقتضى فضله عند الله تعالى على الكافة وجود من هو أفضل منه في المستقبل، لانه لو جاز ذلك لما عد ل القوم عن الاعتماد عليه، ولجعلوه شبهة في منعه مما ادعاه من القطع على نقصانهم عن في الفضل، وفي عدول القوم عن ذلك دليل على أن القول مقيد بإطلاق فضله عليه السلام ومؤمن من بلوغ أحد منزلته في الثواب بشئ من الاعمال، وهذا بين لمن تدبره^{٣٦}.

(٣) المفيد مع أبي بكر بن صراما

ومن حكايات الشيخ أدام الله عزه وكلامه : حضر الشيخ مجلس أبي منصور ابن المرزبان، وكان بالحضرة جماعة من متكلمي المعتزلة، فجرى كلام وخوض في شجاعة الامام.

فقال أبو بكر بن صراما: عندي أن أبا بكر الصديق كان من شجعان

ص: ٢٤

العرب ومتقدميهم في الشجاعة!.

فقال الشيخ أدام الله عزه: من أين حصل ذلك عندك؟ وبأي وجه عرفته؟.

فقال: الدليل على ذلك : أنه رأى قتال أهل الردة وحده في نفر معه، وخالفه على رأيه ذلك جمهور الصحابة، وتقاعدوا عن نصرته، فقال: أما والله، لو منعوني عقالا لقاتلتهم، ولم يستوحش من اعتزال القوم له، ولا ضعف ذلك نفسه ولا منعه من التصميم على حربهم، فلولا أنه كان من الشجاعة على حد يقصر الشجعان عنه: لما أظهر هذا القول عند خذلان القوم له.

فقال الشيخ أدام الله عزه: ما أنكرت على من قال لك: إنك لم تلجأ إلى معتمد عليه في هذا الباب، وذلك أن الشجاعة لا تعرف بالحس لصاحبها فقط ولا بادعائها، وإنما هي شئ في الطبع يمهده الاكتساب، والطريق إليها أحد الامرين: إما الخبر عنها من جهة علام الغيوب المطلع على الضمائر جلّت عظمته فيعلم خلقه حال الشجاع وإن لم يبد منه فعل يستدل به عليها. والوجه الاخر:

أن يظهر منه أفعال يعلم بها حاله، كمبلرزة الاقران ومقاومة الشجعان ومنازلة الابطال والصبر عند اللقاء وترك الفرار عند تحقق القتال، ولا يعلم ذلك أيضا بأول وهلة ولا بواحدة من الفعل حتى يتكرر ذلك على حد يتميز به صاحبه ممن حصل له ذلك اتفاقا أو على سبيل الهوج والجهل بالتدبير.

وإذا كان الخبر عن الله سبحانه بشجاعة أبي بكر معدوما وكان هذا الفعل الدال على الشجاعة غير موجود للرجل فكيف يجوز لعقل أن يدعى له الشجاعة بقول قاله ليس من دلالتها فى شئ عند أحد من أهل النظر والتحصيل؟ لا سيما ودلائل جبنه وهلعه وخوفه وضعفه أظهر من أن يحتاج فيها إلى التأمل، وذلك أنه لم يبارز قط قرنا ولا قاوم بطلا ولا سفك بيده دما، وقد شهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله مشاهده، فكان لكل أحد من الصحابة

ص: ٢٥

أثر فى الجهاد إلا له، وفر فى يوم أحد، وانهزم فى يوم خيبر، وولى الدبر يوم التقى الجمعان، وسلم رسول الله صلى الله عليه وآله فى هذه المواطن مع ما كتب الله عز وجل عليه من الجهاد، فكيف تجتمع دلائل الجبن ودلائل الشجاعة لرجل واحد فى وقت واحد لولا أن العصبية تميل بالعبد إلى الهوى؟.

وقال رجل من طياب الشيعة كان حاضرا: عافاك الله، أى دليل هذا؟

وكيف يعتمد عليه؟ وأنت تعلم أن الانسان قد يغضب فيقول: لو سامنى السلطان هذا الامر قبلته، وإن عندنا لشيخا ضعيف الجسم ظاهر الجبن يصلى بنا فى مسجدنا، فما يحدث أمر يضجره وينكره إلا قال : والله لا صبرن على هذا أولا جاهدن فيه ولو اجتمعت فيه ربيعة ومضر.

فقال: ليس الدليل على الشجاعة ما ذكرت دون غيره، والذى اعتمدنا على يدل كما يدل الفعل والخبر، ووجه الدلالة فيه : أن أبا بكر باتفاق لم يكن مؤوف العقل ولا غبيا ناقصا، بل كان بالاجماع من العقلاء، وكان بالاتفاق جيد الاراء، فلو لا أنه كان واثقا من نفسه عالما بصبره وشجاعته لما قال هذا القول بحضرة المهاجرين والانصار، وهو لا يأمن أن يقيم القوم على خلافه فيخذ لونه ويتأخرون عنه ويعجز هو لجبنه أن لو كان الامر على ما ادعيتموه عليه، فظهر منه الخلف فى قوله، وليس يقع هذا من عاقل حكيم، فلما ثبتت حكمة أبي بكر دل مقاله الذى حكينا على شجاعته كما وصفناه.

فقال الشيخ أدام الله عزه: ليس تسليمنا لعقل أبي بكر وجوده رأيه تسليمنا لما ادعيت من شجاعته بما رويت عنه من القول، ولا يوجب ذلك فى عرف ولا عقل ولا سنة ولا كتاب، وذلك أنه وإن كان ما ذكرت من الحكمة فليس يمنع أن يأتى بهذا القول من جبنه وخوفه وهلعه ليشجع أصحابه، ويحض المتأخرين عنه على نصرته، ويحثهم على جهاد عدوه، ويقوى عزمهم فى معونته، ويصرفهم عن رأيهم فى خذلانه، وهكذا يصنع الحكماء فى تدبيراتهم، فيظهرون

ص: ٢٦

من الصبر ما ليس عندهم، ومن الشجاعة ما ليس فى طبائعهم حتى يمتحنوا الامر وينظروا فى عواقبه، فإن استجاب المتأخرون عنهم ونصرهم الخاذلون لهم، وكلوا الحرب إليهم وعقلوا الكلفة بهم، وإن أقاموا على الخذلان واتفقوا على ترك النصرة لهم والعدول عن معونتهم أظهروا من الرأى خلاف ما سلف، وقالوا : قد كانت الحال موجبة للقتال وكان عزمنا على ذلك تاما، فلما

رأينا أشياعنا وعامة أتباعنا يكرهون ذلك أوجبت الضرورة إعفاءهم عما يكرهون والتدبير لهم بما يؤثرون، وهذا أمر قد جرت به عادات الرؤساء في كل زمان ولم يكن تتقلهم من رأى إلى رأى مسقطا لأقذارهم عند الانام.

فلا ينكر أن يكون أبو بكر إنما أظهر التصميم على الحرب لحث القوم على موافقته في ذلك، ولم يبد لهم جزعه لئلا يزيد ذلك في فشلهم ويقوى به رأيهم، واعتمد على أنهم إن صاروا إلى أمره ونجع هذا التدبير في تمام غرضه فقد بلغ المراد، وإن لم ينجع ذلك عدل عن الرأى الاول كما وصفناه في حال الرؤساء في تدبيراتهم.

على أن أبا بكر لم يقسم بالله تعالى في قتال أهل الردة بنفسه وإنما أقسم بأنصاره الذين اتبعوه على رأيه، وليس في يمينه بالله سبحانه لينفذ خالدا وأصحابه ليصلوا بالحرب دليل على شجاعته في نفسه.

وشئ آخر: وهو أن أبا بكر قال هذا القول عند غضبه لمباينة القوم له، ولا خلاف بين ذوى العقول أن الغضب يعتريه عند غضبه من هيجان الطباع ما يفسد عليه رأيه، حتى يقدم من القول على ما لا يفى به عند سكون نفسه، ويعمل من الاعمال ما يندم عليه عند زوال الغضب عنه، ولا يكون وقوع ذلك منه دليلا على فساد عقله ووجوب إخراجه عن جملة أهل التدبير، وقد صرح بذلك الرجل في خطبته المشهورة عنه التي لا يختلف إثنان فيها، وأصحابه خاصة يصلون بها ويجعلونها من مفاخره، حيث يقول: "إن رسول الله صلى الله عليه

ص: ٢٧

وآله خرج من الدنيا وليس أحد يطالبه بضربة سوط فما فوقها، وكان صلى الله عليه وآله معصوما من الخطأ يأتيه الملائكة بالوحي، فلا تكلفوني ما كنتم تكلفونه، فإن لى شيطانا يعترينى عند غضبى، فإذا رأيتمونى مغضبا فاجتنبونى، " اوثر فى أشعاركم وأبشاركم " فقد أعذر هذا الرجل إلى القوم فيما يأتيه عند غضبه من قول وفعل، ودلهم على الحال فيه، فلذلك أمن من نكير المهاجرين والانصار عليه مقاله عند غضبه مع إحاطة العلم منهم بما لحقه فى الحال من خلاف المخالفين عليه حتى بعثه على ذلك المقال، فلم يأت بشئ^{٣٧}.

(٤) المفيد مع الزيدية

قال الشيخ أدام الله حراسته: كان يختلف إلى حدث من أولاد الانصار يتعلم الكلام، فقال لى يوما: اجتمعت البارحة مع الطبراني شيخ من الزيدية، فقال لى: أنتم يا معشر الامامية حنبلية وأنتم تستهزئون بالحنبلية! فقلت: وكيف ذلك؟ فقال: لان الحنبلية تعتمد على المنامات وأنتم كذلك، والحنبلية تدعى المعجز لاكابرها وأنتم كذلك، والحنبلية ترى زيارة القبور والاعتكاف عندها وأنتم كذلك، فلم يكن عندى جواب ارتضيه، فما الجواب؟.

قال الشيخ أدام الله عزه: فقلت له: ارجع إلى وقل له: قد عرضت ما ألقيته على على فلان، فقال: قل له: إن كانت الامامية حنبلية بما وصفت أيها الشيخ فالمسلمون بأجمعهم حنبلية، والقرآن ناطق بصحة الحنبلية وصواب مذاهب أهلها.

وذلك أن الله عزوجل يقول: " إذ قال يوسف لاييه يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين * قال يا بنى لا تقصص

ص: ٢٨

رؤياك على إخوانك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للانسان عدو مبين " فأثبت الله جل اسمه المنام، وجعل له تأويلا عرفه أولياءه عليهم السلام وأثبتته الانبياء ودانت به خلفاؤهم وأتباعهم من المؤمنين، واعتمدوه فى علم ما يكون، وأجروه مجرى الخبر مع اليقظة وكالعيان له. وقال سبحانه: " ودخل معه السجن فيتان قال أحدهما إنى أرانى أعصر خمرا وقال الآخر إنى أرانى أحمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه نبثنا بتأويله إنا نريك من المحسنين " فنبأهما بتأويله، وذلك على تحقيق منه لحكم المنام، وكان سؤالهما مع جهلهما بنبوته دليلا على أن المنامات حق عندهم والتأويل لاكثرها صحيح إذا وافق معناها . وقال عز اسمه: " وقال الملك إنى رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات يا أيها الملا افتونى فى رؤياى إن كنتم للرؤيا تعبرون * قالوا أضغاث أحلام و ما نحن بتأويل الاحلام بعالمين " ثم فسرهما يوسف عليه السلام فكان الامر كما قال. وقال سبحانه فى قصة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام: " فلما بلغ معه السعى قال يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ما ذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين " فأثبتنا عليهما السلام الرؤيا وأوجبا الحكم بها، ولم يقل إسماعيل لاييه عليه السلام : يا أبت لا تسفك دمي برؤيا رأيتها، فان الرؤيا قد تكون من حديث النفس وأخلاق البدن وغلبة الطباع بعضها على بعض، كما ذهبت إليه المعتزلة.

فقول الامامية فى هذا الباب ما نطق به القرآن، وقول هذا الشيخ هو قول الملا من أصحاب الملك حين قالوا: " أضغاث أحلام ". ومع ذلك فانا لسنا ننبت الاحكام الدينية من جهة المنامات، وإنما ننبت من تأويلها ما جاء به الاثر عن ورثة الانبياء عليهم السلام.

فأما قولنا فى المعجزات: فهو كقول الله تبارك وتعالى: " وأوحى إلى ام

ص: ٢٩

موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين " فضمن هذا القول تصحيح المنام، إذ كان الوحي إليها فى المنام يعلمها بما كان قبل كونه. وقال سبحانه فى قصة مريم عليها السلام:

" فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا * قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا * وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا " فكان نطق المسيح معجزا لمريم عليها السلام إذ كان شاهدا ببراءة ساحتها، وام موسى ومريم لم تكونا نبيتين ولا مرسلتين، ولكنهما كانتا من عباد الله الصالحين، فعلى مذهب هذا الشيخ كتاب الله تعالى يصح الحنبلية.

وأما زيارة القبور: فقد أجمع المسلمون على زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله حتى أنه من حج ولم يزره فقد جفاه وثلم حجه بذلك الفعل، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "من سلم على من عند قبري سمعته ومن سلم على من بعيد بلغته عليه سلام الله ورحمته وبركاته. وقال صلى الله عليه وآله للحسن عليه السلام:

"من زارك بعد موتك أو زار أباك أو زار أخاك فله الجنة". وقال له عليه السلام أيضا في حديث له أول مشروح في غير هذا الكتاب: "تزورك طائفة من امتي يريدون به برى وصلتي، فإذا كان يوم القيامة زرتها في الموقف، فأخذت بأعضادها فأنجيتها من أهواله وشدائده".

ولا خلاف بين الأمة أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما فرغ من حجة الوداع لاذ بقبر قد درس، فقعده عنده طويلا، ثم استعبر، فقليل له: يا رسول الله، ما هذا القبر؟ فقال: "هذا قبر امي آمنة بنت وهب، سألت الله في زيارتها فأذن لي". وقال صلى الله عليه وآله: "قد كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا

ص: ٣٠

فزوروها، وكنت نهيتكم عن ادخار لحوم الاضاحي ألا فادخروها". وقد كان أمر صلى الله عليه وآله في حياته بزيارة قبر حمزة عليه السلام وكان يلم به بالشهداء. ولم تزل فاطمة عليها السلام بعد وفاته صلى الله عليه وآله تغدوا إلى قبره وتروح. والمسلمون يناوبون على زيارته وملازمة قبره.

فإن كان ما تذهب إليه الامامية من زيارة مشاهد الائمة عليهم السلام حنبلية وسخفا من العقل فالاسلام مبنى على الحنبلية، ورأس الحنبلية رسول الله صلى الله عليه وآله! وهذا قول متهافت جدا يدل على قلة دين قائله وضعف رأيه وبصيرته.

ثم قلت له: يجب أن تعلمه أن الذي حكيت عنه قد حرف القول وقبحه ولم يأت على وجه.

والذي نذهب إليه في الرؤيا: أنها على ضرب، فضرب منها يبشر الله به عباده ويحذرهم، وضرب تحزين من الشيطان وكذب يخطره ببال النائم، وضرب من غلبة الطباع بعضها على بعض.

ولسنا نعتمد على المنامات كما حكى، لكننا نأنس بما يبشر به ونتخوف مما يحذر فيها، من وصل إليه شيء من علمها عن ورثة الانبياء عليهم السلام ميز بين حق تأويلها وباطله، ومن لم يصل إليه شيء من ذلك كان على الرجاء والخوف.

وهذا يسقط ما لعله سيتعلق به في منامات الانبياء عليهم السلام من أنها وحى، لان تلك مقطوع بصحتها، وهذه مشكوك فيها. مع أن منها أشياء قد اتفق ذو والعادات على معرفة تأويلها حتى لم يختلفوا فيه ووجدوه حسنا.

وهذا الشيخ لم يقصد بكلامه الامامية، لكنه قصد الامامة ونصر البراهمة والملحدة. مع أنى أعجب من هذه الحكاية عنه، وأنا أعرفه يميل إلى مذهب أبى هاشم ويعظمه ويختاره، وأبو هاشم يقول في كتابه "المسألة في الامامة": إن أبا

بكر رأى فى المنام كأن عليه ثوبا جديدا عليه رقمان، ففسره على النبى صلى الله عليه وآله فقال له : إن صدقت رؤياك فستخبر بولد وتلى الخلافة سنتين " فلم يرض شيخه أبو هاشم أن أثبت المنامات حتى أوجب له الخلافة وجعلها دالة على الامامة ! فيجب على قول هذا الشيخ الزيدى عند نفسه أن يكون أبو هاشم رئيس المعتزلة عنده ح نبليا، بل يكون أبو بكر حنبليا، بل رسول الله صلى الله عليه وآله! لانه صحح المنام وأوجب به الاحكام، وهذا من بهرج المقال^{٣٨}.

(٥) المفيد مع شيخ المعتزلة

ثم قال رضى الله عنه : ومن حكايات الشيخ أيده الله قال : حضرت مجمعا لقوم من الرؤساء، وكان فيهم شيخ من أهل الرى معتزلى، يعظمونه لمحل سلفه وتعلقه بالدولة، فسئلت عن شئ من الفقه، فأفتيت فيه على المأثور عن الائمة عليهم السلام.

فقال ذلك الشيخ : هذه الفتيا تخالف الاجماع : فقلت له : عافاك الله، من تعنى بالاجماع؟ فقال : الفقهاء المعروفين بالفتيا فى الحلال والحرام من فقهاء الامصار. فقلت: هذا أيضا مجمل من القول، فهل تدخل آل محمد عليهم السلام فى جملة هؤلاء الفقهاء، أم تخرجهم من الاجماع؟ فقال: بل أجعلهم فى صدر الفقهاء، ولو صح عنهم ما تروونه لما خالفناه.

فقلت له : هذا مذهب لا أعرفه لك ولا لمن أو مات إليه ممن جعلتهم الفقهاء، لان القوم ب أجمعهم يرون الخلاف على أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام وهو سيد أهل البيت فى كثير مما قد صح عنه من الاحكام.

فكيف تستوحشون من خلاف ذريته وتوجبون على أنفسكم قبول قولهم على كل حال؟.

فقال: معاذ الله! ما نذهب إلى هذا ولا يذهب إليه أحد من الفقهاء، وهذه شناعة منك على القوم بحضرة هؤلاء الرؤساء.

فقلت له : لم أحك إلا ما اقيم عليه البرهان، ولا ذكرت إلا معروفا لا يمكن أحدا من أهل العلم دفعى عنه لما هو عليه من الاشتهار، لكنك أنت تريد أن تتجمل بضد مذهبك على هؤلاء الرؤساء. ثم أقبلت على القوم، فقلت:

لا خلاف عند شيوخ هذا الرجل وأئمتهم وفقهائه وسادته أن أمير المؤمنين عليه السلام قد يجوز عليه الخطأ فى شئ يصيب فيه عمرو بن العاص زيادة على ما حكيت عنه من المقال ! فاستعظم القوم ذلك وأظهروا البراءة من معتقده، وأنكره هو وزاد فى الانكار. فقلت له : أليس من مذهبك ومذهب هؤلاء الفقهاء أن عليا عليه السلام لم يكن معصوما كعصمة النبى صلى الله عليه وآله؟ قال: بلى. قلت: فلم لا يجوز عليه الخطأ فى شئ من الاحكام؟ فسكت.

ثم قلت له : أليس عندكم أن أمير المؤمنين عليه السلام قد كان يجتهد رأييه في كثير من الاحكام، وأن عمرو بن العاص وأبا موسى الاشعري والمغيرة بن شعبة كانوا من أهل الاجتهاد؟ قال : بلى. قلت له: فما الذى يمنع من إصابة هؤلاء القوم ما يذهب على أمير المؤمنين عليه السلام من جهة الاجتهاد مع ارتفاع العصمة عنه وكون هؤلاء القوم من أهل الاجتهاد؟ فقال : ليس يمنع من ذلك مانع. قلت له: فقد أقررت بما أنكرت الان، ومع هذا فليس من أصلك أن كل أحد بعد النبي صلى الله عليه وآله يؤخذ من قوله ويترك إلا ما انعقد عليه الاجماع. قال: بلى. قلت له: أفليس هذا يسوغكم الخلاف على أمير المؤمنين عليه السلام في كثير من أحكامه التي لم يقع عليه الاجماع؟.

وبعد، فليست لي حاجة إلى هذا التعسف، ولا أنا مفتفر فيما حكيت إلى هذا

ص: ٣٣

الاستدلال، لانه لا أحد من الفقهاء إلا وقد خالف أمير المؤمنين عليه السلام في بعض أحكامه ورغب عنها إلى غيرها، وليس فيهم أحد واقفه في جميع ما حكم به من الحلال والحرام.

وإني لأعجب من إنكارك ما ذكرت، وصاحبك الشافعي يخالف أمير المؤمنين عليه السلام في الميراث والمكاتب ويذهب إلى قول زيد فيهما ! ويروى عنه أنه كان لا يرى الوضوء من مس الذكر، ويقول هو : إن الوضوء منه واجب وإن عليا عليه السلام خالف الحكم فيه بضرب من الرأي ! وحكى الربيع عنه في كتابه المشهور : أنه لا بأس بصلاة الجمعة والعيدين خلف كل أمين وغير مأمون ومتغلب، صلى على بالناس وعثمان محصور، فجعل الدلالة على جواز الصلاة خلف المتغلب على أمر الامة صلاة الناس خلف على في زمن حصر عثمان، فصرح بأن عليا كان متغلبا، ولا خلاف أن المتغلب على أمر الامة فاسق ضال . وقال: لا بأس بالصلاة خلف الخوارج، لانهم متأولون وإن كانوا فاسقين.

فمن يكون هذا مذهبه ومقالة إمامه وفقهه يزعم معه أنه لو صح له عن أمير المؤمنين شيء أو عن ذريته لدان به ! لولا أن الذاهب إلى هذا يريد التلبيس.

وليس في فقهاء الامصار - سوى الشافعي - إلا وقد شارك الشافعي في الطعن على أمير المؤمنين - عليه السلام - وتزييف كثير من قوله والرد عليه في أحكامه، حتى أنهم يصرحون بأن الذى يذكره أمير المؤمنين - عليه السلام - في الاحكام معتبر، فان أسنده إلى النبي - صلى الله عليه وآله - قبلوه منه على الظاهر العدالة، كما يقبلون من أبي موسى الاشعري وأبي هريرة والمغيرة بن شعبة ما يستدونه إلى النبي صلى الله عليه وآله بل كما يقبلون من حمال في السوق على ظاهر العدالة ما يرويه مسندا إلى النبي - صلى الله عليه وآله - فأما ما قال أمير المؤمنين - عليه السلام - من غير إسناد إلى رسول الله - صلى الله عليه وآله - كان موقوفا على سيرهم ونظرهم

ص: ٣٤

واجتهادهم، فان وضع صوابه فيه قالوا به من حيث النظر، لا من حيث حكمه به وقوله، وإن عثروا على خطيئة فيه اجتنبوه وردوه عليه وعلى من اتبعه فيه، فزعموا أن آراءهم هي المعيار على قوله - عليه السلام -.

وهذا مالا يذهب إليه من وجد في صدره جزء من مودته - عليه السلام - وحقه الواجب له وتعظيمه الذي فرضه الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله: بل لا يذهب إلى هذا القول إلا من رد على رسول الله - صلى الله عليه وآله - قوله:

"على مع الحق والحق مع على يدور حيثما دار" وقوله صلى الله عليه وآله: "أنا مدينة العلم وعلى بابها" وقوله صلى الله عليه وآله: "اللهم اهد قلبه وثبت لسانه" فما شككت في قضاء بين اثنين.

فلما ورد عليه هذا الكلام تحير، وقال: هذه شناعات على الفقهاء والقوم، لهم حجج على ما حكيت عنهم.

فقال له بعض الحاضرين: نحن نبرأ إلى الله من هذا المقال وكل دائن به.

وقال له آخر: إن كان مع القوم حجج على ما حكاه الشيخ فهي حجج على إبطال ما ادعيت أولا من ضد هذه الحكاية، ونحن نعيذك بالله أن تذهب إلى هذا القول ! فان كل شيء تظنه حجة عليه فهو كالحجة في إبطال نبوة النبي - صلى الله عليه وآله - فسكت مستحييا مما جرى، وتفرق الجمع^{٣٩}.

(٦) المفيد مع بعض المعتزلة

قال الشيخ أدام الله عزه : قال لي يوما بعض المعتزلة : لو كان ما تدعونه من هذا الفقه الذي تصيغونه إلى جعفر بن محمد وأبيه وابنه - عليهم السلام - حقا وأنتم

ص: ٣٥

صادقون في الحكاية عنهم لوجب أن يقع لنا - معشر مخالفينكم - العلم الضروري بصحة ذلك حتى لانشك فيه، كما وقع لكم صحة الحكاية عن أبي حنيفة ومالك والشافعي وداود وغيرهم من فقهاء الامصار برواية أصحابهم عنهم، فلما لم نعلم صحة ما تدعونه مع سماعنا لآخباركم وطول مجالستنا لكم دل على أنكم متخصون في ذلك ! وبعد فما بال كل من عددنا من فقهاء الامصار قد استفاض عنهم القول في الفتيا استفاضة منعت من الريب في مذاهبهم، وأنتم أئمتكم أعظم قدرا من هؤلاء وأجل خطرا، لاسيما مع ما تعتقدون فيهم : من العصمة وعلوا لمنزلة والفضل على جميع البرية، والبينونة من الخلق بالمعجزة وما اختصوا به من خلافة الرسول - عليه وآله السلام - وفرض الطاعة على الجن والانس؟

وان هذا لشيء عجيب ! قال الشيخ أدام الله عزه : فقلت له : إن الجواب عن هذا السؤال قريب جدا، غير أنى أقلبه عليك، فلا يمكنك الانفصال منه إلا بإخراج من ذكرت من جملة أهل العلم ونفى المعرفة عنهم وإسقاط مقال من زعمت أنهم كانوا من أصحاب الفتيا، والعلم الضروري حاصل لكل من سمع الاخبار بصد ذلك وخلافه، وأنهم - عليهم السلام - كانوا من أجله أهل الفتيا.

وذلك: أننا وإن كنا كاذبين على قولك فلا بد لهؤلاء القوم - عليهم السلام - من مقال فى الفتيا يتضمن بعض ما حكيناه عنهم، فما بالناس معشر الشيعة، بل ما بالكم - معشر الناصبة - لا تعلمون مذاهبهم على الحقيقة بالضرورة، كما تعلمون مذاهب أهل الحجاز والعراق ومن ذكرت من فقهاء الامصار؟ فان زعمت أنك تعلم لهم فى الفتى مذهباً بخلاف ما نحكيه عنهم علم اضطرار - مع تديننا بكذبك فى ذلك - لم نجد فرقاً بيننا وبينك إذا ادعينا أننا نعلم صحة ما نحكيه عنهم بالاضطرار، وإنك وأصحابك تعلمون ذلك، ولكنكم تكابرون العيان، وهذا ما لا فصل فيه.

ص: ٣٦

فقال: إنما لم نعلم مذهبهم باضطرار، لانه ميثوت فى مذاهب الفقهاء إذا كانوا - عليهم السلام - يختارون ما اختاروا من قول الصحابة والتابعين، فتفرق مجموع أخبارهم فى مذاهب الفقهاء.

فقلت له: فان هذا بعينه موجود فى مذهب مالك وأبى حنيفة والشافعى ومن عددت، لان هؤلاء تخيروا من أقوال الصحابة والتابعين، فكان يجب أن لا نعلم مذاهبهم باضطرار، على أنك إن قنعت بهذا الاعتلال، فانا نعلم عليه فى جوابك، فنقول: إنما نعرفنا على علم الاضطرار بمذاهبهم عليهم السلام، لان الفقهاء تقسموا مذاهبهم المنصوصة عندنا، فدانوا بها على سبيل الاختيار، لان قولهم متفرق فى مقال الفقهاء، فلذلك لم يقع العلم به باضطرار.

فقال: فهب أن الامر كما وصفت، ما بالناس لا نعلم ما رويتم عنهم من خلاف جميع الفقهاء علم اضطرار؟.

فقلت له: ليس شئ مما تؤمى إليه إلا وقد قاله صحابى أو تابعى وإن اتفق من ذكرت من فقهاء الامصار على خلافه الآن، فلما قدمنا مما رصيته من الاع تلال لم يحصل علم الاضطرار . مع أنك تقول لا محالة: بأن قولهم عليهم السلام فى هذه الابواب بخلاف ما عليه غيرهم فيها، وهو ما أجمع عليه عندك فقهاء الامصار من الصحابة والتابعين بإحسان، فما بالناس لا نعلم ذلك من مقالهم علم اضطرار؟ وليس هو مما تحدثته مذاهب الفقهاء و لا اختلف فيه عندك من أهل الاسلام أحد، فبأى شئ تعلق فى ذلك تعلقنا به فى إسقاط سؤالك، والله الموفق للصواب.

فلم يأت بشئ تجب حكايته، والحمد لله.

قال السيد رضى الله عنه مؤلف الفصول المختارة، وقلت للشيخ عقيب هذه الحكاية لى: إن حمل هؤلاء القوم أنفسهم على أن يقولوا: إن جعفر بن محمد وأباه محمد بن على وابنه مسى بن جعفر عليهم السلام لم يكونوا من أهل الفتيا

ص: ٣٧

لكنهم كانوا من أهل الزهد والصلاح؟.

قال: يقال لهم: هب انا سامحننا كم فى هذه المكابرة وجوزناها لكم، أليس من قولكم وقول كل مسلم وذمى وعدو لعلى بن أبى طالب عليه السلام وولى له: إن أمير المؤمنين عليه السلام كان من أهل الفتيا؟ فلا بد من أن يقولوا: بلى فيقال لهم: فما بالناس لا نعلم جميع مذاهبه فى الفتيا كما نعلم جميع مذاهب من عددتموه من فقهاء الامصار بل من الصحابة كزيد وابن مسعود وعمر بن الخطاب؟.

إن قالوا إنكم تعلمون ذلك باضطرار، قلنا لهم: وذلك هو ما تحكونه أنتم عنه أو ما نحكيه نحن مما يوافق حكايتنا عن ذريته عليهم السلام. فان قالوا: هو ما نحكيه دونكم، قلنا لهم: ونحن على أصلكم فى إنكار ذلك مكابرون. وإن قالوا: نعم، قلنا لهم: بل العلم حاصل لكم بما نحكيه عنه خاصة وأنتم فى إنكار ذلك مكابرون، وهذا ما لافصل فيه.

وهو أيضا يسقط اعتلالهم فى عدم العلم الضرورى بمذاهب الذرية لما ذكره من تقسيم الفقهاء لها، لان أمير المؤمنين عليه السلام قد سبق الفقهاء الذين أشاروا إليهم، وكان مذهب على عليه السلام متفردا . فان اعتلوا بأنه كان منقسما فى قول الصحابة فهم أنفسهم ينكرون ذلك، لروايتهم عنه الخلاف، مع أنه يجب أن لا يعرف مذهب عمرو ابن مسعود، لانهما كانا منقسمين فى مذاهب الصحابة. وهذا فاسد من القول بين الاضمحلال.

قال الشيخ أدام الله عزه : وهذا كلام صحيح، ويؤيده علمنا بمذاهب المختارين من المعتزلة و الزيدية والخوارج، مع انبثاتها فى أقوال الصحابة والتابعين وفقهاء الامصار.

وقال الشيخ أدام الله حراسته: وقد ذكرت الجواب عما تقدم من السؤال فى هذا الباب فى كتابى المعروف بـ " تقرير الاحكام " ووجوده هناك يغنى عن

ص: ٣٨

تكراره ها هنا، إذ هو فى موضعه مستقصى عن البيان^{٤٠}.

(٧) المفيد مع على بن نصر

ثم قال السيد رحمه الله: قال الشيخ أدام الله تأييده: سألتنى أبو الحسن على ابن نصر الشاهد - بعكبرا فى مسجده وأنا متوجه إلى سر من رأى - فقال: أليس قد ثبت عندنا أن أمير المؤمنين عليه السلام كان أعلم الصحابة كلها وأعرفها بمعالم الدين، وكانوا يستفتونه ويتعلمون منه لفقرهم إليه، وكان غنيا عنهم لا يرجع إلى أحد منهم فى علم ولا يستفيد عليه السلام منهم؟ فقلت: نعم هذا قولنا، وهو الواضح الذى لا خفاء به ولا يمكن عاقلا دفعه ولا يقدم أحد على إنكاره، إلا أن يرتكب البهت والمكابرة.

^{٤٠} (١) البحار: ج ١٠ ص ٤٤٨ - ٤٤٣

فقال أبو الحسن: فان بعض أهل الخلاف قد احتج على في دفع هذا بأن قال: وردت الرواية عن على عليه السلام أنه قال: " ما حدثني أحد بحديث إلا استحلفته عليه، ولقد حدثني أبو بكر وصدق أبو بكر " فلو كان يعلم عليه السلام جميع الدين ولا يفتقر إلى غيره لما احتاج إلى استحلاف من يحدثه، ولا الاستظهار في يمينه ليصح عنده علم ما أخبر به . وقد روى أيضا أنه صلوات الله عليه حكم في شيء، فقال له شاب من القوم: أخطأت يا أمير المؤمنين! فقال عليه السلام: صدقت أنت وأخطأت. فماذا يكون الجواب عن هذا الكلام؟

وكيف الطريق إلى حله؟.

فقلت: أول ما في هذا الكلام : أن الاخبار لا تتقابل ويحكم ببعضها على بعض حتى تتساوى في الصفة، فيكون الظاهر المستفيض مقابلا لمثله في الاستفاضة، والمتواتر مقابلا لمثله في التواتر، والشاذ مقابلا لمثله في الشذوذ،

ص: ٣٩

وما ذكرناه عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام مستفيض قد تواتر به الخبر على التحقيق، وما ذكره هذا الرجل عنه عليه السلام من الحديثين: فأحدهما شاذ وارد من طريق الآحاد غير مرضى الاسناد، والآخر ظاهر البطلان، لا تقطاع إسناده وعدم وجوده في نقل معروف من النقات، وليس يجوز المقابلة في مثل هذه الاخبار، بل الواجب إسقاط الظاهر منها الشاذ، وإبطال المتواتر ما ضاده من الآحاد.

والثاني: أنه لما ذكره الخصم من الحديث الاول عن أمير المؤمنين عليه السلام غير وجه، يلائم ما ذكرناه من فضل مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه في العلم على سائر الانام.

منها: أنه صلوات الله عليه إنما كان يستحلف على الاخبار لثلاثي مجتري مجتري على الاضافة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بسماع ما لم يسمعه منه، وإنما ألقى إليه عنه فحصل عنده بالبلاغ.

ومنها: أنه عليه السلام كان يستحلف مع العلم بصدق المخبر ليتأكد خبره عند غيره من السامعين، فلا يشك فيه ولا يرتاب ومنها: أنه عليه السلام كان يستحلف فيما عرفه يقينا ليكون ذلك حجة له إذا حكم على أهل العناد، ولا يقول منهم قائل عند حكمه بذلك: قد حكم بالشاذ.

ومنها: أن يكون استحلافه صلوات الله عليه للمخبر بما لا يتضمن حكما في الدين ويتضمن أدبا وموعظة ولفظة حكمة أو مدحة لانسان أو مذمته، فلا يجب إذا علم ذلك من غيره أن يكون فقيرا في علم الدين إليه وناقصا في العلم عن رتبته.

على أن لفظ الحديث " ما حدثني أحد بحديث إلا استحلفته " فهذا يوجب بالضرورة أنه كان يستحلف على ما يعلم، لانه محال أن يكون كل من حدثه بما لا يعلم، فإذا ثبت أنه قد استحلف على علم لاحد ما ذكرناه أو لغيره من العلل.

ص: ٤٠

بطل ما اعتمده هذا الخصم.

وأما الحديث الثاني: فظهور بطلانه أوضح من أن يخفى، وذلك: أنه قال فيه:

إن شابا قال له: ليس الحكم فيه ذلك، فقال أمير المؤمنين عليه السلام على ما زعم الخصم: أصبت أنت وأخطأت، وهذا واضح السقوط على ما بيناه، لانه لا يخلو، مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، أن يكون حكم بالخطأ مع علمه بأنه خطأ، أو يكون حكم بالخطأ وهو يظن أنه صواب، فإن كان حكم بالخطأ على أنه خطأ عاند في دين الله وضل باقدامه على تغيير حكم الله، وهو صلوات الله عليه يجل عن هذه الرتبة، ولا يعتقد مثل هذا فيه الخوارج فضلا عمن دونهم في عداوته من الناصبة، وإن كان حكم بالخطأ وهو يظن أنه صواب، فكيف زال ظنه عن ذلك فانتقل عنه بقول رجل واحد لا يعضده برهان؟ فهذا مالا يتوهم على أحد من أهل الاديان.

على أنه لو كان لهذا الحديث أصل أو كان معروفا عند أحد من أهل الآ ثار لكان الرجل مشهورا معروفا بالعين والنسب مشهور القبيلة والمكان، ولكان أيضا الحكم الذي جرى فيه هذا الامر مشهورا عند الفقهاء ومدونا عند أصحاب الاخبار. وفي عدم معرفة الرجل وتعيين الحكم وعدمه من الاصول دليل على بطلانه، كما بيناه.

على أن الامم قد اتفقت عنه صلوات الله عليه أنه قال " ضرب رسول الله صلى الله عليه وآله بيده على صدرى وقال : اللهم اهد قلبي وثبت لسانه، فما شككت في قضاء بين اثنين " وهذا مضاد لوقوع الخطأ منه في الاحكام، ومانع لدخول الشك عليه في شئ منها والارتباب.

وأجمعوا أن النبي صلى الله عليه وآله قال : " على مع الحق والحق مع على، يدور حيثما دار " وليس يجوز أن يكون من هذا وصفه يخطئ في الدين أو يشك في الاحكام.

ص: ٤١

وأجمعوا أن النبي صلى الله عليه وآله قال : " على أقضاكم " وأقضى الناس ليس يجوز أن يخطئ في الاحكام، ولا يكون غيره أعلم منه بشئ من الحكم.

فدل ذلك على بطلان ما اعترض به الخصم، وكشف عن وهيه على البيان.

وبالله التوفيق وإياه نستهدى إلى سبيل الرشاد^{٤١}.

(٨) المفيد مع رجل من الزيدية

قال السيد المرتضى رضى الله عنه: وحضر الشيخ أبو عبد الله أدام الله عزه بمسجد الكوفة فاجتمع إليه من أهلها وغيرهم أكثر من خمسمائة إنسان فابتدر له رجل من الزيدية أراد الفتنة والشناعة، فقال : بأى شئ استجزت إنكار إمامة زيد بن علي؟ فقال له الشيخ: إنك قد ظننت على ظنا باطلا، وقولى فى زيد لا يخالفنى عليه أحد من الزيدية، فلا يجب أن يتصور مذهبى فى ذلك بالخلاف.

فقال له الرجل: وما مذهبك فى إمامة زيد بن علي؟ فقال له الشيخ: أنا أثبت من إمامة زيد رحمه الله ما تثبته الزيدية، وأنفى عنه من ذلك ما تنفيه! فأقول: إن زيدا رحمه الله عليه كان إماما فى العلم والزهد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنفى عنه الامامة الموجبة لصاحبها العصمة والنص والمعجز.

وهذا مالا يخالفنى عليه أحد من الزيدية حيثما قدمت.

فلم يتمالك جميع من حضر من الزيدية أن شكروه ودعوا له، وبطلت حيلة الرجل فيما أراد من التشنيع والفتنة^{٤٢}.

ص: ٤٢

(٩) المفيد مع أبى على ابن شاذان

قال السيوطى فى " تنوير الحوالك " فى شرح موطأ مالك فى البحث عن أن الانبياء عليهم السلام يورثون أم لا؟ ناقلا عن الباجى: وقالت الامامية: إن جميع الانبياء يورثون، وتعلقوا فى ذلك بأنواع من التخليط لاشبهه فيها، مع ورود هذا النص، يعنى حديث " لا نورث ما تركناه صدقة "، قال - أى الباجى - : وقد أخبرنى القاضى أبو جعفر السمانى أن أبا على ابن شاذان - وكلن من أهل العلم بهذا الشأن إلا أنه لم يكن قرأ عريية - فناظر يوما فى هذه المسألة أبا عبد الله بن المعلم - وكان إمام الامامية وكان مع ذلك من أهل العلم بالعريية - فاستدل ابن شاذان على أن الانبياء لا يورثون بحديث " إنا معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة " فقال له ابن المعلم: أما ما ذكرت من هذا الحديث فانما هو " صدقة " نصب على الحال، فيقتضى ذلك: أن ما تركه النبى صلى الله عليه وآله على وجه الصدقة لا يورث عنه، ونحن لا نمنع هذا، وإنما نمنع ذلك فيما تركه على غير هذا الوجه.

واعتمد هذه التكنة العريية، لما علم أن ابن شاذان لا يعرف هذا الشأن ولا يفرق بين الحال وغيره، فلما عاد الكلم إلى ابن شاذان قال له: ما ادعيت من قوله صلى الله عليه وسلم: " لا نورث ما تركناه صدقة " إنما هو صدقة منصور على الحال، وأنت لا تمنع هذا الحكم فيما تركه الانبياء على هذا الوجه^{٤٣}.

ص: ٤٣

(١٠) المفيد مع على بن عيسى الرمانى

^{٤٢} (٢) البحار: ج ١٠ ص ٤٥١

^{٤٣} (١) تنوير الحوالك: ج ٢ ص ٢٥٤

كان الشيخ المفيد رحمه الله من أهل عكبر ثم انحدر وهو صبي مع أبيه إلى بغداد، واشتغل بالقراءة على الشيخ أبي عبد الله المعروف بجعل، وكان منزله في درب رياح من بغداد.

وبعد ذلك اشتغل بالدرس عند أبي ياسر في باب خراسان من البلدة المذكورة، ولما كان أبو ياسر المذكور ربما عجز عن البحث معه والخروج عن عهده أشار إليه بالمضي إلى علي بن عيسى الرمانى الذى هو من أعظم علماء الكلام، فقال الشيخ : إنى لا أعرفه ولا أجد أحدا يدلنى عليه، فأرسل أبو ياسر معه بعض تلامذته وأصحابه.

فلما مضى - وكان مجلس الرمانى مشحونا بالفضلاء - جلس الشيخ فى صف النعال، وبقي يتدرج للقرب كلما خلى المجلس شيئا فشيئا لاستفادة بعض المسائل من صاحب المجلس.

فاتفق أن رجلا من أهل البصرة دخل وسأل الرمانى وقال له : ما تقول فى حديث الغدير وقصة الغار؟ فقال الرمانى : خبر الغار دراية وخبر الغدير رواية، والدواية لا تعارض الدراية، ولما كان ذلك الرجل البصرى ليس له قوة معارضة سكت وخرج.

وقال الشيخ: إنى لم أجد صبرا عن السكوت عن ذلك، فقلت : أيها الشيخ، عندى سؤال، فقال : قل، فقلت: ما تقول فيمن خرج الامام العادل فحاربه؟ فقال : كافر، ثم استدرك فقال : فاسق، فقلت: ما تقول فى أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام؟ فقال: إمام، فقلت، ما تقول فى حرب طلحة والزبير له فى حرب الجمل؟ فقال : إنهما تابا، فقلت: خبر الحرب

ص: ٤٤

دراية والتوبة رواية! فقال: وكنت حاضرا عند سؤال الرجل البصرى؟ فقلت:

نعم، فقال: رواية برواية وسؤالك متجه وارد.

ثم إنه سأله من أنت؟ وعند من تقرأ من علماء هذه البلاد؟ قلت : عند الشيخ أبى على جعل، ثم قال له مكانك ! ودخل منزله، وبعد لحظة خرج وبيده رقعة ممهورة، فدفعها إلى وقال : ادفعها إلى شيخك إلى شيخك أبى عبد الله.

فأخذت الرقعة من يده ومضيت إلى مجلس الشيخ المذكور، ودفعته إليه الرقعة، ففتحها وبقي مشغولا بقراءتها وهو يضحك ! فلما فرغ من قراءتها، قال:

إن جميع ما جرى بينك وبينه قد كتب إلى به! أوصانى بك، ولتبعك بالمفيد^{٤٤}.

(١١) المفيد مع القاضى عبد الجبار

^{٤٤} (١) روضات الجنات: ج ٦ ص ١٦٠ - ١٥٩ عن السرائر للحلى وورام ابن أبى فراس . ومستدرک البحار: ج ٢ ص ٣٩٠ عن ورام فى كتابه تنبيه الخواطر . وقاموس الرجال: ج ٨ عن السرائر. ومستدرک الوسائل: ج ٣ ص ٥١٨ عن ورام والسرائر.

عن القاضي (في المجالس) عن مصاييح القلوب، قال: بينما القاضي عبد الجبار ذات يوم في مجلسه في بغداد ومجلسه مملو من علماء الفريقين، إذ حضر الشيخ وجلس في صف النعال . ثم قال للقاضي: إن لي سؤالاً، فإن أجزت بحضور هؤلاء الائمة؟ فقال له القاضي: سل، فقال: ما تقول في هذا الخبر الذي ترويه طائفة من الشيعة " من كنت مولاه فعلى مولاه " أهو مسلم صحيح عن النبي صلى الله عليه وآله يوم الغدير؟ فقال: نعم خبر صحيح، فقال الشيخ:

ما لمراد من لفظ " المولى " في الخبر؟ فقال: هو بمعنى " أولى " فقال الشيخ: فما هذا الخلاف والخصومة بين الشيعة والسنة؟ فقال الشيخ: أيها الاخ، هذه رواية وخلافة أبي بكر دراية، والعاذل لا يعادل الرواية بالدراية.

ص: ٤٥

فقال الشيخ: ما تقول في قول النبي صلى الله عليه وآله لعلى عليه السلام:

" حربك حربى وسلمك سلمى "؟ قال القاضي: الحديث صحيح، فقال:

ما تقول في أصحاب الجمل؟ فقال القاضي: أيها الاخ، إنهم تابوا، فقال الشيخ: أيها القاضي، الحرب دراية والتوبة رواية! وأنت قررت في حديث الغدير أن الرواية لا تعارض الدراية . فبهت الشيخ القاضي ولم يجر جواباً، ووضع رأسه ساعة، ثم رفع رأسه وقال: من أنت؟ فقال: خادمك محمد بن محمد بن النعمان الحارثي، فقام القاضي من مقامه وأخذ بيد الشيخ وأجلسه في مسنده، وقال: أنت المفيد حقاً! فتغيرت وجوه علماء المجلس.

فلما أبصر القاضي ذلك منهم قال: أيها الفضلاء، إن هذا الرجل الأزمنى وأنا عجزت عن جوابه، فإن كان أحد منكم عنده جواب عما ذكر فليذكر، ليقوم الرجل ويرجع مكانه^{٤٥}.

(١٢) المفيد مع بعض الخصوم

ذكر مجلس جرى لشيخنا المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان مع بعض الخصوم في قولهم: إن كل مجتهد مصيب.

قال شيخنا رضى الله عنه: كنت أقبلت في مجلس على جماعة من متفقيهة العامة، فقلت لهم: إن أصلكم الذى تعتمدون عليه في تسويغ الاختلاف يحظر عليكم المناظرة ويمنعكم من الفحص والمباحثة، واجتماعكم على المناظرة ينقض أصولكم في الاجتهاد وتسويغ الاختلاف.

قال: بلى، فما الذى يلزمننا على هذا القول؟

ص: ٤٦

^{٤٥} (١) سفينة البحار: ج ٢ ص ٣٩٠ ومستدرک الوسائل: ج ٣ ص ٣٢٠

قال شيخنا: قلت: فخيرني الآن عن موضع المناظرة، أليس إنما هو التماس الموافقة ودعاء الخصم بالحجة الواضحة إلى الانتقال إلى موضع الحجة وتنفير له عن الإقامة ضد ما عليه البرهان؟

قال: لا، ليس هذا موضع المناظرة، وإنما موضوعها الإقامة للحجة والابانة عن الرجحان . وما الذي يجرانه إلى ذلك والمعنى الملتمس به؟ أهو تبعيد الخصم عن موضع الرجحان والتنفير له عن المقالة بايضاح حجتها، أم الدعوة إليها بذلك واللفظ في الاجتذاب إليها به؟ فان قلت : إن الغرض للمحتج التباعد عن قوله بايضاح الحجة عليه والتنفير عنه بإقامة الدلالة على صوابه، قلت قولاً يرغب عنه كل عاقل، ولا يحتاج مع تهافته إلى كسره . وإن قلت: إن الموضع عن مذهبه بالبرهان داع إليه بذلك والدال عليه بالحجج والبيانات يجتذب بها إلى اعتقاده صرت بهذا القول - وهو الحق الذي لا شبهة فيه - إلى ما أردناه: من أن موضوع المناظرة إنما هو الموافقة ورفع الاختلاف والمنازعة، وإذا كان ذلك كذلك، فلو حصل الغرض في المناظرة وما أجرى به إليه لارتفعت الرحمة وسقطت التوسعة وعدم الرفق من الله بعباده، ووجب في صفته العنت والتضييق ، وذلك ضلال من قائله، فلا بد على أصلكم في الاختلاف من تحريم النظر والاحتجاج، وإلا فمتى صح ذلك وكان أولى من تركه فقد بطل قولكم في الاجتهاد، وهذا ما لا شبهة فيه على عاقل.

فاعترض رجل آخر من ناحية المجلس، فقال : ليس لي الغرض في المناظرة الدعوة إلى الاتفاق، وإنما الغرض فيها إقامة الفرض من الاجتهاد.

فقال له الشيخ رضى الله عنه: هذا الكلام كلام صاحبك هذا بعينه في معناه، وأنتما جميعاً حائذان عن التحقيق والصواب.

وذلك: أنه لا بد في فرض الاجتهاد من غرض، ولا بد لفعل النظر من

ص: ٤٧

معقول، فان كان الغرض في أداء الفرض بالاجتهاد د البيان عن موضع الرجحان فهو الدعاء في المعقول إلى الوفاق والايئاس بالحجة إلى المقال : وإن كان الغرض فيه التعمية والالغاز فذلك محال، لوجود المناظر مجتهداً في البيان والتحسين لمقاله بالترجيح على قول خصمه في الصواب : وإن كان معقول فعل النظر ومفهومه غرض صاحبه ال ذى هو البيان عن نحلته والتنفير عن خلافها والتحسين لها والتقبيح لخصمها والترجيح لها على غيرها - وكنا نعلم ضرورة أن فاعل ذلك لا يفعل للتباعد من قوله وإنما يفعل للتقريب منه والدعاء إليه - فقد ثبت ما قلناه، ولو كان الدال على قوله الموضح بالحجج عن صوابه المجتهد في تحسينه وتشبيده غير قاصد بذلك إلى الدعاء إليه ولا مزيد للاتفاق عليه لكان المقبح للمذهب الكاشف عن عواره الموضح عن ضعفه ووهنه داعياً بذلك إلى اعتقاده ومرغباً به إلى المصير إليه، ولو كان ذلك كذلك لكان الذم للشئ مدحاً والمدح له ذماً له، والترغيب في الشئ ترهيباً عنه والترهيب عن الشئ ترغيباً فيه، والامر به نهياً عنه والنهي عنه أمراً به، والتحرز منه إيناساً به، وهذا مالا يذهب إليه سليم العقل، فبطل بذلك ما توهمتموه ووضع ما ذكرناه في تناقض نحلته على ما بيناه . والله نسأل التوفيق.

قال شيخنا رضى الله عنه : ثم عدلت إلى صاحب المجلس، فقلت له : لو سلم هؤلاء القوم من المناقضة التى ذكرناها - ولن يسلموا أبدا منها بما بيناه - لما سلموا من الخلاف على الله فيما أمر به والرد للنص فى كتابه والخروج عن مفهوم أحكامه بما ذهبوا إليه من حسن الاختلاف وجوازه فى الاحكام، قال الله عزوجل :

" ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعدما جاءتهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم " فهى تعالى عن الاختلاف نهيا عاما ظاهرا وحذر منه وزجر منه وتوعد على فعله بالعقاب، وهذا مناف لجواز الاختلاف. وقال سبحانه:

" واعتصموا بالله جميعا ولا تفرقوا " فهى عن التفرق وأمر الكافة بالاجتماع،

ص: ٤٨

وهذا فى إبطال قول سوغ الاختلاف . وقال سبحانه : " ولا يزالون مختلفين إلا ما رحم ربك " فاستثنى المرحومين من المختلفين، ودل على أن المختلفين قد خرجوا بالاختلاف عن الرحمة، لاختصاص من خرج عن صفتهم بالرحمة، ولو لا ذلك لما كان لاستثناء المرحومين من المختلفين معنى يعقل. وهذا بين لمن تأمله.

قال صاحب المجلس : أرى هذا الكلام كله يتوجه على من قال : " إن كل مجتهد مصيب " فما تقول فيمن قال : " إن الحق فى واحد " ولم يسوغ الاختلاف؟

قال الشيخ رضى الله عنه : فقلت له : القائل بأن الحق فى واحد وإن كان مصيبا فيما قال على هذا المعنى خاصة، فانه يلزم المناقضة بقوله : " إن المخطئ فى الحق معفو عنه غير مؤاخذ بخطئه فيه " واعتماده فى ذلك على أنه لو أخذ به للحقه العنت والتضييق، فقد صار بهذا القول إلى معنى قول الاولين فيما عليهم المناقضة، وألزمهم من أجله ترك المباحثة والمكالمة، وإن كان القائلون باصابة المجتهد من الحق يزيدون عليه فى الاصابة معترف له ومقر بأنه مصيب فى خلافه مأجور على مباينته، وهذه المقالة تدعو إلى ترك اعتقادها بنفسها ويكشف عن قبح باطنها وظاهرها. وبالله التوفيق^{٤٦}.

(١٣) المفيد مع الخليفة عمر بن الخطاب

قال الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان رحمه الله : رأيت فى المنام سنة من السنين كأنى قد اجتزت فى بعض الطرق فرأيت دائرة فيها ناس كثير، فقلت: ما هذا؟ قالوا: هذه حلقة فيها رجل يقص.

فقلت: من هو؟ قالوا: عمر بن الخطاب! ففرقت الناس ودخلت الحلقة، وإذا أنا برجل يتكلم على الناس بشئ لم اح صله، فقطعت عليه الكلام.

ص: ٤٩

^{٤٦} (١) روضات الجنات: ج ٦ ص ١٦٧ - ١٦٥

وقلت: أيها الشيخ: أخبرني ما وجه الدلالة على فضل صاحبك أبي بكر - عتيق ابن أبي قحافة - من قول الله تعالى: "ثاني اثنين إذ هما في الغار"؟ [فاني أرى من ينتحل مودتكما يذكر أن له فضلا كثيرا].

فقال: وجه الدلالة على فضل أبي بكر من هذه الآية في ستة مواضع:

أولها: أن الله تعالى ذكر النبي صلى الله عليه و ذكر أبا بكر معه، فجعله ثانيه، فقال: "ثاني اثنين إذ هما في الغار".

والثاني: أنه وصفهما بالاجتماع في مكان واحد تأليفا بينهما، فقال: "إذ هما في الغار".

والثالث: أنه أضافه إليه بذكر الصبغة ليجمعه بينهما بما يقتضى الرتبة، فقال: "إذ يقول لصاحبه".

والرابع: أنه أخبر عن شفقة النبي صلى الله عليه وآله عليه ورفقه به لموضعه عنده فقال: "لا تحزن".

والخامس: أنه أخبر أن الله معهما على حد سواء ناصرهما ودافعا عنهما فقال: "إن الله معنا".

والسادس: أنه أخبر عن نزول السكينة على أبي بكر، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله لم تفارقه السكينة قط، فقال: "فأنزل الله سكينته عليه".

فهذه ستة مواضع تدل على فضل أبي بكر من آية الغار، لا يمكنك ولا لغيرك الطعن فيها.

فقلت له: جرت بكلامك في الاحتجاج لصاحبك عنه، وإني بعون الله سأجعل جميع ما أتيت به كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف.

أما قولك: إن الله تعالى ذكر النبي صلى الله عليه وآله وجعل أبا بكر ثانيه فهو إخبار عن العدد، لعمرى ! لقد كانا اثنين، فما في ذلك من الفضل؟

ونحن نعلم ضرورة أن مؤمنا ومؤمنا أو مؤمنا وكافرا اثنين، فما أرى لك في ذكر

ص: ٥٠

العدد طائلا تعتمده.

وأما قولك: إنه وصفهما بالاجتماع في المكان فانه كالأول، لأن المكان يجمع المؤمن والكافر، كما يجمع العدد المؤمنين والكفار. وأيضا فان مسجد النبي صلى الله عليه وآله أشرف من الغار، وقد جمع المؤمنين والمنافقين والكفار، وفي ذلك قوله عز وجل: "فما للذين قبلك مهطعين" * عن اليمين وعن الشمال عزين ". وأيضا فان سفينة نوح قد جمعت النبي والشيطان والبهيمة والكلب! والمكان لا يدل على ما أوجبت من الفضيلة، فبطل فضلان.

وأما قولك: إنه أضاف إليه بذكر الصحبة فإنه أضعف من الفضلين الأولين، لأن اسم الصحبة يجمع بين المؤمن والكافر، والدليل على ذلك قوله تعالى: "قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا". وأيضا فإن اسم الصحبة تطلق بين العاقل وبين البهيمة، والدليل على ذلك من كلام العرب - الذي نزل القرآن بلسانهم، فقال الله عز وجل: "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه" - أنهم سمو الحمار صاحبا فقالوا:

إن الحمار مع الحمار مطية فإذا خلوت به فبئس صاحب

وأيضا قد سمو الجماد مع الحى صاحبا، قالوا ذلك فى السيف شعرا:

زرت هنداً وذاك غير اختيان ومعى صاحب كتوم اللسان

[زرت هنداً وذاك بعد اجتناب ومعى صاحب كلؤم اللسان]

يعنى السيف، فإذا كان اسم الصحبة يقع بين المؤمن والكافر وبين العاقل والبهيمة وبين الحيوان والجماد فأى حجة لصاحبك فيه؟

وأما قولك: إنه قال: "لا تحزن" فإنه وبال عليه ومنقص له ودليل على خطئه، لأن قوله: "لا تحزن" نهى، وصورة النهى قول القائل: "لا تفعل" لا يخلو أن يكون الحزن وقع من أبى بكر طاعة أو معصية، فإن كان طاعة فإن

ص: ٥١

النبي صلى الله عليه وآله لا ينهى عن الطاعات بل يأمر بها ويدعو إليها، وإن كان معصية فقد نهاه النبي صلى الله عليه وآله عنها، وقد شهدت الآية بعصيانته بدليل أنه نهاه.

وأما قولك: انه قال: "إن الله معنا" فإن النبي صلى الله عليه وآله قد أخبر أن الله معه، وعبر عن نفسه بلفظ الجمع، كقوله: "إننا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون". وقيل أيضا فى هذا: إن أبا بكر قال: يا رسول الله، حزنى على أخيك على بن أبى طالب ما كان منه، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: "لا تحزن إن الله معنا" أى معى ومع أخى على بن أبى طالب عليه السلام.

وأما قولك: إن السكينة نزلت على أبى بكر فإنه ترك للظاهر، لأن الذى نزلت عليه السكينة هو الذى أيدته بالجنود، وكذا يشهد ظاهر القرآن فى قوله:

" فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا " فان كان أبو بكر هو صاحب السكينة فهو صاحب الجنود، وفي هذا إخراج للنبي صلى الله عليه وآله من النبوة.

على أن هذا الموضع لو كتّمته عن صاحبك كان خيرا، لان الله تعالى أنزل السكينة على النبي صلى الله عليه وآله في موضعين كان معه قوم مؤمنون فشرّكهم فيها، فقال في أحد الموضعين : " فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى " وقال في الموضع الآخر : " أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا " ولما كان في هذا الموضع خصه وحده بالسكينة قال : " فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ " فلو كان معه مؤمن لشركه معه في السكينة كما شرك من ذكرنا قبل هذا من المؤمنين، فدل إخراجه من السكينة على خروجه من الايمان.

ص: ٥٢

فلم يحرجوا. وتفرق الناس، واستيقظت من نومي^{٤٧}.

(١٤) المفيد مع أبي العباس ابن المنجم

قال الشيخ أدام الله عزه: حضرت يوما مجلسا، فجرى فيه كلام في رذالة بنى تيم بن مرة وسقوط أقدارهم، فقال شيخ من الشيعة: قد ذكر أبو عيسى الوزاق فيما يدل على ذلك قول الشاعر:

ولا يستأذنون وهم شهود

ويقضى الامر حين تغيب تيم

وتيما قلت: أيهم العبيد؟

وإنك لو رأيت عبيد تيم

فذكر الشاعر: أن الرائي لهم لا يفرق بين عبيدهم وساداتهم من الضعة وسقوط القدر.

فانتدب له أبو العباس هبة الله بن المنجم، فقال له: يا شيخ، ما أعرفك بأشعار العرب؟ هذا في تيم بن مرة أو تيم الرباب؟ وجعل يتضحك بالرجل ويتماजन عليه ويقول له: سبيلك أن تؤلف دواوين العرب، فان نظرت بها حسن.

قال الشيخ أدام الله عزه: فقلت جعلت هذا الباب رأس مالك، و لو أنصفت في الخطاب لانصفت في الاحتجاج، وإن أخذنا معك في أبيات هذا الشعر تعلق البرهان فيه بالرجال والكتب المصنفات واندفع المجلس ومضى الوقت، ولكن بيننا وبينك كتب السير.

^{٤٧} (١) الاحتجاج: ج ٢ ص ٣٢٩ - ٣٢٥. وروضات الجنات: ج ٦ ص ١٧١ - ١٦٩ عن الكاجكي والنوادر للسيد الجزائري . والبحار: ج ٢٧ ص ٣٢٧ عن الاحتجاج.

وكل من اطلع على حديث الجمل وحرب البصرة فهل يريب في شعر عمير بن الاهلب الضبي وهو وجود بنفسه بالبصرة، وقد قتل بين يدي الجمل وهو يقول:

ص: ٥٣

لقد أوردتنا حومة الموت أمنا	فلم ننصرف إلا ونحن رواء
نصرنا قريشا ضلة من حلومنا	ونصرتنا أهل الحجاز عناء
لقد كان في نصر ابن ضبة امه	وشيعتها مندوحة وغناء
نصرنا بنى تيم بن مرة شقوة	وهل تيم إلا أعبد وإماء؟

فهذا رجل من أنصار عائشة ومن سفك دمه في ولايتها يقول هذا القول في قبيلتها ! بلا ارتياب بين السير، ولم يك بالذى يقوله في تلك الحال إلا وهو معروف عند الرجال غير مشكوك فيه عند أحد من العارفين بقبائل العرب في سائر الناس . فأخذ في الصحيح ولم يأت بشئ^{٤٨}.

(١٥) المفيد يجيب عن المسائل العكبرية

قال الشيخ المفيد رحمه الله في أجوبة المسائل العكبرية حين سئل عن قوله تعالى : " إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا " وأجاب بوجه فقال:

وقد قالت الامامية: إن الله تعالى ينجز الوعد بالنصر للاولياء قبل الآخرة عند قيام القائم عليه السلام والكره التي وعد بها المؤمنين في العاقبة^{٤٩}.

(١٦) جميل بن كعب مع معاوية

ذكر المدائني: أن معاوية أسر جميل بن كعب الثعلبي - وكان من سادات ربيعة وشيعة على وأنصاره - فلما وقف بين يديه قال: الحمد لله الذي أمكنني منك، ألسنت القائل يوم الجمل:

^{٤٨} (١) مستدرک الوسائل: ج ٣ ص ٥١٩ عن الفصول المختارة

^{٤٩} (٢) البحار: ٥٣ ص ١٣٠

ص: ٥٤

قد قلت قولاً صادقاً غير كذب

إن غدا تهلك أعلام العرب؟

قال: لا تقل ذلك، فانها مصيبة. قال معاوية: وأى نعمة أكبر من أن يكون الله قد أظفرنى برجل قد قتل فى ساعة واحدة عدة من حماء أصحابي، اضربوا عنقه، فقال: اللهم اشهد أن معاوية لم يقتلنى فيك ولا لانك ترضى قتلى ولكن قتلنى على حطام الدنيا، فان فعل فافعل به ما هو أهله، وإن لم يفعل فافعل به ما أنت أهله . فقال معاوية: قاتلك الله! لقد سهت فأبلغت فى السب، ودعوت فبالغت فى الدعاء^{٥٠}.

(١٧) شداد بن أوس مع معاوية

قال معاوية لشداد بن أوس: قم فاذكر علياً فانتقصه! فقام شداد، فقال:

الحمد لله الذى افترض طاعته على عباده، وجعل رضاه عند أهل التقوى أثر من رضا غيره، على ذلك مضى أولهم وعليه مضى آخرهم. أيها الناس، إن الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قاهر، وإن الدنيا أكل حاضر يأكل منها البر والفاجر، وإن السامع المطيع لله لا حجة عليه، وإن السامع العاصى لله لا حجة له، وإنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق، وإذا أراد الله بالناس خيراً استعمل عليهم صلحاءهم، وقضى بينهم فقهاءهم، وجعل المال فى سمحاتهم، وإذا أراد بالعباد شراً عمل عليهم سفاهةهم، وقضى بينهم جهلاءهم، وجعل المال عند بخلائهم، وإن من إصلاح الولاة أن تصلح قرناءها.

ثم التفت إلى معاوية، فقال:

نضحك يا معاوية من أسخطك بالحق، وغشك من أرضاك بالباطل.

فقطع معاوية عليه كلامه وأمر بانزاله، ثم لطفه وأمر له بمال.

ص: ٥٥

^{٥٠} (١) مروج الذهب: ج ٣ ص ٤٨ دار الهجرة: قم

فلما قبضه، قال: ألسنت من السمحاء الذين ذكرت؟ فقال: إن كان لك مال غير مال المسلمين أصبته حلالا وأنفقته إفضالا فنعم، وإن كان مال المسلمين احتجبتة دونهم أصبته اقترافا وأنفقته إسرافا، فإن الله يقول: "إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين" ^{٥١}.

(١٨) محمد بن الحنفية مع عبد الله بن الزبير

عن سعيد بن جبيرة، قال: خطب عبد الله بن الزبير، فقال من على عليه السلام فبلغ ذلك محمد بن الحنفية، فجاء إليه وهو يخطب. فوضع له كرسي فقطع عليه خطبته، وقال: يا معشر العرب شاهت الوجوه! أينقص على وأنتم حضور؟ إن عليا كان يد الله على أعداء الله وصاعقة من أمره، أرسله على الكافرين والجاحدين لحقه، فقتلهم بكفرهم، فشنؤوه وأبغضوه وأضرموا له السيف والحسد وابن عمه صلى الله عليه وآله حتى بعد لم يمت. فلما نقله الله إلى جواره وأحب له ما عنده أظهرت له رجال أحقادها وشففت أضغانها، فمنهم من ابتزه حقه، ومنهم من ائتمر به ليقنتله، ومنهم من شتمه وقذفه بالباطيل.

فإن يكن لذريته وناصري دعوته دولة تنشر عظامهم وتحفر على أجسادهم والابدان منهم يومئذ. بالية بعد أن تقتل الاحياء منهم وتذل رقابهم، فيكون الله عز اسمه قد عذبهم بأيدينا وأخزاهم ونصرنا عليهم وشفى صدورنا منهم. إنه والله ما يشتم عليا إلا كافر يسر شتم رسول الله صلى الله عليه وآله ويخاف أن ييوج به، فيكنى بشتهم على عليه السلام عنه. أما إنه قد تخطت المنية منكم من امتد عمره وسمع قول رسول الله صلى الله عليه وآله فيه: "لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق" وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون.

ص: ٥٦

فعاد ابن الزبير إلى خطبته، وقال: عذرت بنى الفواطم يتكلمون، فما بال ابن أم حنيفة؟.

فقال محمد: يابن أم رومان، ومالي لا أتكلم؟ وهل فاتني من الفواطم إلا واحدة ولم يفتني فخرها، لانها أم أخوى؟ أنا ابن فاطمة بنت عمران بن عائد ابن مخزوم جدة رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنا ابن فاطمة بنت أسد بن هاشم كافلة رسول الله صلى الله عليه وآله والقائمة مقام أمه. أما والله! لولا خديجة بنت خويلد ما تركت في بنى أسد بن عبد العزى عظما إلا هشمته. ثم قام وانصرف ^{٥٢}.

(١٩) طارق بن عبد الله مع معاوية

روى صاحب كتاب الغارات: أن عليا عليه السلام لما حد النجاشي غضبت اليمانية لذلك، وكان أخصهم به طارق بن عبد الله بن كعب النهدي، فدخل عليه، فقال: يا أمير المؤمنين، ما كنا نرى أن أهل المعصية والطاعة وأهل الفرقة والجماعة عند ولادة الع دل ومعادن الفضل سيان في الجزاء، حتى رأينا ماكان من صنيعك بأخي الحارث، فأوغرت صدورنا وشتت أمورنا وحملتنا على الجادة التي كنا نرى أن سبيل من ركبها النار.

^{٥١} (١) ابن أبي الحديد في النهج: ج ١٨ ص ٣٨٩. والبحار: ج ٨ ط الكمباني ص ٥٣٠ عن مجالس المفيد ره

^{٥٢} (١) شرح النهج لابن أبي الحديد: ج ٤ ص ٦٣-٦٢. ومروج الذهب: ج ٣ ص ٨٩

فقال على عليه السلام: " وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين " يا أخا نهدي وهل هو إلا رجل من المسلمين انتهك حرمة من حرم الله؟ فأقمنا عليه حدا كان كفارته! إن الله تعالى يقول: " ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ".

قال: فخرج طارق من عنده فلقية الاشر، فقال: يا طارق، أنت القائل

ص: ٥٧

لامير المؤمنين: " أوغرت صدورنا وشتت امورنا ؟ قال طارق: نعم أنا قائلها، قال: والله ما ذاك كما قلت! إن صدورنا له لسامعة وإن امورنا له لجامعة، فغضب طارق وقال: ستعلم يا أشر أنه غير ما قلت! فلما جنه الليل همس هو والنجاشي إلى معاوية.

فلما قدما عليه دخل آذنه فأخبره بقدمهما، وعنده وجوه أهل الشام، منهم: عمرو بن مرة الجهني، وعمرو بن صيفي، وغيرهما.

فلما دخلا نظر معاوية إلى طارق، وقال : مرحبا بالمورق غصنه المعرق أصله والمسود غير المسود، من رجل كانت منه هفوة ونبوة، باتباعه صاحب الفتنة ورأس الضلالة والشبهة الذي اغترز في ركاب الفتنة حتى استوى على رحالها، ثم أوجف في عشوة ظلمتها وتبه ضاللتها، وأتبعه رجرجة من الناس وأشابة من الحثالة لا افتدة لهم " أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ".

فقام طارق، فقال: يا معاوية، إني متكلم فلا يسخطك، ثم قال وهو متكى على سيفه : إن المحمود على كل حال رب علا فوق عباد، فهم منه بمنظر ومسمع، بعث فيهم رسولا منهم يتلو كتابا لم يكن من قبله ولا يخطه يمينه إذا لارتاب المبطلون، فعليه السلام من رسول كان بالمؤمنين برا رحيمًا.

أما بعد، فان ماكننا نوضع فيما أوضعنا فيه بين يدي إمام تقى عادل مع رجال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أتقياء مرشدين، ما زالوا منارا للهدى ومعالم للدين، خلفا عن سلف مهتدين، أهل دين لا دنيا، كل الخير فيهم، وأتبعهم من الناس ملوك وأقيال وأهل بيوتات وشرف ليسوا بناكتين ولا قاسطين، فلم يكن رغبة من رغب من صحبتهم إلا لمرارة الحق حيث جرعوها، ولو عورته حيث سلكوها، وغلبت عليهم دنيا مؤثرة وهوى متبع، وك ان أمر الله قدرا مقدورا، وقد فارق الاسلام قبلنا جبلة بن الايهم فرارا من الضيم وأنفا من الذلة، فلا تفخرن يا معاوية! إن شددنا نحوك الرجال وأوضعنا إليك

ص: ٥٨

الركاب. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لى ولجميع المسلمين.

فعظم على معاوية ما سمعه وغضب، لكنه أمسك وقال : يا عبد الله! إنا لم نرد بما قلنا أن نوردك مشروع ظمًا ولا أن نصدرك عن مكرع رى، ولكن القول قد يجرى بصاحبه إلى غير ما ينطوى عليه من الفعل.

ثم أجلسه معه على سريره ودعا له بمقطعات وبرود يضعها عليه، وأقبل نحوه بوجهه يحدثه حتى قام.

وقام معه عمرو بن مرة وصيفي الجهنيان، فأقبلا عليه بأشد العتاب وأمضه يلومانه فى خطبته وما واجه به معاوية.

فقال طارق: والله ما قمت بما سمعتماه حتى خيل لى أن بطن الارض خير لى من ظهرها عند سماعى ما أظهر من العيب والنقص لمن هو خير منه فى الدنيا والآخرة، وما زهت به نفسه وملكه عجبه وعاب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله واستنقصهم، فقامت مقاما أوجب الله على فيه ألا أقول إلا حقا، وأى خير فيمن لا ينظر ما يصير إليه غدا؟.

فبلغ عليا عليه السلام قوله: فقال: لو قتل النهدي يومئذ لقتل شهيدا.

٥٣

(٢٠) بنو هاشم مع بنى امية

بينما عمر بن عبد العزيز جالسا فى مجلسه دخل حاجبه ومعه امرأة أدماء طويلة حسنة الجسم والقامة، ورجلان متعلقان بها، ومعهم كتاب من ميمون ابن مهران إلى عمر، فدفعوا إليه الكتاب، ففضه فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم: إلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز من ميمون بن

ص: ٥٩

مهران، سلام عليك ورحمة الله وبركاته.

أما بعد، فانه ورد علينا أمر ضاقت به الصدور وعجزت عنه الاوساع، وهربنا بأنفسنا عنه، ووكلناه إلى عالمه، لقول الله عزوجل: "ولو ردوه إلى الرسول وإلى اولى الامر منهم لعلهم الذين يستنبطونه منهم". وهذه المرأة والرجلان أحدهما زوجها والآخر أبوها، وإن أباهـ يا أمير المؤمنينـ زعم أن زوجها حلف بطلاقها أن على بن أبى طالب عليه السلام خير هذه الامة وأولاهها برسول الله صلى الله عليه وآله وأنه يزعم أن ابنته طلقت منه وأنه لا يجوز له فى دينه أن يتخذها صهرا، وهو يعلم أنها حرام عليه كامه . وإن الزوج يقول له:

كذبت وأثمت لقد بر قسمى وصدقت مقالتي، وأنها امرأتى على رغم أنفك وغيظ قلبك ! فاجتمعوا إلى يختصمون فى ذلك، فسألت الرجل عن يمينه، فقال: نعم قد كان ذلك، وقد حلفت بطلاقها أن عليا خير هذه الامة وأولاهها برسول الله صلى الله عليه وآله عرفه من عرفه وأنكره من أنكره فليغضب من غضب وليرضى من رضى . وتسامع الناس بذلك، فاجتمعوا له، وإن كانت اللسن مجتمعة فالقلوب شتى . وقد علمت يا أمير المؤمنين ! اختلاف الناس فى أهوائهم وتسرعهم إلى ما فيه الفتنة، فأحجمنا عن الحكم لتحكم بما أراك الله.

وإنهما تعلقا بها، وأقسم أبوها أن لا يدعها معه، وأقسم زوجها أن لا يفارقها ولو ضربت عنقه، إلا أن يحكم عليه بذلك حاكم لا يستطيع مخالفته والامتناع منه، فرفعناهم إليك يا أمير المؤمنين، أحسن الله توفيقك وأرشدك. وكتب فى أسفل الكتاب:

إذا ما المشكلات وردن يوما	فحارت في تأملها العيون
وضاق القوم ذرعا عن براها	فأنت لها - أبا حفص - أمين
لأنك قد حويت العلم طرا	وأحكمك التجارب والشؤون
وخلفك الاله على الرعايا	فحظك فيهم الحظ الثمين

ص: ٦٠

قال: فجمع عمر بن عبد العزيز بنى هاشم وبنى أمية وأفخاذ قريش، ثم قال لابي المرأة : ما تقول أيها الشيخ؟ قال : يا أمير المؤمنين! هذا الرجل زوجته ابنتي وجهزتها إليه بأحسن ما يجهز به مثلها، حتى إذا أملت خير : ورجوت صلاحه حلف بطلاقها كاذبا، ثم أراد الاقامة معها . فقال له عمر: يا شيخ، لعله لم يطلق امرأته فكيف حلف؟ قال الشيخ : سبحان الله! الذي حلف عليه لا بين حنثا وأوضح كذبا من أن يختلج في صدرى منه شك مع سنى وعلمى، لانه زعم أن عليا خير هذه الامة، وإلا فامرأته طالق ثلاثا. فقال للزوج:

ما تقول؟ أهكذا حلفت؟ قال : نعم، فقليل : إنه لما قال نعم كاد المجلس يرتج بأهله، وبنو أمية ينظرون إليه شزرا، إلا أنهم لم ينطقوا بشئ، كل ينظر إلى وجه عمر.

فأكب عمر مليا ينكت الارض بيده، والقوم صامتون ينظرون ما يقوله، ثم رفع رأسه، وقال:

إذا ولي الحكومة بين قوم	أصاب الحق والتمس السدادا
وما خير الامام إذا تعدى	خلاف الحق واجتنب الرشادا

ثم قال للقوم: ما تقولون في يمين هذا الرجل؟ فسكتوا، فقال: سبحان الله! قولوا.

فقال رجل من بنى امية: هذا حكم في فرج ولسنا نجترئ على القول فيه وأنت عالم بالقول مؤتمن لهم وعليهم، قل ما عندك، فان القول ما لم يكن يحق باطلا ويبطل حقا جائز على في نفسى. قال: لا أقول شيئا.

فالتفت إلى رجل من بنى هاشم من ولد عقيل بن أبى طالب، فقال له:

ما تقول فيما حلف به هذا الرجل يا عقيلي؟ فاغتنمها، فقال: يا أمير المؤمنين! إن جعلت قولي حكما أو حكما جائزا قلت، وإن لم يكن ذلك فالسكوت أوسع لي وأبقى للمودة. قال: قل، وقولك حكم وحكمك ماض.

ص: ٦١

فلما سمع ذلك بنو أمية قالوا: ما أنصفتنا يا أمير المؤمنين! إذ جعلت الحكم إلى غيرنا ونحن من لحمتك وأولى رحمك، فقال عمر: اسكتوا! أعجزا ولؤما؟

عرضت ذلك عليكم آنفا فما انتدبتم له. قالوا: لأنك لم تعطنا ما أعطيت العقيلي ولا حكمتنا كما حكمته، فقال عمر: إن كان أصاب وأخطأتم وحزم وعجزتم وأبصر وعميتم، فما ذنب عمر لا بألكم! أتدرون ما منلكم؟ قالوا: لا ندري، قال: لكن العقيلي يدري. ثم قال: ما تقول يا رجل؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين! كما قال الأول:

تناوله من لا يداخله عجز

دعيتم إلى عمر فلما عجزتم

نداما، وهل يغني من الحذر الحرز؟

فلما رأيتم رأيتم ذاك أبدت نفوسكم

فقال عمر: أحسنت وأصبت! فقل ما سألتك عنه، قال: يا أمير المؤمنين! بر قسمه ولم تطلق امرأته، قال: وأنا علمت ذاك؟ قال: نشدتك الله يا أمير المؤمنين! ألم تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لفاطمة عليها السلام وهو عندها في بيتها عائد لها: يا بنية! ما علتك؟ قالت: الوعك يا أبتله! وكان على غائبا في بعض حوائج النبي صلى الله عليه وآله فقال لها:

أتشتهين شيئا؟ قالت: نعم أشتهي عنبا وأنا أعلم أنه عزيز وليس وقت عنب، فقال صلى الله عليه وآله: إن الله قادر على أن يجيئنا به، ثم قال: اللهم ائتنا به مع أفضل امتي عندك منزلة. فطرق على الباب ودخل، ومعه مكتل قد ألقى عليه طرف رداءه، فقال له النبي صلى الله عليه وآله ما هذا يا علي؟ قال: عنب التمسته لفاطمة عليها السلام فقال: الله أكبر! الله أكبر! اللهم كما سررتني بأن خصصت عليا بدعوتي فاجعل فيه شفاء بنيتي. ثم قال: كلى على اسم الله يا بنية! فأكلت. وما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله حتى استقلت وبرأت.

فقال عمر: صدقت وبررت، أشهد لقد سمعته ووعيته يارجل! خذ بيد امرأتك، فان عرض لك أبوها فاهشم أنفه.

ص: ٦٢

ثم قال: يا بني عبد مناف! والله ما تجهل ما يعلم غيرنا ولا بنا عمى في ديننا، ولكننا كما قال الأول:

فلم يدركوا خيرا بل استقبحوا الشرا

تصيدت الدنيا رجالا بفخها

قيل: فكانما ألقم بنو امية حجرا. ومضى الرجل بامرأته.

وكتب عمر إلى ميمون بن مهران:

عليك سلام، فاني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد، فاني قد فهمت كتابك، وورد الرجلان والمرأة، وقد صدق الله يمين الزوج وأبر قسمه وأثبتته على نكاحه، فاستيقن ذلك واعمل عليه. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

٥٢

(٢١) المقداد مع عبد الرحمن بن عوف

قال الشعبي: فحدثني عبد الرحمن بن جندب، عن أبيه جندب بن عبد الله الأزدي، قال: كنت جالسا بالمدينة حيث بويع عثمان، فجئت فجلست إلى المقداد بن عمرو، فسمعتة يقول: والله ما رأيت مثل ما أتى إلى أهل هذا البيت.

وكان عبد الرحمن بن عوف جالسا، فقال: وما أنت وذاك يا مقداد؟! قال المقداد: إني والله احبهم لحب رسول الله صلى الله عليه وآله وإنى لا عجب من قريش وتطاولهم على الناس بفضل رسول الله صلى الله عليه وآله ثم انتزاعهم سلطانه من أهله . قال عبد الرحمن: أما والله لقد أجهدت نفسي لكم.

قال المقداد: أما والله لقد تركت رجلا من الذين يأمرون بالحق وبه يعدلون، أما والله لو أن لى على قريش أعوانا لقاتلتهم قتالى إياهم بيدى وأحد.

ص: ٦٣

فقال عبد الرحمن: ثكلتك امك! لا يسمعن هذا الكلام الناس، فاني أخاف أن تكون صاحب فتنة وفرقة.

قال المقداد: إن من دعى إلى الحق وأهله وولاء الامر لا يكون صاحب فتنة، ولكن من أقحم الناس فى الباطل وآثر الهوى على الحق، فذلك صاحب الفتنة والفرقة.

قال: فتريد وجه عبد الرحمن، ثم قال: لو أعلم أنك إياى تعنى لكان لى ولك شأن.

قال المقداد: إياي تهدد يا بن ام عبد الرحمن؟ ثم قام عن عبد الرحمن وانصرف.

قال جندب بن عبد الله: فأتبعته وقلت له: يا عبد الله، أنا من أعوانك، فقال: رحمك الله، إن هذا الامر لا يغني فيه الرجلان ولا الثلاثة^{٥٥}.

(٢٢) أبو الأسود وعمران مع عائشة

بعد ورود عائشة وطلحة والزبير البصرة، أرسل عثمان بن حنيف إلى أبي الاسود الدؤلى وعمران بن الحصين الخزاعى، فأمرهما أن يسيرا حتى يأتياه بعلم القوم وما الذى أقدمهم، فانطلقا حتى إذا أتيا حفر أبى موسى، وبه معسكر القوم، فدخلوا على عائشة فنالها ووعظاها وذكرها وناشداها الله، فقالت لهما: القيا طلحة والزبير.

فكما من عندها ولقيا الزبير فكلماه فقال لهما: إنا جئنا للطلب بدم عثمان، وندعو الناس إلى أن يردوا أمر الخلافة شورى ليختار الناس لانفسهم.

فقالا له: إن عثمان لم يقتل بالبصرة ليطلب دمه فيها، وأنت تعلم قتله

ص: ٦٤

عثمان من هم وأين هم؟ وإنك وصاحبك وعائشة كنتم أشد الناس عليه وأعظمهم إغراء بدمه، فأقيدوا من أنفسكم! وأما إعادة أمر الخلافة شورى فكيف وقد بايعتم عليا طائعين غير مكرهين؟ وأنت يا أبا عبد الله! لم يبعد العهد بقيامك دون هذا الرجل يوم مات رسول الله صلى الله عليه وآله وأنت آخذ قائم سيفك تقول: ما أحد أحق بالخلافة منه ولا أولى بها منه! وامتنعت من بيعه أبى بكر، فأين ذلك الفعل من هذا القول؟^{٥٦}.

(٢٣) أبو أيوب مع معاوية

كتب معاوية إلى أبى أيوب خالد بن زيد الانصارى - صاحب منزل رسول الله صلى الله عليه وآله وكان سيدها معظما من سادات الانصار، وكان من شيعة على عليه السلام - كتابا. "لا تنسى الشيباء - شيباء خ ل - أبا عذرتها وقاتل بكرها" فلم يدر أبو أيوب ما هو؟ فأتى به عليا، وقال: يا أمير المؤمنين! إن معاوية - ابن آكلة الأكباد وكهف المنافقين - كتب إلى بكتاب لا أدري ما هو؟

فقال له على: وأين الكتاب؟ فدفعه إليه فقرأه وقال: نعم، هذا مثل ضربه لك، يقول: "ما أنسى الذى لا تنسى الشيباء، لا تنسى أبا عذرتها" والشيباء المرأة البكر ليلة افتضاها، لا تنسى بعلمها الذى افترعها أبدا، ولا تنسى قاتل بكرها وهو أول ولدها، كذلك لا أنسى أنا قتل عثمان.

^{٥٥} (١) أين أبى الحديد فى النهج: ج ٩ ص ٥٧ - ٥٦ ج ٨ ط الكمباني ص ٣٣٠، وسيأتى ص ٥٢٥

^{٥٦} (١) أين أبى الحديد فى النهج: ج ٩ ص ٣١٣

[وروى عمر بن شمر: أن معاوية] كتب فى أسفل كتاب أبى أيوب.

أبلغ لديك أبا أيوب مألكة
أما قتلتم أمير المؤمنين؟ فلا
إنا وقومك مثل الذئب والنقد
ترجو الهواة عندى آخر الابد

ص: ٦٥

إن الذى نلتموه ظالمين له
إنى حلفت يمينا غير كاذبة
أبقت حرارته صدعا على كبدى
لقد قتلتم إماما غير ذى أود
لا تحسبوا أننى أنسى مصيبتى
وفى البلاد من الانصار من أحد
أعزز على بأمر لست نائله
واجهد علينا فلسنا بيضة البلد
قد أبدل الله منكم خير ذى كلع
والبحصين أهل الحق فى الجند
إن العراق لنا فقع بقرقرة
أو شحمة بزها شاو ولم يكد
والشام ينزلها الابرار بلدتها
أمن وحومتها عريسة الاسد

فلما قرأ الكتاب على على عليه السلام قال : لشد ما شحذكم معاوية يا معشر الانصار ! أجيئوا الرجل. فقال أبو أيوب: يا أمير المؤمنين ما أشاء أن أقول شيئا من الشعر يعبأ به الرجال إلا قلته، قال: فأنت إذا أنت.

فكتب أبو أيوب إلى معاوية : [أما بعد، فانك كتبت إلى] لا تنسى الشيباء - وقال فى هذا الحديث : الشيباء: الشمطاء - ثكل ولدها ولا أبا عذرتها لا تنسى الشيباء أبا عذرها ولا قاتل بكرها خ ل فضربتها مثلا بقتل عثمان، وما نحن وقتل عثمان؟ إن الذى تربص بعثمان وثبط يزيد بن أسد وأهل الشام فى نصرته لانت، وإن الذى قتلوه لغير الانصار.

وكتب فى آخر كتابه:

لا توعدنا ابن حرب إننا بشر
فاسعوا جميعا بنى الاحزاب كلکم
نحن الذين ضربنا الناس کلهم
والعام قصرک منا إن أقمت لنا
أما على فانا لن نفارقه
أما تبدلت منا بعد نصرتنا
لا يعرفون - أضل الله سيعهم -
لا نبتغى ود ذى البغضاء من أحد
لسنا نريد ولا کم آخر الابد
حتى استقاموا وكانوا عرضة الاود
ضربا يزيل بين الروح والجسد
ما رقرق الآل فى الداوية الجرد
دين الرسول أناسا ساکنى الجند
إلا اتباعکم يا راعى النقد

ص: ٦٦

فقد بغى الحق هضما شر ذى کلع
ألا ندافع کفا دون صاحبها
والیحصبیون طرا بیضه البلد
حد الشقاق ولا أم ولا ولد^{٥٧}

(٢٤) جعدة بن هبيرة مع عتبة بن أبى سفيان

قال عتبة بن أبى سفيان فى يوم من أيام صفين: إني لاق بالغداة جعدة بن هبيرة، فقال معاوية: بخ بخ! قومہ بنو مخزوم، وامه ام هانى بنت أبى طالب، كفؤ كريم بعث معاوية إلى عتبة، فقال: ما أنت صانع فى جعدة؟ قال: ألقاه اليوم واقاتله غدا. وكان لجعدة فى قريش شرف عظيم، وكان له لسان، وكان من أحب الناس إلى على عليه السلام فغدا عليه عتبة فنادى: أبا جعدة أبا جعدة! فاستأذن عليا عليه السلام فى الخروج إليه، فأذن له. واجتمع الناس، فقال عتبة: يا جعدة إنه والله ما أخرجک علينا إلا حب خالك وعمک (ابن أبى سلمة) عامل البحرين، وإنا والله! ما نزع من أن معاوية أحق بالخلافة من على لولا أمره فى عثمان، ولكن معاوية أحق بالشام لرضا أهلها به، فاعف لنا عنها، فوالله! ما بالشام رجل به طرق إلا وهو أجد من معاوية فى القتال، وليس

^{٥٧} (١) وقعة صفين لنصر: ص ٣٦٩-٣٦٧ وابن أبى الحديد فى النهج: ج ٨ ص ٣٦٠ ط الكمپانى

بالعراق رجل له مثل جد على فى الحرب، ونحن أطوع لصاحبنا منكم لصاحبكم، وما أقبح بعلى أن يكون فى قلوب المسلمين أولى الناس حتى إذا أصاب سلطانا أفنى العرب.

فقال جعداً: أما حبى لخالى: فلو كان لك خال مثله لنسيت أباك! وأما ابن أبى سلمة: فلم يصب أعظم من قدره، والجهاد أحب إلى من العمل. وأما فضل على على معاوية فهذا مالا يختلف فيه اثنان. وأما رضاكم اليوم بالشام

ص: ٦٧

فقد رضيتم بها أمس، فلم تقبل. وأما قولك: ليس بالشام أحد إلا وهو أجد من معاوية، وليس بالعراق رجل مثل جد على، فهكذا ينبغي أن يكون، مضى بعلى يقينه وقصر بمعاوية شكه، وقصد أهل الحق خير من جهد أهل الباطل.

وأما قولك: نحن أطوع لمعاوية منكم لعلى، فوالله ما نسأله إن سكت ولا نردع له إن قال. وأما قتل العرب: فان الله كتب [القتل و] القتال، فمن قتله الحق فإلى الله.

فغضب عتبة وفحش على جعداً، فلم يجبه وأعرض عنه. وانصرفا جميعا مغضبين^{٥٨}.

(٢٥) يحيى مع الحجاج

كنز الفوائد للكرامى: قال الشعبى: كنت بواسط وكان يوم أضحى، فحضرت صلاة العيد مع الحجاج، فخطب خطبةً بليغةً، فلما انصرف جاءنى زسوله، فأتيته، فوجدته جالسا مستوفزا. قال: يا شعبى، هذا يوم أضحى، وقد أردت أن اضحى فيه برجل من أهل العراق! وأحببت أن تستمع قوله، فتعلم أنى قد أصبت الرأى فيما أفعل به.

فقلت: أيها الامير، أو ترى أن تستن بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وتضحى بما أمر أن يضحى به وتفعل مثل فعله، وتدع ما أردت أن تفعله به فى هذا اليوم العظيم إلى غيره؟

فقال: يا شعبى، إنك إذا سمعت ما يقول صوبت رأى فيه، لكذبه على الله وعلى رسوله وإدخاله الشبهة فى الاسلام.

ص: ٦٨

قلت: أفيرى الامير أن يعفينى من ذلك؟ قال: لا بد منه. ثم أمر بنطح فبسط، وبالسيف فاحضر، وقال: أحضروا الشيخ، فأتوا به، فإذا هو يحيى بن يعمر! فاغتممت غما شديداً، وقلت فى نفسى: وأى شئ يقوله يحيى مما يوجب قتله؟.

فقال له الحجاج: أنت تزعم أنك زعيم العراق؟! قال يحيى: أنا فقيه من فقهاء العراق. قال: فمن أى فقهك زعمت أن الحسن والحسين من ذرية رسول الله؟ قال: ما أنا زاعم ذلك، بل قائله بحق. قال: وبأى حق قلته؟ قال:

^{٥٨} (١) وقعة صفين لنصر: ص ٤٦٤ - ٤٦٣. وابن أبى الحديد فى النهج: ج ٨ ص ٩٩ - ٩٨. وفتوح ابن اعثم: ج ٣ ص ١٧٨ - ١٧٧

بكتاب الله عز وجل. فنظر إلى الحجاج وقال: اسمع ما يقول! فان هذا مما لم أكن سمعته عنه، أتعرف أنت في كتاب الله عز وجل أن الحسن والحسين من ذرية محمد رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فجعلت افكر في ذلك، فلم أجد في القرآن شيئاً يدل على ذلك. وفكر الحجاج ملياً، ثم قال ليحيى: لعلك تريد قول الله تعالى: "فمن حاجك من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين". وأن رسول الله صلى الله عليه وآله خرج للمباهلة ومعه علي وفاطمة والحسن والحسين؟

قال الشعبي: فكأنما اهدى إلى قلبي سرورا، وقلت في نفسي: قد خلص يحيى. وكان الحجاج حافظاً للقرآن، فقال له يحيى: والله إنها لحجة في ذلك بليغة، ولكن ليس من ها أحتج لما قلت، فاصفر وجه الحجاج وأطرق ملياً، ثم رفع رأسه إلى يحيى وقال له: إن أنت جئت من كتاب الله بغيرها في ذلك فلك عشرة آلاف درهم، وإن لم تأت بها فأنا في حل من دمك، قال: نعم.

قال الشعبي: فغمنى قوله، وقلت: أما كان في الذي نزع به الحجاج ما يحتج به يحيى ويرضيه بأنه قد عرفه وسبقه إليه وتخلص منه حتى رد عليه وأفحمه؟

فان جاءه بعد هذا بشئ لم آمن أن يدخل عليه فيه من القول ما يبطل به حجته

ص: ٦٩

لثلا يقال: إنه قد علم ما قد جهله هو.

فقال يحيى للحجاج: قول الله تعالى: "ومن ذريته داود وسليمان" من عنى بذلك؟ قال الحجاج: إبراهيم - عليه السلام، قال: فداود وسليمان من ذريته؟ قال: نعم. قال يحيى: ومن نص الله عليه بعد هذا أنه من ذريته؟ فقرأ الحجاج "وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين" قال يحيى:

ومن؟ قال: "وزكريا ويحيى وعيسى" قال يحيى: ومن أين كان عيسى من ذرية إبراهيم عليه السلام ولا أب له؟ قال: من امه مريم عليها السلام قال يحيى:

فمن أقرب: مريم من إبراهيم أم فاطمة من محمد صلى الله عليه وآله، وعيسى من إبراهيم والحسن والحسين عليهما السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله؟

قال الشعبي: فكأنما ألقمه حجراً! فقال: اطلقوه قبحه الله، وادفعوا إليه عشرة آلاف درهم لا بارك الله له فيها! ثم أقبل على فقال: قد كان رأيك صواباً، ولكننا أبيناه. ودعا بجزور فنحره، وقام فدعا بطعام فأكل وأكلنا معه. وما تكلم بكلمة حتى انصرفنا، ولم يزل مما أحتج به يحيى بن يعمر واجماً^{٥٩}.

^{٥٩} (١) البحار: ج ١٠ ص ١٤٧ الطبع الحديث. وقاموس الرجال: ج ٩ والعقد الفريد: ج ٢ ص ١٧٥ وج ٥ ص ٢٠. ويأتي عن المحاضرات للراغب

(٢٦) يحيى مع الحجاج

وفى طبقات السريوطى: قال الحاكم: فقيه أديب نحوى أخذ النحو عن أبى الاسود: ولما بنى الحجاج واسط سأل الناس ما عيبها؟ فقال له يحيى: بنيتها من غير مالك وسيسكنها غير ولدك، فغضب الحجاج وقال: ما حملك على ذلك؟ قال: ما أخذ الله تعالى على العلماء فى علمهم أن لا يكتنوا الناس

ص: ٧٠

حديثا.

ففناه إلى خراسان، فولاه قتيبة بن مسلم قضاءها، فقضى فى أكثر بلادها:

نيسابور، ومرو، وهراء، وآثاره ظاهرة. وفى الجهشيارى: قال له الحجاج: هل ألحن؟ قال: تلحن لحنا خفيا تزيد حرفا أو تنقص حرفا، وتجعل "إن" فى موضع "أن" قال: إن وجدتك بعد ثلاثة بالعراق قتلتك^{٦٠}.

(٢٧) مؤمن الطاق مع أبى حنيفة

قال أبو حنيفة لابی جعفر مؤمن الطاق: ما تقول فى الطلاق الثلاث؟ قال:

أعلى خلاف الكتاب والسنة؟ قال: نعم، قال أبو جعفر: لا يجوز ذلك. قال أبو حنيفة: ولم لا يجوز ذلك؟ قال: لان التزويج عقد بالطاعة فلا يحل بالمعصية، وإذا لم يجز التزويع بجهة المعصية لم يجز الطلاق بجهة المعصية، وفى إجازة ذلك طعن على الله عزوجل فيما أمر به وعلى رسوله فيما سن، لانه إذا كان العمل بخلافهما فلا معنى لهما، وفى قولنا: من شذ عنهما رد إليهما وهو صاغر. قال أبو حنيفة: قد جوز العلماء ذلك، قال أبو جعفر: ليس العلماء الذين جوزوا للعبد العمل بالمعصية واستعمال سنة الشيطان فى دين الله، ولا عالم أكبر من الكتاب والسنة. فلم تجوزون للعبد الجمع بين ما فرق الله من الطلاق الثلاث فى وقت واحد، ولا تجوزون له الجمع بين ما فرق الله من الصلوات الخمس؟ وفى تجويز ذلك تعطيل الكتاب وهدم ال سنة، وقد قال الله عزوجل: "ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه".

ما تقول يا أبا حنيفة فى رجل قال: إنه طالق امرأته على سنة الشيطان، أيجوز له ذلك الطلاق؟ قال أبو حنيفة: فقد خالف السنة وبنات منه امرأته

ص: ٧١

وعصى ربه. قال أبو جعفر: فهو كما قلنا إذا خالف سنة الله عمل بسنة الشيطان، ومن أمضى بسنته فهو على ملته، ليس له فى دين الله نصيب.

^{٦٠} (١) قاموس الرجال: ج ٩ ص ٤٣١

قال أبو حنيفة: هذا عمر بن الخطاب، وهو من أفضل أئمة المسلمين، قال:

إن الله جل ثناؤه جعل لكم فى الطلاق أناءً فاستعجلتموه وأجزنا لكم ما استعجلتموه. قال أبو جعفر: إن عمر كان لا يعرف أحكام الدين. قال أبو حنيفة: وكذلك ذلك؟ قال أبو جعفر: ما أقول فيه ما تنكره.

أما أول ذلك: فانه قال: " لا يصلى الجنب حتى يجد الماء ولو سنة " والامة على خلاف ذلك.

وأناه أبو كيف العائدى، فقال: يا أمير المؤمنين، إني غبت فقدمت وقد تزوجت امرأتى! فقال: " إن كان قد دخل بها فهو احق بها، وإن لم يكن دخل بها فأنت أولى بها " وهذا حكم لا يعرف والامة على خلافه.

وقضى فى رجل غاب عن أهله أربع سنين أنها تتزوج إن شاءت . والامة على خلاف ذلك، إنها لا تتزوج أبدا حتى تقوم البينة أنه مات أو طلقها.

وإنه قتل سبعة نفر من أهل اليمن برجل واحد، وقال: لولا ما عليه أهل صنعاء لقتلتهم به. والامة على خلافه.

واتى بامرأة حبلى شهدوا عليها بالفاحشة فأمر برجمها، فقال له على عليه السلام: إن كان لك السبيل عليها فما سبيلك على ما فى بطنها؟ فقال: " لولا على لهلك عمر ".

واتى بمجنونة قد زنت فأمر برجمها، فقال له على عليه السلام: أما علمت أن القلم قد رفع عنها حتى تصح؟ فقال: " لولا على لهلك عمر ".

وإنه لم يدرك الكلالة فسأل النبى صلى الله عليه وآله عنها فأخبره بها فلم يفهم عنه، فسأل ابنته حفصة أن تسأل النبى عن الكلالة فسألته، فقال لها:

أبوك أمرك بهذا؟ قالت: نعم فقال لها: إن أهلك لا يفهمها حتى يموت .

ص: ٧٢

فمن لم يعرف الكلالة فكيف يعرف أحكام الدين؟^{٦١}.

(٢٨) الفضال مع أبى حنيفة

كتاب الفصول للسيد رحمه الله: أخبرنى الشيخ أدام الله عزه مرسلا، قال:

^{٦١} (١) البحار: ج ١٠ ص ٢٣١ - ٢٣٠ الطبع الحديث

مر الفضال بن الحسن بن فضال الكوفى بأبى حنيفة، وهو فى جمع كثير يملى عليهم شيئا من فقهه وحديثه. فقال لصاحب كان معه: والله لا أبرح أو اخجل أبا حنيفة! قال صاحبه: إن أبا حنيفة ممن قد علت حاله وظهرت حجته. قال:

مه! هل رأيت حجة كافر علت على مؤمن؟ ثم دنا منه، فسلم عليه فرد ورد القوم السلام بأجمعهم.

فقال: يا أبا حنيفة رحمك الله إن لى أخا يقول: إن خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله على بن أبى طالب عليه السلام وأنا أقول: إن أبا بكر خير الناس وبعده عمر، فما تقول أنت رحمك الله؟ فأطرق مليا ثم رفع رأسه، فقال: كفى بمكانهما من رسول الله صلى الله عليه وآله كرما وفخرا، أما علمت أنهما ضجيعاه فى قبره، فأى حجة أوضح لك من هذه؟.

فقال له فضال: إنى قد قلت ذلك لآخى، فقال: والله لئن كان الموضع لرسول الله صلى الله عليه وآله دونهما فقد ظلما بدفنهما فى موضع ليس لهما فيه حق، وإن كان الموضع لهما فوهباه لرسول الله صلى الله عليه وآله فقد أساء وما أحسنا إذا رجعا فى هبتهما ونكثا عهدهما. فأطرق أبو حنيفة ساعة ثم قال له: لم يكن له ولا لهما خاصة، ولكنهما نظرا فى حق عائشة وحفصة فاستحقا الدفن فى ذلك الموضع بحقوق ابنتيهما.

فقال له فضال: قد قلت له ذلك، فقال: أنت تعلم أن النبى صلى الله

ص: ٧٣

عليه وآله مات عن تسع حشايا، ونظرنا فإذا لكل واحدة تسع الثمن، ثم نظرنا فى تسع الثمن فإذا هو شبر فى شبر، فكيف يستحق الرجلان أكثر من ذلك؟

وبعد، فما بال حفصة وعائشة ترثان رسول الله صلى الله عليه وآله وفاطمة بنته تمنع الميراث؟ فقال أبو حنيفة: يا قوم نحوه عنى فانه والله رافضى خبيث! ^{٦٢}.

(٢٩) الفضل بن شاذان مع المخالفين

وقال رضى الله عنه: ومن حكايات الشيخ أدام الله عزه قال: سئل أبو محمد الفضل بن شاذان النيشابورى رحمه الله فقيل له: ما لدليل على إمامة أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام؟ فقال: الدليل على ذلك من كتاب الله عزوجل، ومن سنة نبيه صلى الله عليه وآله ومن إجماع المسلمين.

فأما كتاب الله تبارك وتعالى: فقوله عزوجل: "يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم" فدعانا سبحانه إلى طاعة أولى الأمر كما دعانا إلى طاعة نفسه وطاعة رسوله، فاحتجنا إلى معرفة أولى الأمر كما وجبت علينا مع رفة الله تعالى ومعرفة الرسول عليه وآله السلام، فنظرنا فى أقاويل الامة فوجدناهم قد اختلفوا فى أولى الأمر وأجمعوا فى الآية على ما

^{٦٢} (١) البحار: ج ١٠ ص ٢٣٢ - ٢٣١ وج ٤٤ ص ١٥٥ وج ٤٧ ص ٤٠٠

يوجب كونها في علي بن أبي طالب عليه السلام فقال بعضهم : أولى الامر هم امراء السرايا، وقال بعضهم : هم العلماء، وقال بعضهم: هم القوام على الناس والامرون بالمعروف والناهون عن المنكر، وقال بعضهم : هم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والائمة من ذريته عليهم السلام.

فسألنا الفرقة الاولى فقلنا لهم : أليس علي بن أبي طالب عليه السلام من امراء السرايا؟ فقالوا : بلى. فقلنا للثانية: ألم يكن عليه السلام من العلماء؟

ص: ٧٤

قالوا: بلى. فقلنا للثالثة: أليس علي - عليه السلام - قد كان من القوام على الناس بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ فقالوا : بلى. فصار أمير المؤمنين - عليه السلام - معينا بالاية باتفاق الامة واجتماعها، وتيقنا ذلك باقرار المخالف لنا في الامامة والموافق عليها، فوجب أن يكون إماما بهذه الاية، لوجود الاتفاق على أنه معنى بها . ولم يوجب العدول إلى غيره والاعتراف بامامته، لوجود الاختلاف في ذلك وعدم الاتفاق وما يقوم مقامه من البرهان.

وأما السنة: فانا وجدنا النبي - صلى الله عليه وآله - استقضى عليا - عليه السلام - على اليمن، وأمره على الجيوش، وولاه الاموال وأمره بأداءها إلى بني جذيمة الذين قتلهم خالد بن الوليد ظلما، واختاره لاداء رسالات الله سبحانه والابلاغ عنه في سورة براءة، واستخلفه عند غيبته على من خلف . ولم نجد النبي - صلى الله عليه وآله - سن هذه السنن في أحد غي ره، ولا اجتمعت هذه السنن في أحد بعد النبي - صلى الله عليه وآله - كما اجتمعت في علي - عليه السلام - وسنة رسول الله - صلى الله عليه وآله - بعد موته واجبة كوجوبها في حياته . وإنما تحتاج الامة إلى الامام بهذه الخصال التي ذكرناه، فإذا وجدنا في رجل قد سنّها الرسول صلى الله عليه وآله فيه كان أولى بالامامة ممن لم يسن النبي فيه شيئا من ذلك.

وأما الاجماع: فان إمامته ثبتت من جهته من وجوه:

منها: أنهم قد أجمعوا جميعا أن عليا - عليه السلام - قد كان إماما ولو يوما واحدا، ولم يختلف في ذلك أصناف أهل الامامة، ثم اختلفوا، فقالت طائفة:

كان إماما في وقت كذا وكذا، وقالت طائفة : بل كان إماما بعد النبي - صلى الله عليه وآله - في جميع أوقاته، ولم تجمع الامة على غيره أنه كان إماما في الحقيقة طرفه عين، والاجماع أحق أن يتبع من الاختلاف.

ومنهم: أنهم أجمعوا جميعا على أن عليا عليه السلام كان يصلح للامامة وأن

ص: ٧٥

الامامة تصلح لبنى هاشم، واختلفوا فى غيره، وقالت طائفة : لم يكن تصلح لغير على بن أبى طالب عليه السلام ولا تصلح لغير بنى هاشم، والاجماع حق لا شبهة فيه، والاختلاف لا حجة فيه .

ومنها: أنهم أجمعوا على أن عليا عليه السلام - كان بعد النبى - صلى الله عليه وآله ظاهر العدالة واجبة له الولاية، ثم اختلفوا، فقال قوم: كان مع ذلك معصوما من الكبائر والضلال، وقال آخرون : لم يك معصوما . ولكن كان عدلا برا تقيا على الظاهر لا يشوب ظاهره الشوائب، فحصل الاجماع على عدالته عليه السلام واختلفوا فى نفى العصمة عنه عليه السلام ثم أجمعوا على أن أبا بكر لم يكن معصوما واختلفوا فى عدالته، فقالت طائفة : كان عدلا، وقال آخرون : لم يكن عدلا، لانه أخذ ما ليس له، فمن أجمعوا على عدالته واختلفوا فى عصمته أولى بالامامة وأحق ممن اختلفوا فى عدالته وأجمعوا على نفى العصمة عنه^{٦٣}.

(٣٠) الفضل بن شاذان مع المخالفين

سئل الفضل بن شاذان رحمه الله عما روته الناصبة عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : " لا اوتى برجل يفضلنى على أبى بكر وعمر إلا جلدته حد المفترى " فقال: إنما روى هذا الحديث سويد بن غفلة، وقد أجمع أهل الآثار على أنه كان كثير الغلط . وبعد، فان نفس الحديث متناقض، لان الاممة مجمعة على أن عليا عليه السلام كان عدلا فى قضيته، وليس من العدل أن يجلد حد المفترى من لم يفتتر، لان هذا جور على لسان الامة كلها، وعلى بن أبى طالب عليه السلام عندنا برئ من ذلك.

قال الشيخ أدام الله عزه: وأقول: إن هذا الحديث إن صح عن أمير المؤمنين

ص: ٧٤

عليه السلام - ولن يصح بأدلة أذكرها بعد - فان الوجه فيه أن الفاضل بينه وبين الرجلين إنما وجب عليه حد المفترى من حيث أوجب لهما بالمفاضلة مالا يستحقانه من الفضل، لان المفاضلة لا يكون إلا بين مقارنين فى الفضل وبعد أن يكون فى المفضول فضل، وإذا كانت الدلائل على أن من لا طاعة معه لا فضل له فى الدين، وأن المرتد عن الاسلام ليس فيه شئ من الفضل الدينى، وكان الرجلان بجحدهما النص قبل قد خرجا عن الايمان، بطل أن يكون لهما فضل فى الاسلام، فكيف يحصل لهما من الفضل ما يقارب فضل أمير المؤمنين عليه السلام؟ و متى فضل إنسان أمير المؤمنين عليه السلام عليهما فقد أوجب لهما فضلا فى الدين. فانما استحق حد المفترى الذى هو كاذب دون المفترى الذى هو راجم بالقبيح، لانه افترى بالتفضيل لأمر المؤمنين عليه السلام عليهما من حيث كذب فى إثبات فضل لهما فى الدين، ويجرى فى هذا الباب ب مجرى من فضل البر التقى على الكافر المرتد الخارج عن الدين، ومجرى من فضل جبرئيل عليه السلام على إبليس، ورسول الله صلى الله عليه وآله على أبى جهل بن هشام، فى أن المفاضلة بين من ذكرناه يوجب لمن لا فضل له على وجه فضلا مقاربا لفضل العظماء عند الله تعالى، وهذا بين لمن تأمله.

مع أنه لو كان هذا الحديث صحيحا وتأويله على ما ظنه القوم يوجب أن يكون حد المفترى واجبا على الرسول صلى الله عليه وآله وحاشا له من ذلك! لأن رسول الله صلى الله عليه وآله قد فضل أمير المؤمنين عليه السلام - على سائر الخلق، وأخى بينه وبين نفسه، وجعله بحكم الله في المباهلة نفسه، وسد أبواب القوم إلا بابه، ورد أكثر الصحابة عن إنكاحهم إبنته سيده نساء العالمين عليها السلام وأنكحه، وقدمه في الولايات كلها ولم يؤخره، وأخبر أنه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، وأنه أحب الخلق إلى الله تعالى، وأنه مولى من كان مولاه من الانام، وأنه منه بمنزلة هارون من موسى بن عمران، وأنه أفضل من

ص: ٧٧

سيدى شباب أهل الجنة، وأن حربه حربه وسلمه سلمه، وغير ذلك مما يطول شرحه إن ذكرناه.

وكان أيضا يجب أن يكن عليه السلام قد أوجب الحد على نفسه، إذ أبان فضله على سائر أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله حيث يقول: "أنا عبد الله وأخو رسول الله، لم يقلها أحد قبلى ولا يقولها أحد بعدى إلا مفتر كذاب، صليت قبلهم سبع سنين" وفى قوله لعثمان وقد قال له: "أبو بكر وعمر خير منك" فقال: "بل أنا خير منك ومنهما عبدت الله عز وجل قبلهما وعبدته بعدهما".

وكان أيضا قد أوجب الحد على ابنه الحسن وجميع ذريته وأشياعه وأنصاره وأهل بيته، فانه لا ريب فى اعتقادهم فضله على سائر الصحابة، وقد قال الحسن عليه السلام صبيحة الليلة التى قبض فيها أمير المؤمنين عليه السلام: "لقد قبض الليلة رجل، ما سبقه الاولون بعمل ولا أدركه الآخرون" وهذه المقالة متهافة جدا.

وقال الشيخ أيده الله: ولست أمتنع العبارة بأن أمير المؤمنين عليه السلام كان أفضل من أبى بكر وعمر على معنى تسليم فضلهما من طريق الجدل أو على معتقد الخصوم فى أن لهما فضلا فى الدين، وأما على تحقيق القول فى المفاضلة فانه غلط وباطل.

قال الشيخ: وشاهد ما أطلقت من القول ونظيره قول أمير المؤمنين عليه السلام فى أهل الكوفة: "اللهم إني قد مللتهم وملونى وسئمتهم وسئمونى، اللهم فأبدلنى بهم خيرا منهم وأبدلهم بى شرا منى" ولم يكن فى أمير المؤمنين عليه السلام وإنما اخرج الكلام على اعتقادهم فيه، ومثله قول حسان بن ثابت وهو يعنى رسول الله صلى الله عليه وآله:

فخيركما لشركما الفداء

أتهجوه ولست له بكفور

ولم يكن فى رسول الله صلى الله عليه وآله شر، وإنما اخرج الكلام على

ص: ٧٨

معتقد الهاجى فيه، وقوله تعالى: " وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين " ولم يكن الرسول على ضلال^{٦٤}.

(٣١) داود مع ابن طاهر

دخل أبو هاشم داود بن القاسم الجعفرى على محمد بن طاهر بعد قتل يحيى بن عمر المقتول بشاهى، فقال له : أيها الامير! إنا قد جئناك لنهنتك بأمر لو كان رسول الله صلى الله عليه وآله حيا لعزينا به^{٦٥}.

(٣٢) عبد الله بن عباس مع يزيد

قال اليعقوبى: ^{٦٦} أخذ ابن الزبير عبد الله بن عباس بالبيعة له، فامتنع عليه، فبلغ يزيد بن معاوية أن عبد الله بن عباس قد امتنع على ابن الزبير، فسرّه ذلك، وكتب إلى ابن عباس:

أما بعد، فقد بلغنى أن الملحد ابن الزبير دعاك إلى بيعته وعرض عليك الدخول فى طاعته لتكون على الباطل ظهيرا وفى المآثم شريكا، وأنك امتنعت عليه واعتصمت ببيعتنا وفاء منك لنا وطاعة لله فيما عرفك من حقنا، فجزاك الله من ذى رحم بأحسن ما يجزى به الواصلين لارحامهم! فانى أنس من الاشياء، فلست بناس برک وحسن جزائك وتعجيل صلتك بالذى أنت منى أهله فى الشرف والطاعة والقراية بالرسول، وانظر - رحمك الله - فيمن قبلك من قومك ومن يطرأ عليك من الافاق ممن يسحره الملحد بلسانه وزخرف قوله، فأعلمهم حسن رأيك فى طاعتي والتمسك ببيعتي، فانهم لك أطوع ومنك

ص: ٧٩

أسمع منهم للمحل الملحد، والسلام.

فكتب إليه عبد الله بن عباس:

من عبد الله بن عباس إلى يزيد بن معاوية.

أما بعد، فقد بلغنى كتابك بذكر دعاء ابن الزبير إياى إلى نفسه وامتناعى عليه فى الذى دعانى إليه من بيعته، فان يك ذلك كما بلغك فلست حمدك أردت ولا ودك، ولكن الله بالذى أنوى عليهم . وزعمت أنك لست بناس ودى، فلعمري ما تؤتينا مما فى يديك من حقنا إلا القليل، وإنك لتحبس عنا منه العريض الطويل! وسألتنى أن أحث الناس عليك وأخذلهم عن ابن الزبير، فلا، ولا سرورا ولا حورا! وأنت قتلت " الحسين بن على " بفيك الكشكث ولك الاثلب، إنك إن تمنيك نفسك ذلك لعازب الرأى، وإنك لانت المفند المهور، لا تحسبنى لا أبا لك! نسيت قتلك حسينا وفتيان بنى عبد المطلب مصاييح الدجى ونجوم الاعلام؟

^{٦٤} (١) البحار: ج ١٠ ص ٣٧٩ - ٣٧٧

^{٦٥} (٢) البحار: ج ١٠ ص ٣٩١

^{٦٦} (٣) تاريخ اليعقوبى: ج ٢ ص ٢٤٧

غادرهم جنودك مصرعين في الصعيد مرملين بالتراب مسلوين بالعراء لا مكفين، تسفى عليهم الرياح وتعاورهم الذئاب وتتناهبهم عرج الضباع، حتى أتاح الله لهم أقواما لم يشتركوا في دمائهم، فاجنهم في أكفانهم.

وبى والله وبهم عززت وجلست مجلسك الذى جلست يا يزيد ! وما أنس من الاشياء فلست بناس تسليطك الدعى العاهر ابن العاهر البعيد رحما اللثيم أبا واما الذى فى أدعاء أبيك إياه ما اكتسب أبوك به إلا العار والخزى والمذلة فى الآخرة والاولى وفى الممات والمحيا. إن نبي الله قال: " الولد للفراش وللعاهر الحجر " فألحقه بأبيه كما يلحق بالعفيف النقى ولده الرشيد.

وقد أمت أبوك السنة جهلا وأحيا البدع والاحداث المضلة عمدا.

وما أنس من الاشياء، فلست بناس إطرادك " الحسين بن على " من حرم رسول الله صلى الله عليه وآله إلى حرم الله ودسك إليه الرجال تغتاله..

ص: ٨٠

فأشخصته من حرم الله إلى الكوفة، فخرج منها خائفا يترقب، وقد كان أعز أهل البطحاء بالبطحاء قديما، وأعز أهلها بها حديثا، وأطوع أهل الحرمين بالحرمين لو تبوأ بها مقاما واستحل بها قتالا، ولكن كره أن يكون هو الذى يستحل حرمة البيت وحرمة رسول الله صلى الله عليه وآله فأكبر من ذلك ما لم تكبر، حيث دسست إليه الرجال فيها ليقاتل فى الحرم، وما لم يكبر ابن الزبير، حيث ألحد بالبيت الحرام وعرضه للعائر وأراقل العالم . وأنت لانت المستحل فيما أظن بل لاشك فيه أنك للمحرف العريف، فانك حلف نسوة صاحب ملاه، فلما رأى سوء رأيك شخص إلى العراق ولم يتبغض ضرابا وكان أمر الله قدرا مقدورا.

ثم إنك الكاتب إلى ابن مرجانة أن يستقبل حسينا بالرجال، وأمرته بمعاجلته وترك مطاولته والالاحاح عليه حتى يقتله ومن معه من بنى عبد المطلب، أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، فنحن أولئك لسنا كأبائك الاجلاف الجفأ الاكباد الحمير.

ثم طلب الحسين بن على إليه الموادة وسألهم الرجعة، فاغتنمتم قلة أنصاره واستئصال أهل بيته فعدوتم عليهم، فقتلوهم كأنما قتلوا أهل بيت من الترك والكفر.

فلا شئ عندي أعجب من طلبك ودى ونصرى وقد قتلت بنى أبى وسيفك يقطر من دمي ! وأنت آخذ ثارى، فان يشأ الله لا يطل لديك دمي ولا تسبقنى بثأرى، وإن سبقتنى به فى الدنيا فقبلنا ما قتل النبيون وآل النبيين، وكان الله الموعد وكفى به للمظلومين ناصرا ومن الظالمين منتقما، فلا يعجبك إن ظفرت بنا اليوم، فوالله لنظفرن بك يوما.

فأما ما ذكرت من وفائى وما زعمت من حقى: فان يك ذلك كذلك، فقد والله بايعت أباك وإنى لاعلم أن بنى عمى وجميع بنى أبى أحق بهذا الامر من

ص: ٨١

أبيك، ولكنكم - معاشر قريش - كاثرتمونا فاستأثرتم علينا سلطاننا ودفعتمونا عن حقنا، فبعدا على من اجترأ على ظلمنا واستغوى السفهاء علينا وتولى الامر دوننا! فبعدا لهم كما بعدت ثمود وقوم لوط وأصحاب مدين ومكذبوا المرسلين!.

ألا ومن أعجب الاعاجيب وما عشت أراك الدهر العجيب حملك بنات عبد المطلب وغلماً صغاراً من ولده إليك بالشام كالسبي المجلوب، ترى الناس أنك قهرتنا وأنك تأمرت علينا! ولعمري، لئن كانت تمشي وتصيح آمناً لجرح يدى إنى لارجو أن يعظم جراحك بلساني وتقضى وإبرامى، فلا يستغربك الجذل، ولا يمهلك الله بعد قتلك عتره رسول الله صلى الله عليه وآله إلا قليلاً حتى يأخذك أخذاً أليماً، فيخرجك الله من الدنيا ذميماً أثيماً . فعش لا أبا لك ! فقد والله أرداك عند الله ما اقترفت . والسلام على من أطاع الله^{٦٧}.

(٣٣) بنو هاشم مع معاوية

حج معاوية سنة (٤٤) ... ولما صار إلى المدينة أتاه جماعة من بنى هاشم وكلموه فى امورهم، فقال : أما ترضون يا بنى هاشم أن نقر عليكم دماءكم؟ وقد قتلتم عثمان حتى تقولوا ما تقولون، فوالله لانتهم أجل دما من كذا وكذا وأعظم فى القول.

فقال له ابن عباس: كلما قلت لنا يا معاوية من شربين دفتيك، وأنت

ص: ٨٢

والله أولى بذلك منا! أنت قتلت عثمان، ثم قمت تغمص على الناس أنك تطلب بدمه، فانكسر معاوية.

فقال ابن عباس: والله ما رأيتك صدقت إلا فرغت وانكسرت.

قال فضحك معاوية، وقال: والله ما أحب أنكم لم تكونوا كلمتمونى^{٦٨}.

(٣٤) عبد الله بن عباس مع معاوية

وفد عبد الله بن عباس على معاوية، قال : فوالله إنى لفى المسجد إذ كبر معاوية فى الخضراء، فكبر أهل الخضراء، ثم كبر أهل المسجد تكبير أهل الخضراء، فخرجت فاخنة بنت قرظة بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف من خوخة لها، فقالت : سرك الله يا أمير المؤمنين ما هذا الذى بلغك فسررت به؟

قال: موت الحسن بن على! فقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون! ثم بكت وقالت: مات سيد المسلمين وابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله.

^{٦٧} (١) مقتل الحسين للخوارزمي: ج ٢ ص ٧٧. وتذكرة السبط: ص ٢٧٥ عن الواقدي وابن هشام وابن اسحق وقال فى آخره فلما قرأ يزيد كتابه أخذته العزة بالاثم

وهم يقتل ابن عباس، فشغله عنه أمر ابن الزبير، ثم أخذه الله بعد ذلك بيسير أخذاً عزيزاً والبحار: ج ٤٥ ص ٣٢٣-٣٢٤

^{٦٨} (١) تاريخ يعقوبى: ج ٢ ص ٢٢٢

فقال معاوية: نعم والله ما فعلت، إنه كان كذلك أهلاً أن تبكى عليه.

ثم بلغ الخبر ابن عباس رضى الله عنهما فراح فدخل على معاوية قال:

علمت يا ابن عباس أن الحسن توفي؟ قال: أَلذَلك كبرت؟ قال: نعم. قال:

[أما] والله ما موته بالذى يؤخر أجلك، ولا حفرته بسادء حفرتك، ولئن أصبنا به فقد أصبنا قبله بسيد المرسلين وإمام المتقين ورسول رب العالمين، ثم بعده سيد الاوصياء، فجبر الله تلك المصيبة ورفع تلك العثرة.

فقال: ويحك يا ابن عباس! ما كلمتك [قط] إلا وجدت معداً^{٦٩}.

ص: ٨٣

(٣٥) ابن عباس مع معاوية

فى الامالى للسيد: ولما أتى معاوية نعى الحسن بن على عليهم السلام بعث إلى ابن عباس رضى الله عنه وهو لا يعلم الخبر، فقال له: هل عندك خبر من المدينة؟ قال: لا، قال أتاننا نعى الحسن وأظهر سرورا! فقال ابن عباس: إذا لا ينسأ فى أجلك ولا تسد حفرتك. قال: أحسبه قد ترك صبيته صغارا، قال: كلنا كان صغيرا وكبر. قال: وأحسبه قد كان بلغ سنا، قال: مثل مولده لا يجهل. قال معاوية: وقال قائل: إنك أصبحت سيد قومك، قال: وأما أبو عبد الله الحسين بن على حى فلا^{٧٠}.

(٣٦) عبد الله مع معاوية

إن معاوية مر بحلقء من قريش، فلما رأوه قاموا غير عبد الله بن عباس، فقال له : يا ابن عباس، ما منعك من القيام كما قام أصحابك إلا لموجدة أنى قاتلتكم بصفين ! فلا تجد من ذلك يا ابن عباس فان عثمان قتل مظلوما ! قال ابن عباس: فعمر بن الخطاب قد قتل مظلوما؟ قال : عمر قتله كافر . قال ابن عباس : فمن قتل عثمان؟ قال قتله المسلمون . قال: فذاك أدحض لحجتك.

قال: فانا قد كتبنا فى الآفاق نتهى عن ذكر مناقب على وأهل بيته عليهم السلام فكف لسانك . فقال: يا معاوية! أتنهانا عن قراءة القرآن؟ قال:

لا، قال: أفتنهانا عن تأويله؟ قال: نعم. قال: فنقرأه ولا نسأل عما عنى الله

^{٦٩} (٢) مروج الذهب: ج ٣ ص ٨، فى نسخة دار الهجرة ج ٢، ص ٤٣٠

^{٧٠} (١) يوجد فى البحار: ج ٤٤ ص ١٥٩ عن ربيع الابرار للزمخشري والعقد الفريد. وملحقات إحقاق الحق ج ١١ ص ١٨١ عن مجمع الزوائد للهيثمى ج ٩ ص ١٧٨. وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٩٣. وتاريخ الاسلام والرجال قريبا مما مر. وسيأتى بلفظ آخر فى ج ٢ ص ٦١ عن الموفقيات

به! ثم قال: فأيهما أوجب علينا قراءته أو العمل به؟ قال: العمل به. قال:

كيف نعمل به ولا نعلم ما عنى الله؟ قال : سل عن ذلك من يتأوله على غير ما تتأوله أنت وأهل بيتك . قال: إنما أنزل القرآن على أهل بيتي أنسأل عنه آل أبي سفيان؟. يا معاوية أتهانا أن نعبد الله بالقرآن بما فيه من حلال وحرام؟ فان لم تسأل الامة عن ذلك حتى تعلم تهلك وتختلف! قال أقرؤا القرآن وتأولوه، ولا تروا شيئا مما أنزل الله فيكم وارووا ما سوى ذلك . قال: فان الله يقول في القرآن: " يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون".

قال: يا ابن عباس! اربع على نفسك وكف لسانك، وإن كنت لا بد فاعلا فليكن ذلك سرا لا يسمعه أحد علانية .

ثم رجع إلى بيته فبعث إليه بمائة ألف درهم^{٧١}.

(٣٧) عبد الله بن عباس مع معاوية

حضر عبد الله بن عباس مجلس معاوية ابن أبي سفيان، فأقبل عليه معاوية، فقال: يا ابن عباس، إنكم تريدون أن تحرزوا الامامة كما اختصاصتم بالنبوة، والله لا يجتمعان أبدا، إن حجتكم في الخلافة مشتبهة على الناس، إنكم تقولون : نحن أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله فما بال خلافة النبوة في غيرنا؟

وهذه شبهة، لأنها تشبه الحق وبها مسح من العدل، وليس الامر كما تظنون، إن الخلافة تتقلب في أحياء قريش برضى العامة وشورى الخاصة، ولسن نجد الناس يقولون: ليت بنى هاشم ولونا ولو ولونا كان خيرا لنا في دنيانا وأخرانا،

ولو كنتم زهدتم فيها أمس كما تقولون ما قاتلتم عليها اليوم، والله لو ملكتموها يا بنى هاشم لما كانت ريح عاد ولا صاعقة ثمود بأهلك للناس منكم! فقال ابن عباس رحمه الله: أما قولك يا معاوية: إنا نحتج بالنبوة في استحقاق الخلافة فهو الله كذلك، فان لم يستحق الخلافة بالنبوة فبم يستحق؟.

وأما قولك: إن الخلافة والنبوة لا يجتمعان لاحد، فأين قول الله عزوجل:

" أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة و آتيناهم ملكا عظيما " فالكتاب هو النبوة، والحكمة هي السنة، والملك هو الخلافة، فنحن آل إبراهيم والحكم بذلك جار فينا إلى يوم القيامة .

^{٧١} (١) الاحتجاج: ج ٢ ص ١٥ ط نجف. والبحار: ج ٤٤ ص ١٢٤ ونقل صدره في البحار ج ٨ ص ٥٣٤ ط الكمباني عن الكشف عن الموفقيات

وأما دعواك على حجتنا أنها مشتبّهة: فليس كذلك، وحجتنا أضوأ من الشمس وأنور من القمر، كتاب الله معنا، وسنة نبيه صلى الله عليه وآله فينا، وإنك لتعلم ذلك، ولكن ثنى عطفك وصعرك قتلنا أخاك وجدك وخالك وعمك، فلا تبك على أعظم حائلة وأرواح في النار هالكّة، ولا تغضبوا لدماء أراقها الشرك وأحلها الكفر ووضعها الدين.

وأما ترك تقديم الناس لنا فيما خلا وعدولهم عن الاجتماع علينا : فما حرموا منا أعظم مما حرمنا منهم. وكل أمر إذا حصل حاصله ثبت حقه وزال باطله.

وأما افتخارك بالملك الزائل الذى توصلت إليه بالمحال الباطل : فقد ملك فرعون من قبلك فأهلكه الله . وما تملكون يوما يا بنى أمية إلا ونملك بعدكم يومين، ولا شهرا إلا ملكنا شهرين، ولا حولا إلا ملكنا حولين.

وأما قولك إنا لو ملكنا كان أهلك للناس من ريح عاد وصاعقة ثمود:

فقول الله يكذبك فى ذلك، قال الله عزوجل " وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين " فنحن أهل بيته الادنون . وظاهر العذاب بتملكك رقاب المسلمين ظاهر للعيان، وسيكون من بعدك تملك ولدك وأبيك أهلك للخلق من الريح

ص: ٨٦

العقيم. ثم ينتقم الله بأوليائه ويكون العاقبة للمتقين^{٧٢}.

(٣٨) أياس مع عبد الرحمن

عن عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر، قال : كان أياس بن معاوية لى صديقا، فدخلنا على عبد الرحمن بن القاسم ابن أبى بكر الصديق رضى الله عنهما وعنده جماعة من قريش يتذاكرون السلف، ففضل قوم أبا بكر وقوم عمر وآخرون عليا رضى الله عنهم أجمعين فقال: أياس إن عليا رحمه الله كان يرى أنه أحق بالامر، فلما بايع الناس أبا بكر ورأى أنهم قد اجتمعوا عليه وأن ذلك قد أصلح العامة، اشترى صلاح العامة بنقض رأى الخاصة، يعنى بنى هاشم.

ثم ولى عمر - رحمه الله - ففعل مثل ذلك به وبعثمان رضى الله عنه فلما قتل عثمان رحمه الله فاختلف الناس وفسدت الخاصة والعامة وجد أعوانا فقام بالحق ودعا إليه^{٧٣}.

(٣٩) سعيد مع عمر بن على

عن أبى داود الهمداني، قال : شهدت سعيد بن المسيب، وأقبل عمر بن على بن أبى طالب عليه ما السلام فقال له سعيد : يا ابن أخي، ما أراك تكثر غشيان مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله كما يفعل إخوتك وبنو عمك؟

^{٧٢} (١) البحار: ج ٤٤ ص ١١٨-١١٧ عن مجالس المفيد ره وكشف الغمة: ١٢٦ ج ٨ ص ٥٣٣-٥٣٤ مع اختلاف أوجب إيراده فيما بعد

^{٧٣} (٢) المحاسن للبيهقي: ج ١ ص ٧٥

فقال عمر: يا ابن المسيب، كلما دخلت فأجئ فاشهدك؟ فقال سعيد:

ما أحب أن تغضب، سمعت والدك عليا يقول: والله، إن لى من الله مقاما لهو

ص: ٨٧

خير لبنى عبد المطلب مما على الارض من شئ، فقال عمر: سمعت والدى يقول: ما من كلمة حكمه فى قلب منافق فيخرج من الدنيا حتى يتكلم بها [فقال سعيد: يا ابن اخى جعلتنى منافقا!] قال: ذاك ما أقول لك، ثم انصرف^{٧٤}.

(٤٠) مالك بن العجلان مع معاوية

قال معاوية يوما وعنده أشرف الناس من قريش وغيرهم: أخبرونى بخير الناس أبا واما، وعمما وعمه، وخالا وخالة، وجددا وجدة؟.

فقام مالك بن العجلان، فأومأ إلى الحسن، فقال: ها هو ذا، أبوه على بن أبى طالب رضوان الله عليه وامه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمه جعفر الطيار فى الجنان، وعمته ام ها نى بنت أبى طالب، وخاله القاسم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخالته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب، وجده رسول الله صلى الله عليه وآله وجدته خديجة بنت خويلد رضى الله عنها فسكت القوم، ونهض الحسن.

فأقبل عمرو بن العاص على مالك، فقال أحب بنى هاشم حملك على أن تكلمت بالباطل؟ فقال ابن العجلان: ما قلت إلا حقا، وما أحد من الناس يطلب مرضاء مخلوق بمعصية لخالق إلا لم يعط امنيته فى دنياه وختم له بالشقاء فى آخرته . بنو هاشم أنضرهم عودا و أوراهم زندا، كذلك يا معاوية؟ قال:

اللهم نعم^{٧٥}.

ص: ٨٨

(٤١) حرة بنت حليمة مع الحجاج

روى عن جماعة ثقات أنه لما وردت حرة بنت حليمة السعدية رضى الله عنها على الحجاج بن يوسف الثقفى ومثلت بين يديه، فقال لها: أنت حرة بنت حليمة السعدية؟ فقالت له: فراسة من غير مؤمن! فقال لها: الله جاء بك، فقد قيل عليك: إنك تفضلين عليا على أبى بكر وعمر وعثمان.

^{٧٤} (١) الغارات: ج ٢ ص ٥٧٩

^{٧٥} (٢) محاسن البيهقى: ج ١ ص ١٣١

قالت: لقد كذب الذى قال : إني افضله على هؤلاء خاصة . قال: وعلى من غير هؤلاء؟ قالت : افضله على آدم ونوح ولوط وإبراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى بن مريم ! فقال لها: أقول لك إنك تفضليه على الصحابة فتزيدين عليهم سبعة من الانبياء من أولى العزم! فان لم تأتيني ببيان ما قلت وإلا ضربت عنقك.

فقالت: ما أنا فضلته على هؤلاء الانبياء، بل الله عزوجل فضله فى القرآن عليهم فى قوله تعالى فى حق آدم : " فعصى آدم ربه فغوى " وقال فى حق على:

" وكان سعيه مشكورا".

فقال: أحسنت يا حرة، فبم تفضليه على نوح ولوط؟ قالت : الله تعالى فضله عليهما بقوله: " ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما " وعلى بن أبى طالب كان ملائكة (ملاكه ظ) تحت سدره المنتهى زوجته بنت محمد صلى الله عليه وآله فاطمة الزهراء التى يرضى الله لرضاها ويسخط لسخطها.

فقال الحجاج : أحسنت يا حرة، فبم تفضليته على أب الانبياء إبراهيم خليل الله؟ فقالت : الله ورسوله فضله بقوله : " وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي " وأمير المؤمنين قال قولاً لم

ص: ٨٩

يختلف فيه أحد من المسلمين: " لو كشف لى الغطاء ما ازددت يقينا " وهذه كلمة لم يقلها قبله ولا بعده أحد.

قال: أحسنت يا حرة، فبم تفضليته على موسى نجى الله؟ قالت : يقول الله عزوجل: " فخرج منها خائفا يترقب " وعلى بن أبى طالب بات على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله لم يخف حتى أنزل الله فى حقه " ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله".

قال أحسنت يا حرة، قال: فبم تفضليته على داود؟ قالت:

الله فضله عليه بقوله: " يا داود إنا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى " قال لها: فى أى شئ كانت حكومتها؟ قالت : فى رجلين: أحدهما كان له كرم وللآخر غنم، فنفسشت الغنم فى الكرم فرعته، فاحتكما إلى داود، فقال : تباع الغنم وينفق ثمنها على الكرم حتى يعود إلى ماكان عليه، فقال له ولده : لا يا أبة، بل نأخذ من لبنها وصوفها، فقال الله عزوجل: " ففهمناها سليمان " وإن مولانا أمير المؤمنين رضى الله عنه قال:

" أسألونى عما فوق، أسألونى عما تحت، أسألونى قبل أن تفقدونى " وانه - رضى الله عنه - دخل على النبى صلى الله عليه وآله يوم فتح خيبر، فقال النبى صلى الله عليه وآله للحاضرين: " أفضلكم وأعلمكم على".

فقال لها: أحسنت يا حرة، فبم تفضيلينه على سليمان؟ قالت: الله فضله عليه بقوله: "رب هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي" ومولانا على - رضى الله عنه - قال: "يا دنيا قد طلقتك ثلاثا، لا رجعة لي فيك" فعند ذلك أنزل الله عليه "تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا".

قال: أحسنت يا حرة، فبم تفضيلينه على عيسى؟ قالت: الله فضله عليه بقوله: "وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلته

ص: ٩٠

فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسى إنك أنت علام الغيوب " إلى آخر الآية، فأخر الحكومة، ومولانا على بن أبى طالب لما ادعى النصيرية فيه ما ادعوا وهم أهل النهران قاتلهم، ولم يؤخر حكومتهم .
فهذه كانت فضائله، لا تعدل بفضائل غيره.

قال: أحسنت يا حرة، خرجت من جوابك، ولو لا ذلك لكان ذلك، ثم أجازها وأعطاهها وسرحها تسريحا **رحمة الله عليها**^{٧٤}.

(٤٢) غانمة مع معاوية

قيل: ولما بلغ غانمة بنت غانم سب معاوية وعمرو بن العاص بنى هاشم، قالت لاهل مكة: أيها الناس، إن قريشا لم تلد من رقم ولا رقم، سادت وجادت، وملكت فملكك، وفضلت ففضلت، واصطفيت فاصطفيت، ليس فيها كدر عيب ولا أفن ريب، ولا حشروا طاعنين، ولا حادوا نادمين، ولا المغضوب عليهم ولا الضالين.

إن بنى هاشم أطول الناس باعا، وأمجد الناس أصلا، وأحلم الناس حلما، وأكثر الناس عطاء، منا عبد مناف الذى يقول فيه الشاعر:

فالمخ خالصها لعبد مناف

كانت قريش بيضة فتفلقت

وولده هاشم الذى هشم الثريد لقومه، وفيه يقول الشاعر:

ورجال مكة مستنون عجاف

هشم الثريد لقومه وأجارهم

^{٧٤} (١) ملحقات إحقاق الحق: ج ٥ ص ٤٧ عن در بحر المناقب. والبحار: ج ٤٦ ص ١٣٤ عن فضائل بن شاذان والروضة وقاموس الرجال: ج ١٠ ص ٤١٥

ثم منا عبد المطلب الذى سقينا به الغيث، وفيه يقول الشاعر:

ونحن سنى المحل قام شفيعنا
بمكة يدعو والمياه تغور

ص: ٩١

وابنه أبو طالب عظيم قريش، وفيه يقول الشاعر:

آتيته ملكا فقام بحاجتى
وترى العليج خائبا مذموما

ومنا العباس بن عبد المطلب، أرففه رسول الله صلى الله عليه وآله فأعطاه ماله، وفيه يقول الشاعر:

رديف رسول الله لم أر مثله
ولا مثله يوم القيامة يوجد

ومنا حمزة سيد الشهداء، وفيه يقول الشاعر:

أبا يعلى لك الاركان هدت وأنت الماجد البر الوصول ومنا جعفر ذو الجناحين أحسن الناس حسنا وأكملهم كمالا ليس بغدار ولاختار، بدله الله عز وجل بكل يد له جناحا يطير به فى الجنة، وفيه يقول الشاعر:

هاتوا كجعفرنا ومثل علينا
كانا أعز الناس عند الخالق

ومنا أبو الحسن على بن أبى طالب رضى الله عنه أفرس بنى هاشم، وأكرم من احتفى وتنعل بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ومن فضائله ما قصر عنكم أنباؤها، وفيه يقول الشاعر:

وهذا على سيد الناس فاتقوا

عليا بإسلام تقدم من قبل

ومنا الحسن بن علي رضي الله عنه سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسيد شباب أهل الجنة، وفيه يقول الشاعر:

ومن يك جده حقا نبيا

فان له الفضيلة في الانام

ومنا الحسين بن علي رضوان الله عليه حملة جبرئيل عليه السلام على عاتقه، وكفى بذلك فخرا، وفيه يقول الشاعر:

نفى عنه عيب الآدميين ربه

ومن مجده مجد الحسين المطهر

ثم قالت: يا معشر قريش، والله ما معاوية بأمرير المؤمنين ولا هو كما يزعم، هو والله شائن رسول الله صلى الله عليه وآله إنني آتيه معاوية، وقائلة له

ص: ٩٢

ما يعرق جبينه ويكثر منه عويله.

فكتب عامل معاوية إليه بذلك، فلما بلغه أن غانمة قد قربت منه أمر بدار ضيافته فنظفت وألقى فيها فرش، فلما قربت من المدينة استقبلها يزيد في حشمه ومماليكه، فلما دخلت المدينة أتت دار أخيها عمرو بن غانم، فقال لها يزيد : إن عبد الرحمن يأمرك أن تصيري إلى دار ضيافته - وكانت لا تعرفه - فقالت: من أنت كلاك الله؟ قال: يزيد بن معاوية، قالت: فلا رعاك الله يا ناقص لست بزائد! فتغير لون يزيد وأتى أباه فأخبره، فقال: هي أسن قريش وأعظمهم، فقال يزيد كم تعد لها يا أمير المؤمنين؟ قال: كانت تعد على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله أربعمائة عام، وهي من بقية الكرام.

فلما كان من الغد أتاها معاوية، فسلم عليها، فقالت: على المؤمنين السلام وعلى الكافرين الهوان.

ثم قالت: من منكم ابن العاص؟ قال عمرو: ها أنذا، فقالت: وأنت تسب قريشا وبنى هاشم؟ وأنت أهل السب وفيك السب وإليك يعود السب يا عمرو! إنني والله لعارفة بعيوبك وعيوب أمك وإنني أذكر لك ذلك عينا عيا:

ولدت من أمة سوداء، مجنونة حمقاء، تبول من قيام، ويعلوها اللثام، إذا لامسها الفحل كانت نطفتها أنفذ من نطفته، ركبها في يوم واحد أربعون رجلاً!!! وأما أنت: فقد رأيتك غاويا غير راشد، ومفسدا غير صالح، ولقد رأيت فحل زوجتك على فراشك، فما غرت ولا أنكرت! وأما أنت يا معاوية، فما كنت في خير، ولا ربيت في خير، فما لك ولبنى هاشم؟ أنساء بنى أمية كنسائهم؟ أم أعطى أمية ما أعطى هاشم في الجاهلية والاسلام؟ وكفى فخرا برسول الله صلى الله عليه وآله.

فقال معاوية: أيها الكبيرة، أنا كاف عن بنى هاشم، قالت فاني: أكتب.

ص: ٩٣

إليك عهدا، كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعا ربه أن يستجيب لي خمس دعوات، أفأجعل تلك الدعوات كلها فيك؟ فخاف معاوية وحلف لها أن لا يسب بنى هاشم أبدا^{٧٧}.

(٤٣) أم سلمة مع عائشة

روى عن عائشة رضي الله عنها أنها دخلت على أم سلمة بعد رجوعها من وقعة الجمل، وقد كانت أم سلمة حلفت أن لا تكلمها أبدا من أجل مسيرها إلى محاربة على بن أبي طالب. فقالت عائشة: السلام عليك يا أم المؤمنين، فقالت: يا حائط، ألم أنهك ألم أفر لك؟ قالت عائشة: فإني أستغفر الله وأتوب إليه، كلميني يا أم المؤمنين! قالت: يا حائط! ألم أقل لك ألم أنهك؟ فلم تكلمها حتى ماتت. وقامت عائشة وهي تبكي وتقول: وأسفاه! على ما فيط مني^{٧٨}.

(٤٤) أبو على

عن أبي على المحمودي، عن أبيه، قال: قلت لأبي الهذيل العلاف: إني أتيتك سائلا. قال أبو الهذيل: سل وأسأل الله العصمة والتوفيق.

فقال أبي: أليس من دينك أن العصمة والتوفيق لا يكونان من الله لك إلا بعمل تستحقه به؟ قال: أبو الهذيل: نعم. قال: فما معنى دعاؤك اعلم وخذ؟

قال له أبو الهذيل: هات سؤالك.

فقال له: شيخي، خبرني عن قول الله عز وجل: "اليوم أكملت لكم دينكم"، قال أبو الهذيل: قد أكمل لنا الدين. فقال شيخي، فخبرني أن

ص: ٩٤

^{٧٧} (١) المحاسن للبيهقي: ج ١ ص ١٤٩-١٤٥

^{٧٨} (٢) المحاسن للبيهقي ١ ص ٤٨١

أَسْأَلُكَ عَنْ مَسْأَلَةٍ لَا تَجِدُهَا فِي كِتَابِ اللَّهِ وَلَا فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَا فِي قَوْلِ الصَّحَابَةِ وَلَا فِي حِيلَةٍ فَقَهَائِهِمْ مَا أَنْتَ صَانِعٌ؟ فَقَالَ: هَاتِ، فَقَالَ:

شَيْخِي، خَبَرَنِي عَنْ عَشْرَةِ كُلِّهِمْ عَنِينَ وَقَعُوا فِي طَهْرٍ وَاحِدٍ بِامْرَأَةٍ وَهُمْ مُخْتَلِفٌ الْأَمْرَ، فَمِنْهُمْ مَنْ وَصَلَ إِلَى نِصْفِ حَاجَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَارَبَ حَسَبَ الْإِمْكَانِ مِنْهُ، هَلْ فِي خَلْقِ اللَّهِ الْيَوْمَ مَنْ يَعْرِفُ حَدَّ اللَّهِ فِي كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَقْدَارَ مَا ارْتَكَبَ مِنَ الْخَطِيئَةِ فَيُقِيمُ عَلَيْهِ الْحَدَّ فِي الدُّنْيَا وَيُطَهِّرُهُ مِنْهُ فِي الْآخِرَةِ؟ وَلَنَعْلَمَ مَا تَقُولُ فِي أَنْ الدِّينَ قَدْ أَكْمَلَ لَكَ، فَقَالَ: هِيَاتِ! ^{٧٩}.

(٤٥) إِسْمَاعِيلُ بْنُ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ

كَانَ الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ يَحْيَى بْنِ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ التَّمِيمِيِّ - يَلْقَبُ أَبَا بَعْرَةَ وَلِيَّ شَرْطَةِ الْكُوفَةِ لِعَيْسَى بْنِ مُوسَى بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ - كَلَّمَ إِسْمَاعِيلَ بْنَ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِكَلَامٍ خَرَجَا فِيهِ إِلَى الْمَنَافَرَةِ، فَقَالَ الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ:

لَمْ يَزَلْ فَضْلُنَا وَإِحْسَانُنَا سَابِغًا عَلَيْكُمْ - يَا بَنِي هَاشِمٍ - وَعَلَى بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ كَافَةً. فَقَالَ إِسْمَاعِيلُ: أَيُّ فَضْلٍ وَإِحْسَانٍ أَسَدٌ يَتِمُّوهُ إِلَى بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ؟ أَغْضَبَ أَبُوكَ جَدِّي بِقَوْلِهِ: "لِيَمُوتَنَّ مُحَمَّدٌ وَلِنَجُولَنَّ بَيْنَ خِلَافِئِلِ نِسَائِهِ كَمَا جَالَ بَيْنَ خِلَافِئِلِ نِسَائِنَا" فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى مِرَاغِمًا لَا يَبِيكُ "وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنَكَحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا" ! وَمَنْعَ ابْنِ عَمِّكَ أُمِّي حَقَّهَا مِنْ فَدْكَ وَغَيْرِهَا مِنْ مِيرَاثِ أَبِيهَا! وَأَجْلِبْ أَبُوكَ عَلَى عُثْمَانَ وَحَصْرِهِ حَتَّى قَتَلَ! وَنَكْثِ بَيْعَةَ عَلِيٍّ وَشَامِ السَّيْفَ فِي وَجْهِهِ وَأَفْسِدْ قُلُوبَ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِ! فَإِنْ كَانَ لِبَنِي عَبْدِ مَنَافٍ قَوْمٌ غَيْرُ هَؤُلَاءِ أَسَدِيَّتُمْ إِلَيْهِمْ إِحْسَانًا فَعَرَفْنِي مِنْهُمْ

ص: ٩٥

جَعَلْتَ فِدَاكَ! ^{٨٠}.

(٤٦) كَلَامُ لَقَيْسِ بْنِ سَعْدٍ مَعَ مَعَاوِيَةَ

قَالَ الْيَعْقُوبِيُّ فِي ذِكْرِ صَلَاحِ الْإِمَامِ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ لَعَنَهُ اللَّهُ: وَأَتَاهُ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ بِنِ عِبَادَةٍ، فَقَالَ: بَايِعْ قَيْسًا! قَالَ: إِنْ كُنْتُ لَا كَرِهَ مِثْلَ هَذَا الْيَوْمِ يَا مَعَاوِيَةُ! فَقَالَ لَهُ: مَهْ رَحِمَكَ اللَّهُ! فَقَالَ: لَقَدْ حَرَصْتُ أَنْ أَفْرُقَ بَيْنَ رُوحِكَ وَجَسَدِكَ قَبْلَ ذَلِكَ، فَأَبَى اللَّهُ يَا ابْنَ أَبِي سَفْيَانَ إِلَّا مَا أَحَبَّ. قَالَ: فَلَا يَرُدُّ أَمْرَ اللَّهِ.

قَالَ: فَأَقْبَلَ قَيْسٌ عَلَى النَّاسِ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ:

^{٧٩} (١) البحار: ج ٤٩ ص ٢٨٢

^{٨٠} (١) ابن أبي الحديد: ج ٩ ص ٣٢٣-٣٢٤

يا معاشر الناس، لقد اعتضتكم الشر من الخير واستبدلتكم الذل من العز والكفر من الايمان، فأصبحتم بعد ولاية أمير المؤمنين وسيد المسلمين وابن عم رسول رب العالمين، وقد وليكم الطليق يسومكم الخسف ويسير فيكم بالعسف، فكيف تجهل ذلك أنفسكم؟ أم طبع الله على قلوبكم وأنتم لا تعقلون؟.

فجثا معاوية على ركبتيه ثم أخذ بيده وقال : أقسمت عليك، ثم صفق على كفه، ونادى الناس : بايع قيس! فقال: كذبتم والله! ما بايعت^{٨١}.

(٤٧) قيس بن سعد مع معاوية

قال معاوية لقيس بن سعد: رحم الله أبا حسن، فلقد كان هشاشا بشا ذا فكاهاة.

قال قيس: نعم كان رسول الله صلى الله عليه وآله يمزح ويتبسم إلى

ص: ٩٤

أصحابه، وأراكَ تسر حسوا في ارتغاء وتعيبه بذلك . أما والله، لقد كان مع تلك الفكاهاة والطلاقة أهيب من ذى لبدتين قد مسه الطوى، تلك هيبة التقوى وليس كما يها بك طعام أهل الشام^{٨٢}.

(٤٨) قيس مع معاوية

قال المسعودي في مروج الذهب في أحوال معاوية:

دخل قيس بن سعد بعد وفاة على ووقوع الصلح في جماعة من الانصار على معاوية، فقال لهم معاوية : يا معشر الانصار، بم تطلبون ما قبلى؟ فوالله لقد كنتم قليلا معى كثيرا على، ولفللتهم حدى يوم صفين حتى رأيت المنايا تلظى فى أسننكم، وهجوتمنى فى [أسلافى] بأشد من وقع الاسنة، حتى إذا أقام الله ما حاولتم ميله قلتم : إرع [فينا] وصية رسول الله صلى الله عليه وآله هيهاة! يابى الحقين العذرة يابى الحقيق القدرة ذر فقال قيس : نطلب ما قبلك بالاسلام الكافى به الله، لا بما تمت به إليك الاحزاب. وأما عداوتنا لك فلو شئت كففتها عنك . وأما هجاؤنا إياك، فقول يزول باطله ويشب حقه . وأما استقامة الامر فعلى كره كان منا.

وأما فلنا حدك يوم صفين، فانا كنا مع رجل نرى طاعته لله طاعة . وأما وصية رسول الله بنا، فمن آمن به رعاها بعده. وأما قولك: يابى الحقين العذرة، فليس دون الله يد تحجزك منا يا معاوية! فقال معاوية يموه: ارفعوا حوائجكم.

^{٨١} (٢) وتجد القصة فى الغدير: ج ٢ ص ١٠٤

^{٨٢} (١) شرح النهج لابن أبى الحديد: ج ١ ص ٢٥ الطبعة الحديثة المصرية

نقله في العقد الفريد^{٨٣} باختلاف قليل، وزاد بعد قوله " يد تحجزك عنا يا معاوية " فدونك امرك يا معاوية! فانما مثلك كما قال الشاعر:

ص: ٩٧

يالک من قبره بمعمر
خلا لك الجو فيبضي واصفري.^{٨٤}

(٢٩٩) قيس مع النعمان

قال نصر: ثم إن معاوية سأل النعمان أن يخرج إلى قيس فيعاتبه ويسأله السلم، فخرج النعمان حتى وقف بين الصفيين، فقال : يا قيس، أنا النعمان بن بشير. فقال قيس: هيه يا ابن بشير! فما حاجتك؟ فقال النعمان: يا قيس، إنه قد أنصفكم من دعاكم إلى ما رضى لنفسه، أستم معشر الانصار تعلمون أنكم أخطأتم في خذل عثمان يوم الدار؟ وقتلتم أنصاره يوم الجمل؟ وأقحمتكم خيولكم على أهل الشام بصفيين؟ فلو كنتم إذ خذلتهم عثمان خذلتهم عليا لكانت واحدة بواحدة، ولكنكم خذلتهم حقا ونصرتهم باطلا، ثم لم ترضوا أن تكونوا كالناس حتى أعلمتم في الحرب ودعوتهم إلى البراز، ثم لم ينزل بعلي أمر قط إلا هونتم عليه المصيبة ووعدتموه الظفر، وقد أخذت الحرب منا ومنكم ما قد رأيتم، فاتقوا الله في البقية!.

فضحك قيس، ثم قال : ماكنت أراك يا نعمان تجترئ على هذه المقالة ! إنه لا ينصح أخاه من غش نفسه، وأنت والله الغاش الضال المضل.

أما ذكر كرك عثمان : فان كانت الاخبار تكفيك فخذها مني، قتل عثمان من لست خيرا منه وخذله من هو خير منك . وأما أصحاب الجمل: فقاتلناهم على النكت. وأما معاوية: فوالله لئن اجتمعت عليه العرب [قاطبة] لقاتلته الانصار.

وأما قولك: إنا لسنا كالناس، فنحن في هذه الحرب كما كنا مع رسول الله نتقى السيوف بوجوهنا والرماح بنحورنا حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم

ص: ٩٨

كارهون.

^{٨٣} (٢) العقد الفريد: ج ٤ ص ٣٤

^{٨٤} (١) راجع الغدير: ج ٢ ص ١٠٥ عن الامتاع والمؤانسة ج ٣ ص ١٧٠، والعقد، والمروج

ولكن انظر يا نعمان، هل ترى مع معاوية إلا طليقا أو أعرايا أو يمانيا مستدرجا بغرور! انظر أين المهاجرون والانصار والتابعون لهم بإحسان الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه؟ ثم انظر هل ترى مع معاوية أنصارا غيرك وغير صويحبك؟ ولستما والله، بيدريين [ولا عقبيين] ولا أحديين، ولا لكما سابقة في الاسلام ولا آية في القرآن، ولعمري، لئن شغبت علينا لقد شغب علينا أبوك! وقال قيس في ذلك:

والراقصات بكل أشعث أغبر	خوص العيون تحثها الركبان
ما ابن المخلد ناسيا أسيافا	فيمن نحاربه ولا النعمان
[تركا العيان وفي العيان كفاية	لو كان يدفع صاحبيك عيان
وجدا معاوية بن صخر شبهه	فيها التلبس والبيان يهان
ذكرنا ابن عفان فقلت إلا اربعا	ما انتما سبغها ولا عثمان
ما تعدل الانصار عنه ساعة	والحق في الانصار والبرهان
وجدت قريش في الحوادث منطقا	هذا الشقى وصهره مروان
لم تبسطوا كفا لنصرة هالك	لا لا ولا عصبت عليه بنان]

كذا في الفتوح^{٨٥}.

(٥٠) قيس مع النعمان

إن معاوية دعا النعمان ومسلمة، فقال: يا هذان، لقد غمى ما لقيت من الاوس والخزرج، صاروا واضعى سيوفهم على عواتقهم يدعون إلى النزال حتى

ص: ٩٩

^{٨٥} (١) وقعة صفين: ص ٤٤٩ - ٤٤٨، والامامة والسياسة ج ١ ص ١٠٢. والغدير: ج ٢ ص ٨٢، وابن أبي الحديد في النهج: ج ٨ ص ٨٨ - ٨٧، والبحار: ج ٨ ص

٤٦٣ ط الكمباني. وفتوح ابن اعثم: ج ٣ ص ٢٨١

والله جبنوا أصحابي الشجاع والجبان، وحتى والله ! ما أسأل عن فارس من أهل الشام إلا قالوا : قتلته الانصار. أما والله، لالقيتهم
بحدى وحديدي، ولا عيبين لكل فارس منهم فارسا ينشرب في حلقه، ثم لارمينهم بأعدادهم من قريش، رجال لم يغذهم التمر
والطفيشل، يقولون: نحن الانصار، قد والله! آووا ونصروا ولكن أفسدوا حقهم بباطلهم ...

وانتهى الكلام إلى الانصار، فجمع قيس بن سعد الانصارى الانصار، ثم قام خطيبا فيهم، فقـ ال : إن معاوية قد قال ما بلغكم
وأجاب عنكم صاحبكم، فلعمري ! لئن غظتم معاوية اليوم لقد غظتموه بالامس، وإن وترتموه في الاسلام فقد وترتموه في
الشرك، وما لكم إليه من ذنب [أعظم] من نصر هذا الدين الذى أنتم عليه، فجدوا اليوم جدا تنسونه [به] ماكان أمس، وجدوا غدا
[جدا] تنسونه [به] ما كان اليوم، وأنتم مع هذا اللواء الذى كان يقاتل عن يمينه جبرائيل وعن يساره ميكائيل، والقوم مع لواء أبى
جهل والاحزاب. وأما التمر:

فإننا لم نغرسه ولكن غلبنا عليه من غرسه.

وأما الطفيشل فلو كان طعامنا لسمينا به، كما سميت قريش السخينة ثم قال قيس بن سعد فى ذلك:

يا ابن هند دع التوثب فى الحر

ب إذا نحن فى البلاد نأينا

نحن من قد رأيت فادن إذا شئد

ت بمن شئت فى العجاج إلينا

إن برزنا بالجمع نلقك فى الجمد

-ع وإن شئت محضة أسرينا

فالقنا فى اللفيف نلقك فى الخز

رج ندعو فى حربنا أبونا

أى هذين ما أردت فخذ

ليس منا ولا منك الهوينا

ثم لا تنزع العجاجة حتى

تتجلى حربنا لنا أو علينا

ليت ما تطلب الغداة أتانا

أنعم الله بالشهادة عينا

إننا الذين إذا الفتح د

-ح شهدنا وخيرنا وحنينا

بعد بدر وتلك قاصمة الظهر

وأحد وبالنضير ثينا

يوم الاحزاب قد علم النا

س شفينا من قبلكم واشتفينا.^{٨٦}

(٥١) قيس مع معاوية

لما قدم معاوية ابن أبي سفيان حاجا في خلافته، فاستقبله أهل المدينة، فنظر فإذا الذين استقبلوه ما فيهم أحد من قريش، فلما نزل قال:

ما فعلت الانصار؟ وما بالها لم تستقبلني؟

فقال له: إنهم محتاجون لا دواب لهم فقال معاوية: فأين نواضحهم؟

فقال قيس بن سعد بن عباد - وكان سيد الانصار وابن سيدها-: أفنوها يوم بدر وأحد وما بعدهما من مشاهد رسول الله صلى الله عليه وآله حين ضربوك وأباك على الاسلام حتى ظهر أمر الله وأنتم كارهون . فسكت معاوية. فقال قيس: أم إن رسول الله صلى الله عليه وآله عهد إلينا أنا سنلقى بعده أثره.

قال معاوية: فما أمركم به؟

فقال: أمرنا أن نصبر حتى نلقاه.

قال: فاصبروا حتى تلقوه^{٨٧}.

وزاد ما يأتي:

ثم قال: يا معاوية، تعيرنا بنواضحنا، والله لقد لقيناكم عليها يوم بدر وأنتم

ص: ١٠١

جاهدون على إطفاء نور الله وأن تكون كلمة الشيطان هي العليا. ثم دخلت أنت وأبوك كرها في الاسلام الذي ضربناكم عليه.

^{٨٦} (١) وقعة صفين: ص ٤٤٧-٤٤٥. وابن أبي الحديد: ج ٨ ص ٨٦ الطبعة الجديدة: ج ٢ ص ٢٩٢ الطبعة القديمة المصرية. والغدير: ج ٢ ص ٨٠. وفتوح ابن اعثم:

ج ٣ ص ١٨١

^{٨٧} (٢) البحار: ج ٤٤ ص ١٢٤، والاحتجاج: ج ٢ ص ١٥ ط نجف. والغدير: ج ٢ ص ١٠٦ عن سليم بن قيس الكوفي التابعي

فقال معاوية: كأنك تمن علينا بنصرتكم إيانا، فله ولقریش بذلك المن والطول ! أستم تمنون علينا - يا معشر الانصار - بنصرتكم رسول الله؟ وهو من قریش، وهو ابن عمنا ومننا، فلنا المن والطول أن جعلكم الله أنصارنا وأتباعنا، فهداكم بنا.

فقال قيس: إن الله بعث محمدا صلى الله عليه وآله رحمة للعالمين، فبعثه إلى الناس كافة وإلى الجن والانس والاحمر والاسود والابيض، اختاره لنبوته، واختصه برسالته، فكان أول من صدقه وآمن به ابن عمه على بن أبى طالب عليه السلام وأبو طالب يذب عنه ويمنعه ويحول بين كفار قریش وبين أن يردعوه أو يؤذوه، وأمره أن يبلغ رسالة ربه، فلم يزل ممنوعا من الضيم والاذى حتى مات عمه أبو طالب . وأمر ابنه بموازرتة، فوازره ونصره، وجعل نفسه دونه فى كل شديدة وكل ضيق وكل خوف، واختص الله بذلك عليا عليه السلام من بين قریش، وأكرمه من بين جميع العرب والعجم.

فجمع رسول الله صلى الله عليه وآله فيهم أبو طالب وأبو لهب وهم يومئذ أربعون رجلا، فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وخادمه على عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وآله فى حجر عمه أبى طالب، فقال : أيكم ينتدب أن يكون أخى ووزيرى ووصى وخليفتى فى امتى وولى كل مؤمن بعدى؟

فسكت القوم حتى أعادها ثلاثا، فقال على عليه السلام : أنا يارسول الله! صلى الله عليك، فوضع رأسه فى حجره وتقل فى فيه وقال: " اللهم املأ جوفه علما وفهما وحكما " ثم قال لابی طالب : يا أبا طالب، اسمع الآن لابنك وأطع، فقد جعله الله من نبيه بمنزلة هارون من موسى. وأخى صلى الله عليه وآله بين على وبين نفسه.

ص: ١٠٢

فلم يدع قيس شيئا من مناقبه إلا ذكره واحتج به.

وقال: منهم جعفر بن أبى طالب الطيار فى الجنة بجناحين، اختصه الله بذلك من بين الناس، ومنهم حمزة سيد الشهداء، ومنهم فاطمة سيدة نساء أهل الجنة، فإذا وضعت من قریش رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته وعترته الطيبين فنحن والله خير منكم يا معشر قریش، وأحب إلى الله ورسوله وإلى أهل بيته منكم . لقد قبض رسول الله فاجتمعت الانصار إلى أبى، ثم قالوا : نبايع سعدا، فجاءت قریش فخاصمونا بحجة على وأهل بيته وخاصمونا بحقه وقرابته . فما يعدوا قریش أن يكونوا ظلموا الانصار وظلموا آل محمد . ولعمري ما لاحد من الانصار ولا لقریش ولا لاحد من العرب والعجم فى الخلافة حق مع على بن أبى طالب وولده من بعده! فغضب معاوية وقال : يابن سعد، عمن أخذت هذا وعمن رويته وعمن سمعته؟ أبوك أخبرك بذلك وعنه اخذته؟ فقال قيس : سمعته وأخذته ممن هو خير من أبى وأعظم على حقا من أبى ! قال: من؟ قال: على بن أبى طالب، عالم هذه الامة، وصديقها الذى أنزل الله فيه : " قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب " فلم يدع آية نزلت فى على إلا ذكرها.

قال معاوية: فان صديقها أبو بكر، وفاروقها عمر، والذى عنده علم الكتاب عبد الله بن سلام. قال قيس: أحق هذه الاسماء وأولى بها الذى أنزل الله فيه : " أؤمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه " والذى نصبه رسول الله صلى الله عليه وآله بغدير خم،

فقال: "من كنت مولاه أولى به من نفسه فعلى أولى به من نفسه" وقال فى غزوة تبوك: "أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي"^{٨٨}.

ص: ١٠٣

(٥٢) قيس مع الخوارج

خرج قيس فى النهروان إلى الخوارج، فقال لهم : عباد الله، أخرجوا إلينا طلبتنا منكم وادخلوا فى هذا الامر الذى خرجتم منه وعودوا بنا إلى قتال عدونا وعدوكم، فانكم ركبتم عظيما من الامر ! تشهدون علينا بالشرك والشرك ظلم عظيم، تسفكون دماء المسلمين وتعدونهم مشركين! فقال له عبد الله بن شجرة السلمى: إن الحق قد أضاء لنا فلسنا متابعيكم أو تأتونا بمثل عمر.

فقال قيس: ما نعلمه فينا غير صاحبنا، فهل تعلمونه فيكم؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم الله فى أنفسكم أن تهلكوها، فانى لا أرى الفتنة إلا وقد غلبت عليكم^{٨٩}.

(٥٣) بنو هاشم وبنو امية

عن عبد الملك بن مروان، قال: كنا عند معاوية ذات يوم وقد اجتمع عنده جماعة من قريش، وفيهم عدة من بنى هاشم.

فقال معاوية: يا بنى هاشم، بم تفتخرون علينا؟ أليس الاب والام واحدا والدار والمولد واحدا؟ فقال ابن عباس : نفخر عليكم بما أصبحت تفخر به على سائر قريش، وتفخر به قريش على [سائر] الانصار، وتفخر به الانصار على سائر العرب، وتفخر به العرب على سائر العجم برسول الله صلى

ص: ١٠٤

الله عليه وآله وبما لا تستطيع له إنكارا ولا منه فرارا.

فقال معاوية: يا ابن عباس، لقد اعطيت لسانا ذلقا تكاد تغلب بباطلك حق سواك . فقال ابن عباس : مه! فان الباطل لا يغلب الحق، ودع عنك الحسد، فلبئس الشعار الحسد.

فقال معاوية: صدقت، أما والله إنى لاحبك لخصال أربع، مع مغفرتى لك خصالا أربع . فأما ما أحبك: فلقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله وأما الثانية فإنك رجل من اسرتى وأهل بيتى ومن مصاص عبد مناف، وأما الثالثة فإن أبى كان خلا لابيک، وأما الرابعة فانك لسان قريش وزعيمها وفقهها . وأما الاربع التى غفرت لك : فعدوك على بصفين فيمن عدا، وإساءتك فى

^{٨٨} (١) وأشار إليه اليعقوبى: ج ٢ ص ٢١٢ ونقله فى البحار: ج ٨ ط الكمباني ص ٥١٩-٥١٨ عن سليم

^{٨٩} (١) الغدير: ج ٢ ص ٨٣ عن الطبرى: ج ٦ ص ٤٧ وفى طبقة ليدن ج ٦ ص ٣٣٧٧. والكامل لابن الاثير: ج ٣ ص ١٣٧

خذلان عثمان فيمن أساء، وسعيك على عائشة أم المؤمنين فيمن سعى، ونفيك عني زيادا فيمن نفى . فضربت أنف هذا الامر وعينه حتى استخرجت عذرك من كتاب الله عزوجل وقول الشعراء . أما ما وافق كتاب الله عزوجل، فقلوه: " خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا" وأما ما قالت الشعراء فقول أخى بنى دينار:

ولست بمستبق أخا لا تلمه
على شعث أى الرجال المهذب

فاعلم أنى قد قبلت فيك الاربع الاولى، وغفرت لك الاربع الاخرى، وكنت فى ذلك كما قال الاول:

سأقبل ممن قد احب جميله
وأغفر ما قد كان من غير ذلكا

ثم أنصت. فتكلم ابن عباس، فقال بعد حمد الله والثناء عليه:

وأما ما ذكرت أنك تحبني لقرايتي من رسول الله صلى الله عليه وآله فذلك الواجب عليك وعلى كل مسلم آمن بالله وبرسوله، لانه الاجر الذى سألكم رسول الله صلى الله عليه وآله على ما آتاكم به من الضياء والبرهان المبين، فقال عزوجل : " قل لا اسئلكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى " فمن لم يجب

ص: ١٠٥

رسول الله صلى الله عليه وآله إلى ما سأله خاب وخزى وكبا فى جهنم.

وأما ما ذكرت أنى رجل من اسرتك وأهل بيتك فذلك كذلك، وإنما اردت به صلة الرحم، ولعمري إنك اليوم وصول مما قد كان منك مما لا تترى عليك فيه اليوم! وأما قولك: إن أبى كان خلا لابيک فقد كان ذلك وقد سبق فيه قول الاول:

سأحفظ من آخى أبى فى حياته
وأحفظه من بعده فى الاقارب

ولست لمن لا يحفظ العهد وامقا
ولا هو عند النائبات بصاحب

وأما ما ذكرت أنى لسان قريش وزعيمها وفقهها، فانى لم أعط من ذلك شيئا إلا وقد أوتيته، غير أنك قد أبيت بشرفك وكرمك إلا أن تفضلنى وقد سبق فى ذلك قول الاول:

وكل كريم للكرام مفضل

يراه له أهلا وإن كان فاضلا

وأما ما ذكرت من عدوى عليك بصفين، فوالله لو لم أفعل ذلك لكنت من ألام العالمين ! أكانت نفسك تحدثك يا معاوية أنى أخذل ابن عمى أمير المؤمنين وسيد المسلمين، قد حشد له المهاجرون والانصار والمصطفون الاخيار؟ لم يا معاوية؟ أشك فى دينى؟ أم حيرة فى سجيتى؟ أم ضن بنفسى؟.

وأما ما ذكرت من خذلان عثمان، فقد خذله من كان أمس رحما به منى، ولى فى الاقربين والابعدين اسوة، وإنى لم اعد عليه فيمن عدا، بل كففت عنه كما كف أهل المروات والحجى.

وأما ما ذكرت من سعى على عائشة، فان الله تعالى أمرها أن تفر فى بيتها وتحتجب بسترها، فلما كشفت جلباب الحياء وخالفت نبيها صلى الله عليه وآله وسعنا ما كان منا إليها.

وأما ما ذكرت من نفى زياد فانى لم أنفه، بل نفاه رسول الله صلى الله

ص: ١٠٦

عليه وآله إذ قال: "الولد للفراش وللعاهر الحجر" وإنى من بعد هذا لاحب ما سرى فى جميع امورك.

فتكلم عمرو بن العاص، فقال : يا امير المؤمنين، و الله ما أحبك ساعة قط، غير أنه قد اعطى لسانا ذربا فقلبه كيف شاء، وإن مثلك ومثله كما قال الاول ، وذكر بيت شعر، فقال ابن عباس : إن عمروا داخل بين العظم وال لحم والعصاء واللحاء، وقد تكلم، فليستمع فقد وافق قرنا، أما والله يا عمرو، إنى لابغضك فى الله وما اعتذر منه، إنك قمت خطيبا فقلت : أنا شانى محمد، فأنزل الله عزوجل: " إن شانتك هو الابتر " فأنت أبتر الدين و الدنيا، وأنت شانى محمد فى الجاهلية والاسلام، وقد قال الله تبارك وتعالى: " لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله " وقد حاددت الله ورسوله قديما وحديثا، ولقد جهدت على رسول الله جهدا وأجلبت عليه بخيلك ورجلك حتى إذا غلبك الله على أمرى وركبك فى نحرى وأوهن قوتك وأكذب احدثتك نزعى وأنت حسير. ثم كدت بجهدك لعداوة أهل بيت نبيه من بعده، ليس بك فى [ذلك] حب معاوية ولا آل معاوية إلا العداوة لله عزوجل ولرسوله صلى الله عليه وآله مع بغضك وحسدك القديم لابناء عبدمناف، و مثلك فى ذلك كما قال الاول:

تعرض لى عمرو وعمرو خزاية

تعرض ضبع الفقر للاسد الورد

فما هو لى ند فأشتم عرضه

ولا هو لى عبد فأبطش بالعبد

فتكلم عمرو بن العاص . فقطع عليه معاوية وقال : أما والله يا عمرو، ما أنت من رجاله، فان شئت فقل وإن شئت فذع . فاغتنمها عمرو وسكت.

فقال ابن عباس: دعه يا معاوية، فوالله لاسمنه بميسم يبقى عليه عاره وشناره إلى يوم القيامة، تتحدث به الاماء والعبيد، ويتغنى به فى المجالس، ويتحدث به فى المحافل ..

ص: ١٠٧

ثم قال ابن عباس : يا عمرو، وابتدأ فى الكلام، فمد معاوية يده فوضعها على فى ابن عباس، وقال له : أقسمت عليك يا ابن عباس إلا أمسكت. وكره أن يسمع أهل الشام ما يقول ابن عباس. وكان آخر كلامه أخسأ أيها العبد وأنت مذموم! وافترقوا^{٩٠}.

(٥٤) ابن عباس ومعاوية

سأل معاوية ابن عباس، قال : فما تقول فى على بن أبى طالب عليه السلام؟ قال : على أبو الحسن عليه السلام على كان والله علم الهدى، وكهف التقى، ومحل الحجى، ومحتد النداء، وطود النهى، وعلم الورى، ونورا فى ظلمة الدجى، وداعيا إلى الحجة العظمى، ومستمسكا بالعروة الوثقى، وساميا إلى المجد والعلى، وقائد الدين والتقى، وسيد من تقمص وارتدى، بعل بنت المصطفى، وأفضل من صام وصلى، وأفخر من ضحك وبكى، صاحب القبلتين، فهل يساويه مخلوق كان أو يكون؟^{٩١}.

(٥٥) ابن عباس مع رجل

عن سعيد بن مسيب، قال سمعت رجلا يسأل ابن عباس عن على بن أبى طالب عليه السلام فقال له ابن عباس: إن على بن أبى طالب عليه السلام صلى القبلتين، وبايع البيعتين، ولم يعبد صنما ولاوثنا، ولم يضرب على رأسه بزكم ولا بقدرح، ولد على الفطرة ولم يشرك بالله طرفه عين.

فقال الرجل: إني لم أسألك عن هذا، إنما أسألك عن حمله سيفه على

ص: ١٠٨

^{٩٠} (١) الخصال: ج ١ ص ٢١٥-٢١١. والبحار: ج ٤٤ ص ١١٦-١١٣

^{٩١} (٢) البحار: ج ٤٤ ص ١١٢ عن كتابى الفضائل والروضة

عاتقه يختال به حتى أتى البصرة فقتل بها أربعين ألفاً، ثم صار إلى الشام فلقي حوارج العرب ف ضرب بعضهم ببعض حتى قتلهم، ثم أتى النهر وانهم مسلمون فقتلهم عن آخرهم.

فقال له ابن عباس : أعلى أعلم عندك أم أنا؟ فقال : لو كان علي عندى أعلم منك لما سألتك . قال: فغضب ابن عباس حتى اشتد غضبه، ثم قال:

ثكلتك امك! على علمنى، وكان علمه من رسول الله صلى الله عليه وآله ورسول الله علمه الله من فوق ع رشه، فعلم النبى صلى الله عليه وآله من الله، وعلم على من النبى، وعلمى من علم على، وعلم أصحاب محمد كلهم فى علم على كالقطرة الواحدة فى سبعة أبحر^{٩٢}.

(٥٦) ابن عباس وعمر بن العاص

قال نصر: إن معاوية لما يئس من جهة الاشعث قال لعمر بن العاص:

إن رأس الناس بعد على هو عبد الله بن عباس، فلو ألقيت إليك كتاباً لعلك ترفقه به، فانه إن قال شيئاً لم يخرج على منه، وقد أكلتنا الحرب، ولا أرانا نصل [إلى] العراق إلا بهلاك أهل الشام . قال له عمرو: إن ابن عباس لا يخدع، ولو طمعت فيه [لد] طمعت فى على. فقال معاوية: على ذلك.

فكتب إليه عمرو: أما بعد، فان الذى نحن وأنتم فيه، ليس بأول أمر قاده البلاء [وساقته العافية خ ل] وأنت رأس هذا الجمع بعد على، فانظر فيما بقى ودع ما مضى، فوالله ما أبقت هذه الحرب لنا ولكم حياة ولا صبرا، واعلموا أن الشام لا تملك إلا بهلاك العراق، وأن العراق لا يملك إلا بهلاك الشام، وما خيرنا بعد هلاك أعدادنا منكم؟ وما خيركم بعد هلاك أعدادكم منا؟

ص: ١٠٩

ولسنا نقول: ليت الحرب غارت، ولكننا نقول : ليتها لم تكن ! وإن فينا من يكره القتال كما أن فيكم من يكرهه، وإنما هو أمير مطاع، أو مأمور مطيع، أو مؤتمن مشاور، وهو أنت وأما الاشتر الغليظ الطبع القاسى [القلب] فليس بأهل أن يدعى فى الشورى ولا فى خواص أهل النجوى.

وكتب فى أسفل الكتاب:

بعد الاله سوى رفق ابن عباس

طال البلاء وما يرجى له آس

ولا تنس حظك إن الخاسر الناسى

قولاً له قول من يرضى بحظوته

^{٩٢} (١) أمالى الشيخ - رحمه الله - ج ١ ص ١١ ط نجف

يا ابن الذى زمزم سقيا الحجيج له	أعظم بذلك من فخر على الناس
كل لصاحبه قرن يساوره	اسد العرين اسود بين أخياس
لو قيس بينهم فى العرب لا اعتدوا	العجز بالعجز ثم الرأس بالرأس
انظر فدى لك نفسى قبل قاصمة	للظهر ليس لها راق ولا آسى
إن العراق وأهل الشام لن يجدوا	طعم الحياة مع المستغلق القاسى
بسر وأصحاب بسر والذين هم	داء العراق رجال أهل وسواس
قوم عراء من الخيرات كلهم	فما يساوى به أصحابه كاسى
إنى أرى الخير فى سلم الشام لكم	والله يعلم ما بالسلم من بأس
فيها التقى وامور ليس يجهلها	إلا الجهول وما النوكى كأكياس

قال: فلما فرغ من شعره عرضه على معاوية، فقال معاوية: لا أرى كتابك على رقة شعر.

فلما قرأ ابن عباس الكتاب أتى به عليا فأقرأه شعره، فضحك وقال : قاتل الله ابن العاص، ما أغراه بك يا ابن عباس ! أجبه، وليرد عليه شعره الفضل بن العباس فانه شاعر، فكتب ابن عباس إلى عمرو:

أما بعد، فانى لا أعلم رجلا من العرب أقل حياء منك ! إنه مال بك معاوية إلى الهوى، وبعته دينك بالثمن اليسير، ثم خبطت بالناس فى عشوة

ص: ١١٠

طمعا فى الملك، فلما لم ترشيئا أعظمت الدنيا إعظام أهل الذنوب، وأظهرت فيها نزاهة أهل الورع، فان كنت ترضى الله بذلك فدع مصر وارجع إلى بيتك.

وهذه الحرب ليس فيها معاوية كعلى، ابتدأها على بالحق وانتهى فيها إلى العذر، وبدأها معاوية بالبغي وانتهى فيها إلى السرف . وليس أهل العراق فيها كأهل الشام، بايع أهل العراق عليا وهو خير منهم، وبايع معاوية أهل الشام وهم خير منه . ولست أنا وأنت فيها بسواء، أردت الله، وأردت أنت مصر. وقد عرفت الشئ الذى باعدك منى، ولا أرى الشئ الذى قربك من معاوية، فان ترد شرا لانسبقك به، وإن ترد خيرا لا تسبقنا إليه [والسلام].

ثم دعا [أخاه] الفضل بن العباس، فقال: يا ابن أم، أجب عمرا. فقال الفضل:

يا عمرو حسبك من خدع ووسواس	فاذهب فليس لداء الجهل من آسى
الا تواتر طعن فى نحورك	يشجى النفوس ويشفى نخوة الراس
هذا الدواء الذى يشفى جماعتكم	حتى تطيعوا عليا وابن عباس
أما على فان الله فضله	بفضل ذى شرف عال على الناس
إن تعقلوا الحرب نعقلها مخيسة	أو تبعثوها فانا غير أنكاس
قد كان منا ومنكم فى عجاجتها	مالا يرد وكل عرضة الباس
قتلى العراق بقتلى الشام ذاهبة	هذا بهذا وما بالحق من بأس
لا بارك الله فى مصر لقد جلبت	شرا وحظك منها حسوة الكأس
يا عمرو إنك عار من مغارمها	والراقصات ومن يوم الجزا كاسى

ثم عرض الشعر والكتاب على على، فقال: لا أراه يجيبك بشئ بعدها إن كان يعقل، ولعله يعود فتعود له.

فلما انتهى الكتاب إلى عمرو أتى به معاوية، فقال : أنت دعوتنى إلى هذا، ماكان أغنانى وإياك عن بنى عبد المطلب فقال : ان قلب ابن عباس وقلب على

ص: ١١١

قلب واحد، كلاهما ولد عبد المطلب، وإن كان ق د خشن فقد لان، وإن كان قد تعظم أو عظم صاحبه فلقد قارب وجنح إلى السلم.

وإن معاوية كان يكاتب ابن عباس، وكان يجيبه بقول لين، وذلك قبل أن يعظم الحرب . فلما قتل أهل الشام قال معاوية: إن ابن عباس رجل من قريش، وأنا كاتب إليه فى عداوة بنى هاشم لنا، واخوفه عواقب هذه الحرب، لعله يكف عنا، فكتب إليه:

أما بعد، فانكم - يا معشر بنى هاشم - لستم إلى أحد أسرع بالمساءة منكم إلى أنصار عثمان بن عفان، حتى أنكم قتلتم طلحة والزبير لطلبهما دمه واستعظامهما ما ينل منه، فان يكن ذلك لسلطان بنى امية فقد وليهما عدى وتيم [فلم تنافسوهما] وأظهرتم

لهم الطاعة، وقد وقع من الامر ما قد ترى، وأكلت هذه الحرب بعضها من بعض حتى استوينا فيها، فما أطمعكم فينا أطمعنا فيكم، وما آيسكم منا آيسنا منكم وقد رجونا غير الذى كان، وخشيننا دون ما وقع، ولستم بملاقينا اليوم بأحد من حد أمس ولا غدا بأحد من حد اليوم . وقد قنعنا بما كان فى أيدينا من ملك الشام، فاقنعوا بما فى أيديكم من ملك العراق، وأبقوا على قريش، فانما بقى من رجالها ستة : رجلان بالشام، ورجلان بالعراق، ورجلان بالحجاز، فأما اللذان بالشام فأنا وعمرو، وأما اللذان بالعراق فأنت وعلى، وأما اللذان بالحجاز فسعد وابن عمر، وإثنان من ستة ناصبان لك وإثنان واقفان [فيك]. وأنت رأس هذا الجمع اليوم، ولو بايع لك الناس بعد عثمان كنا إليك أسرع منا إلى على. فى كلام كثير كتب إليه.

فلما انتهى الكتاب إلى ابن عباس أسخطه، ثم قال : حتى متى يخطب [ابن هند] إلى عقلى؟ وحتى متى أجمع على ما فى نفسى؟ فكتب إليه:

أما بعد [فقد أتانى كتابك وقرأته] فأما ما ذكرت من سرعتنا [إليك]

ص: ١١٢

بالمساءة فى أنصار ابن عفان وكراهيتنا لسلطان بنى امية : فلعمري لقد أدركت فى عثمان حاجتك حين استنصرك فلم تنصره، حتى صرت إلى ما صرت إليه، وبينى وبينك فى ذلك ابن عمك وأخو عثمان الوليد بن عقبة! وأما طلحة والزبير [فانهما أجلبا عليه وضيقا خناقه ثم خرجا] ينقضان البيعة ويطلبان الملك، فقاتلناهما على النكث، وقاتلناك على البغي.

وأما قولك: إنه لم يبق من قريش غير ستة، فما أكثر رجالها! وأحسن بقيتها! [و] قد قاتلك من خيارها من قاتلك لم يخذلنا إلا من خذلك.

وأما إغراؤك إيانا بعدى وتيم: فأبوبكر وعمر خير من عثمان، كما أن عثمان خير منك، وقد بقى لك منا يوم ينسيك ما قبله ويخاف ما بعده.

وأما قولك: إنه لو بايع الناس لى لاستقامت لى، فقد بايع الناس عليا وهو خير منى فلم يستقيموا له، وإنما الخلافة لم ن كانت له فى المشورة.

وما أنت يا معاوية والخلافة؟ وأنت طليق وابن طليق [والخلافة للمهاجرين الاولين وليس الطلقاء منها فى شئ. والسلام].

فلما انتهى الكتاب إلى معاوية، قال: هذا عملى بنفسى، لا والله! لا أكتب إليه كتابا سنة [كاملة] وقال معاوية فى ذلك:

وكان امراء أهدى إليه رسائلنى

دعوت ابن عباس إلى حد خطه

ولم يك فيما قال منى بواصل

فأخلف ظنى والحوادث جمه

وما كان فيما جاء ما يستحقه
فقل لابن عباس تراک مفرقا
وقل لابن عباس تراک مخوفا
فأبرق وأرعد ما استطعت فأننى
وما زاد أن أغلى عليه مراجلى
بقولک من حولى وإنک آکلى
بجهلک حلمى إننى غیر غافل
إلیک بما یشجیک سبط الانامل

فلما قرأ ابن عباس الشعر قال: " لن أشتمک بعدها".

وقال الفضل بن عباس:

ص: ١١٣

ألا یا ابن هند، إننى غیر غافل
لان الذى اجتبت إلى الحرب نابها
فأصبح أهل الشام ضربین: خیرة
وأیقنت أنا أهل حق وإنما
دعوت ابن عباس إلى السلم خدعة
فلا سلم حتى تشجر الخیل بالقنا
وآلیت: لا أهدى إليه رسالة
أردت به قطع الجواب و إنما
وقلت له لو بايعوک تبعتهم
وصى رسول الله من دون أهله
وإنک ما تسعى له غیر نائل
علیک وألقت برکها بالکلاکل
وفقعة قاع أو شحیمة آکل
دعوت لامرکان أبطل باطل
ولیس لها حتى تدين بقابل
وتضرب هامات الرجال الامائل
إلى أن يحول الحول من رأس قابل
رماک فلم یخطئ بنات المقاتل
فهذا على خیر حاف وناعل
وفارسه إن قیل: هل من منازل

فعرض شعره على على، فقال: أنت أشعر قريش، فضرب بها الناس إلى معاوية^{٩٣}.

(٥٧) ابن عباس وابن الزبير

تزوج عبد الله بن الزبير أم عمرو ابنة منظور بن زبان الفزارية، فلما دخل بها قال لها تلك الليلة: أتدريين من معك فى حجلتك؟ قالت: نعم عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى.

ص: ١١٤

قال: ليس غير هذا؟ قالت: فما الذى تريد؟ قال: معك من أصبح فى قريش بمنزلة الرأس من الجسد، لابل بمنزلة العينين من الرأس. قالت: أما والله، لو أن بعض بنى عبد مناف حضرك لقال لك خلاف قولك. فغضب وقال: الطعام والشراب على حرام حتى احضرك الهاشميين وغيرهم من بنى عبد مناف فلا يستطيعون لذلك إنكارا. قالت: إن أطعنى لم تفعل، وأنت أعلم وشأنك.

فخرج إلى المسجد فرأى حلقة فيها قوم من قريش، منهم: عبد الله بن العباس، و عبد الله بن الحصين بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف، فقال لهم ابن الزبير: احب أن تتطلقوا معى إلى منزلى، فقام القوم بأجمعهم حتى وقفوا على باب بيته. فقال ابن الزبير: يا هذه! اطرحي عليك سترى. فلما أخذوا مجالسهم دعا بالمائدة، فتغدى القوم، فلما فرغوا قال لهم: إنما جمعتكم لحديث ردته على صاحبة الستر، وزعمت أنه لو كان بعض بنى ع بد مناف حضرني لما أقر لى بما قلت، وقد حضرتم جميعا. و أنت يا ابن عباس، ما تقول؟ إنى اخبرتها أن معها فى خدرها من أصبح فى قريش بمنزلة الرأس من الجسد بل بمنزلة العينين من الرأس، فردت على مقاتلى.

فقال ابن عباس: أراك قصدت قصدى، فان شئت أن أقول قلت، وإن شئت أن أكف كفت. قال: بل قل، وما عسى أن تقول؟.

ألست تعلم إنى ابن الزبير حوارى رسول الله صلى الله عليه وآله وأن أمى أسماء بنت أبى بكر الصديق ذات النطاقين، وإن عمتى خديجة سيدة نساء العالمين، وإن صفيّة عمّة رسول الله صلى الله عليه وآله جدتى، وإن عائشة أم المؤمنين خالتي، فهل تستطيع لهذا إنكارا؟.

^{٩٣} (١) وقعة صفين: ص ٤١٧-٤١٠. والامامة والسياسة: ج ١ ص ١٠٤. والغدير: ج ١٠ ص ٣٢٥ عنه وعن ابن أبى الحديد: ج ٢ ص ٢٨٩ القديمة المصرية و ج ٨ ص ٦٧-٦٣ الجديدة وفى العقد الفريد: ج ٤ ص ١٣ نقل نبذا من كتاب عمرو إليه، ولكنه لم يشر إلى كونه كتابا وصرح بأنه كان بعد قتل على - عليه السلام - وفى أنساب الاشراف ج ١ ص ٣٠٩-٣٠٧ نقل كتاب عمرو إليه وجوابه. وكذا فى فتوح ابن أعثم ج ٣ ص ٢٥٩-٢٤٩

قال ابن عباس: لقد ذكرت شرفا شريفا وفخرا فاخرا غير أنك تفاخر من لفخره فخرت وبفضله سموت . قال: وكيف ذلك؟ قال: لانك لم تذكر فخرا

ص: ١١٥

إلا برسول الله صلى الله عليه وآله وأنا أولى بالفخر به منك.

قال ابن الزبير: لو شئت لفخرت عليك بما كلني قبل النبوة .

قال ابن عباس:

قد أنصف القارة من رامها نشدتكم الله أيها الحاضرون! أ عبد المطلب أشرف أم خويلد في قريش؟

قالوا: عبد المطلب قال: أفهاشم كان أشرف فيها أم أسد؟ قالوا: بل هاشم.

قال: أفعبد مناف أشرف أم عبد العزى؟ قالوا: عبد مناف.

فقال ابن عباس:

عليك رسول الله لا قول هازل

تتافيني يا ابن الزبير، وقد قضى

ولكنما ساميت شمس الاوائل!

ولو غيرنا يا ابن الزبير فخرفته

قضى لنا رسول الله صلى الله عليه وآله بالفضل في قوله : " ما افترقت فرقتان إلا كنت في خيرهما " فقد فارقناك من بعد قصي بن كلاب، أفنحن في فرقة الخير أم لا؟ إن قلت: نعم خصمت، وإن قلت: لا كفرت! فضحك بعض القوم.

فقال ابن الزبير: أما والله، لولا تحرمك بطعامنا يا ابن عباس لاعرقت جبينك قبل أن تقوم من مجلسك ! قال ابن عباس: ولم؟ أباطل؟ فالباطل لا يغلب الحق أم بحق؟ فالحق لا يخشى من الباطل ! فقالت المرأة من وراء الستر: إني والله لقد نهيتك عن هذا المجلس فأبى إلا ما ترون! فقال ابن عباس: مه أيتها المرأة! اقنعي ببعلك، فما أعظم الخطر! وما أكرم الخبر! فأخذ القوم بيد ابن عباس - وكان قد عمى - فقالوا: انهض يا أيها الرجل! فقد أفحمتك غير مرة، فنهض وقال:

ص: ١١٦

ألا يا قومنا ارتحلوا وسيروا

فلو ترك القطا لغفا وناما

فقال ابن الزبير: يا صاحب القطا، أقبل على، فما كنت لتدعني حتى أقول : وأيم الله، لقد عرف الاقوام : أنى سابق غير مسبوق، وابن حواري وصديق متبجح في الشرف الانيق خير من طليق ! فقال ابن عباس : دسعت بجرتك فلم تبق شيئا! هذا الكلام مردود من امرئ حسود، فان كنت سابقا فالى من سبقت؟ وإن كنت فاخرا فبمن فخرت؟

فان كنت أدركت هذا الفخر بأسرتك، دون اسرتنا فالفخر لك علينا، وإن كنت إنما أدركت بأسرتنا فالفخر لنا عليك، والكثكث في فمك ويديك. وأما ما ذكرت من الطليق، فوالله لقد ابتلى فصبرو أنعم عليه فشكر، وأن كان والله لوفيا كريما غير ناقض بيعه بد توكيدها ولا مسلم كتيبة بعد التأمر عليها.

فقال ابن الزبير: أتعير الزبير بالجبن؟ والله إنك لتعلم منه خلاف ذلك.

قال ابن عباس: والله إنى لا أعلم إلا أنه فر وماكر، وحارب فما صبر، وباع فما تمم، و قطع الرحم، وأنكر الفضل، ورام ما ليس له بأهل.

وأدرك منها بعض ماكان يرتجى

وقصر عن جرى الكرام وبلدا

وما كان إلا كالهجين أمامه

عناق فجاراه العناق فأجهدا

فقال ابن الزبير: لم يبق يا بنى هاشم غير المشاتمة والمضاربة!.

فقال عبد الله بن الحصين بن الحارث : أقمناه عنك يا ابن الزبير وتأبى إلا منازعته، والله لو نازعته من ساعتك إلى انقضاء عمرك ماكنت إلا كالسغب الظمان يفتح فاه يستزيد من الريح، فلا يشبع من سغب ولا يروى من عطش، فقل إن شئت أو فدع . وانصرف القوم^{٩٤}.

ص: ١١٧

(٥٨) الشريف المرتضى مع أبي العلاء

دخل أبو العلاء المعري على السيد المرتضى - قدس الله روحه - فقال: أيها السيد، ما قولك في الكل؟ فقال السيد: ما قولك في الجزء؟ فقال: ما قولك في الشعري؟ فقال: ما قولك في التدوير؟ قال: ما قولك في عدم الانتهاء؟ فقال:

ما قولك في التحيز والناعورة؟ فقال : ما قولك في السبع؟ فقال ل: ما قولك في الزائد البرى من السبع؟ فقال : ما قولك في الاربع؟ فقال: ما قولك في الواحد والاثنين؟. فقال: ما قولك في المؤثر؟ فقال: ما قولك في المؤثرات؟ فقال:

ما قولك في التحسين؟ فقال: ما قولك في السعدين؟ فبهت أبو العلاء.

فقال السيد المرتضى رضى الله عنه عند ذلك : ألا كل ملحد ملهد. وقال أبو العلاء: من أين أخذته؟ قال: من كتاب الله " يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم" وقام وخرج. فقال السيد - رضى الله عنه: وقد غاب عنا الرجل وبعد هذا لا يرانا.

فسئل السيد - رضى الله عنه - عن شرح هذه الرموز والاشارات، فقال:

سألنى عن الكل وعنده الكل قديم، ويشير بذلك إلى عالم سماه " العالم الكبير" فقال لى: ما قولك فيه؟ أراد أنه قديم، وأجبتنه عن ذلك وقلت له: ما قولك في الجزء؟ لان عندهم الجزء محدث وهو متولد عن العالم الكبير، وهذا الجزء عندهم هو العالم الصغير، وكان مرادى بذلك : أنه إذا صح أن هذا العالم محدث فذلك الذى أشار إليه إن صح فهو محدث أيضا، لان هذا من جنسه على زعمه والشئ الواحد والجنس الواحد لا يكون بعضه قديما وبعضه محدثا، فسكت لما سمع ما قلته.

وأما الشعري: أراد أنها ليست من الكواكب السيارة، فقلت له: ما قولك

ص: ١١٨

في التدوير والدوران فالشعري لا يقدر في ذلك.

وأما عدم الانتهاء : أراد بذلك أن العالم لا ينتهى لانه قديم، فقلت له : قد صح عندى التحيز والتدوير، وكلاهما يدلان على الانتهاء.

وأما السبع: أراد بذلك النجوم السيارة التى هى عندهم ذوات الاحكام، فقلت له : هذا باطل بالزائد البرى الذى يحكم فيه بحكم لا يكون ذلك الحكم منوطا بهذه النجوم السيارة التى هى: الزهرة والمشتري، والمريخ، وعطارد، والشمس، والقمر، وزحل.

وأما الاربع: أراد بها الطبايع، فقلت له: ما قولك في الطبيعة الواحدة النارية يتولد منها دابة بجلدها تمس الايدى ثم يطرح ذلك الجلد على النار فيحترق الزهومات ويبقى الجلد صحيحا؟ لان الدابة خلقها الله على طبيعة النار والنار لا تحرق النار، والتلج أيضا يتولد فيه الديدان، وهو على طبيعة واحدة، والماء فى البحر على طبيعتين تتولد منه السموك والضفادع والحيات والسلاحف وغيرها. وعنده لا يحصل الحيوان إلا بالاربع، فهذا مناقض لهذا.

وأما المؤثر: أراد به الزحل، فقلت له : ما قولك فى المؤثرات؟ أردت بذلك أن المؤثرات كلهن عنده مؤثرات، فالمؤثر القديم كيف يكون مؤثراً؟

وأما النحسين: أراد بهما أنهما من النجوم السيارة إذا اجتماعا يخرج من بينهما سعد، فقلت له : ما قولك فى السعدين إذا اجتماعا خرج من بينهما النحس؟

هذا حكم أبطله الله تعالى ليعلم الناظر أن الاحكام لا تتعلق بالمسخرات، لان الشاهد يشهد على أن العسل والسكر إذا اجتماعا لا يحصل منهما الحنظل والعلقم، والحنظل والعلقم إذا اجتماعا لا يحصل منهما الدبس والسكر، هذا دليل بطلان قولهم.

وأما قولى: ألا كل ملحد ملهد: أردت أن كل مشرك ظالم، لان فى اللغة:

ألحد الرجل: إذا عدل عن الدين وألهد إذا ظلم، فعلم أبو العلاء ذلك، وأخبرنى

ص: ١١٩

عن علمه بذلك فقرأت " يا بنى لا تشرك بالله " الآية^{٩٥}.

(٥٩) أحمد بن السيار مع المفيد

قال السيد المرتضى - رضى الله عنه - فى كتاب الفصول: اتفق للشيخ أبى عبد الله المفيد - رحمه الله عليه - اتفاق مع القاضى أبى بكر أحمد بن سيار فى (دار السلام ب خ) دار الشريف أبى عبد الله محمد بن محمد بن طاهر الموسوى - رضى الله عنه، وكان بالحضرة جمع كثير يزيد عددهم على مائة إنسان، وفيهم أشراف من بنى على وبنى العباس ومن وجوه الناس والتجار، حضروا فى قضاء حق الشريف - رحمه الله، فجرى من جماعة من القوم خوض فى ذكر النص على أمير المؤمنين عليه السلام، وتكلم الشيخ أبو عبد الله - فى ذلك بكلام يسير على ما اقتضته الحال.

فقال له القاضى أبو بكر ابن سيار: خبرنى ما النص فى الحقيقة؟ وما معنى هذه اللفظة؟.

فقال الشيخ - أيده الله -: النص هو الاظهار والابانة، من ذلك قولهم: " فلان قد نص قلوصه " إذا أبانها بالسير وأبرزها من جملة الابل، ولذلك سمي المفرش العالى منصّة، لان الجالس عليه يبين بالظهور من الجماعة، فلما أظهره الم فرش سمي منصّة - على ما ذكرناه - ومن ذلك أيضا قولهم: " قد نص فلان مذهبه " إذا أظهره وأبانه، ومنه قول الشاعر:

إذا هى نصته ولا بمعطل

وجيد كجيد الريم ليس بفاحش

^{٩٥} (١) البحار: ج ١٠ ص ٤٠٨ - ٤٠٦ والاحتجاج: ج ٢ ص ٣٣٦ - ٣٢٩

يريد: إذا أظهرته، وقد قيل: نصبته، والمعنى فى هذا يرجع إلى الاظهار.

فأما هذه اللفظة: فانها قد جعلت مستعملة فى الشريعة على المعنى الذى قدمت.

ص: ١٢٠

ومتى أردت حد المعنى منها قلت: حقيقة النص هو القول المنبئ عن المقول فيه على سبيل الاظهار.

فقال القاضى: ما أحسن ما قلت! ولقد أصبت فيما أوضحت وكشفت فخيرنى الآن إذا كان النبى صلى الله عليه وآله قد نص على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام فقد أظهر فرض طاعته، وإذا أظهره استحالة أن يكون مخفيا.

فما بالناس لا نعلمه إن كان الامر على ما ذكرت فى حد النص وحقيقته؟.

فقال الشيخ أيداه الله: أما الاظهار من النبى صلى الله عليه وآله فقد وقع ولم يكن خافيا فى حال ظهوره، وكل من حضره فقد علمه ولم يرتب فيه ولا اشتبه عليه.

وأما سؤالك عن علة فقدك العلم به الآن وفى هذا الزمان: فان كنت لاتعلمه على ما أخبرت به عن نفسك فذلك لدخول الشبهة عليك فى طريقه لعدولك عن وجه النظر فى الدليل المفضى بك إلى حقيقته، ولو تأملت الحجة فيه بعين الانصاف لعلمته، ولو كنت حاضرا فى وقت إظهار النبى له صلى الله عليه وآله لما أخللت بعلمه، ولكن العلة فى ذهابك عن اليقين فيه ما وصفناه.

فقال: وهل يجوز أن يظهر النبى صلى الله عليه وآله شيئا فى زمانه فيخفى عمن ينشأ بعد وفاته حتى لا يعلمه إلا بنظر ثاقب واستدلال عليه؟ فقال الشيخ أيداه الله تعالى: نعم يجوز ذلك، بل لابد منه لمن غاب عن المقام فى علم ما كان منه إلى النظر والاستدلال، وليس يجوز أن يقع له به علم الاضطرار، لانه من جملة الغائبات، غير أن الاستدلال فى هذا الباب يختلف فى الغموض والظهور والصعوبة والسهولة على حسب الاسباب لمعترضات فى طرقه، وربما عرى طريق ذلك من سبب، فيعلم بيسير من الاستدلال على وجه يشبه الاضطرار،

ص: ١٢١

إلا أن طريق النص حصل فيه من الشبهات للاسباب التى اعترضته، ما يتعذر معها العلم به إلا بعد نظر ثاقب وطول زمان فى الاستدلال.

فقال: فإذا كان الأمر على ما وصفت، فما أنكرت أن يكون النبي صلى الله عليه وآله قد نص على نبي آخر معه في زمانه أو نبي يقوم من بعده وأظهر ذلك وشهره على حد ما أظهر به إمامة أمير المؤمنين عليه السلام فذهب عنا علم ذلك كما ذهب عنا علم النص وأسبابه؟.

فقال له الشيخ أيده الله تعالى: أنكرت ذلك من قبل أن العلم حاصل لي ولكل مقر بالشرع ومنكر له بكذب من ادعى ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله ولو كان ذلك حقا لما عم الجميع على بطلانه وكذب مدعيه ومضيفه إلى النبي صلى الله عليه وآله، ولو تعرض بعض العقلاء من سامعي الاخبار عن علم ذلك لاحتجت في إفساده إلى تكلف دليل غير ما وصفت. لكن الذي ذكرت يغنيني عن اعتماد غيره، فان كان النص على الامامة نظيره فيجب أن يعم العلم ببطلانه جميع سامعي الاخبار حتى لا يختلف في اعتقاد ذلك إثنان وفي تنازع الامة فيه واعتقاد جماعة صحته والعلم به واعتقاد جماعة بطلانه دليل على فرق ما بينه وبين ما عارضت به.

ثم قال له الشيخ أدام الله حراسته : ألا أنصف القاضي من نفسه والتزم ما الزمه خصومه فيما شاركهم فيه من نفى ما تفردوا به، ففصل بينه وبين خصومه في قوله : إن النبي صلى الله عليه وآله قد نص على رجم الزاني وفعله، وموضع قطع السارق وفعله، وعلى صفة الطهارة والصلاة وحدود الصوم والحج والزكاة وفعل ذلك، وبينه وكرره وشهره، ثم التنازع موجود في ذلك، وإنما يعلم الحق فيه وما عليه العمل من غيره بضرب من الاستدلال، بل في قوله : إن انشقاق القمر لرسول الله صلى الله عليه وآله كان ظاهرا في حياته ومشهورا في عصره وزمانه، وقد أنكرت ذلك جماعة من المعتزلة وغيرهم من أهل الملل والملحدة، وزعموا أن

ص: ١٢٢

ذلك من توليد أصحاب السير ومؤلفي المغازي وناقلي الآثار، وليس يمكننا أن ندعى على من خالفنا فيما ذكرنا علم الاضطراب، وإنما نعتمد على غلطهم في الاستدلال، فيما يؤمنه أن يكون النبي صلى الله عليه وآله قد نص على نبي من بعده وإن عرى من العلم بذلك على سبيل الاضطراب، وبم يدفع أن يكون قد حصلت شبهات مالت بينه وبين العلم بذلك كما حصل لخصومه في ما عددناه ووصفناه، وهذا ما لافضل فيه.

فقال له: ليس يشبه النص على أمير المؤمنين عليه السلام جميع ما ذكر رت، لان فرض النص عندك فرض عام، وما وقع فيه الاختلاف فيما قدمت فروض خاصة، ولو كانت في العموم كهو لما وقع فيها الاختلاف.

فقال الشيخ أيده الله : فقد انتقض الآن جميع ما اعتمدته وبان فساد، واحتجت في الاعتماد إلى غيره، وذلك أنك جعلت موجب العلم وسبب ارتفاع الخلاف ظهور الشئ في زمان ما واشتغاره بين الملا، ولم تضم إلى ذلك غيره ولا شرطت فيه موصوفا سواه، فلما نقضناه عليك ووضح عندك دماره عدلت إلى التعلق بعموم الفرض وخصوصه، ولم يك هذا جاريا فيما سلف، والزيادة في الاعتلال انقطاع، والانتقال من اعتماد إلى اعتماد أيضا انقطاع ، على أنه ما الذي يؤمنك أن ينص على نبي

يحفظ شرعه؟ فيكون فرض العمل به خاصا في العبادة، كما كان الفرض فيما عددها خاصا، فهل فيها من فصل يعقل؟ فلم يأت بشئ تجب حكايته^{٩٦}.

(٦٠) زيد بن علي مع هشام

دخل زيد بن علي على هشام بن عبد الملك، فلم يجد موضعا يقعد فيه،

ص: ١٢٣

فعلم أن ذلك فعل به علي عمد، فقال يا أمير المؤمنين [اتق الله! قال: أو مثلك يا زيد يأمر مثلي بتقوى الله؟ قال زيد]: إنه لا يكبر أحد فوق أن يوصى بتقوى الله، ولا يصغر دون أن يوصى بتقوى الله.

قال له هشام: بلغني أنك تحدث نفسك بالخلافة، ولا تصلح لها، لانك ابن أمة.

قال زيد: أما قولك: إني أحدث بالخلافة، فلا يعلم الغيب إلا الله . وأما قولك: إني ابن أمة، فهذا إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن ابن أمة، من صلبه خير البشر محمد صلى الله عليه وآله، وإسحاق ابن حرة إخرج من صلبه القردة والخنازير وعبد الطاغوت [قال له: قم! قال: إذن لا تراني إلا حيث تكره] فلما خرج من عنده، قال : ما أحب أحد قط الحياة إلا ذل . قال له حاجبه: لا يسمع هذا الكلام منك أحد. وقال زيد بن علي:

شرده الخوف وأزرى به	كذاك من يكره حر الجلال
محتفى الرجلين يشكو الوجى	تقرعه أطراف مرو حداد
قد كان فى الموت له راحة	والموت حتم فى رقاب العباد

ثم خرج وقتل^{٩٧}.

(٦١) شريك مع المهدي

دخل شريك يوما على المهدي، فقال له المهدي : بلغني أنك ولدت في قوصرة؟ فقال : ولدت يا أمير المؤمنين بخراسان، والقواصرة هناك عزيزة.

^{٩٦} (١) البحار: ج ١٠ ص ٤١١ - ٤٠٨

^{٩٧} (١) العقد الفريد: ج ١ ص ٣٢. ونقل ابن أبي الحديد: ج ٣ ص ٢٨٦ - ٢٨٥ قصة زيد بنحو آخر أطول مما نقلناه

قال: وإني لاراك فاطميا خبيثا! قال: والله إني لاحب فاطمة وأبا

ص: ١٢٤

فاطمة صلى الله عليه وآله.

قال: والله احبهما، ولكني رأيتك في منامي مصروفا وجهك عني، وما ذاك إلا لبغضك لنا، وما أراني إلا قاتلك لانك زنديق .
قال: يا أمير المؤمنين، إن الدماء لا تسفك بالاحلام، وليس رؤياك رؤيا يوسف النبي صلى الله عليه وآله وسلم . وأما قولك:
بأنى زنديق، فان للزنادقة علامة يعرفون.

قال: وماهى؟ قال: بشرب الخمر والضرب بالطنبور.

قال: صدقت أبا عبد الله، وأنت خير من الذى حملنى عليك وهو الربيع صاحب شرطة المهدي^{٩٨}.

(٦٢) الحضيض بن المنذر مع عبد الله بن مسلم

تزعّم الرواة أن قتيبة بن مسلم لما افتتح سمرقند أفضى إلى أثاث لم ير مثله وإلى آلات لم يسمع بمثله، فأراد أن يرى الناس
عظيم ما افتتح الله عليه ويعرفهم أقدار القوم الذين ظهر عليهم، فأمر بدار ففرشت، وفي صحنها قدور يرتقى إليها بالسلالم.

فإذا الحضيض بن المنذر بن الحارث بن وعلّة الرقاشى قد أقبل، والناس جلوس على مراتبهم، والحضيض شيخ كبير، فلما رآه عبد
الله بن مسلم قال لاختيه قتيبة: إئذن لى فى معاتبته. قال: لا ترده، فانه خبيث الجواب، فأبى عبد الله إلا أن يأذن له وكان عبد الله
يضعف وكان قد تسور حائطا إلى امرأة قبل ذلك فأقبل على الحضيض، فقال : أمن الباب دخلت يا أبا ساسان؟ قال : أجل أسن
عم من تسور الحيطان. قال: أرايت هذه القدور؟ قال : هى أعظم من أن لا ترى . قال: ما أحسب بكر بن وائل رأى مثله ! قال:
أجل ولا عيلان، ولو

ص: ١٢٥

كان رآها سمى شعبان ولم يسم عيلان. قال له عبد الله: أتعرف يا أبا ساسان الذى يقول:

تجر حضاها تبتغى من تحالف؟

عزلنا وامرنا وبكر بن وائل

قال: أعرفه وأعرف الذى يقول:

^{٩٨} (١) العقد الفريد: ج ١ ص ٣٧

وغيبه من يخيب على غنى

وباهلة بن يعصر والرباب

يريد يا خبيث من يخيب.

قال له أنعرف الذى يقول:

كأن ففاح الازد حول ابن مسمع

إذا عرقت أفواه بكر بن وائل؟

قال نعم: وأعرف الذى يقول:

قوم قتيبة أمهم وأبوهم

لولا قتيبة أصبحوا فى مجهل

قال: أما الشعر فأراكم ترويه، فهل تقرأ من القرآن شيئاً؟ قال: نعم أقرأ منه الأكثر الاطيب " هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً" فأغضبه، فقال: والله لقد بلغنى أن امرأة الحضير حملت إليه وهى حبلى من غيره! قال: فما تحرك الشيخ عن هيئته الاولى، بل قال على رسله: وما يكون تلد غلاماً على فراشى فيقال: فلان بن الحضير، كما يقال: عبد الله بن مسلم.

فأقبل قتيبة على عبد الله فقال: لا يبعد الله غيرك.

والحضير هذا هو الحضير بن المنذر الرقاشى، ورقاش أمه، وهو من بنى شيبان بن بكر بن وائل، وهو صاحب لواء على بن أبى طالب - رضى الله عنه - بصفين على ربيعة كلها، وله يقول على بن أبى طالب:

لمن راية سوداء يخفق ظلها

إذا قيل: قدمها حضير تقدمها

يقدمها فى الصف حتى يزيها

حياض المنايا تقطر السم والدماء

جزى الله عنى والجزاء بفضله

ربيعه خيرا ما أعف وأكرما.^{٩٩}

(٦٣) عبد الله بن هاشم مع معاوية

لما قتل على صلوات الله عليه كان فى نفس معاوية من يوم صفين على هاشم بن عتبة ابن أبى وقاص المرقال وولده عبد الله بن هاشم إحن، فلما استعمل معاوية زيادا على العراق كتب إليه:

أما بعد، فانظر عبد الله بن هاشم بن عتبة فشديده إلى عنقه ثم ابعث به إلى.

فحملة زياد من البصرة مقيدا مغلولاً إلى دمشق، وقد كان زياد طرقه بالليل فى منزله بالبصرة . فادخل على معاوية وعنده عمرو بن العاص، فقال معاوية لعمرو بن العاص: هل تعرف هذا؟ قل: لا. قال: هذا الذى يقول أبوه يوم صفين:

وأكثر اللوم وما أقلا

إنى شريت النفس لما اعتلا

قد عالج الحياء حتى ملا

أعور يبغي أهله محلا

أشلهم بذى الكعوب شلا

لا بد أن يفلا أو يفلا

لاخير عندى فى كريم ولى فقال عمرو متمثلا:

وتبقى حزازات النفوس كما هيا

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى

دونك يا أمير المؤمنين الضب المضب ! فاشخب أوداجه على أسباجه^{١٠٠} ولا ترده إلى [أهل] العراق، فانه لا يصبر عن النفاق، وهم أهل غدر وشقاق، وحرب

^{٩٩} (١) الكامل للمبرد: ج ٢ ص ٢٥. والعقد الفريد: ج ٣٩-٣٨. وابن أبى الحديد: ج ١٨ ص ١٥٢ وج ٥ ص ٣٣ عن الكامل للمبرد

^{١٠٠} (٢) "أثباجه": (خ ل)، والسبجة: رداء

إبليس ليوم هيجاء، وإن له هوى سيرديه، ورأيا سيطغيه، وبطانة ستقويه، وجزاء سيئة سيئة مثلها.

فقال عبد الله : يا عمرو، إن اقتل فرجل أسلمه قومه وأدركه يومه، أفلا كان هذا منك، إذ تحيد عن القتال ونحن ندعوك إلى النزال، وأنت تلوذ بسمال النطاف وعقائق الرصاف، كالامة السوداء والنعجة القوداء، لا تدفع يد لأمس؟! فقال عمرو: أما والله، لقد وقعت في لها ذم شذقم للاقران ذى لبد، ولا أحسبك منفلتا من مخاليب أمير المؤمنين . فقال عبد الله: أما والله يابن العاص! إنك لبطر في الرخاء، جبان عند اللقاء، غشوم إذا وليت، هيابة إذا لقيت، تهذر كما يهدر العود المنكوس المقيد بين مجرى الشوك، لا يستعجل في المدة، ولا يرتجى في الشدة، أفلا كان هذا منك؟ إذا غمرك أقوام لم يعنفوا صغارا ولم يمزقوا كبارا، لهم أيد شداد وألسنة حداد، يدعمون العوج ويذهبون الحرج، يكثررون القليل يشفون الغليل ويعزون الذليل.

فقال عمرو: أما والله، لقد رأيت أباك يومئذ تخفق أحشاؤه وتبق أمعاؤه وتضطرب أطلاؤه، كأنهم انطبق عليه صمد.

فقال عبد الله : يا عمرو، إنا قد بلوناك ومقاتلتك، فوجدنا لسانك كذوبا غادرا، خلوت بأقوام لا يعرفونك وجند لا يسأمونك، ولو رمت المنطق في غير أهل الشام لجحظ إليك عقلك وتلجلج لسانك ولاضطرب فخذاك اضطراب القعود الذي أثقه حمله . فقال معاوية: إياها عنكما! وأمر باطلاق عبد الله، فقال عمرو لمعاوية:

وكان من التوفيق قتل ابن هاشم

أمرتكم أمرا حازما فعصيتني

أعان عليا يوم حز الغلاصم

أليس أبوه يا معاوية الذي

بصفين أمثال البحور الخضارم

فلم يثنى حتى جرت من دماننا

ويوشك أن تفرع به سن نادم

وهذا ابنه والمرء يشبه شيخه

فقال عبد الله يجيبه:

معاوى إن المرء عمرا أبت له
يرى لك قتلى يا ابن هند وإنما
على أنهم لا يقتلون أسيرهم
وقد كان منا يوم صفين نفره
قضى ما انتضى منها وليس الذى مضى
فان تعف عنى تعف عن ذى قرابة
ضعيفة صدر غشها غير نائم
يرى ما يرى عمرو ملوك الاعاجم
إذا منعت عنه عهود المسالم
عليك جناها هاشم وابن هاشم
ولما جرى إلا كأضغاث حاله
وإن تر قتلى تستحل محارمى

فقال معاوية:

أرى العفو عن عليا قريش وسيلة
ولست أرى قتل الغداة ابن هاشم
بل العفو عنه بعدما بان جرمه
فكان أبوه يوم صفين جمره
إلى الله فى يوم العصب القماطر
بإدراك ثارى فى لوى وعامر
وزلت به إحدى الحدود العوائر
علينا فاردته رماح نهابر^{١٠١}

(٦٤) عبد الله بن هشام مع معاوية

حضر عبد الله بن هاشم ذات يوم مجلس معاوية، فقال معاوية : من يخبرنى عن الجود والنجدة والمروءة؟ فقال عبد الله : يا أمير المؤمنين، أما الجود : فابتذال المال والعطية قبل السؤال، وأما النجدة : فالجراءة على الاقوام (الاقدام خ ل) والصبر عند ازورار الاقدام، وأما المروءة فالصلاح فى الدين والاصلاح للمال

ص: ١٢٩

^{١٠١} (١) مروج الذهب: ج ٣ ص ١٩-١٧. والعقد الفريد: ج ٣ ص ١٩-١٨. وابن أبى الحديد: ج ٨ ص ١٠-٨ نقله المورخ الشهير "سبهر" فى الناسخ بنحو يخالف ما نقلناه فراجع. ج ٥ ص ١٤٣-١٣٥ ونقله نصر فى وقعة صفين ص ٣٤٩-٣٤٨ ط مصر. وفتوح ابن أعثم ج ٣ ص ٢٠٧-٢٠٤

والمحاماة عن الجار^{١٠٢}.

(٦٥) بعض الشيعة مع خصمه

روى الشيخ المفيد: أنه قال بعض الشيعة لبعض الناصبة في محاورته له في فضل آل محمد صلى الله عليه وآله : أرأيت لو بعث الله نبيه صلى الله عليه وآله أين ترى كان يحط رحله وثقله؟ قال : فقال له الناصب : كان يحط في اهله وولده . قال: فقال له الشيعي: فإنى قد حططت هواى حيث يحط رسول الله صلى الله عليه وآله رحله وثقله^{١٠٣}.

(٦٦) المفيد مع الكتبي

ومن كلام الشيخ (المفيد) أدام الله كفايته في إبطال إمامة أبي بكر من جهة الاجماع سأل المعروف بالكتبي فقال له : ما الدليل على فساد إمامة أبي بكر؟ فقال له : الدلالة على ذلك كثيرة، فأنا أذكر لك منها دليلا يقرب من فهمك، وهو أن الاممة مجتمعة على أن الامام لا يحتاج إلى إمام، وقد أجمعت الاممة على أن أبا بكر قال على المنبر : " وليتكم ولست بخيركم، فان استقمت فاتبعوني، وإن اعوججت فقوموني " فاعترف بحاجته إلى رعيته وفقره إليهم في تدبيره، ولا خلاف بين ذوى العقول أن من احتاج إلى رعيته فهو إلى الامام أحوج، وإذا ثبت حاجة أبي بكر إلى الامام بطلت إمامته بالاجماع المنعقد على أن الامام لا يحتاج إلى الامام. فلم يدر الكتبي بم يعترض.

وكان بالحضرة من المعتزلة رجل يعرف بعزالة، فقال : ما أنكرت على من قال لك أن الاممة أيضا مجتمعة يعلى أن القاضى لا يحتاج إلى قاض والامير لا يحتاج

ص: ١٣٠

إلى أمير، فيجب على هذا الاصل أن يوجب عصمة الامراء، أو يخرج من الاجماع؟.

فقال له الشيخ : إن سكوت الاول أحسن من كلامك هذا، وما كنت أظن أنه يذهب عليك الخطأ في هذا الفصل، أو تحمل نفسك عليه مع العلم بوهنه، وذلك أنه لا إجماع في ما ذكرت، بل الاجماع في ضده، لان الاممة متفقة على أن القاضى الذى هو دون الامام يحتاج إلى قاض هو الامام، وذلك يسقط ما تعلق به، اللهم إلا أن تكون أشرت بالامير والقاضى إلى نفس الامام، فهو كما وصفت غير محتاج إلى قاض يتقدمه أو أمير عليه، وإنما استغنى عن ذلك لعصمته وكماله، فأين موضوع إلزامك عافاك الله! فلم يأت لشيء^{١٠٤}.

(٦٧) المفيد مع الشوطى من المعتزلة

^{١٠٢} (١) مروج الذهب: ج ٣ ص ٢٠-١٩ فى نسخة دار الهجرة ص ١١-١٠

^{١٠٣} (٢) البحار: ج ١٠ ص ٤١١

^{١٠٤} (١) البحار: ج ١٠ ص ٤١٢-٤١١

ومن كلام الشيخ (المفيد) أدام الله نعماءه أيضا : سأله رجل من المعتزلة يعرف بأبى عمرو الشوطى، فقال له : أليس قد اجتمعت الامة على أن أبا بكر وعمر كانا ظاهرهما الاسلام؟ فقال له الشيخ: نعم قد أجمعوا على أنهما كانا على ظاهر الاسلام زمانا، فأما أن يكونوا مجتمعين على أنهما كانا فى سائر أحوالهما على ظاهر الاسلام فليس فى هذا إجماع، لاتفاق أنهما كانا على الشرك، ولوجود طائفة كثيرة العدد تقول: إنهما كانا بعد إظهارهما الاسلام على ظاهر كفر بجحد النص وأنه قد كان يظهر منهما النفاق فى حياة النبى صلى الله عليه وآله فقال الشوطى : قد بطل ما أردت أن اورده على هذا السؤال بما أوردت، وكنت أظن أنك تطلق القول على ما سألتك.

فقال له الشيخ: قد سمعت ما عندى، وقد علمت ما الذى أردت فلم امكنك منه، ولكنى أنا أضطرك إلى الوقوع فيما ظننت أنك توقع خصمك فيه:

ص: ١٣١

أليس الامة مجتمعة على أنه من اعترف بالشك فى دين الله عزوجل والريب فى نبوة رسول الله صلى الله عليه وآله فقد اعترف بالكفر وأقربه؟ فقال: بلى.

فقال له الشيخ: فان الامة مجتمعة لا خلاف بينها على أن عمر بن الخطاب قال : ما شككت منذ أسلمت إلا يوم قاضى رسول الله صلى الله عليه وآله أهل مكة، فانى جئت إليه، فقلت له: يا رسول الله، أأست بنبى؟ فقال: بلى، فقلت: ألسنا بالمؤمنين؟ قال: بلى، فقلت له: فعلام تعطى هذه الدنية من نفسك؟ فقال: إنها ليست بدنية ولكنها خير لك! فقلت له: أفليس وعدتنا أنك تدخل مكة؟ قال: بلى، قلت: فمنا بالنا لاندخلها؟ قال: وعدتك أن تدخلها العام؟ قلت: لا، قال: فستدخلها إن شاء الله تعالى، فاعترف بشكه فى دين الله عزوجل ونبوة رسوله، وذكر مواضع شكوكه وبين عن جهاتها، وإذا كان الام ر على ما وصفناه فقد حصل الاجماع على كفره بعد إظهار الايمان واعترافه بموجب ذلك على نفسه . ثم ادعى خصوم (خصوصنا ل) من الناصبة أنه ييقن بعد الشك ورجع إلى الايمان بعد الكفر، فأطرحنا قولهم لعدم البرهان منهم، واعتمدنا على الاجماع فيما ذكرناه.

فلم يأت بشئ أكثر من أن قال : ماكنت أظن أحدا يدعى الاجماع على كفر عمر بن الخطاب حتى الآن ! فقال الشيخ: فالآن قد علمت ذلك وتحققته، ولعمري، إن هذا مما لم يسبقنى إلى استخراجة أحد! فان كان عندك شئ فأورده. فلم يأت بشئ^{١٠٥}.

(٦٨) المفيد مع الورثاني

ومن كلام الشيخ أدام الله علوه أيضا: حضر فى دار الشريف أبى عبد الله

ص: ١٣٢

محمد بن محمد بن طاهر رحمه الله وحضر رجل من المتفقهة يعرف بالورثاني، وهو من فهمائهم، فقال له الورثاني : أليس من مذهبك أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان معصوما من الخطأ، . مبرأ من الزلل، مأمونا عليه السهو والغلط، كاملا بنفسه، غنيا عن رعيته؟.

فقال له الشيخ : بلى كذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله قال : فما تصنع في قول الله عزوجل : " وشاورهم في الامر فإذا عزمت فتوكل على الله "؟

أليس قد أمره الله تعالى بالاستعانة بهم في الرأي وأفقره إليهم، فكيف يصح لك ما ادعيت مع ظاهر القرآن وما فعله النبي - صلى الله عليه وآله ؟! فقال الشيخ : إن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يشاور أصحابه لفقر منه إلى رأيهم ولا حاجة دعتهم إلى مشورتهم من حيث ظننت وتوهمت، بل لا مر آخر إنا نذكره لك بعد الايضاح عما خبرتك به، وذلك : أنا قد علمنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان معصوما من الكبائر، وإن خالفت أنت في عصمته من الصغائر، وكان أكمل الخلق باتفاق أهل الملة وأحسنهم رأيا وأوفرهم عقلا وأحكمهم تدبيرا، وكانت المواد^{١٠٦} بينه وبين الله تعالى متصلة، والملائكة تتواتر عليه بالتوقيف^{١٠٧} عن الله سبحانه والتهديب والانباء له عن المصالح، وإذا كان بهذه الصفات لم يصح أن يدعوه داع إلى اقتباس الرأي من رعيته، لانه ليس أحد منهم إلا وهو دونه في سائر ما عددناه، وإنما يستشير الحكيم غيره على طريق الاستفادة والاستعانة برأيه إذا تبين أنه أحسن رأيا منه وأجود تدبيرا وأكمل عقلا، أو ظن ذلك، فأما إذا أحاط علما بأنه دونه فيما وصفناه لم يكن لاستعانتة في تدبيره برأيه معنى، لان الكامل لا يفتقر إلى الناقص فيما يحتاج فيه إلى الكمال، كما لا يفتقر العالم إلى الجاهل فيما يحتاج فيه إلى العلم، والآية ينبه

ص: ١٣٣

متضمنها على ذلك، ألا ترى إلى قوله عزوجل: " وشاورهم في الامر فإذا عزمت فتوكل على الله "؟ فعلق وقوع الفعل بعزمه دون رأيهم ومشورتهم، ولو كان إنما أمره بمشورتهم للاستضاء برأيهم لقال له : " فإذا أشاروا عليك فاعمل وإذا اجتمع رأيهم على أمر فأمضه " فكان تعلق فعله بالمشورة دون العزم الذي يختص به، فلما جاء الذكر بما تلوناه سقط ما توهمته.

وأما وجه دعائه لهم إلى المشورة عليه صلوات الله عليه فان الله عزوجل أمره بتألفهم بمشورتهم وتعلمهم ما يصنعونه عند عزما تهم ليتأدبوا بأدب الله عزوجل، فاستشارهم لذلك، لا لحاجة إلى رأيهم.

على أن هاهنا وجهها آخر بينا: وهو أن الله سبحانه أعلمه أن في امته من يبتغي له الغوائل ويتربص له الدوائر ويسر خلافه ويبطن مقتته ويسعى في هدم أمره وينافقه^{١٠٨} في دينه ولم يعرفه أعيانهم ولا دله عليهم بأسمائهم، فقال جل جلاله:

^{١٠٦} (١) كذا في النسخ، والظاهر أنها "المادة"

^{١٠٧} (٢) "باتوفيق": (خ ل)

^{١٠٨} (١) "وينافقه": (خ ل)

" ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم " وقال جل اسمه: " وإذا ما انزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يريكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون " ، وقال تبارك اسمه: " يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين " وقال تعالى: " ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون " وقال عز وجل: " وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون " وقال جل جلاله: " ولا يأتون الصلاة إلا كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون " وقال تبارك وتعالى: " وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا " وقال سبحانه بعد

ص: ١٣٤

أن نبأه عنهم فى الجملة: " ولو نشاء لاريناكم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم فى لحن القول " .

فدل عليهم بمقالهم وجعل الطريق له إلى معرفتهم ما يظهر من نفاقهم فى لحن قوله م، ثم أمره بمشورتهم ليصل ما يظهر منهم إلى علم باطنهم، فان الناصح تبدو نصيحته فى مشورته، والعاش المنافق يظهر ذلك فى مقاله، فاستشارهم صلى الله عليه وآله لذلك، ولان الله جل جلاله جعل مشورتهم الطريق إلى معرفتهم، ألا ترى أنهم لما أشاروا ببدر عليه صلى الله عليه وآله فى الاسرى، فصدرت مشورتهم عن نيات مشوبة فى نصيحته، كشف الله ذلك له وذمهم عليه وأبان عن إدغالهم فيه، فقال جل اسمه: " ما كان للنبي أن يكون له اسرى حتى يشخن فى الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم * لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم " فوجه التوبيخ إليهم والتعنيف على رأيهم وأبان لرسوله صلى الله عليه وآله عن حالهم، فيعلم أن المشورة لهم لم يكن للفقر إلى رأيهم، ولكن كانت لما ذكرناه.

فقال شيخ من القوم يعرف بالجراحي وكان حاضرا يا سبحان الله! أترى أن أبا بكر وعمر كانا من أهل النفاق؟ كلا ما نظنك أيذك الله تطلق هذا! وما رأينا صلى الله عليه وآله استشار ببدر غيرهما، فان كانا هما من المنافقين فهذا ما لا نصبر عليه ولا تقوى على استماعه، وان لم يكونا من جملة أهل النفاق، فاعتمد على الوجه الاول، وهو أن النبي صلى الله عليه وآله أراد أن يتألفهم بالمشورة ويعلمهم كيف يصنعون فى أمورهم.

فقال له الشيخ أدام الله نعماءه : ليس هذا من الحجاج أيها الشيخ فى شئ، وإنما هو استكبار واستعظام معدول به عن الحجة والبرهان، ولم نذكر إنسانا بعينه وإنما أتينا بمجمل من القول ففصله الشيخ وكان غنيا عن تفصيله.

وصاح الورثاى وأعلى صوته بالصياح يقول: الصحابة أجل قدرا من أن

ص: ١٣٥

يكونوا من أهل النفاق، ولا سيما الصديق والفاروق! وأخذ فى كلام نحو هذا من كلام السوقة والعامة وأهل الشغب والفتن.

فقال له الشيخ أيده الله: دع عنك الضجيج وتخلص مما أوردته عليك من البرهان واحتل لنفسك وللقوم، فقد بان الحق وزهق الباطل بأهون سعي، والحمد لله رب العالمين^{١٠٩}.

(٦٩) المفيد في جواب المعتزلة والحشوية

ومن كلام الشيخ - أدام الله تأييده - أيضا: سأله بعض أصحابه فقال له:

إن المعتزلة والحشوية يدعون أن جلوس أبي بكر وعمر مع رسول الله صلى الله عليه وآله في العريش كان أفضل من جهاد أمير المؤمنين عليه السلام بالسيف، لانهما كانا مع النبي صلى الله عليه وآله في مستقرة يدبران الامر معه صلى الله عليه وآله، ولو لا أنهما أفضل الخلق عنده ما اختصهما بالجلوس معه، فبأى شئ تدفع هذا؟.

فقال له الشيخ: سبيل هذا القول أن يعكس، وهذه القضية أن تقلب، وذلك أن النبي صلى الله عليه وآله لو علم أنهما لو كانا من جملة المجاهدين بأنفسهما يبارزان الاقران ويقتلان الابطال ويحصل لهما جهاد يستحقان به الثواب لما حال بينهما وبين هذه المنزلة التي هي أجل وأشرف وأعلى وأسنى من القعود على كل حال بنص^١ لكتاب، حيث يقول الله سبحانه: " لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما" فلما رأينا الرسول صلى الله عليه

ص: ١٣٦

وآله قد منعهما هذه الفضيلة وأجلسهما معه علمنا أن ذلك لعلمه بأنهما لو تعرضا للقتال أو عرضا له لافسدا إما بأن ينهزما أو يوليا الدبر كما صنعا يوم أحد وخيبر وحنين وكان يكون في ذلك عظيم الضرر على المسلمين ولا يؤمن وقوع الوهن فيهم بهزيمة شيخين من جملتهم، أو كانا من فرط ما يلحقهما من الخوف والجزع يصيران إلى أهل الشرك مستأمنين، أو غير ذلك من الفساد الذي يعلمه الله تعالى، ولعله لطف للامة بأن أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بحبسهما عن القتال.

فأما ما توهموه: من أنه حبسهما للاستعانة برأيهما، فقد ثبت أنه كان كاملا وكانا ناقصين عن كماله، وكان صلى الله عليه وآله معصوما وكانا غير معصومين، وكان مؤيدا بالملائكة وكانا غير مؤيدين، وكان يوحى إليه وينزل القرآن عليه ولم يكونا كذلك، فأى فقر يحصل له مع ما وصفناه إليهما لولا عمى القلوب وضعف الرأي وقلة الدين؟ ! والذي يكشف لك عن صحة ما ذكرته أنفا في وجه إجلاسهما معه في العريش قول الله سبحانه: " إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والفرقان " فلو يخلو الرجلان من أن يكونا مؤمنين أو غير مؤمنين، فقد اشترى الله عز وجل أنفسهما منهما بالجنة على شرط القتال المؤدى إلى القتل منهما لغيرهما أو قتل غيرهما لهما، ولو كان ذلك كذا لما حال النبي بينهما وبين الوفاء بشرط الله عليهما من القتال، وفي منعهما من ذلك دليل على أنهما بغير

الصفة التي يعتقدونها فيهما الجاهلون، فقد وضح بما بيناه أن العريش وبال عليها ودليل على نقصهما وأنه بالضد مما توهموه، والمنة لله تعالى^{١١٠}.

ص: ١٣٧

(٧٠) المفيد مع الخياط

وقال الشيخ أدام الله عزه: قال أبو الحسين الخياط جاءني رجل من أصحاب الامامة عن رئيس لهم زعم أنه أمره أن يسألني عن قول النبي صلى الله عليه وآله لا يبي بكر: "لا تحزن" أطاعة خوف أبي بكر أم معصية؟ قال: فان كان طاعة فقد نهاه عن الطاعة وإن كان معصية فقد عصى أبو بكر.

قال: فقلت له: دع الجواب اليوم ولكن ارجع إليه واسأله عن قول الله تعالى لموسى عليه السلام "لا تخف" أيخلو خوف موسى عليه السلام من أن يكون طاعة أم معصية؟ فان يك طاعة فقد نهاه عن الطاعة، وإن يك معصية فقد عصى موسى عليه السلام.

قال: فمضى ثم عاد إلى، فقلت: رجعت إليه؟ قال: نعم، فقلت له:

ما قال؟ قال: قال لي: لا تجلس إليه.

قال الشيخ أدام الله عزه: ولست أدري صحة هذه الحكاية، ولا أبعد أن يكون من تخرص الخياط. ولو كان صادقا في قوله: إن رئيسا من الشيعة أنفذ مسألة عن هذا السؤال لما قصر الرئيس عن إسقاط ما أورده من الاعتراض ويقوى في النفس أن الخياط أراد تقبيح أهل الامامة في تخرص هذه الحكاية، غير أنني أقول له ولاصحابه:

الفصل بين الامرئ واضح، وذلك أنني لو خليت وظاهر قوله تعالى لموسى عليه السلام: "لا تخف" وقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله: "لا يحزنك قولهم" وما أشبه هذا مما توجه إلى الانبياء - عليهم السلام - لقطعت على أنه نهى عن قبيح يستحقون عليه الذم، لان في ظاهره حقيقة النهي من قوله: "لا تفعل" كما أن في ظاهر خلافه ومقابله في الكلام حقيقة الامر إذا قال له: "افعل"

ص: ١٣٨

لكنني عدلت عن الظاهر لدلالة عقلية أوجبت على العدول، كما يوجب الدلالة على المرور مع الظاهر عند عدم الدليل الصارف عنه، وهي ما ثبت من عصمة الانبياء عليهم السلام التي تنبئ عن اجتنابهم الآثام، وإذا كان الاتفاق حاصلًا على أن أبا بكر لم يكن معصوما كعصمة الانبياء عليهم السلام وجب أن يجري كلام الله تعالى فيما ضمنه من قصته على ظاهر النهي وحقيقته وقبح

الحال التي كان عليها فتوجه النهي إليه عن استدامتها، إذ لا صارف يصرف عن ذلك من عصمته ولا خبر عن الله سبحانه فيه ولا عن رسوله صلى الله عليه وآله فقد بطل ما أورده الخياط - وهو في الحقيقة رئيس المعتزلة - وبأن وهي اعتماده.

ويكشف عن صحة ما ذكرناه ما تقدم به مشايخنا رحمهم الله وهو : أن الله سبحانه لم ينزل السكينة قط على نبيه صلى الله عليه وآله في موطن كان معه فيه أحد من أهل الايمان إلا عمهم بنزول السكينة وشملهم بها، بذلك جاء القرآن، قال الله سبحانه : " ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلن تغن عنكم شيئا وضاعت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين * ثم أنزل الله سكينة على رسوله وعلى المؤمنين " ولما لم يكن مع النبي صلى الله عليه وآله في الغار إلا أبو بكر أفرد الله سبحانه نبيه بالسكينة دونه وخصه بها ولم يشركه معه، فقال عز اسمه : " فأنزل الله سكينة عليه وأيده بجنود لم تروها " فلو كان الرجل مؤمنا لجرى مجرى المؤمنين في عموم السكينة لهم.

ولو لا أنه أحدث بحزنه في الغار منكر الاجله توجه النهي إليه عن استدامته لما حرمه الله تعالى من السكينة ما تفضل به على غيره من المؤمنين الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله في المواطن الاخر على ما جاء في القرآن ونطق به محكم الذكر بالبيان، وهذا بين لمن تأمله.

قال الشيخ أيده الله: وقد حوى هذا الكلام جماعة من الناصبة وضيق صدورهم فتشعبوا واختلفوا في الحيلة في التخلص منه، فما أعتد منهم أحد إلا

ص: ١٣٩

على ما يدل على ضعف عقله وسخف رأيه وضلاله عن الطريق، فقال قوم منهم:

إن السكينة إنما نزلت على أبي بكر، واعتلوا في ذلك بأنه كان خائفا رعبا، ورسول الله صلى الله عليه وآله كان آمنا مطمئنا، قالوا: والآمن غنى عن السكينة، وإنما يحتاج الخائف للوجل.

قال الشيخ أيده الله: فيقال لهم: قد جنيتم بجهلكم على أنفسكم بطعنكم في كتاب الله بهذا الضعيف الواهي من استدلالكم، وذلك أنه لو كان ما اعتللتكم به صحيحا لوجب أن لا تكون السكينة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله في يوم بدر ولا في يوم حنين، لانه لم يك صلى الله عليه وآله في هذين الموضعين خائفا ولا جزعا، بل كان آمنا مطمئنا متيقنا بكون الفتح له، وأن الله تعالى يظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وفيما نطق به القرآن من تنزيل السكينة عليه ما يدمر على هذا الاعتلال.

فان قلت: إن النبي صلى الله عليه وآله كان في هذين المقامين خائفا وإن لم يبد خوفه فلذلك نزلت السكينة عليه فيهما وحملتم انفسكم على هذه الدعوى، قلنا لكم: وهذه كانت قصته صلى الله عليه وآله في الغار، فلم تدفعون ذلك؟.

فان قلت: إنه - صلى الله عليه وآله - قد كان محتاجا إلى السكينة في كل حال لينتفي عنه الخوف والجزع ولا يتعلقان به في شيء من الاحوال، نقضتم ما سلف لكم من الاعتلال وشهدتم ببطلان مقالكم الذي قدمناه . على أن نص التلاوة يدل على خلاف ما ذكرتموه، وذلك أن الله سبحانه قال: " فأنزل الله سكينة عليه وأيده . بجنود لم تروها " فأنبأ الله عز وجل خلقه أن الذي نزلت

عليه السكينة هو المؤيد بالملائكة، وإذا كانت " الهاء " التي في التأييد تدل على ما دلت عليه " الهاء " التي في نزول السكينة، وكانت " هاء " الكناية من مبتدأ قوله: " إلا تنصروه فقد نصره الله " إلى قوله: " وأيده بجنود لم تروها " عن مكنى واحد ولم يجز أن تكون عن إثنيين غيرين، كما لا يجوز أن يقول القائل: لقيت

ص: ١٤٠

زيدا فأكرمه وكلمته، فيكون الكلام لزيد بهاء الكناية ويكون الكرامة لعمر أو خالد أو بكر، وإذا كان المؤيد بالملائكة رسول الله صلى الله عليه وآله باتفاق الأمة، فقد ثبت أن الذي نزلت عليه السكينة هو خاصة دون صاحبه. وهذا ما لا شبهة فيه.

وقال قوم منهم: إن السكينة وإن اختص بها النبي صلى الله عليه وآله فليس يدل ذلك على نقص الرجل، لأن السكينة إنما يحتاج إليها الرئيس المتبوع دون التابع.

فيقال لهم: هذا رد على الله سبحانه، لأنه قد أنزلها على الاتباع المرؤسين بيد وحنين وغيرهما من المقامات، فيجب على ما أصلتموه أن يكون الله سبحانه فعل بهم ما لم يكن بهم الحاجة إليه، ولو فعل ذلك لكان عابثا، تعالى الله عما يقول المبطلون علوا كبيرا!!

قال الشيخ أدام الله عزه: وما هنا شبهة يمكن إيرادها هي أقوى مما تقدم، غير أن القوم لم يهتدوا إليها، وأظن أنها خطرت ببال أحد منهم، وهو أن يقول قائل: قد وجدنا الله سبحانه ذكر شيئين، ثم عبر عن أحدهما بالكناية، فكانت الكناية عنهما معا دون أن يختص بأحدهما، وهو مثل قوله سبحانه: " والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله " فأورد لفظ الكناية عن الفضة خاصة وإنما أرادهما جميعا معا، وقد قال الشاعر:

عندك راض والامر مختلف

نحن بما عندنا وأنت بما

وإنما أراد نحن بما عندنا راضون وأنت راض بما عندك، فذكر أحد الامرين فاستغنى عن الآخر، كذلك يقول سبحانه: " فأنزل الله سكينته عليه " ويريدهما جميعا دون أحدهما.

والجواب عن هذا وبالله التوفيق أن الاختصار بالكناية على أحد المذكورين دون عموم الجميع مجاز واستعارة، واستعمله أهل اللسان في مواضع

ص: ١٤١

مخصوصة، وجاء به القرآن فى أماكن محصورة، وقد ثبت أن الاستعارة ليست بأصل يجرى فى الكلام، ولا يصح عليها القياس، وليس يجوز لنا أن نعدل عن ظواهر القرآن وحقيقة الكلام إلا بدليل يلجئ إلى ذلك، ولا دليل فى قوله تعالى: "فأنزل الله سكينته عليه" فنتعدى من أجله المكنى عنه إلى غيره.

وشئ آخر: وهو أن العرب إنما تستعمل ذلك إذا كان المعنى فيه معروفا والالتباس عنه مرتفعا، فتكتفى بلفظ الواحد عن الاثنين للاختصار ولا مانها من وقوع الشبهة والارتباب، فأما إذا لم يكن الشئ معروفا وكان الالتباس عند أفراد متوهما لم يستعمل ذلك، ومن استعمله كان عندهم ملغزا معميا، ألا ترى أن الله سبحانه لما قال: "والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها" علم كل سامع للخطاب أنه أرادهما معا مع ما قدمه من كراهة كنزهما المانع من إنفاقهما؟ فلما عم الشئين بذكر ينتظمهما فى ظاهر المقال بما يدل على معنى ما أخره من ذكر الانفاق اكتفى بذكر أحدهما للاختصار.

وكذلك قوله تعالى: "وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها" وإنما اكتفى بالكناية عن أحدهما فى ذكرهما معا لما قدمه فى ذكرهما من دليل ما تضمنه الدلالة، فقال تعالى: "وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها". فأوقع الرؤية على الشئين جميعا، وجعلهما سببا للاشتغال بما وقعت عليه منهما عن ذكر الله سبحانه والصلاة، وليس يجوز أن يقع الالتباس فى أنه أراد أحدهما مع ما قدم من الذكر، إذ لو أراد ذلك لخلا الكلام عن الفائدة المعقولة، وكان العلم بذلك يجرى فى الإشارة إليه.

وكذلك قوله سبحانه: "والله ورسوله أحق أن يرضوه" لما تقدم ذكر الله تعالى على التفصيل وذكر رسوله صلى الله عليه وآله على البيان، دل على أن الحق فى الرضا لهما جميعا، وإلا لم يكن ذكرهما جميعا معا يفيد شيئا على الحد الذى قدمناه.

ص: ١٤٢

وكذلك قول الشاعر: "وأنت بما عندك راض والامر مختلف" لو لم يتقدمه قبله "نحن بما عندنا" لم يجز الاقتصار على الثانى، لانه لو حمل الاول على إسقاط المضمير من قوله: "راضون" لخلا من الفائدة، فلما كان سائر ما ذكرناه معلوما عند من عقل الخطاب جاز الاقتصار فيه على أحد المذكورين للايجاز والاختصار.

وليس كذلك قوله تعالى: "فأنزل الله سكينته عليه" لان الكلام يتم فيها وينتظم فى وقوع الكناية عن النبى صلى الله عليه وآله خاصة دون الكائن معه فى الغار، ولا يفتقر إلى رد "الهاء" عليهما معا مع كونهما فى الحقيقة كناية عن واحد فى الذكر وظاهر اللسان، ولو أرادها للجميع لحصل الالتباس والتعمية والالغاز، لانه كما يك ون اللبس واقعا عند دليل الكلام على انتظامهما للجميع متى أريد بها الواحد مع عدم الفائدة لو لم يرجع على الجميع كذلك يكون التلبيس حاصلا إذا أريد بها الجميع عند عدم الدليل الموجب لذلك، وكمال الفائدة مع الاقتصار على الواحد فى المراد، ألا ترى أن قائلا لو قال: "أقيت زيدا ومعه عمرو فخطبت زيدا وناظرته" وأراد بذلك مناظرة الجميع لكان ملغزا معميا؟ لانه لم يكن فى كلامه ما يفتقر إلى عموم الكناية عنهما.

ولو جعل هذا نظير الآيات التى تقدمت لكان جاهلا بفرق ما بينها وبينه مما شرحناه، فتعلم أنه لانسبة بين الامرين.

وشئ آخر: وه وأنه سبحانه كنى بالهاء التاليف للهاء التى فى السكينة عن النبى صلى الله عليه وآله خاصة، فلم يجز أن يكون أراد بالاوله غير النبى صلى الله عليه وآله لانه لا يعقل فى لسان القوم كناية عن مذكورين بلفظ واحد، وكناية ترد فيها على النسق عن واحد من الاثنين، وليس لذلك نظير فى القرآن ولا فى الاشعار ولا فى شئ من الكلام فلما كانت "الهاء" فى قوله تعالى:

" وأيده بجنود لم تروها" كناية عن النبى صلى الله عليه وآله بالاتفاق، ثبت

ص: ١٤٣

أن التى قبلها من قوله: " فأُنزل الله سكنته عليه " كناية عنه صلى الله عليه وآله خاصة، وبان مفارقة ذلك لجميع ما تقدم ذكره من الآى والشعر الذى استشهد. والله الموفق للصواب^{١١١}.

(٧١) المفيد مع من يذهب مذهب الكرابيسى

ومن كلام الشيخ أدام الله عزه قال : قال له رجل من أصحاب الحديث ممن يذهب إلى مذهب الكرابيسى : ما رأيت أجسر من الشيعة فيما يدعونه من المحال، وذلك أنهم زعموا أن قول الله عزوجل : " إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا" نزلت فى على وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام مع ما فى ظاهر الآية أنها نزلت فى أزواج النبى صلى الله عليه وآله وذلك أنك إذا تأملت الآية من أولها إلى آخرها وجدتها منتظمة لذكر الأزواج خاصة، ولن تجد لمن ادعوا لها ذكرا.

قال الشيخ أدام الله عزه : أجسر الناس على ارتكاب الباطل وأبتهتهم وأشدّهم انكارا للحق وأجهلهم من قام مقامك فى هذا الاحتجاج ودفع ما عليه الاجماع والاتفاق، وذلك : أنه لا خلاف بين الامة أن الآية من القرآن قد تأتى وأولها فى شئ وآخرها فى غيره ووسطها فى معنى وأولها فى سواه، وليس طريق الاتفاق فى المعنى احاطة وصف الكلام فى الآتى، فقد نقل الموافق والمخالف أن هذه الآية نزلت فى بيت أم سلمة - رضى الله عنها - ورسول الله صلى الله عليه وآله فى البيت ومعه على وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وقد جللهم بعباء خيبرية، وقال : " اللهم هؤلاء أهل بيتى " فأُنزل الله عزوجل عليه " إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا" فتلاها

ص: ١٤٤

رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت ام سلمة رضى الله عنها : يا رسول الله أأنت من أهل بيتك؟ فقال لها: " إنك إلى خير " ولم يقل لها: " إنك من أهل بيتى " حتى روى أصحاب الحديث أن عمر سئل عن هذه الآية، قال : سلوا عنها عائشة، فقالت عائشة:

^{١١١} (١) البحار: ج ١٠ ص ٤٢٤ - ٤١٨

إنها نزلت فى بيت أختى أم سلمة، فسلوها عنها، فانها أعلم بها منى، فلم يختلف أصحاب الحديث من الناصبة وأصحاب الحديث من الشيعة فى خصوصها فيمن عددناه.

وحمل القرآن فى التأويل على ما جاء به الاثر أولى من حمله على الظن والترجيم، مع أن الله سبحانه قد دل على صحة ذلك بمتضمن هذه الآية حيث يقول: "إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا" وإذهاب الرجس لا يكون إلا بالعصمة من الذنوب، لان الذنوب من أرجس الرجس، والخبر عن الارادة ها هنا إنما هو خبر عن وقوع الفعل خاصة دون الارادة التى يكون بها لفظ الامر أمرا، لاسيما على ما أذهب إليه فى وصف القديم بالارادة وافترق بين الخبر عن الارادة هاهنا والخبر عن الارادة فى قوله سبحانه:

"يريد الله ليبين لكم" وقوله: "يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر" إذ لو جرت مجرى واحدا لم يكن لتخصيص أهل البيت بها معنى، إذ الارادة التى يقتضى الخبر والبيان يعم الخلق كلهم على وجهها فى التفسير ومعناها، فلما خص الله تبارك وتعالى أهل البيت عليهم السلام بإرادة ذهاب الرجس عنهم دل على ما وصفناه من وقوع إذهابه عنهم، وذلك موجب للعصمة على ما ذكرناه.

وفى الاتفاق على ارتفاع العصمة عن الأزواج دليل على بطلان مقال من زعم أنها فيهن.

مع أن من عرف شيئا من اللسان وأصله لم يرتكب هذا القول ولا توهم صحته، وذلك : أنه لا خلاف بين أهل العربية أن جمع المذكر بالميم وجمع

ص: ١٤٥

المؤنث بالنون، وأن الفصل بينهما بهاتين العلامتين، ولا يجوز فى لغة القوم وضع علامة المؤنث على المذكر ولا وضع علامة المذكر على المؤنث، ولا استعملوا ذلك فى الحقيقة والمجاز، ولما وجدنا الله سبحانه قد بدأ فى هذه الآية بخطاب النساء وأورد علامة جمعهن من النون فى خطابهن، فقال: "يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض" إلى قوله:

"وأطعن الله ورسوله" ثم عدل الكلام عنهن بعد هذا الفصل إلى جمع المذكر، فقال: "إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا" فلما جاء بالميم وأسقط النون علمنا أنه لم يتوجه هذه القول إلى المذكر الاول بما بيناه من أصل العربية وحقيقتها، ثم رجع بعد ذلك إلى الأزواج، فقال:

"واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفا خبيرا".

فدل بذلك على أفراد من ذكرناه من آل محمد عليهم السلام بما علقه عليهم من حكم الطهارة الموجبة للعصمة وجليل الفضيلة.

وليس يمكنكم معشر المخالفين أن تدعوا أنه كان في الأزواج المذكوراً رجل غير النساء أو ذكر ليس برجل، فيصح التعلق منكم بتغليب المذكر على المؤنث إذ كان في الجمع ذكر، وإذا لم يمكن ادعاء ذلك وبطل أن يتوجه إلى الأزواج، فلا غير لهن توجهت إليه إلا من ذكرناه ممن جاء فيه الأثر على ما بيناه^{١١٢}.

(٧٢) المفيد يستدل على الامامة

ومن كلام الشيخ أدام الله عزه أيضاً في الدلالة على أن أمير المؤمنين صلوات الله عليه وتسليمه لم يباي ع أبا بكر قال الشيخ: قد أجمعت الأمة على أن أمير المؤمنين عليه السلام تأخر عن بيعه أبي بكر، فالمقلل يقول: كان تأخره

ص: ١٤٦

ثلاثة أيام، ومنهم من يقول: تأخر حتى ماتت فاطمة عليها السلام ثم بايع بعد موتها، ومنهم من يقول: تأخر أربعين يوماً، ومنهم من يقول: تأخر ستة أشهر، والمحققون من أهل الامامة يقولون: لم يبايع ساعة قط، فقد حصل الاجماع على تأخره عن البيعة، ثم اختلفوا في بيعته بعد ذلك على ما قدمنا به الشرح.

فما يدل على أنه لم يبايع البتة: أنه ليس يخلو تأخره من أن يكون هدى وتركه ضلالاً، أو يكون ضلالاً وتركه هدى وصواباً، أو يكون صواباً وتركه صواباً، أو يكون خطأ وتركه خطأ.

فلو كان التأخر ضلالاً وباطلاً لكان أمير المؤمنين عليه السلام قد ضل بعد النبي صلى الله عليه وآله بترك الهدى الذي كان يجب عليه المصير إليه، وقد أجمعت الأمة على أن أمير المؤمنين عليه السلام لم يقع منه ضلال بد النبي صلى الله عليه وآله في طول زمان أبي بكر وأيام عمرو عثمان وصدرا من أيامه حتى خالفت الخوارج عند التحكيم وفارقت الأمة، فبطل أن يكون تأخره عن بيعه أبي بكر ضلالاً.

وإن كان تأخره هدى وصواباً وتركه خطأ وضلالاً، فليس يجوز أن يعدل عن الصواب إلى الخطأ ولا عن الهدى إلى الضلال، ولا سيما والاجماع واقع على أنه لم يظهر منه ضلال في أيام الثلاثة الذين تقدموا عليه.

ومحال أو يكون التأخر خطأ وتركه خطأ، للاجماع على بطلان ذلك أيضاً، ولما يوجب القياس من فساد هذا المقال.

وليس يصح أن يكون صواباً وتركه صواباً، لأن الحق لا يكون في جهتين ولا على صفتين متضادتين، ولأن القوم المخالفين لنا في هذه المسألة مجمعون على أنه لم يكن إشكال في جوار الاختيار وصحة إمامة أبي بكر، وإنما الناس بين قائلين: قائل من الشيعة يقول: إن إمامة أبي بكر كانت فاسدة فلا يصح القول

ص: ١٤٧

^{١١٢} (١) البحار: ج ١٠ ص ٤٢٧ - ٤٢٤

بها أبداً، وقائل من الناصبة يقول: إنها كانت صحيحة ولم يكن على أحد ريب في صوابها، إذ جهة استحقاق الامامة هو ظاهر العدالة والنسب والعلم والقدرة على القيام بالامور، ولم تكن هذه الامور ملتبسة على أحد في أبي بكر عندهم، وعلى ما يذهبون إليه فلا يصح مع ذلك أن يكون المتأخر عن بيعته مصيباً أبداً ، لا أنه لا يكون متأخراً لفقد الدليل، بل لا يكون متأخراً لشبهة، وإنما يتأخر إذا ثبت أنه تأخر للعناد.

فثبت بما بيناه أن أمير المؤمنين عليه السلام لم يبايع أبا بكر على شيء من الوجوه، كما ذكرناه وقدمناه.

وقد كانت الناصبة غافلة عن هذا الاستخراج مع موافقتها على أن أمير المؤمنين عليه السلام تأخر عن البيعة وقتنا ما، ولو فطنت له لسبقت بالخلاف فيه عن الاجماع، وما أبعد أنهم سيرتكون ذلك إذا وقفوا على هذا الكلام، غير أن الاجماع السابق لمرتكب ذلك يحجه ويسقط قوله، فيهن قصته، ولا يحتاج معه إلى الاكثار.^{١١٣}

(٧٣) ابن عباس مع عمر بن الخطاب

قال (عمر) لعبدالله بن عباس يوماً: يا عبد الله، ما تقول في منع قومكم منكم؟ قال: لا أعلم يا أمير المؤمنين، قال: اللهم غفراً! إن قومكم كرهوا أن تجتمع لكم النبوة والخلافة، فتذهبون في السماء بذخا وشمخاً. لعلكم تقولون:

إن أبا بكر أراد الامرء عليكم وهضمكم، كلا! لكنه حضره أمر لم يكن عنده أحزم مما فعل، و لولا رأى بكر في بعد موته لاعاد أمركم إليكم، ولو فعل

ص: ١٤٨

ما هناك مع قومكم! إنهم لينظرون إليكم نظر الثور إلى جازره.^{١١٤}

(٧٤) ابن عباس مع عمر

عن ابن عباس، قال: مر عمر بعلي وعنده ابن عباس بفناء داره، فسلم، فسألاه اين تريد؟ فقال: مالي بينبع، قال علي: أفلا نصل جناحك ونقوم معك؟ فقال: بلى، فقال لابن عباس: قم معه، قال: فشبك أصابعه في أصابعي ومضى حتى إذا خلفنا البقيع، قال: يا ابن عباس، أما والله، أن صاحبك هذا أولى الناس بالامر بعد وفاة رسول الله، إلا أنا خفناه على اثنتين، قال ابن عباس: فجاء بمنطق لم أجد بداً معه من مسألته عنه، فقلت:

يا أمير المؤمنين، ماهما؟ قال: خشينا على حداثة سنه وحبه بنى عبد المطلب.^{١١٥}

^{١١٣} (١) البحار: ج ١٠، ص ٤٢٧، والفصول المختارة: ص ٣٩ ط المؤتمر

^{١١٤} (١) ابن أبي الحديد: ج ٢ ص ١٨٩. والبحار: ج ٨ ص ٢٩٢ ط الكمباني

^{١١٥} (٢) ابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٥٧

(٧٥) ابن عباس وعمر

عن ابن عباس رحمه الله تعالى قال: تفرق الناس ليلة الجابية عن عمر، فسار كل واحد مع إلفه، ثم صادفت عمر تلك الليلة في مسيرنا فحادثته، فشكا إلى تخلف على عنه، فقلت: ألم يعتذر إليك؟ قال: بلى، فقلت: هو ما اعتذر به؟ قال: يا ابن عباس، إن أول من ريثكم عن هذا الامر أبو بكر، إن قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم الخلافة والنبوة، قلت: لم ذاك يا أمير المؤمنين؟ ألم نلهم خيرا؟ قال: بلى، ولكنهم لو فعلوا لكنتم عليهم جحفا جحفا^{١١٦}.

ص: ١٤٩

(٧٦) ابن عباس وعمر

كان عبد الله بن عباس عند عمر، فتنفس عمر نفسا عاليا، قال ابن عباس:

حتى ظننت أن أضلاعه قد انفرجت! فقلت له: ما أخرج هذا النفس منك يا أمير المؤمنين إلا هم شديد، قال: إى والله يا ابن عباس! إنى فكرت فلم أدر فيمن أجعل هذا الامر بعدى. ثم قال: لعلك ترى صاحبك لها أهلا! قلت:

وما يمنعه من ذلك مع جهاده وسابقتها وقرابته وعلمه؟ قال: صدقت، ولكنه امرؤ فيه دعابة، قلت: فأين أنت من طلحة؟ قال: هو ذو البأ وباصبعه المقطوعة، قلت: فعبد الرحمن؟ قال: رجل ضعيف لو صار الامر إليه لوضع خاتمه بيد امرأته، قلت: فالزبير؟ قال شكس لقس يلاطم فى البقيع فى صاع من بر، قلت: فسعد ابن أبى وقاص؟ قال: صاحب مقنب وسلاح، قلت:

فعثمان؟ قال: أوه! أوه! مرارا، ثم قال: والله لئن وليها ليحملن بنى أبى معيط على رقاب الناس ثم لتنهضن إليه العرب فتقتله.

ثم قال: يا ابن عباس، إنه لا يصلح لهذا الامر إلا حصيف العقدة قليل الغرة لا تأخذه فى الله لومة لائم، يكون شديدا من غير عنف، ليئا من غير ضعف، جوادا من غير سرف، ممسكا من غير وكف. قال ابن عباس: وكانت هذه صفات عمر، ثم أقبل على فقال: إن أحرأهم أن يحملهم على كتاب ربهم وسنة نبيهم لصاحبك! والله لئن وليها ليحملنهم على المحجة البيضاء والصراط المستقيم^{١١٧}.

ص: ١٥٠

(٧٧) ابن عباس وعمر

روى ابن عباس - رض - قال: دخلت على عمر فى أول خلافته ... قال من أين جئت يا عبد الله؟ قلت: من المسجد، قال: كيف خلفت ابن عمك؟

^{١١٦} (٣) ابن أبى الحديد: ج ٢ ص ٥٨

^{١١٧} (١) ابن أبى الحديد: ج ٦ ص ٣٢٦، وج ١٢ ص ٥٢/١٤٢ - ٥١

فظننته يعنى عبد الله بن جعفر، قلت : خلفته يلعب مع أترابه، قال : لم أعن ذلك، إنما عنيت عظيمكم أهل البيت، قلت : خلفته يمتح بالغرب على نخيلات من فلان وهو يقرأ القرآن.

قال: يا عبد الله! عليك دماء البدن إن كتمتنيها هل بقى فى نفسه شئ من أمر الخلافة؟ ... قلت: نعم، وأزيدك، سألت أبى عما يدعيه، فقال: صدق.

فقال عمر: لقد كان من رسول الله صلى الله عليه وآله فى أمره ذرو من قول لا يثبت حجة ولا يقطع عذرا، ولقد كان يربع فى أمره وقتنا ما، ولقد أراد فى مرضه أن يصرح باسمه فمنعت من ذلك إشفاقا وحيطة على الاسلام ! لا ورب هذه البنية لا تجتمع عليه قريش أبدا، ولو وليها لانتفضت عليه العرب من أقطارها، فعلم رسول الله صلى الله عليه وآله أنى علمت ما فى نفسه فأمسك، وأبى الله إلا إمضاء ما حتم^{١١٨}.

(٧٨) ابن عباس وعمر

روى الزبير بن بكار فى كتاب الموفقيات عن عبد الله بن عباس، قال: إني لا ماشى عمر بن الخطاب فى سكة من سكك المدينة، إذ قال لى: يا ابن عباس،

ص: ١٥١

ما أرى صاحبك إلا مظلوما! فقلت فى نفسى: والله لا يسبقنى بها، فقلت:

يا أمير المؤمنين، فاردد إليه ظلامته، فانتزع يده من يدي ومضى يهيمهم ساعة، ثم وقف، فلحقته، فقال : يا ابن عباس، ما اظنهم منعهم عنه إلا أنه استصغره قومه، فقلت فى نفسى: هذه شر من الاولى، فقلت: والله ما استصغره الله ورسوله حين أمراه أن يأخذ براءة من صاحبك، فأعرض عني وأسرع، فرجعت عنه^{١١٩}.

(٧٩) ابن عباس وعمر

عن عبد الله بن عباس قال : خرجت اريد عمر بن الخطاب فلقيته راكبا حمارا وقد ارتسنه بحبل أسود فى رجليه نعلان مخصوفتان قال: يا ابن عباس، إن صاحبكم إن ولى هذا الامر أخشى عجبه بنفسه أن يذهب به، فليتني أراكم بعدى! قلت: يا أمير المؤمنين، إن صاحبنا ما قد علمت أنه ما غير ولا بدل ولا أسخط رسول الله صلى الله عليه وآله أيام صحبته له.

^{١١٨} (١) ابن أبي الحديد: ج ١٢ ص ٢٢-٢١ عن تاريخ بغداد والبحار: ج ٨ ص ٢٦٦ ط الكمباني عنه وص ٢٩٢ عنه وعن تاريخ بغداد

^{١١٩} (١) ابن أبي الحديد: ج ١٢ ص ٤٦، وفى الهامش: عن الرياض النضرة: ج ٢ ص ١٧٣. وفى ج ٦ ص ٤٥. والبحار: ج ٤٠ ص ١٢٥

قال: فقطع على الكلام، فقال: ولا فى ابنة أبى جهل لما أراد أن يخطبها على فاطمة عليها السلام؟ قلت: قال الله تعالى: "ولم نجد له عزما" وصاحبنا لم يعزم على سخط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولكن الخواطر التى لا يقدر أحد على دفعها عن نفسه، وربما كان من الفقيه فى دين الله العالم العامل بأمر الله.

فقال: يا ابن عباس، من ظن أنه يرد بحورك فيغوض فيها معكم حتى يبلغ

ص: ١٥٢

قعرها فقد ظن عجزا! أستغفر الله لى ولك، خذ فى غيرها^{١٢٠}.

(٨٠) عبد الله بن عباس وعمر

روى عبد الله بن عمر قال : كنت عند أبى يوما وعنده نفر من الناس، فجرى ذكر الشعر، فقال : من أشعر العرب؟ فقالوا : فلان وفلان، فطلع عبد الله بن عباس فسلم وجلس . فقال عمر: قد جاءكم الخبير، من أشعر الناس يا عبد الله؟ قال : زهير بن أبى سلمى. قال: فانشدنى مما تستجده له، فقال: يا أمير المؤمنين، إنه مدح قوما من غطفان يقال لهم بنو سنان، فقال:

قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم

طابوا وطاب من الاولاد ما ولدوا

قوم أبوهم سنان حين تنسبهم

مرزؤن بهاليل إذا جهدوا

إنس إذا أمنوا جن إذا فزعوا

لا ينزع الله منهم ما له حسدوا

محسدون على ما كان من نعم

فقال عمر: والله لقد أحسن، وما أرى هذا المدح يصلح إلا لهذا البيت من هاشم، لقرايتهم من رسول الله صلى الله عليه وآله فقال ابن عباس:

وفقك الله يا أمير المؤمنين، فلم تزل موقفا.

فقال: يا ابن عباس! أتدرى ما منع الناس منكم؟ قال : لا يا أمير المؤمنين، قال : لكنى أدري، قال: ما هو يا أمير المؤمنين؟ قال : كرهت قريش أن تجتمع لكم النبوة والخلافة فيجحفوا جحفا، فنظرت قريش لنفسها فاخترت ووفقت فأصابت .

^{١٢٠} (١) ابن أبى الحديد: ج ١٢ ص ٥١ - ٥٠. وج ٦ ص ٥٠

فقال ابن عباس: أيحيط أمير المؤمنين عنى غضبه فيسمع؟ قال: قل ما تشاء.

قال: أما قول أمير المؤمنين: "إن قريشا كرهت" فإن الله تعالى قال لقوم:

ص: ١٥٣

"ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم".

وأما قولك: "إنا كنا نجحف" فلو جحفنا بالخلافه جحفنا بالقرابة، ولكننا قوم أخلاقنا مشتقة من خلق رسول الله صلى الله عليه وآله الذي قال الله تعالى:

"وإنك لعلی خلق عظیم" وقال له: "وإخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين".

وأما قولك: "فإن قريشا اختارت" فإن الله تعالى يقول: "وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة" وقد علمت يا أمير المؤمنين! إن الله اختار من خلقه لذلك من اختار فلو نظرت قريش من حيث نظر الله لها وفقت وأصابت قريش.

فقال عمر: على رسلك يا ابن عباس، أبت قلوبكم يا بني هاشم إلا غشا في أمر قريش لا يزول وحقدا عليها لا يحول.

فقال ابن عباس: مهلا يا أمير المؤمنين! لا تنسب هاشما إلى الغش، فإن قلوبهم من قلب رسول الله الذي طهره الله وزكاه، وهم أهل البيت الذين قال الله تعالى لهم: "إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا".

وأما قولك: "حقدا" فكيف لا يحقد من غضب شيئه ويراه في يد غيره؟.

فقال عمر: أما أنت يا ابن عباس! فقد بلغني عنك كلام أكره أن أخبرك به فتزول منزلتك عندي. قال: وما هو يا أمير المؤمنين؟ أخبرني به، فإن يك باطلا فمثلي أمار الباطل عن نفسه، وإن يك حقا فإن منزلتي عندك لا تزول به.

قال: بلغني أنك لا تزال تقول: أخذ هذا الأمر منك حسدا وظلما.

قال: أما قولك يا أمير المؤمنين: "حسدا" فقد حسد إبليس آدم فأخرجه من الجنة، فنحن بنو آدم المحسود. وأما قولك: "ظلما" فأمر المؤمنين يعلم صاحب

ص: ١٥٤

الحق من هو.

ثم قال: يا أمير المؤمنين، ألم تحج العرب على العجم بحق رسول الله؟

واحتجت قريش على سائر العرب بحق رسول الله صلى الله عليه وآله؟

فنحن أحق برسول الله من سائر قريش.

فقال له عمر: قم الآن فارجع إلى منزلك. فقام، فلما ولى هتف به عمر أيها المنصرف، إني على ما كان منك لراع حقك، فالتفت ابن عباس، فقال:

إن لى عليك - يا أمير المؤمنين - وعلى كل المسلمين حقا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمن حفظه فحق نفسه حفظ، ومن أضاعه فحق نفسه أضاع، ثم مضى.

فقال عمر لجلسائه واهابا لابن عباس! ما رأيته لاحى أحدا قط إلا خصمه^{١٢١}.

(٨١) ابن عباس وعمر

روى عن ابن عباس أيضا قال: "دخلت على عمر يوما، فقال: يا ابن العباس، لقد اجهد هذا الرجل نفسه في العبادة حتى نحلته رياء! قلت: ومن هو؟ فقال:

هذا ابن عمك، يعنى عليا، قلت: وما يقصد بالرياء يا أمير المؤمنين؟ قال: يرشح نفسه بين الناس للخلافة. قلت: وما يصنع بالترشيح؟ فقد رشحه لها رسول الله صلى الله عليه وآله فصرفت عنه. قال: إنه كان شابا حدثا فاستصغرت العرب سنه وقد كمل الآن، ألم تعلم أن الله تعالى لم يبعث نبيا إلا بعد الأربعين؟. قلت: يا أمير المؤمنين، أما أهل الحجى والنهى فانهم ما زالوا يعدونه

ص: ١٥٥

كاملا منذ رفع الله منار الاسلام، ولكنهم يعدونه محروما محدودا. فقال: أما إنه سبيلها بعد هياط ومياط، ثم تزل فيها قدمه ولا يقضى منها إربه، ولتكونن شاهدا ذلك يا عبد الله، ثم يتبين الصبح لذى عينين، وتعلم العرب صحة رأى المهاجرين الاولين الذين صرفوها عنه بادئ بدء، فليتني أراكم بعدى يا عبد الله، إن الحرص محرمه وإن دنياء كظلك كلما هممت به ازداد عنك بعدا^{١٢٢}.

(٨٢) ابن عباس وعمر

عن ابن عباس رضى الله عنه قال: كنت أسير مع عمر بن الخطاب فى ليلة وعمر على بغل وأنا على فرس، فقرأ آية فيها ذكر على بن أبى طالب عليه السلام فقال: أم والله يا بنى عبد المطلب، لقد كان صاحبكم أولى بهذا الامر منى ومن أبى بكر. فقلت فى نفسى: لا أقالنى الله إن أقلتك، فقلت: أنت تقول ذلك يا أمير المؤمنين، وأنت وصاحبك اللذان وثبما وانتزعتما (وانتزعتم

^{١٢١} (١) ابن أبى الحديد: ج ١٢ ص ٥٤-٥٢. والايضاح: ص ١٧٠-١٦٩. والبحار ج ٨ ط الكمباني ص ٢٩٢ عن ابن الاثير وابن أبى الحديد

^{١٢٢} (١) ابن أبى الحديد: ج ١٢ ص ٨١-٨٠

خ ل) منا الامر دون الناس! فقال: إليكم يا بنى عبد المطلب! أما إنكم أصحاب عمر بن الخطاب، فتأخرت وتقدم هنيئاً، فقال: سر لاسرت، فقال: أعد على كلامك فقلت: إنما شيئاً فرددت جوابه، ولو سكت سكتنا.

فقال: والله إنا ما فعلنا ما فعلنا عداوة، ولكن استصغرناه وخشنا أن لا تجتمع عليه العرب وقریش لما قد وترها، فأردت أن أقول: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يبعثه في الكتيبة فينطح كبشها فلم يستصغره، فتستصغره أنت وصاحبك! فقام لاجرم، فكيف ترى؟ والله ما نقطع أمراً دونه ولا نعمل شيئاً حتى نستأذنه^{١٢٣}.

ص: ١٥٦

(٨٣) ابن عباس وعثمان

نزل عثمان من المنبر - بعد أن خطب في جواب المعترضين عليه في بناء داره بالمدينة وكلامه مع أمير المؤمنين - فأتى منزله، وأتاه الناس وفيهم ابن عباس، فلما أخذوا مجالسهم أقبل على ابن عباس، فقال: مالي ولكم يا ابن عباس؟

ما غراكم بى وأولعكم بتعقب أمرى! أتنقمون على أمر العامة؟ أتيت من وراء حقوقهم أم أمركم؟ فقد جعلتهم يتمنون منزلتكم . لا والله، لكن الحسد والبغى وتثوير الشر وإحياء الفتن، والله لقد ألقى النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى ذلك، وأخبرني به عن أهله واحداً واحداً، والله ما كذبت ولا أنا بمكذوب.

فقال ابن عباس : على رسلك يا أمير المؤمنين، فوالله ما عهدتكم جهراً بسر ولا مظهراً ما في نفسكم، فما الذي هييجك وثورك؟ إنا لم يولعنا بك أمر ولم نتعقب أمرك بشئ أتيت بالكذب وتسوق عليك بالباطل، والله ما نقمنا عليك لنا ولا للعامة قد أوتيت من وراء حقوقنا وحقوقهم وقضيت ما يلزمك لنا ولهم . فأما الحسد والبغى وتثوير الفتن وإحياء الشر فمتى رضيت به عتره النبي وأهل بيته؟ وكيف وهم منه وإليه؟ على دين الله يتثرون الشر، أم على الله يحيون الفتن؟ كلا، ليس البغى ولا الحسد من طباعهم، فأتد يا أمير المؤمنين وأبصر أمرك وأمسك عليك، فان حالتك الاولى خير من حالتك الاخرى، لعمرى أن كنت لاثيراً عند رسول الله وأن كان ليفضى إليك بصره ما يطويه عن غيرك، ولا كذبت ولا أنت بمكذوب، إخنس الشيطان عنك لا يركبك، وأغلب غضبك ولا يغلبك، فما دعاك إلى هذا الامر الذي كان منك؟

قال: دعاني إليه ابن عمك على بن أبى طالب! فقال ابن عباس: وعسى أن يكذب مبلغك، قال عثمان: إنه ثقة، قال ابن عباس: إنه ليس بثقة من

ص: ١٥٧

^{١٢٣} (٢) البحار: ج ٨ ص ٢٠٩ ط الكمباني عن شف

بلغ وأغرى، قال عثمان : يا ابن عباس، آله إنك ما تعلم من على ما شكوت منه؟ قال : اللهم لا، إلا أن يقول كما يقول الناس وينقم كما ينقمون، فمن أغراك به وأولعك بذكره دونهم؟ فقال عثمان : إنما آفتى من أعظم الداء الذى ينصب نفسه لرأس الامر، وهو على ابن عمك وهذا والله كله من نكده وشؤمه! قال ابن عباس: مهلا، استثن يا أمير المؤمنين، قل: إن شاء الله، فقال:

إن شاء الله.

ثم قال: إني أنشدك يا ابن عباس الاسلام والرحم، فقد غلبت وابتليت بكم، والله لوددت أن هذا الامر كان صار إليكم دوني فحملتموه عنى وكنت أحد أعوانكم عليه، إذا والله لو جردتموني لكم خيرا مما وج دتكم لى، ولقد علمت أن الامر لكم ولكن قومكم دفعوكم عنه واختزلوه دونكم، فوالله ما أدرى أذفعوه عنكم أم دفعوكم عنه؟.

قال ابن عباس: مهلا يا أمير المؤمنين، فانا ننشدك الله والاسلام والرحم مثل ما نشدتنا أن تطمع فينا وفيك عدوا وتشمت بنا وبك حسودا، إن أمرك إليك ما كان قولا، فإذا صار فعلا فليس إليك ولا فى يديك، وإنا والله لنخالفن إن خولفنا ولننازعن إن نوزعنا وما تمنيك أن يكون الامر صار إلينا دونك إلا أن يقول قائل منا ما يقوله الناس ويعيب كما عابوا. فأما صرف قومنا عنا الامر فعن حسد قد والله عرفته، وبغى قد والله علمته، فالله بيننا وبين قومنا. وأما قولك: إنك لا تدري أذفعوه عنا أم دفعونا عنه فلعمري إنك لتعرف أنه لو صار إلينا هذا الامر ما زدنا به فضلا إلى فضلنا ولا قدرا إلى قدرنا، وإنا لاهل الفضل وأهل القدر، وما فضل فاضل إلا بفضلنا، ولا سبق سابق إلا بسبقنا، ولولا هدينا ما اهتدى أحد ولا أبصروا من عمى ولا قصدوا من جور.

فقال عثمان: حتى متى يا ابن عباس يأتينى عنكم ما يأتينى؟ هبوني كنت بعيدا، أما كان لى من الحق عليكم أن اراقب وأن أناظر؟ بلى ورب الكعبة!

ص: ١٥٨

ولكن الفرقة سهلت لكم القول فى وتقدمت بكم إلى الاسراع إلى. والله المستعان.

قال ابن عباس: مهلا حتى ألقى عليا ثم أحمل إليك على قدر ما رأى.

قال عثمان: أفعل فقد فعلت، وطالما طلبت فلا اطلب، ولا اجاب ولا اعتب ...^{١٢٤}.

(٨٤) ابن عباس وعثمان

روى الزبير بن بكار أيضا فى الموفقيات عن ابن عباس - رحمه الله - قال:

^{١٢٤} (١) ابن أبى الحديد: ج ٩ ص ١٠-٨ عن الموفقيات للزبير بن بكار

خرجت من منزلي سحرا سابق إلى المسجد وأطلب الفضيلة، فسمعت خلفي حسا وكلاما فتسمعت، فإذا حس عثمان وهو يدعو ولا يرى أن أحدا يسمعه، ويقول : اللهم قد تعلم نيتي فأعني عليهم وتعلم الذين ابتليت بهم من ذوى رحمتي وقرابتي، فأصلحني لهم وأصلحهم لى.

قال: فقصرت من خطوتي وأسرع فى مشيتي، فالتقينا، فسلم فرددت عليه، فقال: إني خرجت ليلتنا هذه أطلب الفضل والمسابقة إلى المسجد، فقلت:

إنه أخرجني ما أخرجك . فقال: والله لئن سابقت إلى الخير إنك لمن سابقين مباركين، وإنى لاحبكم وأتقرب إلى الله بحبكم . فقلت: يرحمك الله يا أمير المؤمنين، إنا لنحبك ونعرف سابقتك وسنك وقرابتك وصهرك. قال:

يا ابن عباس، فمالى ولا بن عمك وابن خالى؟ قلت : أى بنى عمومى وبنى أخوالك؟ قال : اللهم اغفر، أتسأل مسألة الجاهل؟ قلت: إن بنى عمومى من بنى خؤلتك كثير، فأيهم تعنى؟ قال : أعنى عليا لا غيره. فقلت: لا والله يا أمير المؤمنين، ما أعلم منه إلا خيرا، ولا أعرف له إلا حسنا. قال: والله

ص: ١٥٩

بالحرى أن يستر دونك ما يظهره لغيرك ويقبض عنك ما ينبسط به إلى سواك.

قال: ورمينا بعمار بن ياسر، فسلم، فرددت عليه سلامه . ثم قال: من معك؟ قلت: أمير المؤمنين عثمان. قال: نعم، وسلم بكنيته ولم يسلم عليه بالخلافة، فرد عليه. ثم قال عمار: ما الذى كنتم فيه؟ فقد سمعت ذروا منه، قلت : هو ما سمعت، فقال عمار: رب مظلوم غافل وظالم متجاهل ! قال عثمان: أما إنك من شائنا وأتباعهم، وأيم الله إن اليد عليك لمنبسطة وإن السبيل إليك لسهلة، ولولا إيثار العافية ولم الشعث لزجرتك زجرة تكفى ما مضى وتمنع ما بقى.

فقال عمار: والله! ما أعتذر من حبي عليا، وما اليد بمنبسطة ولا السبيل بسهلة، إني لازم حجة ومقيم على سنة، وأما إيثارك العافية ولم الشعث فلازم ذلك، وأما زجرى فأمسك عنه، فقد كفاك معلمى تعليمى .

فقال عثمان: أما والله إنك ما علمت من أعوان الشر الحاضين عليّ الخذلة عند الخير والمبطين عنه .

فقال عمار: مهلا يا عثمان! فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يصفنى بغير ذلك.

قال عثمان: ومتى؟ قال: دخلت يوم دخلت عليه منصرفه عن الجمعة وليس عنده غيرك، وقد ألقى ثيابه وقعد فى فضله، فقبلت صدره ونحره وجبهته فقال: " يا عمار، إنك لتحبنا وإنا لنحبك، وإنك لمن الاعوان على الخير المثبطين عن الشر " فقال عثمان: أجل، ولكنك غيرت وبدلت. قال: فرفع عمار يده يدعو، وقال أمن يا بن عباس! اللهم من غير فغير به، ثلاث مرات ...^{١٢٥}.

ص: ١٦٠

(٨٥) ابن عباس وعثمان

روى الزبير أيضا في الموفقيات عن ابن عباس - رحمه الله - قال صليت العصر يوما ثم خرجت فإذا أنا بعثمان بن عفان في أيام خلافته في بعض أزقة المدينة وحده! فأتيته إجلالا وتوقيرا لمكانه. فقال لي: هل رأيت عليا؟ قلت:

خلقته في المسجد، فان لم يكن الآن فيه فهو في منزله. قال: أما منزله فليس فيه فابعه لنا في المسجد.

فتوجهنا إلى المسجد وإذا على عليه السلام يخرج منه . قال ابن عباس : وقد كنت أمس ذلك اليوم عند على، فذكر عثمان وتجرمه عليه، وقال: أما والله يا ابن عباس، إن من دوائه لقطع كلامه وترك لقائه، فقلت له : يرحمك الله، كيف لك بهذا؟ فان تركته ثم أرسل إليك فما أنت صانع؟ قال: أعتل وأعتل فمن يقسرنى؟ قال: لا أحد.

قال ابن عباس : فلما تراءينا له وهو خارج من المسجد ظهر منه من التفلت والطلب للانصراف ما استبان لعثمان، فنظر إلى عثمان وقال: يا ابن عباس، أما ترى ابن خالنا يكره لقاءنا؟ فقلت : ولم؟ وحقك ألزم وهو بالفضل أعلم . فلما تقاربا رماه عثمان بالسلام فرد عليه. فقال عثمان: إن تدخل فاياك أردنا وإن تمض فاياك طلبنا. فقال على: أى ذلك أحببت. قال:

تدخل، فدخلا، وأخذ عثمان بيده فأهوى به إلى القبلة فقصر عنها وجلس قبالتها، فجلس عثمان إلى جانبه، فنكصت عنهما، فدعوانى جميعا فأتيتهما، فحمد عثمان الله وأثنى عليه وصلى على رسوله، ثم قال :

أما بعد، يا بنى خالى وابنى عمى، فإذا جمعتكما فى النداء فسأجمعكما فى الشكاية عن رضى على أحدكما ووجدى على الآخر، إنى أستعذركما من

ص: ١٦١

أنفسكما وأسألكما فيئتكما واستوهبكما رجعتكما، فوالله لو غالبنى الناس ما انتصرت إلا بكما، ولو تهضمونى ما تعززت إلا بكما، ولقد طال هذا الامر بيننا حتى تخوفت أن يجوز قدره ويعظم الخطر فيه، ولقد هاجنى العدو عيلكما وأغراني بكما، فمنعنى الله والرحم مما أَراد، وقد خلونا فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والى جانب قبره، وقد أحببت أن تظهرا لى رأيكما فى وما تتطويان لى عليه وتصدقا، فان الصدق أنجى وأسلم وأستغفر الله لى ولكما.

قال ابن عباس : فأطرق على عليه السلام وأطرقت معه طويلا . أما أنا فأجللته أن أتكلم قبله، وأما هو فأراد أن أجيب عنى وعنه. ثم قلت له أتتكلم أم أتتكلم أنا عنه؟ قال: بل تكلم عنى وعنك.

فحمدت الله وأثنيت عليه وصليت على رسوله، ثم قلت:

أما بعد، يابن عمنا وعمتنا، فقد سمعنا كلامك لنا وخلطك في الشكاية بيننا على رضاك - زعمت - عن أحدنا ووجدك على الآخر، وسنفعل في ذلك فنذمك ونحمدك اقتداء منك بفعلك فينا، فانا نذم مثل تهمتكم إيانا على ما اتهمتنا عليه بلا ثقة إلا ظنا، ونحمد منك غير ذلك من مخالفتك عشيرتك، ثم نستعذر من نفسك استعذارك إيانا من أنفسنا، ونستوهبك فيثتكم استيهابك إيانا فيثتنا، ونسألك رجعتك مسألتك إيانا رجعتنا، فإننا معا أيما حمدت وذممت منا كمثلك في أمر نفسك، ليس بيننا فرق ولا اختلاف، بل كلانا شريك صاحبه في رأيه وقوله، فوالله ما تعلمنا غير معذرين فيما بيننا وبينك، ولا تعرفنا غير قانتين عليك، ولا تجدنا غير راجعين إليك، فنحن نسألك من نفسك مثل ما سألتنا من أنفسنا.

وأما قولك: لو غالبتني الناس ما انتصرت إلا بكما أو تهضموني ما تعززت إلا بعزكما، فأين بنا وبك عن ذلك؟ ونحن وأنت كما قال أخو كنانة:

بدا بحتر مارام نال وإن يرم
نخض دونه غمرا من الغر رائمه

ص: ١٦٢

لنا ولهم منا ومنهم على العدى
مراتب عز مصعدات سلالمه

وأما قولك في هيج العدو وإياك علينا وإغرائه لك بنا، فوالله ما أتاك العدو من ذلك شيئا إلا وقد أتاننا بأعظم منه فمنعنا مما أراد ما منعك من مراقبة الله والرحم. وما أبقيت أنت ونحن إلا على أدياننا وأعراضنا ومروءاتنا. ولقد لعمرى طال بنا وبك هذا الامر حتى تخوفنا منه على أنفسنا وراقبنا منه ما راقبت.

وأما مساءلتك إيانا عن رأينا فيك وما ننظوى عليه لك، فانا نخبرك أن ذلك إلى ما تحب لا يعلم واحد منا من صاحبه إلا ذلك ولا يقبل منه غيره، وكلانا ضامن على صاحبه ذلك وكفيل به وقد برأت أحدنا وزكيتته وانطقت الآخر وأسكتته، وليس السقيم منا مما كرهت بأنطق من البرئ فيما ذكرت، ولا البرئ منا مما سخطت بأظهر من السقيم فيما وصفت، فإما جمعنا في الرضا، وإما جمعنا في السخط، لنجازيك بمثل ما تفعل بنا في ذلك مكايلة الصاع بالصاع. فقد أعلمناك رأينا وأظهرنا لك ذات أنفسنا وصدقناك، والصدق كما ذكرت أنجي وأسلم فأجب إلى ما دعوت إليه، وأجلل عن النقض والغدر مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وموضع قبره، وصدق تنج وتسلم.

ونستغفر الله لنا ولك ...^{١٢٦}.

(٨٦) ابن عباس ومعاوية

روى المدائني أيضا قال: وفد عبد الله بن عباس على معاوية مرة، فقال معاوية لابنه يزيد ولزياد بن سمية وعتبة ابن أبي سفيان ومروان بن الحكم وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وسعيد بن العاص و عبد الرحمن ابن ام

ص: ١٦٣

الحكم: إنه قد طال العهد بعبدالله بن عباس وما كان شجر بيننا وبينه وبين ابن عمه، ولقد كان نصبه للتحكيم فدفع عنه، فحركوه على الكلام لتبلغ حقيقة صفته، ونقف على كنه معرفته، ونعرف ما صرف عنا من شبا حده وزوى عنا من دهاء رأيه، فربما وصف المرء بغير ما هو فيه واعطى من النعت والاسم مالا يستحقه.

ثم أرسل إلى عبد الله بن عباس، فلما دخل واستقر به المجلس ابتدأه ابن أبي سفيان، فقال: يا ابن عباس، ما منع عليا أن يوجه بك حكما؟ فقال: أما والله لو فعل لقرن عمرا بصعبة من الابل يوجع كفه مراسها، ولاذهلت عقله، وأجرضته بريقه، وقدحت في سويداء قلبه، فلم يبرم أمرا ولم ينفذ ترابا إلا كنت منه بمرأى ومسمع، فان أنكأه أدميت قواه، وإن أدمه فصمت عراه بغرب مقول لا يفل حده، وأصالة رأى كمتاح الاجل لا وزر منه، أصدع به أديمه، وافل به شباحده، وأشحد به عز ائمة المتقين، وأزيح به شبه الشاكين.

فقال عمرو بن العاص: هذا والله - يا أمير المؤمنين - نجوم أول الشر وأفول آخر الخير، وفي حسمه قطع مادته، فبادره بالحملة، وانتهاز منه الفرصة، واردع بالتنكيل به غيره، وشرد به من خلفه.

فقال ابن عباس: يا ابن النابغة، ضل والله عقلك، وسفه حلمك، ونطق الشيطان على لسانك، هلا توليت ذلك بنفسك يوم صفين، حين دعيت نزال وتكافح الابطال وكثرت الجراح وتقصفت الرماح، وبرزت إلى أمير المؤمنين مصاولا فانكفا نحوك بالسيف حاملا، فلما رأيت الكواشر من الموت أعددت حيلة السلامة قبل لقائه والانكفاء عنه بعد إجماع إبيه لقائه فمناجته - رجاء النجاة - عورتك! وكشفت له خوف بأسه سواتك! حذرا أن يظلمك بسطوته ويلتهمك بحملته، ثم أشرت على معاوية كالناصح له بمبارزته وحسنت له التعرض لمكافحته، رجاء أن تكتفي مؤنته وتعدم صورتها، فعلم غل صدرك وما انحنت

ص: ١٦٤

عليه من النفاق أضلحك، وعرف مقر سهمك في غرضك.

فاكفف غرب لسانك، واقمع عوراء لفظك، فانك لمن أسد خادر وبحر زاخر، إن تبرزت للأسد افترسك، وإن عمت في البحر قمسك.

فقال مروان بن الحكم : يا ابن عباس، إنك لتصرف أنيابك وتورى نارك كأنك ترجو الغلبة وتؤمل العافية، ولولا حلم أمير المؤمنين عنكم لتناولكم بأقصر أنامله، فأوردكم منهلاً بعيداً صدره، ولعمري لئن سطا بكم ليأخذن بعض حقه منكم، ولئن عفا عن جرائمكم ففديما ما نسب إلى ذلك.

فقال ابن عباس : وإنك لتقول ذلك يا عدو الله، وطريد رسول الله، والمباح دمه، والداخل بين عثمان ورعيته بما حملهم على قطع أوداجه وركوب أثباجه! أما والله لو طلب معاوية ثأره لاخذك به، ولو نظر في أمر عثمان لوجدك أوله وآخره.

وأما قولك لي : إنك لتصرف أنيابك وتورى نارك، فسل معاوية وعمرأ يخبراك ليلة الهرير كيف ثباتنا للمثلاث، واستخفافنا بالمعضلات، وصدق جلدنا عند المصاولة، وصبرنا على اللاواء والمطاولة، ومصافحتنا بجباهنا السيوف المرفهة، ومباشرتنا بنحورنا حد الاسنة! هل خمننا عن كرائم تلك المواقف؟ أم لم نبذل مهجنا للمتالف؟ وليس لك إذ ذاك فيها مقام محمود، ولا يوم مشهود، ولا أثر معدود، وإنهما شهدا ما لو شهدت لأقلقك، فأربع على ضلعك، ولا تتعرض لما لي س لك، فانك كالمغروز في صغد لا يهبط برجل ولا يرقى بيد.

فقال زياد: يا ابن عباس، إنى لأعلم ما منع حسنا وحسينا من الوفود معك على أمير المؤمنين، إلا ما سولت لهما أنفسهما، وغرهما به من هو عند البأس سلمهما، وأيم الله لو وليتهما لادأبا في الرحلة إلى أمير المؤمنين أنفسهما ولقل بمكانهما لبيتهما.

ص: ١٦٥

فقال ابن عباس : إذا والله يقصر دونهما باعك ويضيق بهما ذراعك، ولو رمت ذلك لوجدت من دونهما فئة صدقا صبرا على البلاء يخيمون عن اللقاء، فلعركوك بكلاكلمهم، ووطئوك بمناسمهم، واورجوك مشق رماحهم وشفار سيوفهم ووخر أسنتهم، حتى تشهد بسوء ما أتيت، وتبين ضياع الحزم فيما جنيت، فحذار حذار من سوء النية، فتكافأ برد الانية، وتكون سببا لفساد هذين الحيين بعد صلاحهما، وسعيا في اختلافهما بعد ائتلافهما، حيث لا يضرهما إبساسك ولا يغني عنهما إيناسك.

فقال عبد الرحمن ابن أم الحكم : لله در ابن ملجم! فقد بلغ الامل، وأمن الوجل، وأحد الشفرة وألان المهرة، وأدرك الثأر، ونفى العار، وفاز بالمنزلة العليا، ورقى الدرجة القصوى.

فقال ابن عباس: أما والله لقد كرع كأس حتفه بيده، وعجل الله إلى النار بروحه، ولو أبدى لامير المؤمنين صفحته لخالطه الفحل القطم والسيف الخدم ولالعه صابا، وسقاه سما، وألحقه بالوليد وعتبه وحنظلة، فكلهم كان أشد منه شكيمة، وأمضى عزيمة، ففرى السيف هامهم ورملمهم بدمائهم، وقرى الذئاب أشلاءهم، وفرق بينهم وبين احبائهم " اولئك حصب جهنم هم لها واردون " فهل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا " ولا غرو إن ختل، ولا وصمة إن قتل، فانا لكما قال دريد بن الصمة:

فإننا للحم السيف غير مكره ونلحمه طورا وليس بذى نكر يغار علينا واطرين فيشتفى بنا إن أصبنا أو نغير على وتر فقال المغيرة بن شعبة: أما والله لقد أشرت على بالتصيحة فأثر رأيه ومضى على غلوائه، فكانت العاقبة عليه، لا له، وإنى لاحسب أن خلفه يقتدون بمنهجه.

فقال ابن عباس: كان والله أمير المؤمنين عليه السلام أعلم بوجوه الرأي

ص: ١٦٦

ومعاهد الحزم وتصريف الامور من أن يقبل مشورتك فيما نهى الله تعالى وعنف عليه، قال سبحانه: " لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله " إلى آخر الآية، ولقد وقفك على ذكر مبين وآية متلوة قوله تعالى: " وما كنت متخذ المضلين عضدا " وهل كان يسوغ له أن يحكم في دماء المسلمين وفي المؤمنين من ليس بمأمون عنده ولا موثوق به في نفسه، هيهات! هيهات! هو أعلم بفرض الله وسنة رسوله أن يبطن خلاف ما يظهر إلا للتقية، ولات حين تقيء مع وضوح الحق وثبوت الجنان وكثرة الانصار، يمضى كالسيف المصلت في أمر الله، مؤثرا لطاعة ربه والتقوى على آراء أهل الدنيا.

فقال يزيد بن معاوية: يا ابن عباس، إنك لتنتلق بلسان طلق تنبئ عن مكنون قلب حرق، فاطمو ما أنت عليه كشحا، فقد محى ضوء حقنا ظلمة باطلكم.

فقال ابن عباس: مهلا يزيد! فو الله ما صفت القلوب لكم منذ تكدرت بالعداوة عليكم، ولا دنت بالمحبة إليكم مذ نأت بالبغضاء عنك، ولا رضيت اليوم منكم ما سخطت الامس من أفعالكم، وإن تدل الايام نستقضى ما سد عنا ونسترجع ما ابتز منا كيلا بكيل ووزنا بوزن، وإن تكن الاخرى فكفى بالله وليا لنا ووكيلا على المعتدين علينا.

فقال معاوية: إن في نفسى منكم لحزازات يا بنى هاشم ! وإنى لخليق أن أدرك فيكم النار وأنفى العار، فان دماءنا قبلكم وظلا متنا فيكم.

فقال ابن عباس: والله إن رمت ذلك يا معاوية لتثيرن عليك أسدا مخدرة وأفاعى مطرقة، لا يفتؤها كثرة السلاح، ولا يعضها نكاية الجراح، يضعون أسيافهم على عواتقهم، يضربون قدما قدما من ناوأهم، يهون عليهم نباح الكلاب وعواء الذئاب، لا يقاتون بوتر، ولا يسبقون إلى كريم ذكر، قد وطنوا على الموت أنفسهم وسمت بهم إلى العلياء همهم كم قالت الازدية:

ص: ١٦٧

قوم إذا شهدوا الهياج فلا ضرب ينههم ولا زجر وكأنهم آساد غينة قد غرثت وبل متونها القطر فلتكون منهم بحيث أعددت ليلة الهرير للهرب فرسك وكا أكبر همك سلامة حشاشة نفسك، ولو لا طعام من أهل الشام وقوك بأنفسهم وبذلوا دونك مهجهم حتى إذا ذاقوا وخز الشفار وأيقنوا بحلول الدمار رفعوا المصاحف مستجيرين بها وعائدين بعصمتها، لكنت شلوا مطروحا بالعراء تسفى عليك رياحها ويعتورك ذبابها.

وما أقول هذا أريد صرفك عن عزيمنتك، ولا إزالتك عن معقود نيتك، لكن الرحم التي تعطف عليك والوامر التي توجب صرف النصيحة إليك.

فقال: معاوية لله درك يا ابن عباس! ما تكشف الايام منك إلا عن سيف صقيل ورأى أصيل، وبالله لو لم يلد هاشم غيرك لما نقص عددهم، ولو لم يكن لاهلك سواك لكان الله قد كثرهم.

ثم نهض، فقام ابن عباس وانصرف^{١٢٧}.

(٨٧) ابن عباس وعتبة بن أبي سفيان

قال عمرو بن العاص لعتبة بن أبي سفيان يوم الحكمين: أما ترى ابن عباس قد فتح عينيه ونشر أذنيه؟ ولو قدر أن يتكلم بهما فعل! وإن غفلة أصحابه لمجبورة بفطنته، وهي ساعتنا الطولى فاكفنيه. قال عتبة: بجهدى.

قال: فقممت فقعدت إلى جانبه، فلما أخذ القوم فى الكلام أقبلت عليه بالحديث ففرع يدي وقال: ليست ساعة حديث، قال: فأطهرت غضبا وقلت:

يا ابن عباس، إن ثقتك بأحلامنا أسرع بك إلى أعراضنا، وقد والله تقدم.

ص: ١٦٨

من قبل العذر وكثر منا الصبر، ثم أقذعته فجاش لى مرجله وارتفعت أصواتنا، فجاء القوم فأخذوا بأيدينا فنحوه عنى ونحونى عنه، فجئت فقربت من عمرو بن العاص، فرمانى بمؤخر عينيه، أى ما صنعت؟ فقلت: كفيتهك التقواله، فحمحم كما يحمحم الفرس للشعير. قال: وفات ابن عباس أول الكلام، فكره أن يتكلم فى آخره^{١٢٨}.

قال عكرمة: كنا جلوسا عند ابن عمر وابن عباس رضى الله عنهما فمر طائر يصيح، فقال رجل من القوم: خير خير، فقال ابن عباس: لا خير ولا شر [قال كعب لابن عباس: ما تقول فى الطيرة؟ قال: وما عسيت أن أقول فيها: لا طير إلا طير الله، ولا خير إلا خير الله، ولا اله إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله. قال كعب: إن هذه الكلمات فى كتاب الله المنزل، يعنى التوراة]^{١٢٩}.

(٨٨) ابن عباس وعائشة

بعث على عبد الله بن عباس إلى عائشة يأمرها بالرحيل إلى المدينة.

^{١٢٧} (١) ابن أبي الحديد: ج ٦ ص ٣٠٣-٢٩٨. والبحار: ج ٢ ص ١٦٦ عنه

^{١٢٨} (١) ابن أبي الحديد: ج ٦ ص ٣٠٣-٣٠٤. ونقل ج ٢ ص ٢٦١ هذه القصة بينه وبين عبد الرحمان بن خالد، وسيأتى

^{١٢٩} (٢) عيون الاخبار لابن قتيبة: ج ١ ص ١٤٦

قال: فأتيته فدخلت عليها، فلم يوضع لى شئ أجلس عليه، فتناولت وسادة كانت فى رحلها فقعدت عليها، فقالت: يا ابن عباس، أخطأت السنة قعدت على وسادتنا فى بيتنا بغير إذننا ! فقلت: ليس هذا بيتك الذى أمرك الله أن تقرى فيه، ولو كان بيتك ما قعدت على وسادتك إلا باذنك.

ثم قلت: إن أمير المؤمنين أرسلنى إليك يأمرك بالرحيل إلى المدينة، فقالت:

ص: ١٦٩

وأين أمير المؤمنين؟ ذاك عمر! فقلت: عمر وعلى، قالت: أبيت، قلت: أما والله ما كان أبوك إلا قصير المدّة عظيم المشقة قليل المنفعة ظاهر الشؤم بين النكد، وما عسى أن يكون أبوك !. والله ما كان أمرك إلا كحلب شاء حتى صرت لا تأمرين ولا تنهين ولا تأخذين ولا تعطين، وما كنت إلا كما قال أخو بنى أسد:

ما زال إهداء الصغائر بيننا نث الحديث وكثرة الالتقاب حتى نزلت كأن صوتك بينهم فى كل نائبة طنين ذباب قال: فبكت حتى سمع نحيبها من وراء الحجاب. ثم قالت: إني معجلة الرحيل إلى بلادى إن شاء الله تعالى والله ما من بلد أبغض إلى من بلد أنتم فيه! قلت: ولم ذالك؟ فوالله لقد جعلناك للمؤمنين أما وجعلنا أباك صديقا.

قالت: يا ابن عباس، أتمن على برسول الله؟ قلت: ما لى لا أمن عليك بمن لو كان منك لمننت به على!.

ثم أتيت عليا عليه السلام فأخبرته بقولها وقولى فسر بذلك وقال لى: " ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم " وفى رواية: أنا كنت أعلم بك حيث بعثتك^{١٣٠}.

(٨٩) ابن عباس ومعاوية

قال المدائنى: قال معاوية لابن عباس: أنتم يا بنى هاشم تصابون فى ابصاركم ! فقال عبد الله: وانتم يا بنى أمية تصابون فى بصائرکم! وقال له معاوية: ما أبين الشبق فى رجالکم! فقال: هو فى نسائکم أبين!^{١٣١}.

ص: ١٧٠

(٩٠) ابن عباس ورجل

خطب رجل إلى ابن عباس يتيمه له، فقال ابن عباس: لا أرضاها لك، قال: ولم وفى حرك نشأت؟ قال لانها تتشرف وتنتظر، قال: وما هذا، فقال ابن عباس: الان لا أرضاك لها^{١٣٢}.

^{١٣٠} (١) ابن أبى الحديد: ج ٦ ص ٢٢٩. وسيأتى عن الكشى رحمه الله.

^{١٣١} (٢) عيون الاخبار لابن قتيبة: ج ٢ ص ٢١٠

روى الهيثم عن ابن عباس عن الشعبي : قال: أقبل معاوية ذات يوم على بنى هاشم، فقال : يا بنى هاشم، ألا تحدثونى عن ادعائكم الخلافة دون قريش . بم تكون لكم؟ أبالرضا بكم، أم بالاجتماع عليكم دون القرابة، أم بالقرابة دون الجماعة، أم بهما جميعا؟ فان كان هذا الامر بالرضا والجماعة دون القرابة فلا أرى القرابة أثبتت حقا ولا أسست ملكا . وإن كان بالقرابة دون الجماعة والرضا فما منع العباس عم النبي صلى الله عليه وآله وارثه وساقى الحبيب وضمن الايتام أن يطلبها وقد ضمن له أبو سفيان بنى عبد مناف؟ وإن كانت الخلافة بالرضا والجماعة والقرابة جميعا فان القرابة خصلة من خصال الامامة لا تكون الامامة بها وحدها وأنتم تدعونها بها وحدها.

ولكننا نقول: أحق قريش بها من بسط الناس أيديهم إليه بالبيعة عل بها ونقلوا أقدامهم إليه للرغبة وطارت إليه أهواؤهم للثقة وقاتل عنها بحقها فأدركها من وجهها . إن أمركم لامر تضيق به الصدور إذا سألتهم عن اجتماع عليه من غيركم قلتم حق، فان كانوا اجتمعوا على حق فقد أخرجكم الحق من دعوكم.

ص: ١٧١

انظروا، فان كان القوم أخذوا حقكم فاطلبوهم، وإن كانوا أخذوا حقهم فسلموا إليهم، فانه لا ينفعكم أن تروا لانفسكم ما لا يراه الناس لكم.

فقال ابن عباس: ندعى هذا الامر بحق من لو لا حقه لم تقعد مقعدك هذا.

ونقول: كان ترك الناس أن يرضوا بنا ويجتمعوا علينا حقا ضيعوه وحظا حرموه، وقد اجتمعوا على ذى فضل لم يخطئ الورد والصدر، ولا ينقص فضل ذى فضل غيره عليه، قال الله عز وجل " ويؤت كل ذى فضل فضله".

فأما الذى منعنا من طلب هذا الامر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فعهد منه إلينا قبلنا فيه قوله ودنا بتأويله، ولو أمرنا أن نأخذ على الوجه الذى نهانا عنه لا خذناه أو أعذرنا فيه، ولا يعاب أحد على ترك حقه، إنما المعيب من يطلب ما ليس له، وكل صواب نافع وليس كل خطأ ضارا. انتهت القضية إلى داود وسليمان فلم يفهما داود وفهما سليمان، ولم يضر داود.

فأما القرابة: فقد نفعت المشرك وهى للمؤمن أنفع، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " أنت عمى وصنو أبى، ومن أبغض العباس فقد أبغضنى، وهجرتك آخر الهجرة، كما أن نبوتى آخر النبوة" وقال لابی طالب عند موته:

" يا عم، قل لا إله إلا الله أشفع لك بها غدا " وليس ذلك لاحد من الناس، قال الله تعالى : " وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما " ١٣٣.

(٩٢) ابن عباس ومعاوية

حدثني أحد الهاشميين أن ملك الروم وجه إلى معاوية بقا رورة، فقال:

ص: ١٧٢

أبعث إلى فيها من كل شئ، فبعث إلى ابن عباس، فقال : لثملا له ماء. فلما ورد بها على ملك الروم قال : لله أبوه ما أدهاه! فقيل لابن عباس: كيف اخترت ذلك؟ قال: لقول الله عزوجل: " وجعلنا من الماء كل شئ حي " ١٣٤.

(٩٣) ابن عباس والخوارج

ذكر أهل العلم من غير وجه: أن عليا رضي الله تعالى عنه لما وجه إليهم عبد الله بن عباس رحمه الله عليه لينظرهم، قال لهم: ما الذى نقتم على أمير المؤمنين " قالوا: قد كان للمؤمنين أميرا، فلما حكم فى دين الله خرج من الايمان فليتبع بعد إقراره بالكفر نعدله، فقال ابن عباس: لا ينبغي لمؤمن لم يشب إسمانه شك أن يقر على نفسه بالكفر. قالوا: إنه قد حكم، قال: إن الله عزوجل: قد أمرنا بالتحكيم فى قتل صيد، فقال عزوجل: " يحكم به ذوا عدل منكم " فكيف فى إمامة قد أشكلت على المسلمين؟ فقالوا: إنه قد حكم عليه فلم يرض، فقال : إن الحكومة كالامامة ومتى فسق الامام وجبت معصيته، وكذلك الحكماء لما خالفوا نبذت أقاويلهما فقال بعضهم لبعض: لا تجعلوا اح تجاج قريش حجة عليكم، فان هذا من القوم الذين قال الله عزوجل فيهم:

" بل هم قوم خصمون " وقال عزوجل: " وتندر به قوما لدا " ١٣٥.

(٩٤) ابن عباس والخوارج

وجه (أمير المؤمنين عليه السلام) إليهم عبد الله بن العباس، فلما صار إليهم رحبوا به وأكرموه، فرأى منهم جباها قرحة لظ ول السجود وأيديا كثفناات الابل

ص: ١٧٣

عليهم قمص مرخصه وهم مشمرون.

١٣٣ (١) عيون الاخبار لابن قتيبة: ج ١ ص ٥

١٣٤ (١) الكامل للمبرد: ج ١ ص ٣٠٨

١٣٥ (٢) الكامل للمبرد: ج ٢ ص ١٠٦ وابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٢٧٣

فقالوا: ما جاء بك يا أبا العباس؟ فقال: جئتم من عند صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه، وأعلمنا بربه وسنة نبيه ومن عند المهاجرين والانصار. قالوا: إنا أتينا عظيمًا حين حكمنا الرجال في دين الله، فان تاب كما تبنا ونهض لمجاهدة عدونا رجعنا.

فقال ابن عباس: نشدكم الله إلا ما صدقتم أنفسكم، أما علمتم أن الله أمر بتحكيم الرجال في إرب تساوى ربع درهم تصاد في الحرم، وفي شقاق رجل وامرأته؟ فقالوا: اللهم نعم.

فقال: انشدكم الله هل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عن القتال للهدنة بينه وبين أهل الحديبية؟ قالوا: نعم، ولكن عليًا محًا نفسه من إمارة المسلمين. قال ابن عباس: ليس ذلك بمزيلها عنه، وقد محًا رسول الله صلى الله عليه وآله اسمه من النبوة، وقد أخذ على الحكمين أن لا يجورا وأن يحورا، فعلى أولى من معاوية وغيره.

قالوا: إن معاوية يدعى مثل دعوى على. قال: فأيهم رأيتموه أولى فلوله.

قالوا: صدقت. قال ابن عباس: متى جار الحكمان فلا طاعة لهما ولا قبول لقولهما. قال: فأتبعه منهم ألفان وبقي أربعة آلاف^{١٣٦}.

(٩٥) ابن عباس والخوارج

أقول: قصة مجادلة ابن عباس مع الخوارج بأمر من أمير المؤمنين عليه السلام توجد في الطبري: ج ٦ ص ٣٣٥١. وأنساب الاشراف: ج ١ ص ٣٦٠-٣٥٤-٣٤٨. وابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٣١٠-٢٧٨-٢٧٣. واليعقوبي:

ص: ١٧٤

ج ٢ ص ١٨٠ والطبقات لابن سعد: ج ٣ ص ٢١ القسم الاول. والمناقب للخوارزمي ص ١٨٤. ولا بأس بنقل المهم من صورها:

قال البلاذري: حدثني عبد الله بن صالح، عن يحيى بن آدم، عن رجل، عن مجالد عن الشعبي، قال: بعث على عبد الله بن عباس إلى الحرورية، فقال:

يا قوم، ماذا تقمتم على أمير المؤمنين؟ قالوا: ثلاثا: حكم الرجال في دين الله، وقاتل فلم يسب ولم يغنم، ومحامن اسمه حين كتبوا القضية أمير المؤمنين واقتصر على اسمه. فقال عبد الله بن عباس:

أما قولكم: حكم الرجال فان الله قد صير حكمه إلى الرجال في إرب ثمنه ربع درهم وما أشبه ذلك يصيبه المحرم، وفي المرأة وزوجها، فنشدكم الله أحكم الرجال في بضع المرأة وارنب بربع درهم أفض ل أم حكمه في صلاح المسلمين وحقن دمائهم؟ قالوا: بل هذا.

قال: وأما قولكم: [قاتل] ولم يسب ولم يغنم، أفتسبون أمكم عائشة بنت أبي بكر الصديق؟ قالوا: لا.

قال: وأما قولكم: محامن اسمه إمرة المؤمنين، فإن المشركين يوم الحديبية قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله: لو علمنا أنك رسول الله لم تقااتلك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إمح يا على واكتب محمد بن عبد الله، ورسول الله خير من على.

فرجع منهم ألفان^{١٣٧}.

(٩٦) ابن عباس والخوارج

وقال: وبعث عبد الله بن عباس إلى الخوارج وهم معتزلون بحروراء وبها

ص: ١٧٥

سموا الحرورية، فقال: أخبروني ماذا تقمتن من الحكيم وقال الله في الشقاق: "فابعثوا حكما من أهله"^{١٣٨} وقال في كفارة الصيد يصيبه المحرم: "يحكم به ذوا عدل منكم"^{١٣٩}؟

قالوا: ما جعل الله حكمه إلى الناس وأمرهم بالنظر فيه فهو إليهم، وأما ما حكم به وأمضاه في الشرائع والسنن والعزائم فليس للعباد أن ينظروا فيه، ألا ترى أن الحكم^{١٤٠} في الزاني والسارق والمترد وأهل البغي مما لا ينظر العباد فيه ولا يتعقبونه. وقالوا: إن الله يقول: "يحكم به ذوا عدل منكم" فعمرو بن العاص عدل؟ وحكم الله في معاوية وأتباعه أن يقاتلوا ببغيهم حتى يفيئوا إلى امر الله. فلم يجبه أحد منهم. ويقال: أجابه ألفا رجل، ويقال: أربعة آلاف.

أقول: في هذا النقل سقط كما لا يخفى. وقد نقل الطبري^{١٤١} هذه المجادلة كما يأتي:

قال أبو مخنف في حديثه عن أبي جناب، عن عمارة بن ربيعة، قال: ولما قدم على الكوفة وفارقت الخوارج وثبت إليه الشيعة، فقالوا: في أعناقنا بيعة ثانية نحن أولياء من واليت وأعداء من عاديت، فقالت الخوارج: استبقتم أنتم وأهل الشام إلى الكفر كفرسي رهان، بايع أهل الشام معاوية على ما أحبوا وكرهوا، وبايعتم أنتم عليا على أنكم أولياء من والى وأعداء من عادى. فقال لهم زياد بن النضر: والله ما بسط على يده فبايعناه قط إلیا على كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ولكنكم لما خالفتموه جاءته شيعته فقالوا: نحن أولياء من واليت وأعداء من عاديت، ونحن كذلك، وهو على الحق والهدى، ومن خالفه ضال مضل.

ص: ١٧٦

^{١٣٧} (١) أنساب الاشراف: ج ٢ ص ٣٤٠

^{١٣٨} (١) النساء: ٣٥

^{١٣٩} (٢). المائدة: ٩٥

^{١٤٠} (٣). "أن حكمه": (خ ل).

^{١٤١} (٤) ج ٤: ص ٦٤

وبعث على ابن عباس إليهم حتى آتاهم، فقال : لا تعجل إلى جوابهم وخصومتهم حتى آتيك، فخرج إليهم حتى آتاهم، فأقبلوا يكلمونه، فلم يصبر حتى راجعهم، فقال : ما تقمتم من الحكمين وقد قال الله عزوجل : " إن يريدوا إصلاحا يوفق الله بينهما ؟" فكيف بأمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقالت الخوارج: قلنا: أما ما جعل حكمه إلى الناس وأمر بالنظر فيه والإصلاح له فهو إليهم كما امر به، وما حكم فأمضاه فليس للعباد أن ينظروا فيه، حكم في الزاني مائة جلدة، وفي السارق بقطع يده، فليس للعباد أن ينظروا في هذا.

قال ابن عباس : فان الله عزوجل يقول : " يحكم به ذوا عدل منكم " فقالوا له : أو تجعل الحكم في الصيد والحدث يك ون بين المرأة وزوجها كالحكم في دماء المسلمين؟ وقالت الخوارج : قلنا له : فهذه الآية بيننا وبينك، أعدل عندك ابن العاص وهو بالامس يقاتلنا ويسفك دماءنا؟ فان كان عدلا فلسنا بعدول ونحن أهل حربه، وقد حكمتم في أمر الله الرجال، وقد أمضى الله عزوجل حكمه في معاوية وحزبه أن يقتلوا أو يرجعوا، وقبل ذلك ما دعوناهم إلى كتاب الله عزوجل، فأبوه . ثم كتبتم بينكم وبينهم كتابا وجعلتم بينكم وبينهم المودعة والاستفاضة، وقد قطع الله عزوجل الاستفاضة والمودعة بين المسلمين وأهل الحرب منذ نزلت براءة إلا من أقر بالجزية^{١٤٢}.

ونقل ابن عبد البر في جامع بيان العلم والعمل^{١٤٣} هذه المناظرة بوجه آخر قال: لما اجتمعت الحرورية يخرجون على علي، قال: جعل يأتية الرجل فيقول: يا أمير المؤمنين القوم خارجون عليك. قال: دعوهم حتى يخرجوا.

فلما كان ذات يوم قلت : يا أمير المؤمنين، أبرد بالصلاة فلا تفتني حتى آتي القوم . قال: فدخل عليهم وهم قائلون، فإذا هم مسهمة ووجوههم من السهر وقد

ص: ١٧٧

أثر السجود في جباههم، كأن أيديهم ثفن الابل، عليهم قمص مرخصة. فقالوا:

ما جاء بك يا ابن عباس؟ وما هذه الحلة عليك؟ قال: قلت: ما تعييون مني؟

فلقد رأيت رسول الله أحسن ما يكون من ثياب اليمنية . قال: ثم قرأت هذه الآية " قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق " فقالوا: ما جاء بك؟ فقال: جئتكم من عند أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وليس فيكم منهم أحد، ومن عند ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وعليهم نزل القرآن وهم اعلم بتأويله، جئت لا بلغكم عنهم وابلغهم عنكم . قال بعضهم:

لا تخاصموا قريشا، فان الله يقول: " بل هم قوم خصمون " فقال بعضهم: بلى فلنكلمنه. قال: كلمني منهم رجلا أو ثلاثة.

^{١٤٢} (١) راجع انساب الاشراف: ج ٢ ص ٣٤٨

^{١٤٣} (٢). ص ١٢٦

قال: قلت: ماذا نقيم عليه؟ قالوا: ثلاثا قلت: ما هن؟ قالوا: حكم الرجال في أمر الله وقال الله: "إن الحكم إلا لله" قال: فقلت: هذه واحدة، وماذا أيضا؟ قال: فانه قاتل ولم يسب ولم يغنم، فلئن كانوا مؤمنين ما حل قتالهم، ولئن كانوا كافرين لقد حل قتالهم وسيبهم. قال: قلت: وماذا أيضا؟

قالوا: ومحا نفسه من أمير المؤمنين، فان لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين.

قال: قلت: أرايتكم إن أتيتكم من كتاب الله وسنة رسوله ما ينقض قلوبكم هذا أترجعون؟ قالوا: وما لنا لا نرجع؟

قال: قلت: أما حكم الرجال في أمر الله : فان الله قال في كتابه : " يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم " وقال في المرأة وزوجها: " وإن فحقت شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها " فسير الله ذلك إلى حكم الرجال . فنشدتكم الله أتعلمون حكم الرجال في دماء المسلمين وإصلاح ذات بينهم أفضل، أو في حكم ارنب ثمن ربع درهم، وفي بضع امرأة؟ قالوا: بلى هذا أفضل. قال: أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم.

ص: ١٧٨

قال: فأما قولكم: قاتل فلم يسب ولم يغنم، أفتسبون أمكم عائشة؟ ! فان قلت: نسبها فنستحل منها ما نستحل من غيرها فقد كفرتم، وإن قلت: ليست بأمنا فقد كفرتم، فانتم ترددون بين ضلالتين، أخرجت من هذه؟ قالوا: بلى.

قال: وأما قولكم: محا نفسه من إمرة المؤمنين، فأنا آتيكم بمن ترضون، إن نبي الله يوم الحديبية حيث صالح أبا سفيان وسهيل بن عمرو، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : اكتب يا علي: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وآله فقال أبو سفيان وسهيل بن عمرو: ما نعلم أنك رسول الله، ولو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك . قال رسول الله صلى الله عليه وآله : اللهم [انك] تعلم أني رسولك، إمح يا علي واكتب: هذا ما اصطاح عليه محمد بن عبد الله وأبو سفيان وسهيل بن عمرو.

قال: فرجع منهم ألفان وبقي بقيتهم، فخرجوا فقتلوا أجمعين.

(٩٧) ابن عباس وعروة بن الزبير

عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: تمتع النبي صلى الله عليه وآله فقال عروة بن الزبير: نهى أبو بكر وعمر عن المتعة. فقال ابن عباس: أراهم سيهلكون! أقول: قال النبي صلى الله عليه وآله ويقولون: نهى أبو بكر وعمر! ^{١٤٤}.

(٩٨) ابن عباس والخوارج

عن ابن عباس: قال: اجتمعت الخوارج في دارها وهم ستة آلاف أو

^{١٤٤} (١) جامع بيان العلم وفضله ج ٢ ص ٢٤٠. وراجع البحار: ج ٧٩ ص ٣٠٦ عن مكارم الاخلاق ج ٦٥ ص ١٢٥. وفتوح ابن أعثم: ج ٤ ص ٩١.

نحوها، قلت لعلى بن أبى طالب: يا أمير المؤمنين، أبرد الصلاة لعلى ألقى هؤلاء القوم. فقال: إني أخافهم عليك، قال: فقلت: كلا، قال: ثم لبس حلتين من أحسن الحلل. قال: وكان ابن عباس جميلا جهوري.

قال: فأتييت القوم، قال: فلما نظروا إلى قالوا: مرحبا بابن عباس، فما هذه الحالة؟ قال: قلت: وما تنكرون من ذلك؟ لقد رأييت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حلة من أحسن الحلل، قال: ثم تلوت عليهم " قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده " قالوا: فما جاء بك؟ قلت: جئتم من عند أمير المؤمنين ومن عند أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ومن عند المهاجرين والانصار لا بلغكم ما قالوا ولا بلغهم ما تقولون. فما تنقمون من على ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وصهره؟ قال: فأقبل بعضهم على بعض، فقال بعضهم: لا تكلموه فان الله تعالى يقول: " بل هم قوم خصمون " وقال بعضهم: ما يمنعهم من كلام ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يدعوننا إلى كتاب الله؟.

قالوا: ننقم عليه خلا لا ثلاثا. قال: وما هن؟ قالوا: حكم الرجال في أمر الله عزوجل، وما للرجال ولحكم الله؟ وقتال ولم يسب ولم يغنم، فان كان الذى قاتل قد حل قتالهم فقد حل سبيهم، وإن لم يكن حلى سبيهم فما حل قتالهم.

ومحا اسمه من أمير المؤمنين، فان لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير المشركين. قال:

فقلت لهم: غير هذا؟ قالوا: حسبنا هذا.

قال: قلت: أرايتم إن خرجت من هذا بكتاب الله وسنة رسوله أراجعون أنتم؟ قالوا: وما يمرعنا؟.

قلت: أما قولكم: حكم الرجال في أمر الله، فاني سمعت الله عزوجل يقول في كتابه: " يحكم به ذوا عدل منكم " في ثمن صيد إرنب أو نحوه يكون قيمته ربع درهم، فرد الله الحكم فيه إلى الرجال، ولو شاء أن يحكم لحكم.

وقال تعالى: " وإن خفتن شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما " أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم.

قلت: وأما قولكم: قاتل ولم يسب ولم يغنم، فانه قاتل امكم، وقال الله تعالى:

" النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم " وإن زعمتم أنها أمكم فما حل سبها، فأنتم بين ضلالي ن. أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم.

قال: وأما قولكم: محا اسمه من أمير المؤمنين، فاني أنبئكم بذلك عن ترضون، أما تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الحديبية وقد جرى الكتاب بينه وبين سهيل بن عمر وقال: يا على اكتب: هذا ما اصطاح محمد رسول الله وسهيل بن عمرو،

فقالوا: لم نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك ولكن اكتب اسمك واسم أبيك، فقال: اللهم إني رسولك، ثم أخذ الصحيفة فمحاها بيده، ثم قال: يا علي كتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو، فوالله ما أخرجه الله بذلك من النبوة، أخرجت من هذا؟ قالوا: نعم.

قال: فرجع ثلثهم، وانصرف ثلثهم، وقتل سائرهم على الضلالة كما في الطبري وكان ذلك سنة ٣٧ هـ.^{١٤٥}

(٩٩) ابن عباس ومعاوية

اجتمعت قريش الشام والحجاز عند معاوية، وفيهم عبد الله بن عباس، وكان جريئاً على معاوية حقاراً له، فبلغه عنه بعض ما غمه.

فقال معاوية: رحم الله أبا سفيان والعباس كانا صفيين دون الناس،

ص: ١٨١

فحفظت الميت في الحي والحي في الميت، استعملك على يا ابن عباس على البصرة، واستعمل أخاك عبيد الله على اليمن، واستعمل أخاك [تماماً] على المدينة، فلما كان من الامر ما كان هنأتكم بما في أيديكم ولم أكشفكم عما وعت غرائركم، وقتلت: آخذ اليوم واعطى غدا مثله، وعلمت أن بدء اللؤم يضر بعاقبة الكرم، ولو شئت لاخذت بحلاقيمكم وقيأتكم ما أكلتم [و] لا يزال يبلغني عنكم ما ترك له الابل . وذنوبكم إلينا أكثر من ذنوبنا إليكم، خذلتكم عثمان بالمدينة، وقتلتكم أنصاره يوم الجمل، حاربتهموني بصفين، ولعمري لبنوتيم وعدى أعظم ذنوباً من إليكم، إذ صرفوا عنكم هذا الامر وسنوا فيكم هذه السنة، فحتى متى أغضى الجفون على القذى وأسحب الذبول على الاذى وأقول : لعل الله وعسى؟ ما تقول يا ابن عباس؟ ! قال: فتكلم ابن عباس، فقال:

رحم الله أبانا وأباك كانا صفيين متفاوضين، لم يكن لا بي من مال إلا ما فضل لايك، وكان أبوك كذلك لابي . ولكن من هنا أباك باخاء أبي أكثر ممن هنا أبي باخاء أبيك، نصر أبي أباك في الجاهلية وحقن دمه في الاسلام.

وأما استعمال علي إيانا: فلنفسه دون هواه، وقد استعملت أنت رجلاً لهواك لا لنفسك، منهم ابن الحضرمي على البصرة فقتل، وابن بشر بن أرطاة على اليمن فخان، وحبیب بن مرة على الحجاز فرد، والضحاك بن قيس الفهري على الكوفة فحبس، ولو طلبت ما عندنا وقينا أعراضنا. وليس الذي يبلغك عنا.

بأعظم من الذي يبلغنا عنك، ولو وضع أصغر ذنوبكم إلينا على مائة حسنة لمحقتها، ولو وضع أدنى عذرتنا إليكم على مائة سيئة لحسنها.

^{١٤٥} (١) ملحقات إحقاق الحق: ج ٨ ص ٥٢١ عن الخصائص للنسائي، والرياض النضره وقريب منه ما في المناقب

وأما خذلنا عثمان: فلو لزمنا نصره لنصرناه. وأما قتلنا أنصاره يوم الجمل:

فعلى خروجهم مما دخلوا فيه . وأما حربنا إياك بصفين : فعلى تركك الحق وادعائك الباطل . وأما إغراؤك إيانا بتيم وعدى : فلو أردناها ما غلبونا عليها.

ص: ١٨٢

وسكت.

فقال فى ذلك ابن أبى لهب:

حتى رماه بما فيه ابن عباس

كان ابن حرب عظيم القدر فى الناس

حتى استفاد وما بالحق من باس

ما زال يهبطه طورا ويصعده

إلا كواه بها فى فروة الراس^{١٤٦}

لم يترك خطه مما يد الله

(١٠٠) ابن عباس ومعاوية

ابن الكلبي، قال : أقبل معاوية يوما على ابن عباس، فقال : لو وليتمونا ما آتيتم إلينا ما آتينا إليكم من الترحيب والتقريب، وإعطائكم الجزيل وإكرامكم على القليل، وصبرى على ما صبرت عليه منكم، إني لا أريد أمرا إلا أظمأتم صدره، ولا آتى معروفا إلا صغرتم خطره، وأعطيكم العطية فيها قضاء حقوقكم فتأخذوها متكارهين عليها، تقولون: قد نقص الحق دون الامل، فأى أمل بعد ألف ألف أعطيها الرجل منكم، ثم أكون أسر باعطائها منه بأخذها؟ والله لئن انخدعت لكم فى مالى وذلت لكم فى عرضى أرى انخداعى كرما وذلى حلما. ولو وليتمونا رضينا منكم بالانتصاف ولا نسألكم أموالكم، لعلمنا بحالنا وحالكم ويكون أبغضها إلينا وأحبها إليكم أن نعفيكم.

فقال ابن عباس: لو ولينا أحسنا المواساة وما ابتلينا بالاثرة ثم لم نغشم الحى ولم نشتم الميت، ولستم بأجود منا أكفا ولا أكرم أنفسا ولا أصون لاعراض المروءة . ونحن والله أعطى للآخرة منكم للدنيا، وأعطى فى الحق منكم فى الباطل، وأعطى على التقوى منكم على الهوى، والقسم بالسوية والعدل فى

ص: ١٨٣

الرعية يأتیان على المنى والامل، ما رضاكم منا بالكفاف، فلو رضيتم [به] منا لم ترض أنفسنا به لكم، والكفاف رضا من لا حق له. وفلا تبخلونا حتى تسألونا، ولا تلفظونا حتى تذوقوا^{١٤٧}.

(١٠١) ابن عباس ومعاوية

أبو عثمان الحزامي، قال: اجتمعت بنو هاشم عند معاوية، فأقبل عليهم، فقال: يا بني هاشم، والله إن خيرى لكم لممنوح وإن بابى لكم لمفتوح، فلا يقطع خيرى عنكم علة ولا يوصد بابى دونكم مسألة، ولما نظرت فى أمرى وأمركم رأيت أمرا مختلفا، إنكم لترون أنكم أحق بما فى يدى منى، وإذا أعطيتكم عطية فيها قضاء حقكم قلتم أعطانا دون حقنا وقصر بنا عن قدرنا، فصرت كالمسلوب والمسلوب لاحمد له، وهذا مع إنصاف فائلكم وإسعاف سائلكم.

قال: فأقبل على ابن عباس، فقال: والله ما منحتنا شيئا حتى سألناه ولا فتحت لنا بابا حتى قرعناه، ولئن قطعت عنا خيرك لله أوسع منك، ولئن أغلقت دوننا بابك لنكفن أنفسنا عنك. وأما هذا المال فليس لك منه إلا ما لرجل من المسلمين، ولنا فى كتاب الله حقان: حق فى الغنيمه، وحق فى الفئ، فالغنيمه ما غلبنا عليها والفئ ما جتبيناه. ولولا حقنا فى هذا المال لم يأتك منا زائر يحمله خف ولا حافر، أكفاك أم أزيدك؟ قال: كفانى فانك لاتهر ولا تنبح^{١٤٨}.

ص: ١٨٤

(١٠٢) ابن عباس ومعاوية

قال يوما معاوية وعنده ابن عباس: إذا جاءت هاشم بقديمها وحديثها، وجاءت بنو أمية بأحلامها وسياستها، وبنو أسد بن عبد العزى برفادتها ودياتها، وبنو عبدا لدار بحجابها ولوائها، وبنو مخزوم بأموالها وأفعالها، وبنو تميم بصديقها وجوادها، وبنو عدى بفاروقها ومتفكرها، وبنو سهم بآرائها، ودهائها، وبنو جمح بشرفها وانوفها، وبنو عامر بن لؤى بفارسها وقريعها، فمن ذا يجلى فى مضمارها ويجرى إلى غايتها؟ ما تقول يا بن عباس؟ قال:

أقول: ليس حى يفخرون بأمر إلا وإلى جنبهم من يشركهم إلا قريشا، فانهم يفخرون بالنبوة التى لا يشاركون فيها ولا يساوون بها ولا يدفعون عنها، وأشهد أن الله لم يجعل محمدا من قريش إلا وقريش خير البرية ولم يجعله فى بنى عبد المطلب إلا وهم خير بنى هاشم، ما نريد أن نفخ ر عليكم إلا بما تفخرون به، إن بنا فتح الامر وبنا يختم، ولك ملك معجل ولنا ملك مؤجل، فان يكن ملككم قبل ملكنا فليس بعد ملكنا ملك، لانا أهل العاقبة، والعاقبة للمتقين^{١٤٩}.

(١٠٣) ابن عباس وعمرو بن العاص

^{١٤٧} (١) العقد الفريد: ج ٤ ص ١٠. العقد الفريد: ج ٢ ص ١١١ ط مكتبة الهلال

^{١٤٨} (٢) العقد الفريد: ج ٤ ص ١١ ج ٢ ص ١١١ ط مكتبة الهلال

^{١٤٩} (١) العقد الفريد: ج ٤ ص ١٢. العقد: ج ٢ ص ١١٢

أبو مخنف، قال: حج عمرو بن العاص، فمر بعبد الله بن عباس فحسده مكانه وما رأى من هيبة الناس له وموقعه من قلوبهم . فقال له: يابن عباس، مالك إذا رأيتني وليتني القصرة وكأن بين عينيكَ دبرة، وإذا كنت في ملا من

ص: ١٨٥

الناس كنت الهوهاة الهمة؟

فقال ابن عباس: لانك من اللثام الفجرة وقريش الكرام البررة، لا ينطقون بباطل جهلوه ولا يكتمون حقا علموه، وهم أعظم الناس أحلاما وأرفع الناس أعلاما، دخلت في قريش ولست منها، فأنت الساقط بين فراشين، لافي بني هاشم رحلك ولا في بني عبد شمس راحلتك! فأنت الاثيم الزنيم الضال المضل، حملك معاوية على رقاب الناس، فأنت تسطو بحمله^{١٥٠} وتسمو بكرمه.

فقال عمرو: أما والله إنى لمسروور بك، فهل ينفعنى عندك؟ قال ابن عباس: حيث مال الحق ملنا وحيث سلك قصدنا^{١٥١}

(١٠٤) ابن عباس ومعاوية

المدائني قال: [قام] عمرو بن العاص في موسم من مواسم العرب، فأطرى معاوية ابن أبي سفيان وبني امية [وتناول بني هاشم] وذكر مشاهده بصفين، واجتمعت قريش، فأقبل عبد الله بن عباس على عمرو.

فقال: يا عمرو، إنك بعت دينك من معاوية وأعطيته ما بيدك ومناك ما بيد غيرك، وكان الذي أخذ منك أكثر من الذي أعطاك، والذي أخذت منه دون الذي أعطيته، حتى لو كانت نفسك في يدك ألقيتها، وكل راض بما أخذ وأعطي . فلما صارت مصر في يدك كدرها عليك بالعدل والتنقص.

[وذكرت يومك مع أبي موسى فلا أراك فخرت إلا بالغدر ولا منيت إلا بالفجور والغش . ش] وذكرت مشاهدك بصفين، فوالله ما ثقلت علينا يومئذ وطأتك [ولا نكأت فينا جرأتك . ش] ولقد كشفت فيها عورتك وإن كنت فيها لطويل اللسان قصير السنان، آخر الخيل إذا أقبلت وأولها إذا

ص: ١٨٦

أدبرت، لك يدان: يد لا تبسطها إلى خير ويد لا تقبضها عن شر، ولسان غادر ذو وجهين: وجهان: وجه موحش ووجه مونس، ولعمري! إن من باع دينه بدنيا غيره لحرى أن يطول عليها ندمه، لك بيان وفيك خطل، ولك رأى وفيك نكد، ولك قدر وفيك حسد، وأصغر عيب فيك أعظم عيب في غيرك.

^{١٥٠} (١) "بحلمه خ".

^{١٥١} (٢) العقد: ج ٤ ص ١٢. العقد: ج ٢ ص ١١٢

فأجابه عمرو بن العاص: والله! ما فى قريش أثقل على مسألة ولا أمر جوابا منك، ولو استطعت ألا اجيبك لفعلت، غير أنى لم أبع دينى من معاوية ولكن بعث الله نفسى ولم أنس نصيبى من الدنيا . وأما ما أخذت من معاوية وأعطيته : فإنه لا تعلم العوان الخمرة. وأما ما أتى إلى معاوية فى مصر : فإن ذلك لم يغيرنى له . وأما خفة وطأتى عليكم بصفين : فلم استثقلتكم حياتى واستبظأتكم وفاتى؟ وأما الجبن : فقد علمت قريش أنى أول من يبارز وأمر من ينازل . وأما طول لسانى: فانى كما قال هشام بن الوليد لعثمان بن عفان رضى الله عنه:

عليك وسيفى من لسانى أطول

لسانى طويل فاحترس من شذاته

وأما وجهائى ولسانائى : فإنى ألقى كل ذى قدر بقدره وأرمى كل نابح بحجره، فمن عرف قدره كفانى نفسه، ومن جهل قدره كفيته نفسه، ولعمري ما لاحد من قريش مثل قدرك ما خلا معاوية، فما ينفعنى ذلك عندك . وأنشأ عمرو يقول:

بى اليوم جهال وليس بكم جهل؟

بنى هاشم مالى أراكم كأنكم

سريع إلى الداعى إذا كثر القتل؟

ألم تعلموا أنى جسور على الوغى

جبلت عليها والطباع هو الجبل

وأول من يدعو نزال طبيعة

بدومة إذ أعيأ على الحكم الفصل

وإنى فصلت الامر بعد اشتباهه

وإنى إذا عجت بكاركم فحل^{١٥٢}

وإنى لا اعيأ بأمر أريده

ص: ١٨٧

(١٠٥) ابن عباس وابن الزبير

الشعبى قال : قال ابن الزبير لعبدالله بن عباس : قاتلت ام المؤمنين وحوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفتيت بجواز المتعة؟!.

^{١٥٢} (١) العقد ج ٤ ص ١٣. وابن أبى الحديد: ج ٢ ص ٢٤٧ أوله مع اختلاف، وذكرنا بعضه بين المعقتين

فقال: أما ام المؤمنين: فأنت أخرجتها وأبوك وخالك، وبنا سميت ام المؤمنين وكنا لها خير بنين فتجاوز الله عنها . وقاتلت انت وأبوك عليها، فان كان على مؤمنا فقد ضللتكم بقتالكم المؤمنين، وإن كان على كافرا فقد بؤتم بسخط من الله بفراركم من الزحف . وأما المتعة: فان عليا رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص فيها، فأفتيت بها، ثم سمعته ينهى فنهيت عنها. وأول مجمر سطع فى المتعة مجمر آل الزبير^{١٥٣}.

(١٠٦) عبد الله بن عباس ومعاوية

دخل عبد الله بن عباس على معاوية وعنده وجوه قريش، فلما سلم وجلس، قال له معاوية : إني أريد أن أسألك عن مسائل . قال: سل عما بدا لك.

قال: ما تقول فى أبى بكر؟.

قال: رحم الله أبا بكر، كان والله للقرآن تاليا، وعن المنكر [ات] ناهيا، وبذنبه عارفا، ومن الله خائفا، وعن الشبهات زاجرا، وبالمعروف آمرا وبالليل قائما وبالنهيار صائما، فاق أصحابه ورعا وكفافا، وسادهم زهدا وعفافا، فغضب الله على من أبغضه وطعن عليه.

قال: إيها يا ابن عباس، فما تقول فى عمر بن الخطاب؟.

ص: ١٨٨

قال: رحم الله أبا حفص [عمر] كان والله حليف الاسلام، ومأوى اليتام، ومنتهى الاحسان، ومحل الايمان، وكهف الضعفاء، ومعقل الحنفاء، قام بحق الله عزوجل صابرا محتسبا حتى أوضح الدين وفتح البلاد وأمن العباد، فأعقب الله على من تنقصه اللعنة إلى يوم الدين.

قال: فما تقول فى عثمان؟.

قال: رحم الله أبا عمرو، كان والله أكرم الحفدة، وأفضل البررة هجادا بالاسحار، كثير الدموع عند ذكر النار، نهاضا عند كل مكرمة، سباقا إلى كل منحة، حيا أيا وفيها، صاحب جيش العسرة، ختن رسول الله صلى الله عليه وآله فأعقب الله على من يلعنه لعنة اللاعنين إلى يوم الدين.

قال: فما تقول فى على.

قال: رضى الله عن أبى الحسن، كان والله علم الهدى، وكهف التقي، ومحل الحجى، وبحر الندى، وطود النهى، وكهف العلى للورى، داعيا إلى المحجة العظمى، متمسكا بالعروة الوثقى، خير من آمن واتقى، وأفضل من تقمص وارتدى، وأبر من انتعل وسعى، وأفصح من تنفس وقرى، وأكثر من شهد النجوى سوى الانبياء والنبي المصطفى، صاحب القبلتين فهل يوازيه أحد؟

وهو أبو السبطين فهل يقارنه بشر؟ وزوج خير النساء فهل يفوقه قاطن بلد؟

للاسود قتال، وفي الحروب ختال، لم ترعيني مثله ولن ترى، فعلى من انتقصه لعنة الله والعباد إلى يوم التناد.

قال: إياها يا ابن عباس! لقد أكثرت فى ابن عمك، فما تقول فى أبيك العباس؟.

قال: رحم الله [العباس] أبا الفضل، كان صنوبى الله صلى الله عليه وسلم وقرّة عين صفى الله، سيد الـ عمام، له أخلاق آبائه الاجواد وأحلام أجداده الامجاد، تباعدت الاسباب فى فضيلته، صاحب البيت والسقاية والمشاعر

ص: ١٨٩

والتلاوة، ولم لا يكون كذلك وقد ساسه أكرم من دب.

فقال معاوية: يا ابن عباس! أنا أعلم أنك كلماني فى أهل بيتك.

قال: ولم لا أكون كذلك، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

" اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل؟"

ثم قال ابن عباس بعد هذا الكلام:

يا معاوية، إن الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه خص نبيه محمدا صلى الله عليه وآله وسلم بصحابة آثروه على الانفس والاموال وذلوا النفوس دونه فى كل حال، ووصفهم الله فى كتابه فقال: "رحماء بينهم" الآية، قاموا بمعالم الدين وناصحوا الاجتهاد للمسلمين، حتى تهذبت طرقه وقويت أسبابه وظهرت آلاء الله واستقر دينه ووضحت أعلامه، وأذل الله بهم الشرك وأزال رؤوسه ومحا دعائمه وصارت كلمة الله العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، فصلوات الله وبـ ركاته على تلك النفوس الزاكية والارواح الطاهرة العالية، فقد كانوا فى الحياة لله أولياء وكانوا بعد الموت أحياء وكانوا لعباد الله نصحاء، رحلوا إلى الآخرة قبل أن يصلوا إليها وخرجوا من الدنيا وهم بعد فيها.

فقطّع عليه معاوية الكلام، وقال إياها يا ابن عباس! حديثا فى غير هذا [خذ بنا إلى غير هذا خ ل] ١٥٤.

(١٠٧) ابن عباس ومعاوية

دس معاوية- بعد صلحه مع الحسن عليه السلام - رجلا من حمير إلى الكوفة ورجلا من بنى القين إلى البصرة يكتبان إليه بالاخبار، فدل على الحميرى وعلى القينى، فاخذا وقتلا. فكتب الحسن عليه السلام إلى معاوية

ص: ١٩٠

وكتب عبد الله بن العباس من البصرة إلى معاوية:

أما بعد، فانك ودسك أخوا بنى القين إلى البصرة تلتمس من غفلات قريش بمثل ما ظفرت به من يمانيتك، لكما قال امية بن أبى الاسكر:

كنعجة عاد حنفتها تتحفر

لعمرك إني والخزاعي طارقا

فظلت بها من آخر الليل تنحر

أثارت عليها شفرة بكراعها

أصابهم يوم من الدهر أصر

شمت بقوم من صديقك اهلكوا

فأجابه معاوية:

أما بعد، فان الحسن بن على قد كتب إلى بنحو ما كتبت به وأنبأنى بما لم يحقق سوء ظن ورأى فى وإنك لم تصب مثلى ومثلكم، وإنما مثلنا كما قال طارق الخزاعى يجيب امية عن هذا الشعر:

إلى أى من يظننى أتعذر

فوالله ما أدري وإنى لصادق

ونال بنى لحيان شرفاً نقر^{١٥٥}

أعنف إن كانت زينة اهلكت

(١٠٨) ابن عباس ومعاوية

كتب معاوية إلى ابن عباس عند صلح الحسن عليه السلام له كتابا يدعو فيه إلى بيعته ويقول له فيه:

^{١٥٥} (١) ابن أبى الحديد: ج ١٦ ص ٣٢-٣١

ولعمري! لو قتلتك بعثمان رجوت أن يكون ذلك لله رضا وأن يكون رأيا صوابا، فانك من الساعين عليه والخاذلين له والسافكين دمه، وما جرى بيني وبينك صلح فيمنعك مني، ولا بيدك أمان.

فكتب إليه ابن عباس جوابا طويلا يقول فيه : وأما قولك: إني من الساعين على عثمان والخاذلين له والسافكين دمه وما جرى بيني وبينك صلح

ص: ١٩١

فيمنعك مني، فاقسم بالله لانت المتربص بقتله والمحب لهلاكه والحابس الناس قبلك عنه على بصيرة من أمره، ولقد أتاك كتابه وصريخه يستغيث بك ويستصرخ، فما حفلت حتى بعثت إليه معذرا باجرة، أنت تعلم أنهم لن يتركوه حتى يقتل، فقتل كما كنت أردت. ثم علمت عند ذلك أن الناس لن يعدلوا بيننا وبينك فطفقت تنعى عثمان وتلزمنا دمه وتقول : قتل مظلوما! فان يك قتل مظلوما فأنت أظلم الظالمين. ثم لم تزل مصوبا ومصعدا وجائما وراضا تستغوي الجاهل وتنازعنا حقنا بالسفهاء حتى أدركت ما طلبت " وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين " ١٥٦.

(١٠٩) ابن عباس وابن الزبير

روى سعيد بن جبیر: أن عبد الله بن الزبير قال لعبدالله بن عباس:

ما حديث أسمعه عنك؟ قال : وما هو؟ قال : تأنيبي وذمي! فقال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : " بئس المرء المسلم يشبع ويجوع جاره " فقال ابن الزبير: إني لاكنم بغضكم أهل البيت منذ أربعين سنة.

كان عبد الله بن الزبير يبغض عليا عليه السلام وينتقصه وينال من عرضه.

وروى عمر بن شبة وابن الكلبي والواقدي وغيرهم من رواة السير أنه مكث أيام ادعائه الخلافة أربعين جمعة لا يصلي فيها على النبي صلى الله عليه وآله وقال: " لا يمنعني من ذكره إلا أن تشمخ رجال بآنافها! " وفي رواية محمد بن حبيب وأبي عبيدة معمر بن المثنى: " أن له أهيل سوء ينعضون رؤوسهم عند ذكره " ١٥٧.

ص: ١٩٢

(١١٠) ابن عباس وابن الزبير

خطب ابن الزبير، فقال : ما بال أقوام يفتون في المتعة وينتقصون حوارى رسول الله وام المؤمنين عائشة ! ما بالهم أعمى الله قلوبهم كما أعمى أبصارهم.

١٥٦ (١) ابن أبي الحديد: ج ١٦ ص ١٥٥ - ١٥٤

١٥٧ (٢) ابن أبي الحديد: ج ٤ ص ٦١ و ٦٢

يعرض بابن عباس.

فقال [ابن عباس]: يا غلام، اصمدني صمده، فقال: يابن الزبير!

إنا إذا ما فئة نلقاها

قد انصف القارة من رامها

نرد اولها على اخراها أما قولك في المتعة : فسل امك تخبرك ! فان أول متعة سطع مجمرها لمجمر سطع بين امك وأبيك . يريد متعة الحج . [وأما قولك: ام المؤمنين، فبنا سميت ام المؤمنين، وبنا ضرب عليها الحجاب] وأما قولك: حوارى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد لقيت أهلك في الزحف وأنا مع إمام هدى، فان يكن على ما أقول فقد كفر بقتالنا، وإن يكن على ما تقول فقد كفر بهر به عنا.

فانقطع ابن الزبير ودخل على امه أسماء، فأخبرها، فقالت: صدق^{١٥٨}

(١١١) ابن عباس وابن الزبير

لما أخرج ابن الزبير عبد الله بن عباس من مكة إلى الطائف، كان يجلس إليه أهل الطائف بعد الفجر وبعد العصر، فيتكلم بينهم . كان يحمد الله ويذكر النبي صلى الله عليه وآله والخلفاء بعده ويقول: ذهبوا فلم يدعوا أمثالهم ولا أشباههم ولا من يدانيهم! ولكن بقي أقوام طلبون الدنيا بعمل الآخرة

ص: ١٩٣

ويلبسون جلود الضأن تحتها قلوب الذئاب والنمور، ليظن الناس أنهم من الزاهدين في الدنيا، يراؤون الناس بأعمالهم ويسخطون الله بسرائرهم. فادعوا الله أن يقضى لهذه الامة بالخير والاحسان، فيولى أمرها خيارها وأبرارها ويهلك فجارها وأشرارها، ارفعوا أيديكم إلى ربكم وسلوه ذلك. فيفعلون.

فبلغ ذلك ابن الزبير، فكتب إليه:

أما بعد، فقد بلغني أنك تجلس بالطائف العصريين تفتيهم بالجهل ! تعيب أهل العقل والعلم . وإن حلمي عليك واستدامتي فيئك جرأك على، فاكف - لا أبا لغيرك - من غربك، واربع على ظلمك، واعقل إن كان لك معقول، وأكرم نفسك، فإنك إن تهناها تجدها على الناس أعظم هوانا، ألم نسمع قول الشاعر:

فنفسك أكرمها فانك إن تهن

عليك فلن تلقى لها الدهر مكرما

وإني أقسم بالله لئن لم تنته عما بلغني عنك لتجدن جانبي خشنا، ولتجدنني إلى ما يردعك عنى عجلا، فر رأيك، فان أشفى بك شقاؤك على الردى، فلا تلم إلا نفسك.

فكتب إليه ابن عباس:

أما بعد، فقد بلغني كتابك، قلت: إني افتي الناس بالجهل. وإنما يفتى بالجهل من لم يعرف من العلم شيئا، وقد آتاني الله من العلم ما لم يؤتكم.

وذكرت أن حلمك عنى واستدامتك فيئى جرأنى عليك، ثم قلت:

أكفف من غربك واربع على ظلمك، وضربت لى الامثال أحاديث الضيع.

متى رأيتنى لعرامك هائبا ومن حدك ناكلا؟

وقلت: لئن لم تكفف لتجدن جانبي خشنا . فلا ابقى الله عليك إن أبقيت، ولا أرعى عليك إن أرعيت . فوالله لا أنتهى عن قول الحق وصفة أهل العدل والفضل وذم الاخسرين أعمالا، الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم

ص: ١٩٤

يحسبون أنهم يحسنون صنعا والسلام^{١٥٩}.

(١١٢) ابن عباس وابن الزبير

لما كشف عبد الله بن الزبير بنى هاشم وأظهر بغضهم وعابهم وهم بما هم به فى أمرهم ولم يذكر رسول الله صلى الله عليه وآله فى خطبته لا يوم الجمعة ولا غيرها، عاتبه على ذلك قوم من خاصته وتشأموا بذلك منه وخافوا عاقبته.

فقال: والله ما تركت ذلك علانية إلا وأنا أقوله سرا وأكثر منه ! لكنى رأيت بنى هاشم إذا سمعوا ذكره اشرأبوا واحمرت ألوانهم وطالت رقابهم، والله ماكنت لآتى لهم سرورا وأنا أقدر عليه، والله لقد هممت أن أحظر لهم حظيرة ثم أضرم عليهم نارا، فإنى لا أقتل منهم إلا آثما كفارا سحارا، لا أنماهم الله ولا بارك عليهم ! بيت سوء لا أول لهم ولا آخر، والله ما ترك نبي الله فيهم خيرا، استفرع نبي الله صدقهم فهم أكذب الناس.

^{١٥٩} (١) ابن أبي الحديد: ج ٢٠ ص ١٢٥

فقام إليه محمد بن سعد ابن أبي وقاص، فقال: وفقك الله يا أمير المؤمنين، أنا أول من أعانك في أمرهم.

فقام عبد الله بن صفوان بن أميئ الجمحي، فقال: والله ما قلت صوابا ولا هممت برشد، أرهط رسول الله صلى الله عليه وآله تعيب؟ وإياهم تقتل والعرب حولك؟ والله لو قتلت عدتهم أهل بيت من الترك مسلمين ما سوغه الله لك، والله لو لم ينصرهم الناس منك لنصرهم الله بنصره. فقال: إجلس أبا صفوان، فلست بناموس.

فبلغ الخبر عبد الله بن العباس، فخرج مغضبا ومعه ابنه حتى أتى المسجد فقصد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على رسول الله صلى الله عليه وآله ثم

ص: ١٩٥

قال:

أيها الناس، إن ابن الزبير يزعم أن لا أول لرسول الله ولا آخر، فيا عجبا كل العجب لافترائه ولكذبه !! والله إن أول من أخذ الأيلاف وحمى عيرات قريش لهاشم، وإن أول من سقى بمكة عذبا وجعل باب الكعبة ذهبا لعبد المطلب، والله لقد نشأت ناشتتنا مع ناشئة قريش وإن كنا لقاتلهم إذا قالوا وخطباءهم إذا خطبوا، وما عد مجد كمجد أولنا، ولا كان في قريش مجد لغيرنا، لأنها في كفر ما حق ودين فاسق وضلة وضلالة في عشواء عمياء، حتى اختار الله تعالى لها نورا وبعث لها سراجا، فانتجبه طيبا من طيبين لا يسبه بمسبة، ولا يبغي عليه غائلة، فكان أحدنا وولدنا وعمنا وابن عمنا . ثم إن أسبق السابقين إليه منا وابن عمنا، ثم تلاه في السبق أهلنا ولحمتنا واحدا بعد واحد.

ثم إنا لخير الناس بعده وأكرمهم أدبا وأشرفهم حسبا وأقربهم منه رحما، واعجبا كل العجب لابن الزبير يعيب بنى هاشم !! وإنما شرف هو وأبوه وجده بمصاهرتهم . أما والله إنه لمسلوب قريش، ومتى كان العوام بن خويلد يطمع في صفيه بنت عبد المطلب ! قيل للبعل: من أبوك يا بعل؟ فقال: خالي الفرس. ثم نزل^{١٦٠}.

(١١٣) ابن عباس وابن الزبير

خطب ابن الزبير بمكة على المنبر وابن عباس جالس مع الناس تحت المنبر، فقال: إن هاهنا رجلا قد أعمى الله قلبه كما أعمى بصره، يزعم أن متعة النساء حلال من الله ورسوله ويفتي في القملة والنملة، وقد أحتمل بيت مال البصرة

ص: ١٩٦

بالامس وترك المسلمين بها يرتضخون النوى، وكيف ألومه في ذلك وقد قاتل ام المؤمنين وحوارى رسول الله صلى الله عليه وآله ومن وقاه بيده؟! فقال ابن عباس لقائده سعد بن جبير بن هشام مولى بنى أسد بن خزيمة:

^{١٦٠} (١) ابن أبي الحديد: ج ٢٠ ص ١٢٩-١٢٨

استقبل بى وجه ابن الزبير وارفح من صدرى - وكان ابن عباس قد كشف بصره - فاستقبل به قائده وجه ابن الزبير وأقام قامته فحسر عن ذراعيه ثم قال:

يا ابن الزبير، أما العمى: فان الله تعالى يقول: " فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور " وأما فتياى فى القملة والنملة: فان فيها حكمين لا تعلمها أنت ولا أصحابك . وأما حملى المال: فانه كان مالا جبيناه فأعطينا كل ذى حق حقه وبقيت بقية هي دون حقنا فى كتاب الله، فأخذناها بحقنا. وأما المتعة: فسل أمك أسماء إذا نزلت عن بردى عوسجة.

وأما قتالنا أم المؤمنين: فبنا سميت أم المؤمنين لآبك ولا بأبيك، فانطلق أبوك وخالك إلى حجاب مده الله عليها فهتكاه عنها، ثم اتخذها فتنة يقاتلان دونها وصانا حلائلها فى بيوتهما ! فما أنصفا الله ولا محمدا من أنفسهما أن أبرزنا زوجة نبيه وصانا حلائلها. وأما قتالنا إياكم فانا لقيناكم زحفا فان كنا كفارا فقد كفرتم بفراركم منا، وإن كنا مؤمنين فقد كفرتم بقتالهم إيانا، وأيم الله لولا مكان صفيه فيكم ومكان خديجة فينا لما تركت لبنى أسد بن عبد العزى عظما إلا كسرتة.

فلما عاد ابن الزبير إلى امه سألتها عن " بردى عوسجة " فقالت: ألم أنهك عن ابن عباس وعن بنى هاشم؟ فانهم كعم الجواب إذا بدوها. فقال: بلى وعصيتك . فقالت: يا بنى، أأحذر هذا الاعمى الذى ما طاقته الانس والجن، واعلم أن عنده فضائح قريش ومخازيها بأسرها، فاياك وإياه آخر الدهر! ^{١٦١}.

ص: ١٩٧

(١١٤) عبد الله بن عباس وابن الزبير

روى عثمان بن طلحة العبدري، قال: شهدت من ابن عباس - رحمه الله - مشهدا ما سمعته من رجل من قريش، كان يوضع إلى جانب سرير مروان بن الحكم - وهو يومئذ أمير المدينة - سرير آخر أصغر من سريريه، فيجلس عليه عبد الله بن عباس إذا دخل، وتوضع الوسائد فيما سوى ذلك، فأذن مروان يوما للناس، وإذا سرير آخر قد احدث تجاه سرير مروان، فأقبل ابن عباس فجلس على سريريه وجاء ع بد الله بن الزبير وجلس على السرير المحدث، وسكت مروان والقوم . فإذا يد ابن الزبير تتحرك فعلم أنه يريد أن ينطق، ثم نطق فقال:

إن اناسا يزعمون أن بيعة أبي بكر كانت غلطا وغلطة ومغالبة، ألا إن شأن أبي بكر أعظم من أن يقال فيه هذا . ويزعمون أنه لولا ما وقع لكان الامر لهم وفيهم، والله ما كان من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله أحد أثبت إيمانا ولا أعظم سابقة من أبي بكر، فمن قال غير ذلك فعليه لعنة الله ! فأين هم حين عقد أبو بكر لعمر؟ فلم يكن إلا ما قال . ثم ألقى عمر حظهم فى حظوظ وجدهم فى جدود، فقسمت تلك الحظوظ فأخر الله سهمهم م وأدحض جددهم وولى الامر عليهم من كان أحق به منهم، فخرجوا عليه خروج اللصوص على التاجر خارجا من القرية فأصابوا منه غرة فقتلوه . ثم قتلهم الله به كل قتله، وصاروا مطرودين تحت بطون الكواكب.

^{١٦١} (١) ابن أبي الحديد: ج ٢٠ ص ١٣١ - ١٢٩ ومستدرک الوسائل: ج ٣ ص ٥٨٧ شطرا منه

فقال ابن عباس:

على رسلك أيها القائل في أبي بكر وعمر والخلافة، أما والله ما نالا ولا نال أحد منهما شيئا إلا وصاحبنا خير ممن نالا، وما أنكرنا تقدم من تقدم لعيب عبناه عليه، ولو تقدم صاحبنا لكان أهلا وفوق الأهل، ولولا أنك إنما تذكر

ص: ١٩٨

حظ غيرك وشرف امرئ سواك لكلمتك، ولكن ما أنت وما لا حظ لك فيه؟

اقتصر على حظك. ودع تيما لتيمة وعديا لعدى وامية لامية، ولو كلمني تيمى أو عدوى أو اموى لكلمته وأخبرته خبر حاضر عن حاضر لا خبر غائب عن غائب، ولكن ما أنت وما ليس عليك؟ فان يكن فى أسد بن عبد العزى شئ فهو لك.

أما والله لنحن أقرب بك عهدا وأبيض عندك يدا وأوفر عندك نعمة ممن أمسيت تظن أنك تصول به عل ينا، وما اخلق ثوب صفيه بعد! والله المستعان على ما تصفون^{١٦٢}.

(١١٥) ابن عباس وابن الزبير

لما خرج الحسين عليه السلام من مكة إلى العراق ضرب عبد الله بن عباس بيده على منكب ابن الزبير وقال:

يا لك من قبرة بمعمر!

خلا لك الجو فيبضى واصفرى!

ونقرى ما شئت أن تنقرى

هذا الحسين سائر فأبشرى

خلا الجو والله لك يا ابن الزبير! وسار الحسين إلى العراق.

فقال ابن الزبير: يا ابن عباس، والله ما ترون هذا الامر إلا لكم، ولا ترون إلا أنكم أحق به من جميع الناس.

فقال ابن عباس: إنما يرى من كان فى شك، ونحن من ذلك على يقين، ولكن أخبرنى عن نفسك بماذا تروم هذا الامر؟ قال: بشرفى. قال: وبماذا شرفت إن كان لك شرف؟ فانما هو بنا، فنحن أشرف منك، لان شرفك منا.

وعلت اصواتهما.

ص: ١٩٩

فقال غلام من آل الزبير : دعنا منك يا ابن عباس ! فوالله لا تحبوننا يا بنى هاشم ولا نجبكم أبدا . فلطمه عبد الله بن الزبير بيده وقال: أتتكلم وأنا حاضر؟

فقال ابن عباس: لم ضربت الغلام؟ والله أحق بالضرب منه من مزق ومرق! قال: ومن هو؟ قال: أنت.

قال: واعترض بينهما رجال من قريش، فأسكتوهما^{١٦٣}.

(١١٦) ابن عباس وابن الزبير

عن سعيد بن جبیر : أن ابن عباس دخل على ابن الزبير، فقال له ابن الزبير: إلام [علام خ ل] تَوْنَبْنِي وتعنفني؟ قال ابن عباس : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : " بُئِىَ المرء المسلم يشبع ويجوع جاره " وأنت ذلك الرجل: فقال ابن الزبير: " والله إني لأكتم بغضكم أهل هذا البيت منذ أربعين سنة^{١٦٤} .

(١١٧) ابن عباس ورجل

قيل لعبدالله بن عباس: ما منع عليا أن يبعثك مع عمرو يوم التحكيم؟

فقال: منعه حاجز القدر ومحنة الابتلاء وقصر المدة، أما والله لو كنت لقعدت على مدارج أنفاسه ناقضا ما أبرم ومبرما ما نقض أطير إذا أسف وأسف إذا طار، ولكن قد سبق قدر وبقي أسف! ومع اليوم غد، والآخره خير لأمر المؤمنين^{١٦٥}.

ص: ٢٠٠

(١١٨) ابن عباس و عبد الرحمن بن خالد

ذكر محمد بن القاسم بن بشار الانباري في أماليه، قال : قال عبد الرحمن ابن خالد بن الوليد : حضرت الحكومة، فلما كان يوم الفصل جاء عبد الله بن عباس فقعد إلى جانب أبي موسى وقد نشر اذنيه حتى كاد أن ينطق بهما! فعلمت أن الامر لا يتم لنا مادام هناك وأنه سيفسد على عمرو حيلته، فأعملت المكيدة في أمره فجئت حتى قعدت عنده وقد شرع عمرو وأبو موسى في الكلام، فكلمت ابن عباس كلمة استطعمته جوابها، فلم يجب، فكلمته أخرى، فلم يجب، فكلمته ثالثة، فقال : إني لفي شغل عن حوارك الان، فجهته وقلت :

^{١٦٣} (١) ابن أبي الحديد: ج ٢٠ ص ١٣٤ ويأتى عن المحاسن

^{١٦٤} (٢) ابن أبي الحديد: ج ٢٠ ص ١٤٨

^{١٦٥} (٣) ابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٢٤٧

يا بنى هاشم، لا تتركون بأوكم وكبركم أبدا، أما والله لولا مكان النبوة لكان لى ولك شأن . قال: فحمى وغضب واضطرب فكره ورأيه، وأسمعنى كلاما يسوء سماعه، فأعرضته وقمت فقعدت إلى جانب عمرو بن العاص، فقلت : قد كفيتك التقواله، إنى قد شغلت باله بما دار بينى وبينه فاحكم أنت أمرى.

قال: فذهل والله ابن عباس عن الكلام الدائر بين الرجلين حتى قام أبو موسى فخلع عليا^{١٦٦}!

(١١٩) ابن عباس ويزيد

لما خرج الحسين عليه السلام من المدينة إلى مكة كتب يزيد إلى ابن عباس:

أما بعد، فان ابن عمك حسيننا وعدو الله ابن الزبير التويا بيعتى ولحقا

ص: ٢٠١

بمكة مرصدين للفتنة معرضين أنفسهما للهلكة . فأما ابن الزبير، فانه صريع الفناء وقتيل السيف غدا . وأما الحسين، فقد أحببت الاعذار إليكم أهل البيت مما كان منه.

وقد بلغنى أن رجالا من شيعته من أهل العراق يكاثبونه ويكاتبهم ويمنونه الخلافة ويمنيهم الامارة، وقد تعلمون ما بينى وبينكم من الوصلة وعظيم الحرمة ونتائج الارحام، وقد قطع ذلك الحسين وبته، وأنت زعيم أهل بيتك وسيد أهل بلادك، فألقه وارده عن السعى فى الفرقة ورد هذه الامة عن الفتنة، فان قبل منك وأنا ب إليك فله عندى الامان والكرامة الواسعة واجرى عليه ما كلن أبى يجزيه على أخيه، وإن طلب الزيادة فاضمن له ما أراك الله، انفذ ضمانك وأقوم له بذلك، وله على الايمان المغلظة والمواثيق المؤكدة بما تطمئن به نفسه ويعتمد فى كل الامور عليه. عجل بجواب كتابى وبكل حاجة لك إلى وقبلى، والسلام.

قال هشام بن محمد: وكتب يزيد فى أسفل الكتاب:

على عذافرة فى سيرها قحم

يا ايها الراكب الغادى لمطيته

بينى وبين الحسين الله والرحم

أبلغ قريشا على نأى المزار بها

عهد الاله غدا يوفى به الذمم

وموقف بفناء البيت انشده

ام لعمرى حسان عفة كرم

هنيتم قومكم فخرا بامكم

بنت الرسول وخير الناس قد علموا

هى التى لا يدانى فضلها أحد

إني لاعلم أو ظنا لعالمه
 والظن يصدق أحيانا فينتظم
 أن سوف يترككم ما تدعون به
 قتلى تهادكم العقبان والرخم
 يا قومنا لا تشبوا الحرب إذ سكنت
 وأمسكوا بحبال السلم واعتصموا
 قد غرت الحرب من قد كان قبلكم
 من القرون وقد بادت بها الامم
 فأنصفوا قومكم لا تهلكوا بذخا
 فرب ذى بذخ زلت به القدم

ص: ٢٠٢

فكتب إليه ابن عباس:

أما بعد، فقد ورد كتابك تذكر فيه لحاق الحسين وابن الزبير بمكة.

فأما ابن الزبير: فرجل منقطع عنا برأيه وهواه، يكاتمنا مع ذلك أضغانا يسرها في صدره يورى علينا ورى الزناد، لافك الله اسيرها فارا في أمره ما انت راء.

وأما الحسين: فانه لما نزل مكة وترك حرم جده ومنازل آبائه سألته عن مقدمه، فأخبرني أن عمالك بالمدينة أساؤا إليه وعجلوا إليه بالكلام الفاحش، فأقبل إلى حرم الله مستجيرا به، وسألقاه فيما أشرت إليه، ولن أدع النصيحة فيما يجمع الله به الكلمة ويظفي به النائرة ويخمد به الفتنة ويحقن به دماء الامة، فاتق الله في السر والعلانية، ولا تبيتن ليلة وأنت تريد لمسلم غائلة، ولا ترصده بمظلمة، ولا تحفر له مهواة، فكم من حافر لغيره حفرا وقع فيه ! وكم من مؤمل أملا لم يؤت أمله! وخذ بحظك من تلاوة القرآن ونشر السنة، وعليك بالصيام والقيام لا تشغلك عنهما ملاهى الدنيا وأباطيلها، فان كل ما اشتغلت به عن الله يضر ويفنى، وكل ما اشتغلت به من أسباب الآخرة ينفع ويبقى^{١٦٧}.

(١٢٠) قيس بن سعد ومعاوية

لما قرب قوم صفين خاف معاوية على نفسه أن يأتي على أهل العراق وقيس بأهل مصر فيقع بينهما، ففكر في استدراج قيس واختداعه، فكتب إلى قيس:

من معاوية ابن أبى سفيان إلى قيس بن سعد، سلام عليك، أما بعد،

^{١٦٧} (١) تذكره الخواص لسبط ابن الجوزى ص ٢٣٧ وانساب الاشراف: ج ٤ القسم الثانى ص ١٩-١٨

فانكم إن كنتم تقمتم على عثمان بن عفان رض في إثرة رأيتموها أو ضربة سوط ضربها أو في شتيمة رجل أو في تسييره آخر أو في استعماله الفتى، فانكم قد علمتم إن كنتم تعلمون أن دمه لم يكن يحل لكم، فقد ركبتم عظيما من الامر وجئتم شيئا إدا، فنب إلى الله يا قيس بن سعد ! فانك كنت من المجليين على عثمان بن عفان رض إن كانت التوبة من قتل المؤمن تغني شيئا . فأما صاحبك: فالأستيقنا أنه الذي اغرى به الناس وحملهم على قتله فقتلوه، وأنه لم يسلم من دمه عظم قومك . فان استطعت يا قيس أن تكون ممن يطلب بدم عثمان فافعل تابعنا على أمرنا، ولك سلطان العراقيين إن أنا ظفرت ما بقيت، ولمن أجبت من أهل بيتك سلطان الحجاز مادام لى سلطان، وسلنى من غير هذا مما تحب، فانك لا تسألنى شيئا إلا أوتيته . واكتب إلى برأيك فيما كتبت به إليك، والسلام.

فلما جاءه كتاب معاوية أحب أن يدافعه ولا يبدى له أمره ولا يتعجل له حربه، فكتب إليه:

أما بعد، فقد بلغنى كتابك وفهمت ما ذكرت فيه من قتل عثمان رض، وذلك أمر لم اعارفه و لم أطف به. وذكرت أن صاحبى هو أغرى الناس بعثمان ودسهم إليه حتى قتلوه، وهذا امر لم أطلع عليه . وذكرت لى أن عظم عشيرتى لم تسلم من دم عثمان، فأول الناس كان فيه قياما عشيرتى [فلعمرى إن أولى الناس كان فى أمره عشيرتى، خ ل] وأما ما سألتنى من متابعتك وعرضت على من الجزاء به، فقد فهمته، وهذا أمر لى فيه نظر وفكرة، وليس هذا مما يسرع إليه، وأنا كاف عنك، ولن يأتىك من قبلى شئ تكرهه حتى ترى ونرى إن شاء الله، والمستجار الله عزوجل، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

قال: فلما قرأ معاوية كتابه لم يره إلا مقاربا مباعدا ولم يأمن أن يكون له فى ذلك مباعدا مكائدا، فكتب إليه معاوية أيضا:

أما بعد، فقد قرأت كتابك، فلم أرك تدنو فاعدك سلما، ولم أرك تباعد فاعدك حربا، أنت فيما هاهنا كحنك [كحبل خ ل] الجزور، وليس مثلى يصانع المخادع ولا ينتزع المكائد ومعه عدد الرجال ويده أعنة الخيل، والسلام عليك.

فلما قرأ قيس بن سعد كتاب معاوية ورأى أنه لا يقبل معه المدافعة والمماطلة أظهر له ذات نفسه، فكتب إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم: من قيس بن سعد إلى معاوية ابن أبى سفيان:

أما بعد، فان العجب من اغترارك بى وطمعك فى واستسقاطك رأى، أتسومنى الخروج من طاعة أولى الناس بالامرة، وأقولهم للحق، وأهداهم سبيلا، وأقربهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسيلة، وتأمرنى بالدخول فى طاعتك، طاعة أبعد الناس من هذا الامر، وأقولهم للزور، وأضلهم سبيلا، وأبعدهم من الله عزوجل ورسوله صلى الله عليه وآله وسيلة؟ ! ولد ضالين مضلين [ولديك قوم ضالين مضلون خ ل] ظاغوت من طواغيت إبليس!.

وأما قولك: إني مالى عليك مصر [إنك تملا على مصر خ ل] خيلا ورجلا، فوالله إن لم أشغلك بنفسك حتى تكون نفسك أهم إليك إنك لذو جد، والسلام.

فلما بلغ معاوية كتاب قيس أيس منه وثقل عليه مكانه^{١٦٨}.

(١٢١) قيس بن سعد ومعاوية

فلما أيس معاوية منه كتب إليه:

ص: ٢٠٥

أما بعد، فانك يهودى ابن يهودى! إن ظفر أحب الفريقين إليك عزلك واستبدل بك، وإن ظفر أبغضهما إليك قتلك ونكل بك. وكان أبوك وتر قوسه ورمى غير غرضه، فأكثر الحز وأخطأ المفصل، فخذله قومه وأدركه يومه، ثم مات طريدا بحوران، والسلام.

فكتب إليه قيس رحمه الله:

أما بعد، فانما أنت وثن ابن وثن! دخلت فى الاسلام كرها وخرجت منه طوعا، لم يقدم إيمانك ولم يحدث نفاقك. وقد كان أبى وتر قوسه ورمى غرضه، وشغب عليه من لم يبلغ كعبه ولم يشق غباره، ونحن أنصار الدين الذى خرجت منه وأعداء الدين الذى دخلت فيه، والسلام^{١٦٩}.

صورة أخرى منه على نقل ابن أبى الحديد ومقاتل الطالبين:

^{١٦٨} (١) تاريخ الطبرى: ج ٤ ص ٥٥١-٥٥٠ والغدير: ج ٢ ص ٩٩-٩٨ عنه وعن الكامل لابن الاثير: ج ٣ ص ١٠٧. وابن أبى الحديد: ج ٢ ص ٢٣ الطبعة القديمة المصرية وفى الجديدة ج ٦ ص ٦١-٦٠. والغدير: ج ١٠ ص ١٥٨. وأنساب الاشراف: ج ١ ص ٣٩٠. والبحار: ج ٨ ط الكمباني ص ٥٩٣

^{١٦٩} (١) مروج الذهب: ج ٣ ص ٢٥. والجاحظ فى البيان والتبيين: ج ٢ ص ٦٩. وعيون الاخبار لابن قتيبة: ج ٢ ص ٢١٢. ومقاتل الطالبين: ص ٦٦. والبحار: ٤٤ ص ٥٢. والكامل للمبرد: ج ١ ص ٣٠٨.

وأنساب الاشراف: ج ١ ص ٣٩١. والبحار: ج ٨ ط الكمباني ص ٥٩٤، والعقد الفريد: ج ٤ ص ٣٣٨.

واليعقوبى: ج ٢ ص ١٦٣، وفى نسخة ص ١٧٦. والغدير: ج ١٠ ص ١٥٧ وج ٢ ص ١٠٠ عن الكامل لابن الاثير: ج ١ ص ٣٠٩. وعيون الاخبار لابن قتيبة ج ٢ ص ٢١٣. ومناقب الخوارزمى: ص ١٧٣، وفى نسخة عندى ص ١٨١. وابن أبى الحديد ج ٤ ص ١٥ وفى الجديدة ج ١٦ ص ٤٣. وظاهره أنه كتب معاوية إلى قيس وأجابه قيس فى حرب الحسن عليه السلام مع معاوية لعنه الله وكان قيس على مقدمة عسكر الامام عليه السلام وظاهر كلام العقد الفريد أنه كان فى حرب ص فين. وظاهر الطبرى أنه كان مدة حكومة قيس فى مصر، كما مر

أما بعد، فانما أنت وثن ابن وثن! دخلت في الاسلام كرها وأقمت فيه فرقا وخرجت منه طوعا، ولم يجعل الله لك فيه نصيبا، لم يقدم إسلامك ولم يحدث نفاقك، ولم تزل حربا لله ولرسوله وحزبا من أحزاب المشركين وعدوا لله ولنبيه وللمؤمنين من عباده. وذكرت أبي، فلعمري ما أوتر إلا قوسه ولا رمى إلا

ص: ٢٠٦

غرضه، فشغب عليه من لا يشق غباره ولا يبلغ كعبه . وزعمت أنى يهودى ابن يهودى، وقد علمت وعلم الناس أنى وأبى أعداء الدين الذى خرجت منه وأنصار الدين الذى دخلت فيه وصرت إليه، والسلام .

صورة اخرى عن الجاحظ فى التاج، كما فى الغدير ج ٢:

كتب قيس إلى معاوية : يا وثن ابن وثن ! تكتب إلى تدعوني إلى مفارقة على بن أبى طالب والدخول فى طاعتك ! وتخوفنى بتفريق أصحابه عنه وإقبال الناس عليك وإجفالهم إليك، فوالله الذى لا اله غيره ! لو لم يبق له غيرى ولم يبق لى غيره ما سالمتك أبدا وأنت حربى، ولا دخلت فى طاعتك وأنت عدوه، ولا اخترت عدو الله على وليه ولا حزب الشيطان على حزب الله، والسلام.

(١٢٢) قيس ومعاوية

أخرج الحافظ عبد الرزاق عن ابن عيينة، قال: قدم قيس بن سعد على معاوية، فقال له معاوية: وأنت يا قيس تلجم على مع من الجم؟ أما والله لقد كنت احب أن لا تأتينى هذا اليوم إلا وقد ظفر بك ظفر من أظافرى موجه .

فقال له قيس: وأنا والله قد كنت كارها أن أقوم فى هذا المقام فاحييك بهذه التحية.

فقال له معاوية: ولم وهل أنت حبر من أحبار اليهود؟.

فقال له قيس: وأنت يا معاوية كنت صنما من أصنام الجاهلية، دخلت فى الاسلام كارها، وخرجت منه طائعا! فقال معاوية: اللهم غفرا، مد يدك.

فقال له قيس: إن شئت زدت وزدت^{١٧٠}.

ص: ٢٠٧

(١٢٣) قيس ومعاوية

فى مقاتل الطالبين: وكتب معاوية يدعوه ويمنيه فكتب إليه قيس:

" لا والله لا تلقانى أبدا إلا بينى وبينك الرمح" ^{١٧١}.

(١٢٤) عبد الله بن جعفر وعمرو بن العاص

روى المدائنى، قال: بينا معاوية يوما جالسا عنده عمرو بن العاص، إذ قال الاذن: قد جاء عبد الله بن جعفر بن أبى طالب. فقال عمرو: والله لاسو أنه اليوم! فقال معاوية: لا تفعل يا أبا عبد الله، فانك لا تتصف منه، ولعلك أن تظهر لنا من منقبتة ما هو خفى عنا وما لا نحب أن نعلمه منه.

وغشيهم عبد الله بن جعفر، فأدناه معاوية وقربه.

فمال عمرو إلى بعض جلساء معاوية فنال من على عليه السلام جهارا غير سائر له وثلبه ثلثا قبيحا.

فالتمع لون عبد الله بن جعفر واعتراه أفكل حتى ارعدت خصائله، ثم نزل عن السرير كالفتيق. فقال عمرو: مه يا أبا جعفر! فقال له عبد الله: مه لا ام لك! ثم قال:

وقد يتجهل الرجل الحليم

أظن الحلم دل على قومي

ثم حسر عن ذراعيه وقال: يا معاوية، حتام تتجرع غيضك؟ وإلى كم الصبر على مكروه قولك وسيئ أدبك وذميم أخلاقك؟ هبلتك الهبول! أما يزجرك ذمام المجالسة عن القذع لجليسك؟ إذا لم تكن لك حرمة من دينك

ص: ٢٠٨

تنهاك عما لا يجوز لك، أما والله، لو عطفتك أواصر الارحام أو حاميت على سهمك من الاسلام ما ارعيت بنى الاماء المتك والعبيد الصك أعراض قومك.

وما يجهل موضع الصفوة إلا أهل الجفوة. وإنك لتعرف وشائظ قريش وصبوة غرائزها، فلا يدعونك تصويب ما فرط من خطئك فى سفك دماء المسلمين ومحاربة أمير المؤمنين إلى التماذى فيما قد وضع لك الصواب فى خلافه، فاقصد لمنهج الحق، فقد طال عمهك عن سبيل الرشده وخبطك فى بحور ظلمة الغى.

^{١٧١} (١) مقاتل الطالبين: ص ٦٥ راجع ابن أبى الحديد: ج ١٦ ص البحار: ج ٤٤ ص ٥٢

فان أبيت إلا تتابعنا فى قبج اختيارك لنفسك فاعفنا فى سوء القالة فينا إذا ضمنا وإياك الندى، وشأنك وما تريد إذا خلوت .
والله حسبيك، فوالله لولا ما جعل الله لنا فى يديك لما أتيناك.

ثم قال: إنك إن كلفتني ما لم أطق ساءك ما سررك منى من خلق.

فقال معاوية: يا أبا جعفر، أقسمت عليك لتهجسن، لعن الله من أخرج ضب صدرك من وجاره. محمول لك ما قلت، ولك عندنا ما أملت، فلو لم يكن محمدك ومنصبك لكان خلقك وخلقك شافعين لك إلينا، وأنت ابن ذى الجناحين وسيد بنى هاشم.

فقال عبد الله: كلا، بل سيد بنى هاشم حسن وحسين، لا ينازعهما فى ذلك أحد.

فقال: أبا جعفر، أقسمت عليك لما ذكرت حاجة لك إلا قضيتها كائنة ما كانت ولو ذهبت بجميع ما أملك . فقال: أما فى هذا المجلس فلا ثم انصرف.

فأتبعه معاوية بصره وقال: والله! لكأنه رسول الله صلى الله عليه وآله مشيه وخلقه وخلقته، وإنه لمن مشكاته، ولوددت أنه أخى بنفيس ما أملك.

ص: ٢٠٩

ثم التفت إلى عمرو، فقال: أبا عبد الله، ما تراه منعه من الكلام معك؟.

قال: ما لاختفاء به عنك . قال: أظنك تقول: إنه هاب جوابك، لا والله ! ولكنه استحقرك وازدراك ولم يرك للكلام أهلا، أما رأيت إقباله على دونك ذاهبا بنفسه عنك؟.

فقال عمرو: فهل لك أن تسمع ما أعددت له لجوابه؟ قال معاوية اذهب اليك أبا عبد الله، فلات حين جواب سائر اليوم.

ونفض معاوية وتفرق الناس^{١٧٢}.

(١٢٥) عبد الله بن جعفر ويحيى بن الحكم

قدم عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان، فقال له يحيى بن الحكم:

ما فعلت خبيثة؟ فقال : سبحان الله! يسميها رسول الله صلى الله عليه وآله طيبة وأنت تسميها خبيثة ! لقد اختلفتما فى الدنيا وستختلفان فى الآخرة.

^{١٧٢} (١) ابن أبى الحديد: ج ٦ ص ٢٩٧-٢٩٥. والبحار: ج ٢٢ ص ١٦٥-١٦٤

قال يحيى: لان أموت بالشام أحب إلى من أن أموت بها. قال: اخترت جوار النصارى على جوار رسول الله صلى الله عليه وآله، قال يحيى: ما تقول فى على وعثمان؟ قال: أقول ما قاله من هو خير منى فيمن هو شر منهما " إن تعذيبهم فانهم عبادك وإن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم" ١٧٣.

(١٢٦) عبد الله بن جعفر مع يزيد

روى صاحب كتاب الواقدي: أن عبد الله بن جعفر فاخر يزيد بن معاوية

ص: ٢١٠

بين يدى معاوية، فقال له: بأى آباءك تفاخرنى؟ أبحر ب الذى أجرناه؟ أم بامية الذى ملكناه؟ أم بعبد شمس الذى كفلناه؟.

فقال معاوية: لحرب بن امية يقال هذا! ما كنت أحسب أن أحدا فى عصر حرب يزعم أنه أشرف من حرب! فقال عبد الله: بلى أشرف منه من كفا إناؤه وجلله برداءه.

فقال معاوية ليزيد: رويدا يا بنى! إن عبد الله يفخر عليك بك لانك منه وهو منك. فاستحيا عبد الله وقال: يا أمير المؤمنين، يدان انتشطتا واخوان اضطرعا.

فلما قام عبد الله، قال معاوية ليزيد: يا بنى، إياك ومنازعة بنى هاشم، فانهم لا يجهلون ما علموا ولا يجد مبغضهم لهم سبا ١٧٤.

(١٢٧) عبد الله بن جعفر و عبد الملك

قال عبد الملك بن مروان لعبد الله بن جعفر: يا [أ] با جعفر، بلغنى أنك تسمع الغناء على المعازف والعيان وأنت شيخ! قال: أجل يا أمير المؤمنين، وإنك لتفعل أقيح من ذلك! قال: وما هو؟ قال: يأتىك أعرابى ألهب العجان منتن الريح فيقذف عندك المحصنة ويقول البهتان ويطيع الشيطان، فتعطيه على ذلك المائه من الابل وأكثر! وأنا أشتري الجارية بمالى حلالا ثم أتخير لها جيد الشعر فترجعه بأحسن النعم، فما بأس بذلك؟ ١٧٥.

(١٢٨) عبد الله بن جعفر ومعاوية

وفد عبد الله بن جعفر على معاوية، فأعطاه صلته لوفادته، خمسمائة ألف

ص: ٢١١

١٧٣ (٢) العقد الفريد: ج ٤ ص ٢١. وأنساب الاشراف: ج ١ ص ٤٦ ط بيروت

١٧٤ (١) ابن أبى الحديد: ج ١٥ ص ٢٢٩

١٧٥ (٢). انساب الاشراف: ج ١ ص ٥٥

درهم، وقضى حوائجه.

ثم إن عبد الله وقف بين يد يه، فقال: يا أمير المؤمنين، اقض ديني . قال: أولم تقبض وفادتك وتقض حوائجك [ظ] الخاص والعام يا بن جعفر؟! قال: بلى.

قال: فليس كل قریش أسعه بمثل ما اعطيك، وقد اجحفت النوائب ببيت المال . قال: إن العطية يا معاوية محبة والمنع بغضة، ولان تعطيني واحبك أحب إلى من أن تحرمني فابغضك، ثم قال:

عودت قومك عادة فاصبر لها [و] اغفر لجاهلها ورد سجا لها فقال معاوية:

اعلم يا بن جعفر، إن مامن قریش أحد [أحب] أن يكون ولدته هند غيرك، ولكنى إذا ذكرت ما بينك وبين على و [ما] بين على وبينى اشماز قلبي، فكم دينك؟ قال: ثلاثون ألف دينار.

فقال: كيف أبخل بما لا يغيب عن بيت مالى إلا أشهرها يسيرة حتى يعود إليه، إقضها يا سعد^{١٧٦}.

(١٢٩) ابن عباس وعائشة

روى الطبرى أيضا: قال: قال ابن عباس رحمه الله : لما حججت بالناس نيابة عن عثمان وهو محصور مررت بعائشة بصلصل، فقالت: يا ابن عباس.

انشدك الله، فانك قد أعطيت لسا نا وعقلا أن تخذل الناس عن طلحة، فقد بانت لهم بصائرهم فى عثمان وانهجت ورفعت لهم المنار وتحلبوا من البلدان لامر قد حم، وإن طلحة - فيما بلغنى - قد اتخذ رجالا على بيوت الاموال وأخذ مفاتيح الخزائن، وأظنه يسير - إن شاء الله - بسيرة ابن عمه أبى بكر.

فقال: يا امه، لو حدث بالرجل حدث ما فزع الناس إلا إلى صاحبنا.

ص: ٢١٢

فقالت: إيهنا عنك يا ابن عباس! إنى لست أريد مكابرتك ولا مجادلتك^{١٧٧}.

(١٣٠) ابن عباس ورجل من حمص

^{١٧٦} (١) أنساب الاشراف: ج ١ ص ٥٤

^{١٧٧} (١) ابن أبى الحديد: ج ١٠ ص ٦

روى البيهقي في المحاسن عن سعيد بن جبير، قال: كان عبد الله بن عباس بمكة يحدث على شفير زمزم ونحن عنده. فلما قضى حديثه قام إليه رجل، فقال: يا ابن عباس، إني امرؤ من أهل الشام من أهل حمص، إنهم يتبرأون من علي بن أبي طالب رضوان الله ويلعنونه! فقال: بل لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا، البعد قرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنه لم يكن أول ذكران العالمين إيماننا بالله ورسوله، وأول من صلى وركع وعمل بأعمال البر؟! قال الشامي: إنهم والله ما ينكرون قرابته وسابقتهم، غير أنهم يزعمون أنه قتل الناس.

فقال ابن عباس: ثكلتهم امهاتهم! إن عليا أعرف بالله عزوجل وبرسوله وبحكمهما منهم، فلم يقتل إلا من استحق القتل.

قال: يا بن عباس، إن قومي جمعوا لي نفقة وأنا رسولهم إليك وأمينهم، ولا يسعك أن تردني بغير حاجتي، فإن القوم هالكون في أمره، ففرج عنهم فرج الله عنك.

فقال ابن عباس: يا أخا أهل الشام، إنما مثل علي في هذه الأمة في فضله وعلمه كمثل العبد الصالح الذي لقيه موسى عليه السلام لما انتهى إلى ساحل البحر، فقال له: "هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا" قال العالم:

"إنك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا" قال موسى:

ص: ٢١٣

"ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا" قال له العالم: "فانطلقا حتى إذا ركبا في

فلا تسئلني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا

فانطلقا حتى إذا ركبا في

السفينة خرقها" وكان خرقها لله عزوجل رضا ولاهلها صلاحا، وكان عند موسى عليه السلام سخطا وفسادا، فلم يصبر موسى عليه السلام وترك ما ضمن له فقال له: "أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا" قال له العالم: "ألم أقل لك لن تستطيع معي صبرا" قال موسى: "لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا" فكف عنه العالم "فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله" وكان قتله لله عزوجل رضا ولابويه صلاحا، وكان عند موسى عليه السلام ذنبا عظيما، قال موسى ولم يصبر: "أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا" قال العالم: "ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا" قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا * فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا جدارا يريد أن ينقض فاقامه "وكانت إقامته لله عزوجل رضا وللعالمين صلاحا" فقال لو شئت لاتخذت عليه أجرا قال هذا فراق ب يني وبينك".

وكان العالم أعلم بما يأتي موسى عليه السلام وكبر على موسى الحق وعظم، إذ لم يكن يعرف هذا وهو نبي مرسل من اولي العزم ممن قد أخذ الله عز وجل ميثاقه على النبوة، فكيف أنت يا أخا أهل الشام وأصحابك؟ إن عليا رضي الله عنه لم يقتل إلا من كان يستحل قتله.

وإني اخبرك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عند ام سلمة بنت أبي امية، إذ أقبل على عليه السلام يريد الدخول على النبي صلى الله عليه وسلم فنقر نقرا خفيا، فعرف رسول الله صلى الله عليه وآله نقره، فقال: "يا ام سلمة، قومي فافتحي الباب" فقالت: يا رسول الله من هذا الذي يبلغ خطره أن أستقبله بمحاسني ومعاصمي؟ فقال: يا ام سلمة، إن طاعتي طاعة الله عز وجل،

ص: ٢١٤

قال: "من يطع الرسول فقد أطاع الله" قومي يا ام سلمة، إن بالباب رجلا ليس بالحزق ولا التزق ولا بالعجل في أمره، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، يا ام سلمة، إنه إن تفتحي الباب له فلن يدخل حتى يخفى عليه الوطاء، فلم يدخل حتى غابت عنه وخفى عليه الوطاء، فلما لم يحس لها حركة دفع الباب ودخل فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه السلام وقال: يا ام سلمة، هل تعرفين هذا؟ قالت: نعم هذا على بن أبي طالب.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم هذا على سيط لحمه بلحمي ودمه بدمي، وهو مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي. يا ام سلمة، هذا على سيد مبجل، مؤمل المسلمين وأمير المؤمنين، وموضع سرى وعلمي، وبابى الذى آوى إليه، وهو الوصى على أهل بيتي وعلى الاختيار من أمتي وهو أخى فى الدنيا والاخرة وهو معي فى السناء الاعلى. أشهدى يا ام سلمة، إن عليا يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين.

قال ابن عباس: وقتلهم الله رضا وللامه صلاح ولاهل الضلالة سخط.

قال الشامى: يابن عباس، من الناكثون؟ قال: الذين بايعوا عليا بالمدينة ثم نكثوا فقاتلهم بالبصرة، أصحاب الجمل. والقاسطون معاوية وأصحابه.

والمارقون أهل النهروان ومن معهم.

فقال الشامى يابن عباس، ملأت صدرى نورا وحكمة، وفرجت عنى فرج الله عنك. أشهد أن عليا رضى الله عنه مولاي ومولى كل مؤمن^{١٧٨}.

(١٣١) عبد الله بن عباس وابن الزبير

أبو المنذر، عن أبيه، عن الشعبي، عن ابن عباس، أنه دخل المسجد وقد

^{١٧٨} (١) المحاسن: ج ١ ص ٦٨-٦٥. ويأتى بلفظ آخر، فانتظر

سار الحسين بن علي رضي الله عنه إلى العراق، فإذا هو بابن الزبير في جماعة من قریش قد استعلاهم بالكلام فجاء ابن عباس حتى ضرب بيده بين عضدي ابن الزبير، وقال: أصبحت والله كما قال الاول:

يا لك من حمرة بمعمر! خلا لك الجو فيبضي واصفري! ونقري ما شئت إن تنقري قد رفع الفخ فماذا تحذري؟

خلت الحجاز من الحسين بن علي وأقبلت تهدر في جوانبها.

فغضب ابن الزبير وقال: والله إنك لترى أنك أحق بهذا الامر من غيرك.

فقال ابن عباس: إنما يرى ذلك من كان في حال شك وأنا من ذلك على يقين.

فقال: وبأي شيء عندك أنك أحق بهذا الامر مني؟ قال ابن عباس: لانا أحق ممن يدل بحقه، وبأي شيء تحقق عندك أنك أحق بها من سائر العرب إلا بنا؟ فقال ابن الزبير: تحقق عندى أنى أحق بها منك لشرفى عليكم قديما وحديثا.

فقال: أنت أشرف أم من قد شرفت به؟ فقال: إن من شرفت به زادنى شرف إلى شرف قد كان لى قديما وحديثا.

قال: أفمنى الزيادة أم منك؟ قال: بل منك. فتبسم ابن عباس فقال:

يا ابن عباس، دعنى من لسانك هذا الذى تقلبه كيف شئت، والله لا تحبوننا يا بنى هاشم أبدا. قال ابن عباس: صدقت، نحن أهل بيت مع الله عزوجل لا نحب من أبغضه الله تعالى.

قال: يا ابن عباس، ما ينبغى لك أن تصفح عن كلمة واحدة؟ قال: إنما أصفح عمن أقر، وأما عمن هر فلا، والفضل لاهل الفضل. قال ابن الزبير:

فأين الفضل؟ قال: عندنا أهل البيت لا تصرفه عن أهله فتظلم ولا تضعه عند غير أهله فتندم.

قال ابن الزبير: أفلست من أهله؟ قال: بلى إن نبذت الحسد ولزمت جدد.

وانتضى حديثهما، وقال القوم فتفرقوا^{١٧٩}.

(١٣٢) ابن عباس ومعاوية

^{١٧٩} (١) المحاسن للبيهقى: ج ١ ص ١٤٠ - ١٣٩. ومرو عن أبي الحديد

روى عن ابن عباس أنه قال : قدمت على معاوية، وقد قعد على سريريه وجمع أصحابه ووفود العرب عنده . فدخلت فسلمت وقعدت.

فقال: من الناس يا ابن عباس؟ فقلت: نحن. قال: إذا غبتم؟ فقلت: فلا أحد.

قال: [فكأنك] ترى أنى قعدت هذا المقعد بكم ! قلت: نعم، فبمن قعدت؟ قال : من كان مثل حرب بن امية؟ قلت : من أكفأ عليه إناءه واجاره بردائه أ قال: فغضب وقال: وارشخصك منى شهرا فقد أمرت لك بصلتك وأضعفها لك.

فلما خرج ابن عباس قال لخاصته: ألا تسألونى ما الذى أغضب معاوية؟

[قالوا: بلى فقل: بفضلك، قال:] إن أباه حربا لم يلتق أحد من رؤساء قريش فى عقبه ولا مضيق مع قوم إلا لم يتقدمه أحد حتى يجوزه، فالتقى حرب ابن امية مع رجل من بنى تميم فى عقبه فتقدمه التميمي، فقال : حرب: أنا حرب ابن امية، فلم يلتفت إليه وجازه، فقال: موعدك مكة، فبقى التميمي دهرا ثم أراد دخول مكة، فقال : من يجيرنى من حرب ابن امية؟ فقالوا: عبد المطلب، قال: عبد المطلب أجل قدرا من أن يجير على حرب . فأتى ليلا دار الزبير بن عبد المطلب، فدق عليه، فقال الزبير للغيداق : قد جاءنا رجل إما طالب حاجة

ص: ٢١٧

وإما طالب قرى وإما مستجير، وقد أعطيناه ما أراد. قال: فخرج إليه الزبير، فقال:

لا قيت حربا فى الثنية مقبلا والصبح أبلج ضوءه للساوى فدعا بصوت واكتنى ليروعنى ودعا بدعوته يريد فخارى فتركته كالكلب ينبح وحده وأتيت أهل معالم وفخار ليثا هزبرا يستجار بقربه رحب المباءة مكرما للجار ر ولقد حلفت بزمزم وبمكة والبيت ذى الاحجار والاستار إن الزبير لما نعى من خوفه ما كبر الحجاج فى الامصار فقال : تقدم فانا لا نتقدم من نجيره . فتقدم التميمي فدخل المسجد، فرآه حرب فقام إليه فلطمه . فحمل عليه الزبير بالسيف، فعدا حتى دخل دار عبد المطلب، فقال : أجرنى من الزبير . فأكفأ عليه جفنة كان هاشم يطعم فيها الناس، فبقى هناك ساعة . ثم قال له : اخرج، فقال: كيف أخرج وتسعة من ولدك قد احتبوا بسيوفهم على الباب؟ فألقى عليه رداء كان كساه إياه سيف ابن ذى يزن له طرتان خضراوان، فخرج عليهم، فعلموا أنه قد أجاره، فتفرقوا عنه^{١٨٠}.

(١٣٣) عبد الله بن جعفر وعمره

حضر مجلس معاوية عبد الله بن عباس وابن العاص، فأقبل عبد الله بن جعفر، فلما نظر إليه ابن العاص قال : قد جاءكم رجل كثير الخلوات بالتمنى والطربات بالتغنى، محب للقيان، كثير مزاحه شديد طماحه، صدوف عن السنان، ظاهر الطيش لين العيش، أخذ بالسلف منفاق بالسرف.

فقال ابن عباس : كذبت والله أنت ! وليس كما ذكرت، ولكنه لله ذكور ولنعمائه شكور وعن الخنا زجور، جواد كريم سيد حلیم ماجد لهميم، إن ابتداءً أصاب وإن سئل أجاب، غير حصر ولا هيب ولا فحاش عياب حل من قريش في كريم النصاب، كالهزير الضرغام الجريء المقدم في الحسب القمقام، ليس يدعى لدعى ولا يدنى لدنى . [لا] كمن اختصم فيه من قريش شرارها فغلب عليها جزارها، فأصبح ألامها حسبا وأدناها منصبا، ينوء منها بالذليل ويأوى منها إلى القليل، يتذبذب بين الحيين كالساقط بين الفراشين، لا المضطر إليهم عرفوه ولا الظاع ن عنهم فقدوه . وليت شعري ! بأى قد تتعرض للرجال وبأى حسب تبارز عند النضال؟ أبفسك فأنت الوغد الزنيم، أم بمن تنتمي إليه؟

فأهل السفه والطيش والدناءة في قريش، لا بشرف في الجاهلية شهروا ولا بقديم في الاسلام ذكروا، غير أنك تتكلم بغير لسانك وتتنطق بالزور في غير أقرانك.

والله لكان أبين للفضل وأظهر للعدل أن ينزلك معاوية منزلة العبيد السحيق، فانه طالما ما سلس دأوك وطمح به رجائك إلى الغاية القصوى التي لم يخضر بها رعيك ولم يورق بها غصنك.

فقال عبد الله بن جعفر: أقسمت عليك لما أمسكت! فانك عنى ناضلت ولى فاوضت.

قال ابن عباس : دعنى والعبد! فانه قد كان يهدر خاليا إذ لا يجد مراميا، وقد اتيح له ضيغم شرس للاقران منقرس وللارواح مختلس! فقال عمرو بن العاص : دعنى يا أمير المؤمنين أنتصف منه، فوالله ما ترك شيئا ! قال ابن عباس : دعه فلا يبقى المبقى إلا على نفسه، فوالله إن قلبى لشديد وإن جوابى لعتيد، وبالله الثقة، فانى كما قال نابغة بنى ذبيان:

وقبلك ما قذعت وقاذعونى فما نزر الكلام ولا شجانى

يصد الشاعر العراف عنى صدور البكر عن قرم هجان^{١٨١}

(١٣٤) عبد الله بن عباس وابن الزبير

عن الخليل: أنه قال كلم ابن عباس عبد الله بن الزبير في محمد بن الحنفية، وقال: ما تريد من رجل كف لسانه ويده عنك؟ اتق الله! فانك قادم على ربك.

فقال له ابن الزبير: تكلمنى في رجل سخييف الرأس ضعيف العقل ليس له بدم ولا دين ! فقال ابن عباس: رماه الله بداء لا شفاء له إن كان شرا منك فى الدين والدنيا، فغضب ابن الزبير، وقال : أنت أيضا تتكلم عندى! فقام ابن عباس، وذم ابن الزبير على ما

قال، وخرج من عند ابن الزبير من وجهه إلى الطائف، وقال: العجب من حنيكل! يتعجب من كلامي عنده وقد تكلمت غلاما عند رسول الله صلى الله عليه وآله وعند أبي بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم يروني أحق من نطق يستمع قولي وتقبل مشورتي، ليحك حنكل جريه! ولا ينقاص على انقياص الكتيب. أظن ابن الزبير أنى كساعده على بنى عبد المطلب؟ والله لانملة من أنامل ابن الحنفية أحب إلى من ابن الزبير، والله ! لانه لاوفر منه عقلا، وأوفى منه عهدا، وأكمل منه رأيا، وأفضل دينا، وأصدق ورعا^{١٨٢}.

(١٣٥) ابن عباس وعمر

قال عمر بن الخطاب ليلة مسيره إلى الجابية أين ابن عباس؟ قال: فأتيته

ص: ٢٢٠

فشكا تخلف على بن أبي طالب رضى الله عنه فقلت له: أولم يعتذر إليك؟

قال: بلى. قلت: فهو ما اعتذر به.

ثم قال: أول من ريثكم عن هذا الامر أبو بكر، إن قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم الخلافة والنبوة^{١٨٣}.

(١٣٦) ابن عباس وعمر

عن ابن عطية، قال: لما خرج عمر بن الخطاب إلى الشام كان العباس ابن عبد المطلب معه يسايره، وكان من يستقبله ينزل فيبدأ بالعباس فيسلم عليه، يقدر الناس أنه الخليفة لجماله وبهائه وهيبته.

فقال عمر: لعلك تقدر أنك أحق بهذا الامر منى؟ فقال له العباس بن عبد المطلب: أحق به منى ومنك من خلفناه بالمدينة! فقال عمر: من ذلك؟

قال: من ضربنا بسيفه حتى قادنا إلى الاسلام! يعنى أمير المؤمنين عليه السلام^{١٨٤}.

(١٣٧) ابن عباس وعمر

قال عمر: يابن عباس، ما منع عليا من الخروج معنا؟ قلت: لا أدري.

^{١٨٢} (٢) نور القبس المختصر من المقتبس لأبي عبد الله المرزباني: ص ٦٨

^{١٨٣} (١) هامش فضائل الامام على بن أبي طالب من تاريخ دمشق ج ١ ص ١٤ تحقيق المحمودى عن الاغانى

^{١٨٤} (٢) هامش فضائل أمير المؤمنين عليه السلام: تحقيق المحمودى انظر ج ١ ص ١٤ خصائص أمير المؤمنين عليه السلام للرضى رحمه الله والبحار: ج ٨ ط

الكمباني ص ٢٠٩ عن شف تاريخ الطبرى وج ١ ص ٢٧٦٨ وخ ط المعارف ج ٤ ص ٢٢٢

قال: يا ابن عباس، أبوك عم رسول الله عليه وآله وأنت ابن عمه فما منع قومكم منكم؟ قلت : لا أدري. قال: لكنى أدري، يكرهون ولا يتكلم لهم.

ص: ٢٢١

قلت: ولم ونحن لهم كالخير؟ قال : اللهم غفرا! يكرهون أن تجتمع فيكم الخلافة والنبوة فيكون لكم بجصا وبجحا (أى تفاخرا وتعاضما). لعلكم تقولون: إن أبا بكر فعل ذلك، لا والله! ولكن أبا بكر أتى أحزم ما حضر، ولو جعلها لكم ما نفعكم مع قربكم^{١٨٥}

(١٣٨) ابن عباس وعمر

عن إبراهيم التيمي، قال : قال لى ابن عباس يوما ونحن بالجابية : ما رأيت كمقال قاله لى أمير المؤمنين عمر اليوم، قلت : فما ذاك؟ قال: شكا إلى عليا عليه السلام فقال لى: ألم تر إلى ابن عمك لم يخرج معنا فى هذا الوجه؟ قال:

قلت: لا إله إلا الله! أليس قد اعتذر إليك فقبلت عذره؟ وما خالفك إلى يومنا هذا. فقال: وما كفى ما قال لى أبوك؟.

قال: فقلت لابن عباس : وما قال له أبوك؟ قال : لقاء رجل من أهل الشام فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ! فقال العباس : لست للمؤمنين بأمر هو ذاك وأنا والله احق بها منه، فسمعه عمر فقال : أحق والله بها منى ومنك رجل خلفناه بالمدينة أمس يعنى عليا عليه السلام^{١٨٦}

(١٣٩) ابن عباس ونجدة الحرورى

عن على بن أسباط عن أبى عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: إن نجدة اسم الحرورى كتب إلى ابن عباس يسأله عن اليتيم متى ينقضى يتمه؟

فكتب إليه: أما اليتيم فانقطاع يتمه أشده، وهو الاحتلام، إلا أن لا يؤنس منه

ص: ٢٢٢

رشد بعد ذلك فيكون سفيها أو ضعيفا، فليسند عليه^{١٨٧}.

(١٤٠) الاحنف بن قيس ومعاوية

^{١٨٥} (١) هامش فضائل أمير المؤمنين لابن عساكر تحقيق المحمودى انظر ج ١ ص ٦، تاريخ الطبرى

^{١٨٦} (٢) الايضاح: ص ١٧٣ - ١٧٢

^{١٨٧} (١) البحار: ج ٧٥ ص ٦ عن تفسير العياشى

روى أن معاوية ابن أبي سفيان لما نصب يزيد لولاية العهد أقعده في جبة حمراء، فجعل الناس يسلمون على معاوية ثم يميلون إلى يزيد حتى جاء رجل ففعل ذلك،، ثم رجع إلى معاوية، فقال : يا أمير المؤمنين، اعلم أنك لو لم تول هذا أمور المسلمين لاضعتها. والاحنف جالس فقال له معاوية: ما بالك لا تقول يا أبا بحر؟ فقال : أخاف الله إن كذبت وأخافكم إن صدقت . فقال: جزاك الله عن الطاعة خيرا وأمر له بالوف.

فلما خرج الاحنف لقاه الرجل بالباب، فقال : يا أبا بحر، إني لاعلم أن شر من خلق الله هذا وابنه، ولكنهم قد استوثقوا من هذه الاموال بالابواب والاقفال فلسنا نطعمه في استخراجها إلا بما سمعت فقال له الاحنف : يا هذا أمسك، فان ذا الوجهين خليف أن لا يكون عند الله وجهها^{١٨٨}!

(١٤١) الاحنف ومعاوية

عدد معاوية بن أبي سفيان على الاحنف ذنوبا . فقال: يا أمير المؤمنين، لا ترد الامور على أعقابها . أما والله! إن القلوب التي أبغضناك بها لبين جوانحنا والسيوف التي قاتلناك بها لعلى عواتقنا ! ولئن مددت فترا من عذر لنمدن باعا من ختر، ولئن شئت لتستصفين كدر قلوبنا بصفو حلمك. قال: فاني أفعل^{١٨٩}.

ص: ٢٢٣

(١٤٢) الاحنف ومعاوية

روى أن معاوية ابن أبي سفيان بينما هو جالس وعنده وجوه الناس، إذ دخل رجل من أهل الشام، فقام خطيبا، فكان آخر كلامه أن لعن عليا.

فأطرق الناس وتكلم الاحنف، فقال:

يا أمير المؤمنين، إن هذا القائل ما قال آنفا لو يعلم أن رضاك في لعن المرسلين للعنهم، فاتق الله، ودع عنك عليا، فقد لقي ربه وافرد في قبره وخلا بعمله، وكان والله! [ما علمنا] المبرز بسبقه (بسبعة خ ل) الطاهر خلقه، الميمون نقييته، والعظيم مصيبته.

فقال له معاوية: يا أحنف، لقد أغضيت العين على القذى وقلت بغير ما ترى، وأيم الله لتصعدن المنبر فلتلعننه طوعا أو كرها. فقال له الاحنف:

يا أمير المؤمنين، إن تعفني فهو خير لك وإن تجبرني على ذلك فو الله لا تجرى به شفتاي أبدا ! قال: فاصعد المنبر. قال الاحنف: أما والله، مع ذلك لانصفك في القول والفعل.

^{١٨٨} (٢) الكامل للمبرد: ج ١ ص ٣٠. والعقد الفريد: ج ٤ ص ٣٧ وج ١ ص ٥٩ نبذا منه، وسيأتي عن الفتوح ما يقرب منه في ج ص ١٨٧

^{١٨٩} (٣) العقد الفريد: ج ٤ ص ٢٨

قال: وما أنت قائل يا أحنف إن أنصفتني؟ قال : أصدق المنبر فأحمد الله بما هو أهله وأصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم أقول: أيها الناس، إن أمير المؤمنين معاوية أمرني أن ألعن عليا! وإن عليا ومعاوية اختلفا واقتتلا وادعى كل واحد منهما أنه بغى على فتنه، فإذا دعوت فأمنوا رحمكم الله ! ثم أقول: اللهم العن أنت وملأكتك وأنبيائك وجميع خلقك الباغي منهما على صاحبه، والعن فئة الباغيه، اللهم عنهم لعنا كثيرا، أمنوا رحمكم الله! يا معاوية، لا أزيد على هذا ولا أنقص منه حرفا ولو كان فيه ذهاب نفسي.

ص: ٢٢٤

فقال معاوية: إذن نعفيك يا أبا بحر.^{١٩٠}

(١٤٣) الاحنف ومعاوية

وفي سنة تسع وخمسين وفد على معاوية وفد الامصار من العراق وغيرها، فكان ممن وفد من أهل العراق الاحنف بن قيس في آخرين من وجوه الناس.

فقال معاوية للضحاك بن قيس: إني جالس من غد للناس فأتكلم بما شاء الله، فإذا فرغت من كلامي فقل في يزيد الذي يحق عليك وادع إلى بيعته، فاني قد أمرت عبد الرحمن بن عثمان الثقفي و عبد الله بن عضاء - عماره خ - الاشعري وثور بن معن السلمي أن يصدقوك في كلامك وأن يجيبوك إلى الذي دعوتهم إليه.

فلما كان من الغد قعد معاوية، فأعلم الناس بما رأى من حسن رعية يزيد ابنه هديه، وأن ذلك دعاه إلى أن يوليه عهده.

ثم قام الضحاك بن قيس فأجابه إلى ذلك وحض الناس على البيعة ليزيد . وقال لمعاوية: اعزم على ما أردت . ثم قام عبد الرحمن بن عضاء الاشعري وثور بن معن فصدقوا قوله ثم قال معاوية: أين الاحنف بن قيس؟ فقال الاحنف، فقال:

إن الناس قد أسوا في منكر زمان قد سلف ومعروف زمان يؤتلف، ويزيد حبيب قريب، فان توله عهدك فعن غير كبر مفن أو مرض مضن وقد حلبت الدهور وجربت الامور . فلعرف من تسند إليه عهدك ومن توليه الامر من بعدك واعص رأى من يأمرك ولا يقدر لك ويشير عليك ولا ينظر لك.

فقام الضحاك بن قيس مغضبا! فذكر أهل العراق بالشقاق والنفاق،

ص: ٢٢٥

وقال: اردد رأيهم في نحورهم ...^{١٩١}.

يقال: إن معاوية استشار الاحنف بن قيس في عقد البيعة لابنه يزيد، فقال له: أنت أعلم بليله ونهاره^{١٩٢}.

(١٤٤) الاحنف وعائشة

عن الحسن البصري - رحمه الله - أن الاحنف بن قيس قال لعائشة رحمها الله يوم الجمل : يا ام المؤمنين، هل عهد إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا المسير؟ قالت: اللهم لا. قال: فهل وجدته في شيء من كتاب الله جل ذكره؟

قالت: ما نقرأ إلا ما تقرأون. قال: فهل رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله استعان بأحد من نسائه إذا كان في قلة والمشركون في كثرة؟ قالت: اللهم لا.

قال الاحنف: فإذا ما هو ذنبنا؟^{١٩٣}.

(١٤٥) الاحنف ومعاوية

روى أن الاحنف بن قيس وفد إلى معاوية وحارثة بن قدا مة والجباب بن يزيد. قال معاوية للاحنف: أنت الساعي على أمير المؤمنين عثمان وخاذل ام المؤمنين عائشة والوارد الماء على على بصفين؟ فقال : يا أمير المؤمنين من ذلك ما أعرف ومنه ما انكر.

أما أمير المؤمنين عثمان: فأنتم معشر قريش حضرتموه بالمدينة والدار منا عنه نازح ة، وقد حضره المهاجرون والانصار بمعزل وكنتم بين خاذل وقاتل. وأما

ص: ٢٢٦

عائشة: فاني خذلتها في طول باع ورحب سرب، وذلك أني لم أجد في كتاب الله إلا تقر في بيتها.

وأما ورودى الماء بصفين فإني وردت حين أردت أن تقطع رقابنا عطشا.

فقام معاوية وتفرق الناس، الحديث^{١٩٤}.

(١٤٦) عقيل ومعاوية

^{١٩١} (١) مروج الذهب: ج ٣ ص ٣٧

^{١٩٢} (٢) أمالي السيد - رحمه الله -: ج ١ ص ٢٧٥

^{١٩٣} (٣) المحاسن للبيهقي: ج ١ ص ٧٧

^{١٩٤} (١) البحار: ج ٨ ط الكمباني ص ٥٣١ عن الكشي

لما قدم عقيل بن أبي طالب على معاوية أكرمه وقربه وقضى حوائجه وقضى عنه دينه . ثم قال له في بعض الايام : والله إن عليا [غير] حافظ لك قطع قرابتك، وما وصلك، ولا اصطنعك.

قال له عقيل : والله لقد أجزل العطية وأعظمها، ووصل القرابة وحفظها، وحسن ظنه بالله إذا ساء به ظنك، وحفظ أمانته، وأصلح رعيته، إذا خنتم وأفسدتم وجرتم، فاكفف لأبا لك ! فانه عما تقول بمعزل.

وقال له معاوية : أبا يزيد، أنا لك خير من أخيك علي . قال: صدقت إن أخى أثر دينه على دنياه وأنت آثرت دنياك على دينك، فأنت خير لى من أخى وأخى خير لنفسه منك .

وقال له ليلة الهرير: أبا يزيد، أنت الليلة معناه. قال: نعم ويوم بدر كنت معكم^{١٩٥}.

(١٤٧) عقيل ورجل

قال رجل لعقيل: إنك لخائن حيث تركت أخاك وترغب إلى معاوية.

ص: ٢٢٧

قال: أخون منى والله من سفك دمه بين أخى وابن عمى أن يكون أحدهما أميرا ! ودخل عقيل على معاوية وقد كف بصره، فأجلسه معاوية على سريره ثم قال له : أنتم معشر بنى هاشم تصابون فى أبصاركم ! قال: وأنتم معشر بنى امية تصابون فى بصائرکم! ودخل عتبة بن أبى سفيان، فوسع له معاوية بينه وبين عقيل، فجلس بينهما.

فقال عقيل: من هذا الذى أجلس أمير المؤمنين بينى وبينه؟ قال: أخوك وابن عمك عتبة. قال: أما إنه إن كان أقرب إليك منى، إنى لأقرب لرسول الله صلى الله عليه وسلم منك ومنه، وأنتما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أرض ونحن سماء ! قال عتبة: أبا يزيد، أنت كما وصفت، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فوق ما ذكرت، وأمير المؤمنين عارف بحقك. ولك عندنا مما تحب أثر مما لنا عندك مما نكره^{١٩٦}.

(١٤٨) عقيل ومعاوية

ودخل عقيل على معاوية يوما، فقال لأصحابه: هذا عقيل عمه أبو لهب.

قال له عقيل : وهذا معاوية عمتة حمالة الحطب ! ثم قال: يا معاوية، إذا دخلت النار فاعدل ذات اليسار فانك ستجد عمى أبا لهب مفترشا عمتك حمالة الحطب، فانظر أيهما خير الفاعل أو المفعول به؟

^{١٩٥} (٢) العقد الفريد: ج ٤ ص ٥ وأنساب الاشراف: ج ١ ص ٧٣ - ٧٢ آخره. وذيله فى الاستيعاب: ج ٣ ص ١٥٨ على هامش الاصابة. والبحار: ج ٤٢ ص ١١٤

قسما منه

^{١٩٦} (١) العقد الفريد: ج ٤ ص ٥. أنساب الاشراف: ج ١ ص ٧٣ أوله

وقال له معاوية يوما: ما أبين الشبق في رجالكم يا بني هاشم! قال: لكنه

ص: ٢٢٨

في نسائك أبين^{١٩٧} يا بني امية! وقال له معاوية يوما: والله إن فيكم لخصلة ما تعجبني يا بني هاشم، قال:

وما هي؟ قال: لين فيكم. قل: لين ماذا؟ قال: هو ذاك. قال: إيانا تعير يا معاوية، أجل والله، إن فينا للينا من غير ضعف وعزا من غير جبروت، وأما أنتم يا بني امية، فان لينكم غدر، وعزكم - سلمكم خ ل - كفر.

قال معاوية: ما كل هذا أردنا يا أبا يزيد! قال عقيل:

لذي اللب قبل اليوم ما يقرع العصا وما علم الانسان إلا ليعلم^{١٩٨} قال معاوية:

وإن سفاه الشيخ لا حلم بعده وإن الفتى بعد السفاهة يحلم وقال معاوية لعقيل بن أبي طالب : لم جفوتمونا يا أبا يزيد؟ فأنشأ يقول:

إنى امرؤ منى التكرم شيمه إذا صاحبي يوما على الهون أضمرأ ثم قال : وأيم الله يا معاوية، لئن كانت الدنيا مهدتك مهادهـا وأظلتك بحذافيرها ومدت عليك أطناب سلطانها، ما ذاك بالذي يزيدك منى رغبة ولا تخشعا لرهبهـ.

قال معاوية: لقد نعتها أبا يزيد نعتا هش له قلبي، وإنى لارجو أن يكون الله تبارك وتعالى ماردانى برداء ملكها وحبانى بفضيله عيشها إلا لكرامة ادخرها لى، و قد كان داود خليفة وسلمان ملكا، وإنما هو لمثال يحتذى عليه، والامور أشباه، وأيم الله يا أبا يزيد، لقد أصبحت علينا كريما وإلينا حبيبا،

ص: ٢٢٩

وما أصبحت لك إساءة^{١٩٩}.

(١٤٩) عقيل وامراته

^{١٩٧} (١) من قوله: "إن فيكم يا بني هاشم" إلى هنا نقله في الغارات: ج ٢ ص ٥٥١ وزاد:

إن السفاهة طيش من خلافتكم لا قدس الله أخلا الملاعين (١) فأراد معاوية أن يقطع كلامه فقال : ما معنى هذه الكلمة " طه "؟ فقال عقيل: نحن أهله وعلينا نزل،

لاعلى أبيك ولا على أهل بيتك، طه بالعبراني يا رجل

^{١٩٨} (٢) انساب الاشراف: ج ١ ص ٧٢

^{١٩٩} (١) العقد الفريد: ج ٤ ص ٧-٦. ونبذ منه ابن أبي الحديد: ج ٤ ص ٩٣ وج ١١ ص ٢٥٢. وأنساب الاشراف: ج ١ ص ٧٦ آخره. والبحار: ج ٤٢ ص ١١٧

ويقال: إن امرأة عقيل - وهى بنت عتبة بن ربيعة خالة معاوية - قالت لعقيل: يا بنى هاشم، لا يحبك قلبى أبداً، أين أبى؟ أين أخى؟ أين عمى؟

كان أعناقهم أباريق فضة. قال عقيل: إذا دخلت جهنم فخذى على شمالك^{٢٠٠}.

(١٥٠) عقيل ومعاوية

قال معاوية لعقيل بن أبى طالب: إن علياً قد قطعك ووصلتك، ولا يرضيني منك إلا أن تلعه على المنبر. قال: أفعل، فاصعل، فصعد، ثم قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه:

أيها الناس، إن أمير المؤمنين معاوية أمرنى أن ألعن على بن أبى طالب، فالعنوه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. ثم نزل.

فقال له معاوية: إنك لم تبين أبا يزيد من لعنت بينى وبينه؟ قال: والله لازدت حرفاً ولا نقصت آخر، والكلام إلى نية المتكلم^{٢٠١}.

(١٥١) رجل من ولد ابن الحنفية مع المتوكل

محمد ابن أبى العلاء السراج قال: أخبرنى البخترى قال: كنت بمنبج

ص: ٢٣٠

بحضرة المتوكل، إذ دخل عليه رجل من أولاد محمد بن الحنفية حلو العينين حسن الثياب قد قرف عنده بشئ، فوقف بين يديه، والمتوكل مقبل على الفتح يحدثه.

فلما طال وقوف الفتى بين يديه وهو لا ينظر إليه، قال له: يا أمير المؤمنين، إن كنت أحضرتنى لتأديبى فقد أسأت الادب، وإن كنت قد أحضرتنى ليعرف من بحضرتك من أوباش الناس استهانتك بأهلى فقد عرفوا.

فقال له المتوكل: والله يا حنفى، لو لا ما يثنى على عليك من أوصال الرحم ويعطفنى عليك من مواقع الحلم لا نتزعت لسانك بيدى ولفرقت بين رأسك وجسدك، ولو كان بمكانك محمد أبوك! قال: ثم التفت إلى الفتح، فقال:

أما ترى ما نلقاه من آل أبى طالب؟ إما حسنى يجذب إلى نفسه تاج عز نقله الله إلينا قبله، أو حسينى يسعى فى نقص ما أنزل الله إلينا قبله، أو حنفى يدل بجهله أسيافنا على سفك دمه.

^{٢٠٠} (٢) العقد الفريد: ج ٤ ص ٢٩

^{٢٠١} (٢) العقد الفريد: ج ٤ ص ٢٩

فقال له الفتى: وأى حلم تركته لك الخمر وإدمانها؟ أم العيدان وفتيانها؟

ومتى عطفك الرحم على أهلى وقد ابتزتهم فدكا إرثهم من رسول الله صلى الله عليه وآله فورثها أبو حرملة؟ وأما ذكرك محمدا أبى فقد طفقك تضع عن عز رفعه الله وروسوله، وتناول شرفا تقصر عنه ولا تطوله، فأنت كما قال الشاعر:

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا ثم ها أنت تشكو لى علك هذا ما تلقاه من الحسنى والحسينى والحنفى، فلبس المولى ولبس العشير! ثم مد رجله ثم قال: هاتان رجلاى لقيدك! وهذه عنقى لسيفك! فبؤ يا ثمى وتحمل ظلمى، فليس هذا أول مكروه أوقعته أنت وسلفك بهم، يقول الله تعالى: " قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى " فوالله ما أجبت رسول الله صلى الله عليه وآله عن مسألته، ولقد عطفتم بالمودة على غير قرابته،

ص: ٢٣١

فعما قليل ترد الحوض فيزدك أبى ويمنعك جدى صلوات الله عليهما.

قال: فبكى المتوكل! ثم قام فدخل إلى قصر جواريه. فلما كان من الغد أحضره وأحسن جائزته وخلقى سبيله^{٢٠٢}.

(١٥٢) ضرار بن الخطاب ومعاوية

دخل على معاوية ضرار بن الخطاب، فقال له: كيف حزنك على أبى الحسن؟ قال: حزن من ذبح ولدها على صدرها، فما ترقأ عبرتها ولا يسكن حزنها^{٢٠٣}!

(١٥٣) عقيل ومعاوية

وفد عليه - أى معاوية - عقيل بن أبى طالب منتجعا زائرا . فرحب به معاوية وسر بوروده، لاختياره إياه على أخيه، وأوسعته حلما واحتمالا.

فقال له: يا أبا يزيد، كيف تركت عليا؟ فقال: تركته على ما يحب الله ورسوله وألفيتك على ما يكره الله ورسوله.

فقال له معاوية: لو لا أنك زائر منتجع [جنابنا] لرددت عليك أبا يزيد جوابا تألم منه.

ثم أحب معاوية أن يقطع كلامه مخافة أن يأتى بشئ يخفضه، فوثب عن مجلسه وأمر له بنزل وحمل إليه مالا عظيما . فلما كان من غد جلس وأرسل إليه فأتاه، فقال له: يا أبا يزيد، كيف تركت عليا أخاك؟ قال تركته خيرا لنفسه منك، وأنت خير لى منه.

^{٢٠٢} (١) البحار: ج ٥٠ ص ٢١٤-٢١٣

^{٢٠٣} (٢) مروج الذهب: ج ٣ ص ٢٥

ص: ٢٣٢

فقال له معاوية: أنت والله كما قال الشاعر:

وإذا عدوت فخار آل محرق فالمجد منهم في بني عتاب فمحل المجد من بني هاشم منوط فيك يا أبا يزيد ما تغيرك الأيام
واللّٰه الى .

فقال عقيل:

اصبر لحرب أنت جانيتها لا بد أن تصلى بحاميها وأنت والله يا ابن أبي سفيان كما قال الآخر:

وإذا هوازن أقبلت بفخارها يوما فخرتهم بآل مجاشع بالحاملين على الموالى عزمهم والضاربين الهام يوم الفازع ولكن أنت يا
معاوية، إذا افتخرت بنو امية فبمن تفتخر؟ فقال معاوية:

عزمت عليك أبا يزيد لما أمسكت، فاني لم أجلس لهذا، وإنما أردت أن أسألك عن أصحاب على فانك ذو معرفة بهم . فقال
عقيل سل عما بدالك.

فقال: ميز لي أصحاب على، وابدأ بآل صوحان، فانهم مخاريق الكلام.

قال: أما صعصعة: فعظيم الشأن، غضب اللسان، قائد فرسان، قاتل أقران، يرتقى ما فتح ويفتق ما رتق، قليل النظير .

وأما زيد و عبد الله: فانهما نهران جاريان يصب فيهما الخلجان ويغاث بهما البلدان، رجلا جد لا لعب معه، وبنو صوحان كما قال
الشاعر:

اسودا تخلص الاسد النفوسا

إذا نزل العدو فان عندى

فاتصل كلام عقيل بصعصعة، فكتب إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم، ذكر الله أكبر وبه يستفتح المستفتحون، وأنتم مفاتيح الدنيا والآخرة.

أما بعد، فقد بلغ مولاك كلامك لعدو الله وعدو رسوله فحمدت الله على

ص: ٢٣٣

ذلك وسألته أن يضيء بك إلى الدرجة العليا والقضيب الأحمر^{٢٠٤} والعمود الأسود، فانه عمود م ن فارقه فارق الدين الازهر .
ولئن نزع بك نفسك إلى معاوية طلبا لماله إنك لذو علم بجميع خصاله، فاحذر أن تعلق بك ناره فيضلك عن الحجة ! فان
الله قد رفع عنكم أهل البيت ما وضعه في غيركم، فما كان من فضل أو إحسان فبكم وصل إلينا، فأجل الله أقداركم وحمى
أخطاركم وكتب آثاركم، فان أقداركم مرضية وأخطاركم محمية وآثاركم بدرية، وأنتم سلم الله إلى خلقه ووسيلته إلى طريقه، أيد
عليه ووجوه جلية، وأنتم كما قال الشاعر:

توارثه آباء آبائهم قبل

فما كان من خير أتوه وإنما

وتغرس إلا في منابتها النخل^{٢٠٥}

وهل ينبت الخطي إلا وشيجه

(١٥٤) عقيل والوليد بن عقبة

قال الوليد بن عقبة لعقيل في مجلس معاوية: غلبك أخوك يا أبا يزيد على الثروة؟ قال: نعم وسبقني وإياك إلى الجنة.
قال: أما والله إن شذقيه لمضمومان من دم عثمان. فقال: وما أنت وقريش؟ والله ما أنت فينا إلا كنطيط التيس! فغضب الوليد (من
قوله خ ل) وقال: والله لو أن أهل الأرض اشتروا في قتله لارهقوا صعودا، وإن أخاك لاشد هذه الامة عذابا. فقال (عقيل خ):
ص: ٢٣٤

صه! والله إنا لترغب بعبد من عبيده من صحبة أبيك عقبة ابن أبي معيط!^{٢٠٦}.

(١٥٥) عقيل ومعاوية

قال معاوية يوما وعقيل عنده: هذا أبو يزيد لولا علمه أني خير له من أخيه لما أقام عندنا وتركه . فقال عقيل: أخى خير لى فى
دبنى وأنت خير لى فى دنياى وقد آثرت دنياى، اسأل الله خاتمة خير^{٢٠٧}.

(١٥٦) عقيل ومعاوية

^{٢٠٤} (١) القضيب الأحمر يظهر معناه مما نقله ينابيع المودة (ص ١٠٤-١٠٣) انه شجرة غرسها الله فى جنة عدن يمينه، فمن أراد ان يستمسك به فاليتمسك بحب
على بن أبى طالب . اوردناه ملخصا لعله مراده تحرير عقيل على ولاته امر المؤمنين ع ليه السلام حيث انه جاء إلى معاوية للدنيا . واخرجه سبط بن الجوزى فى
التذكرة

^{٢٠٥} (٢) مروج الذهب: ج ٣ ص ٤٧-٤٦

^{٢٠٦} (١) ابن أبى الحديد: ج ٤ ص ٩٣. والغارات: ج ١ ص ٥٥٢. والبحار: ج ٢ ص ١١٤ عن ابن أبى الحديد

^{٢٠٧} (٢) ابن أبى الحديد: ج ١١ ص ٢٥١. والحلبى فى السيرة: ج ١ ص ٣٠٤. والبحار: ج ٢ ص ١١٦

روى المدائني، قال : قال معاوية يوما لعقيل بن أبي طالب : هل من حاجة فأقضيها لك؟ قال : نعم جارية عرضت على وأبي أصحابها أن يبيعوها إلا بأربعين ألفا.

فأحب معاوية أن يمازحه، فقال : وما تصنع بجارية قيمتها أربعون ألفا وأنت أعمى تجتزئ بجارية قيمتها خمسون درهما؟ قال : أرجو أن أطأها فتلد لي غلاما إذا أغضبتني يضرب عنقك ! فضحك معاوية وقال : مازحناك يا أبا يزيد، وأمر فابتيعت له الجارية التي أولد منها مسلما ...^{٢٠٨}.

(١٥٧) عقيل ومعاوية

سأل معاوية عقيلاً عن قصة الحديد المكماء المذكورة، فبكى وقال : أنا

ص: ٢٣٥

أحدثك يا معاوية عنه ثم أحدثك عما سألت، نزل بالحسين ابنه ضيف، فاستسلف درهما اشترى به خبزا، واحتاج إلى الإدام، فطلب من قنبر خادمهم أن يفتح له زقا من زقاق عسل جاءتهم من اليمن، فأخذ منه رطلا . فلما طلبها عليه السلام ليقسمها قال : يا قنبر، أظن أنه حدث بهذا الزق حدث؟ فأخبره، فغضب عليه السلام وقال : على بحسين ! فرفع عليه الدرة، فقال : بحق عمي جعفر! وكان إذا سئل بحق جعفر سكن، فقال له : ما حملك أن أخذت منه قبل القسمة؟ قال : إن لنا فيه حقا فإذا أعطيناه رددناه. قال: فذاك أبوك! وإن كان لك فيه حق فليس لك أن تنتفع بحقك قبل أن ينتفع المسلمون بحقوقهم.

أما لولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يقبل ثنييتك لاوجعتك ضربا ! ثم دفع إلى قنبر درهما كان مصرورا في ر دائه وقال: اشتر به خير عسل تقدر عليه.

قال عقيل: والله لكأنني أنظر إلى يدي على وهي على فم الزق وقنبر يقلب العسل فيه ثم شده وجعل يبكي ويقول : اللهم اغفر لحسين، فانه لم يعلم.

فقال معاوية: ذكرت من لا ينكر فضله، رحم الله أبا حسن، فلقد سبق من كان قبله وأعجز من يأتي بعده، هلم حديث الحديد.

قال: نعم، أقوى وأصابتنى مخمصة شديدة، فسألته فلم تند صفاته، فجمعت صبيانى وجئته بهم، والبؤس والضر ظاهرا عليهم . فقال: اتننى عشيّة لادفع إليك شيئا.

فجئته يقودنى أحد ولدى فأمره بالتنحي، ثم قال : ألا فدونك! فأهويت حريضا قد غلبنى الجشع أظنها صرة، فوضعت يدي على حديدة تلتهب نارا! فلما قبضتها نبذتها وخرت كما يخور الثور تحت يد جازره، فقال لى : ثكلتك امك! هذا من حديدة أوقدت له نار الدنيا، فكيف بى وبك غدا إن سلكننا فى

^{٢٠٨} (٣) ابن أبي الحديد: ج ١ ص ٢٥١. والبحار: ج ٢٢ ص ١١٦. أقول: فى هذه القصة مالا يخفى، لعلها من صنع المدائني الجعلال

ص: ٢٣٦

سلاسل جهنم؟ ثم قرأ: " إذ الاغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون " ثم قال: ليس لك عندى فوق حقك الذى فرضه الله لك إلا ما ترى، فانصرف إلى أهلك.

فجعل معاويةً يتعجب ويقول هيهات! هيهات! عقت النساء أن يلدن.^{٢٠٩}

(١٥٨) عقيل ومعاوية

أتى عقيل معاويةً ... بعد وفاة أمير المؤمنين عليه السلام وصلاح الحسن عليه السلام وجلساءه حوله، فقال : يا أبا يزيد، أخبرنى عن عسكرى وعسكر أخيك، فقد وردت عليهما، قال : أخبرك، مررت والله بعسكر أخى فإذا ليل كليل رسول الله صلى الله عليه وآله ونهار كنهار رسول الله صلى الله عليه وآله إلا أن رسول الله صلى الله عليه وآله ليس فى القوم، ما رأيت إلا مصليا ولا سمعت إلا قارئا. ومررت بعسكرك فاستقبلنى قوم من المنافقين ممن نفر برسول الله ليلة العقبة.

ثم قال: من هذا عن يمينك يا معاوية؟ قال: هذا عمرو بن العاص. قال:

هذا الذى اختصم فيه ستة نفر، فغلب عليه جزار قريش. فمن الآخر؟ قال:

الضحاك بن قيس الفهرى . قال: أما والله! لقد كان أبوه جيد الاخذ لعسب التيوس . فمن هذا الآخر؟ قال : أبو موسى الاشعري . قال: هذا ابن السراقة^{٢١٠}.

فلما رأى معاوية أنه قد أغضب جلساءه، علم أنه إن استخبره عن نفسه قال فيه سوءا، فأحب أن يسأله ليقول فيه ما يعلمه من السوء، فيذهب بذلك

ص: ٢٣٧

غضب جلسائه، قال: يا أبا يزيد! فما تقول فى؟ قال: دعنى من هذا. قال:

لتقولن. قال: أتعرف حمامة؟ قال: ومن حمامة يا أبا يزيد؟ قال: قد أخبرتك، ثم قام فمضى.

فأرسل معاوية إلى النسابة، فدعاه فقال: من حمامة؟ قال ولى الامان؟

^{٢٠٩} (١) ابن أبى الحديد: ج ١١ ص ٢٥٣. والبحار: ج ٢٢ ص ١١٧

^{٢١٠} (٢) فى الغارات: المراقبة

قال: نعم. قال: حمامة جدتك - ام أبي سفيان - كانت بغيا في الجاهلية صاحبة راية! فقال معاوية لجلسائه: قد ساويتكم وزدت عليكم، فلا تغضبوا^{٢١١}.

(١٥٩) عقيل ومعاوية

دخل عقيل بن أبي طالب على معاوية والناس عنده وهم سكوت، فقال:

تكلمن [أيها] الناس! فانما معاوية رجل منكم فقال معاوية: يا أبا يزيد! اخبرني عن الحسن بن علي؟ فقال: أصبح قريش وجهها وأكرمهم حسبا. قال:

فأبى الزبير؟ قال: لسان قريش وسنانها إن لم يفسد نفسه. قال: فابن عمر؟

قال: ترك الدنيا مقبلة وخلاكم وإياها وأقبل على الآخرة، وهو بعد ابن الفاروق . قال فمروان؟ قال: اوه؟ ذلك رجل لو أدرك أوائل قريش فأخذوا برأيه صلحت دنياهم. قال: ابن عباس؟ قال أخذ من العلم ما شاء.

وسكت معاوية. فقال عقيل: يا معاوية اخبر عنك فاني بك عالم؟ قال:

أقسمت عليك يا [أ] با يزيد لما سكت^{٢١٢}

(١٦٠) عقيل ومعاوية

دخل عقيل على معاوية، فقال له: يا أبا يزيد! أي جداتكم في الجاهلية شر؟

ص: ٢٣٨

قال: حمامة! فوجم معاوية.

قال هشام: وحمامة جدة أبي سفيان وهي من ذوات الرايات في الجاهلية^{٢١٣}.

(١٦١) عقيل ومعاوية

^{٢١١} (١) ابن أبي الحديد: ج ٢ ص ١٢٥-١٢٤. وفي الغارات: ج ١ ص ٦٤ و ٦٥. والبحار: ج ٤٢ ص ١١٣ عن ابن أبي الحديد وص ١١٢ قريبا عن أمالي الشيخ-

رحمه الله- وج ٨ ط الكمباني ص ٥٢٢ عن الغارات

^{٢١٢} (٢) أنساب الاشراف: ج ١ ص ٧٢-٧١

^{٢١٣} (١) أنساب الاشراف: ج ١ ص ٧٢

دخل عقيل على معاوية وقد كف بصره فلم يسمع كلاما . فقال: يا معاوية أما في مجلسك أحد؟ قال : بلى. قال فما لهم لا يتكلمون؟ فتكلم الضحاك بن قيس. فقال [عقيل]: من هذا؟ فقال له: [معاوية: هذا] الضحاك بن قيس قال [عقيل: كان] أبوه [من] خاصى القردة، ما كان بمكة أخصى لكلب وقرد من أبيه^{٢١٤}.

(١٦٢) عقيل ومعاوية

قال معاوية لعقيل بن أبي طالب - وكان جيد الجواب حاضره - أنا خير لك من أخيك. فقال عقيل: إن أخى أثر دينه على دنياه وأنت أثرت دنياك على دينك، فأخى خير لنفسه منك، وأنت خير لى.

وقال له يوما: إن فيكم لشبقا يا بنى هاشم! فقال: هو منا فى الرجال ومنكم فى النساء.

وقال له يوما وقد دخل عليه: هذا عقيل عمه أبو لهب: فقال عقيل: هذا معاوية عمته حمالة الحطب، وعمه معاوية ام جميل بنت حرب بن أمية، وكانت امرأة أبي لهب.

ص: ٢٣٩

وقال له يوما: يا أبا يزيد أين ترى عمك أبا لهب؟ فقال له عقيل: إذا دخلت النار فانظر عن يسارك تجده مفترشا عمتك، فانظر أيهما أسوء حالا! الناكح أم المنكوح؟.

وقال له ليلة الهرير بصفين: يا أبا يزيد أنت معنا الليلة. قال: ويوم بدر كنت معكم^{٢١٥}.

(١٦٣) عقيل ومعاوية

ذكر أبو عمرو بن العلاء المازنى النحوى - المتوفى سنة ١٥٤ - قال: قال:

معاوية يوما وعنده عمرو بن العاص وقد أقبل عقيل: لاضحكك من عقيل.

فلما سلم قال له معاوية: مرحبا بمن عمه أبو لهب! فقال له عقيل: مرحبا بمن عمته حمالة الحطب فى جيدها حبل من مسد! وهى عمه معاوية وهى ام جميل بنت حرب امرأة أبي لهب. قال معاوية: يا أبا يزيد ما ظنك بأبى لهب؟ قال يا معاوية! إذا

^{٢١٤} (٢) أنساب الاشراف: ج ١ ص ٧٥

^{٢١٥} (١) أمالى السيد - قدس سره -: ج ١ ص ٢٧٦. ونقله فى الغارات ج ٢ ص ٥٥٣. ونقل المجلسى قسما منه فى السيرة ج ١ ص ٣٠٤ ونقل شطرا منه فى

المحاضرات: ج ٢ ص ٢٤٠

دخلت النار فخذ على يسارك تجده مفترشا عمتك حمالة الحطب، أفناكح في النار خير أم منكوح؟ قال : كلاهما سواء
شروا لله! ٢١٦.

(١٦٤) عقيل ومعاوية

الشيخ - رحمه الله - باسناده عن الصمد عن جعفر بن محمد عليه ما السلام قال : قلت: يا أبا عبد الله حدثنا حديث عقيل . قال: نعم، جاء عقيل إليكم بالكوفة وكان على عليه السلام جالسا في صحن المسجد وعليه قميص سنبلاني،

ص: ٢٤٠

قال: فسأله. فقال: أكتب لك إلى ينبع . قال: ليس غير هذا؟ قال : لا. فبينما هو كذلك إذ أقبل الحسن عليه السلام فقال: اشتر لعملك ثوبين، فاشترى له.

قال: يا ابن أخي! ما هذا؟ قال: هذه كسوة أمير المؤمنين.

ثم أقبل حتى انتهى إلى على عليه السلام فجلس فجعل يضرب يده على الثوبين وجعل يقول : ما ألين هذا الثوب يا أبا يزيد ! قال: يا حسن اخذ عمك.

قال: والله ما أملك درهما ولا دينارا. قال: فاكسه بعض ثيابك.

قال عقيل: يا أمير المؤمنين! أئذن لي إلى معاوية: قال: في حل محلل، فانطلق نحوه.

وبلغ ذلك معاوية، فقال: اركبوا أفره دوابكم وألبسوا من أحسن ثيابكم، فان عقيل قد أقبل نحوكم.

وأبرز معاوية سريره، فلما انتهى إليه عقيل قال معاوية : مرحب بك يا أبا يزيد ! ما نزع بك؟ قال : طلب الدنيا من مظانها . قال: وفقت وأصبت، قد أمرنا لك بمائة ألف، فأعطاه المائة الالف . ثم قال: أخبرني عن العسكرين اللذين مررت بهما قبل، عسكري وعسكرك علي؟ قال: في الجماعة أخبرك أو في الوحدة؟ قال : لا بل في الجماعة. قال: مررت على عسكرك علي فإذا ليل كليل النبي ونهار كنهار النبي، إلا أن رسول الله ليس فيهم، ومررت على عسكرك فإذا أول من استقبلني أبو الأعور وطائفة من المنافقين والمنفرين برسول الله صلى الله عليه وآله إلا أن أبا سفيان ليس فيهم، ومررت على عسكرك فكف حتى إذا ذهب الناس، قال له: يا أبا يزيد! أيش صنعت بي؟ قال: ألم أقل لك في الجماعة أو في الوحدة فأبيت علي؟ قال: أما الآن فاشفني من عدوى. قال:

ذلك عند الرحيل.

فلما كان من الغد شد غرائره ورواحله وأقبل نحو معاوية وقد جمع معاوية حوله . فلما انتهى إليه قال : يا معاوية من ذا عن يمينك؟ قال: عمرو بن

ص: ٢٤١

العاص. فتضاحك، ثم قال [هذا الذي اختصم فيه ستة نفر، فغلب عليه جزارها . فمن الآخر؟ قال : الضحاک بن قيس الفهري، فتضاحك ثم قال]^{٢١٧}.

لقد علمت قريش أنه لم يكن أخصى لتيوسها من أبيه. ثم قال: من هذا؟

قال: هذا أبو موسى. فتضاحك، ثم قال: لقد علمت قريش بالمدينة أنه لم يكن بها امرأة أطيب ريحا من قب امه.

ثم قال: أخبرني عن نفسي يا أبا يزيد! قال: تعرف حمامة؟ ثم سار.

فألقى في خلد معاوية قال: أم من امهاتي لست أعرفها! فدعى بنسابين من أهل الشام، فقال خبراني من ام من امهاتي يقال لها: "حمامة" لست أعرفها.

فقالا نسل لك بالله لا تسألنا عنها اليوم . قال: خبراني أو لاضربن أعناقكما ! لكما الامان. قالوا: فان حمامة جدء أبي سفيان السابعة وكانت بغيا وكان لها بيت تؤتى فيه.

قال جعفر بن محمد عليهما السلام وكان عقيل من أنسب الناس^{٢١٨}.

(١٦٥) عقيل ومعاوية

لما وفد على معاوية وقد غضب من أخيه على لما طلب منه عطاءه وقال له : اصبر حتى يخرج عطاءك مع المسلمين فاعطيك، فقال له: لادهبن إلى رجل هو أوصل إلى منك ! فذهب إلى معاوية، فأعطاه معاوية مائة ألف درهم . ثم قال له معاوية : اصعد المنبر فاذكر ما أولاك على وما أوليتك. فصعد فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال :

أيها الناس! إني أخبركم أني أردت عليا على دينه فاختر دينه، وإنني

ص: ٢٤٢

أردت معاوية على دينه فاختراني على دينه^{٢١٩}.

^{٢١٧} (١) زاد ما بين المعقطين في تعليقات الغارات ص ٩٣٦ وقال أضيف ما بين المعقطين لوجوده في الغارات

^{٢١٨} (٢) أمالي الشيخ: ج ٢ ص ٣٣٥ - ٣٣٤. وتعليقات الغارات ص ٩٣٦ عنه

(١٦٦) عقيل ومعاوية

... فقال معاوية لعقيل: يا أبا يزيد أين يكون عمك أبو لهب اليوم؟ قال:

إذا دخلت جهنم فاطلبه مضاجعا عمتك ام جميل بنت حرب بن امية! ٢٢٠.

(١٦٧) عقيل ومعاوية

ذكر أبو عمرو: أن معاوية قال لعقيل: إن فيكم يا بني هاشم لخصلة لا تعجبني، قال: وما تلك الخصلة؟ قال: اللين. قال: وما ذلك اللين؟ قال: هو ما أقول لك. قال: أجل يا معاوية! إن فينا للينا في غير ضعف وعزا في غير عنف، فان لينكم يا ابن صخر غدر وسلمكم كفر. فقال معاوية: ما أردنا كل هذا يا أبا يزيد.

فقال عقيل:

لذى الحلم قبل اليوم ما تفرع العصا
وما علم الانسان إلا ليعلما
إن السفاهة طيش من خلائكم
لاقدس الله أخلاق الملاعين

فأراد معاوية أن يقطع كلامه، فقال: ما معنى هذه الكلمة " طه "؟ فقال عقيل: نحن أهله وعلينا نزل لاعلى أيبك ولا على أهل بيتك " طه " بالعبرانية:

يا رجل ٢٢١.

ص: ٢٤٣

(١٦٨) رجل من الشيعة مع مخالف

عن أبي محمد العسكري أنه قال: قال بعض المخالفين بحضرة الصادق عليه السلام لرجل من الشيعة: ما تقول في العشرة من الصحابة؟ قال: أقول فيهم الخير الجميل الذي يحط الله به سيئاتي ويرفع لي درجاتي. قال السائل: الحمد لله الذي أنقذني من بغضك، كنت أظنك رافضيا تبغض الصحابة.

٢١٩ (١) السيرة للحلي: ج ١ ص ٣٠٤

٢٢٠ (٢) البحار: ج ٤٢ ص ١١٧

٢٢١ (٣) الغارات: ج ٢ ص ٥٥١

فقال الرجل: ألا من أبغض واحدا من الصحابة فعليه لعنة الله! قال:

لعلك تتأول، ما تقول فيمن أبغض العشرة؟ فقال: من أبغض العشرة فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين! فوثب فقبل رأسه، وقال: اجعلني في حل مما قذفتك به من الرفض قبل اليوم. قال: أنت في حل وأنت أخي، ثم انصرف السائل. الحديث^{٢٢٢}.

(١٦٩) رجل من الشيعة مع مخالف

دخل على أبي الحسن الرضا عليه السلام رجل فقال له: يا ابن رسول الله! لقد رأيت اليوم شيئا عجبت منه! قال: وما هو؟ قال: رجل كان معنا يظهر لنا أنه من الموالين لآل محمد المتبرين من أعدائهم، فرأيتهم اليوم وعليه ثياب قد خلعت عليه وهو ذا يطاف به ببغداد وينادي المنادي بين يديه: معاشر الناس! اسمعوا توبة هذا الرفض، ثم يقولون له قل، فيقول: خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله أبا بكر، فإذا قال ذلك ضجوا وقالوا: قد تاب وفضل أبا بكر على بن أبي طالب عليه السلام فقال الرضا عليه السلام: إذا خلوت

ص: ٢٤٤

فأعد على هذا الحديث.

فلما خلا أعاد عليه. فقال له: إنما لم أفسر لك معنى كلام الرجل بحضرة هذا الخلق المنكرين، كراهة أن ينقل إليهم فيعرفوه ويؤذوه، لم يقل الرجل: الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله [أبو بكر فيكون قد فضل أبا بكر على بن أبي طالب عليه السلام ولكن قال: خير الناس بعد رسول الله] أبا بكر فجعله نداء لابي بكر لرضى من يمشى بين يديه من بعض هؤلاء الجهلة ليتوارى من شرورهم، الحديث^{٢٢٣}.

(١٧٠) رجل من الشيعة عند بعض المخالفين

عن أبي محمد العسكري عليه السلام قال: قال رجل من خواص الشيعة لموسى بن جعفر عليهما السلام وهو يرتعد بعد ما خلا به: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله ما أخوفني أن يكون فلان بن فلان ينافقك في إظهاره واعتقاد وصيتك وإمامتك! فقال موسى على السلام: وكيف ذلك؟ قال: لاني حضرت معه اليوم في مجلس فلان رجل من كبار أهل بغداد، فقال له صاحب المجلس: أنت تزعم أن موسى بن جعفر إمام دون هذا الخليفة القاعد على سريرته؟ فقال له صاحبك هذا: ما أقول هذا، بل أزعم أن موسى بن جعفر غير إمام، وإن لم أكن أعتقد أنه غير إمام فعلى وعلى من لم يعتقد ذلك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين! قال له صاحب المجلس: جزاك الله خيرا ولعن من وشى بك، الحديث^{٢٢٤}.

^{٢٢٢} (١) البحار: ج ٧١ ص ١٢

^{٢٢٣} (١) البحار: ج ٧١ ص ١٥

^{٢٢٤} (٢) المصدر نفسه

(١٧١) أبو سعيد ابن عقيل مع ابن الزبير

دخل الحسن بن علي ع ليهما السلام على معاوية وعنده عبد الله بن الزبير - وكان معاوية يحب أن يغرى بين قريش - فقال: يا أبا محمد! أيهما كان أكبر سنا علي أم الزبير؟ فقال الحسن: ما أقرب ما بينهما وعلى أسن من الزبير، رحم الله عليا، فقال ابن الزبير: رحم الله الزبير.

وهناك أبو سعيد بن عقيل بن أبي طالب، فقال: يا عبد الله! وما يهيجك من أن يترحم الرجل علي أبيه؟ قال: وأنا أيضا ترحمت علي أبي. قال: أتظنه ندا له وكفوًا؟ قال: وما يعدل به عن ذلك؟ كلاهما من قريش كلاهما دعا إلى نفسه ولم يتم له. قال: دع ذاك عنك يا عبد الله! إن عليا من قريش ومن الرسول صلى الله عليه وآله حيث تعلم، ولما دعا إلى نفسه اتبع فيه وكان رأسا، ودعا الزبير إلى أمر كان الرأس فيه امرأة! ولما تراءت الفتتان نكص علي عقبيه وولي مدبرا قبل أن يظهر الحق فيأخذه أو يدحض الباطل فيتركه، فأدركه رجل لو قيس ببعض أعضائه لكان أصغر، ف ضرب عنقه وأخذ سلبه وجاء برأسه! ومضى علي قد مال كعادته مع ابن عمه، رحم الله عليا ولا رحم الزبير! فقال ابن الزبير: أما والله! لو أن غيرك تكلم بهذا يا أبا سعيد لعلم! فقال: إن الذي تعرض به يرغب عنك. وكفه معاوية فسكتوا.

واخبرت عائشة بمقاتلتهم. ومر أبو سعيد بفنائها، فنادته يا أبا سعيد أنت القاتل لابن أختي كذا؟ فالتفت أبو سعيد فلم ير شيئا، فقال: إن الشيطان يراكم ولا تراه! فضحكت عائشة وقالت: لله أبوك! ما أذلقت لسانك! ٢٢٥.

(١٧٢) ذكوان وابن الزبير

دخل الحسين بن علي يوما علي معاوية ومعه مولى له يقال له: ذكوان، وعند معاوية جماعة من قريش فيهم ابن الزبير. فرحب معاوية بالحسين وأجلسه على سريرته، وقال: ترى هذا القاعد - يعني ابن الزبير - فانه ليدركه الحسد لبني عبد مناف. فقال ابن الزبير لمعاوية: قد عرفنا فضل الحسين وقربته من رسول الله صلى الله عليه وآله لكن إن شئت اعلمك فضل الزبير علي أبيك أبي سفيان فعلت.

فتكلم ذكوان مولى الحسين بن علي عليهما السلام فقال: يا ابن الزبير! إن مولاي ما يمنعه من الكلام أن لا يكون طلق اللسان رابط الجنان، فان نطق نطق بعلم، وإن صمت صمت بحلم، غير أنه كف الكلام وسبق إلى اللسان، فأقرت بفضل الكرام، وأنا الذي أقول:

فيم الكلام لسابق في غاية
 إن الذي يجرى ليدرك شأوه
 بل كيف بدر نور ساطع
 والناس بين مقصر ومبلد
 ينمي بغير مسود ومسدد
 خير الانام وفرع آل محمد

فقال معاوية: صدق قولك يا ذكوان! أكثر الله في موالى الكرام مثلك.

فقال ابن الزبير: إن أبا عبد الله سكت وتكلم مولاه، ولو تكلم لاجبناه أو لكففنا عن جوابه إجلالا، ولا جواب لهذا العبد.

قال ذكوان: هذا العبد خير منك، قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

" مولى القوم منهم " فانا مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وأنت ابن [الزبير بن] العوام بن خويلد، فنحن أكرم ولاء وأحسن فعلا.

قال ابن الزبير: إني لست اجيب هذا، فهات ما عندك

ص: ٢٤٧

يا معاوية! ٢٢٦.

(١٧٣) جارية بن قدامة مع معاوية

قال معاوية لجارية بن قدامة: ماكان أهونك على أهلك إذ سموك جارية! قال: ماكان أهونك على أهلك إذ سموك معاوية! وهى الانتى من الكلاب.

قال: لا ام لك! قال: امى ولدتنى للسيوف التى لقيناك بها فى أيدينا.

قال: إنك لتهددنى؟ قال : إنك لم تفتحننا قسراو لم تملكنا عنوة، ولكنك أعطيتنا عهدا وميثاقا وأعطيناك سمعا وطاعة، فان وفيت لنا وفينا لك، وإن فرغت إلى غير ذلك فانا تركنا وراءنا رجالا شدادا وألسنة حدادا.

قال له معاوية: لاكثر الله فى الناس أمثالك! قال جارية: قل معروفا وراعنا، فان شر الدعاء المحتطب^{٢٢٧}.

رواه في الغدير^{٢٢٨} عن ابن عساكر في تاريخه قال:

وفد جارية بن قدامة على معاوية، فقال له معاوية : أنت الساعى مع على بن أبى طالب والموقد النار فى شعلك تجوس قري عربية تسفك دماءهم؟ قال جارية: يا معاوية! دع عنك عليا فما أبغضنا عليا منذ أحببناه ولا غششناه منذ صحبناه. قال: ويحك يا جارية! ما أهونك على أهلك إذ سموك جارية! قال:

أنت معاوية كنت أهون على أهلك إذ سموك معاوية!.

ص: ٢٤٨

وذكره الشيخ فى أماليه^{٢٢٩} بنحو آخر: قال: قدم جارية بن قدامة السعدى على معاوية، ومع معاوية على السرير الاحنف بن قيس والحباب المجاشعى، فقال له معاوية: من أنت؟ قال: أنا جارية بن قدامة، قال: وكان نبيلًا. فقال له معاوية: وما عسيت أن تكون، هل أنت إلا نحلة؟ فقال: لا تفعل يا معاوية! قد شبهتني بالنحلة وهى والله حامية اللسعة حلوة لبصاق، والله ما معاوية إلا كلبه تعاوى الكلاب! ولا امية إلا تصغير أمة! فقال معاوية: لا تفعل. قال:

إنك فعلت ففعلت.

قال له: فادن اجلس معى على السرير. فقال: لا أفعل. قال: ولم؟ قال:

لانى رايت هذين قد أماطاك عن مجلسك فلم أكن لاشاركهما.

قال له معاوية: ادن اسارك. فدنا منه، فقال: يا جارية! اشتريت من هذين الرجلين دينهما. قال: ومنى فاشتر يا معاوية! قال له: لا تجهر^{٢٣٠}.

(١٧٤) أبو الطفيل مع معاوية

قال معاوية لأبى الطفيل: كيف وجدك على على؟ قال: وجد ثمانين مثكل قال: فكيف حبك له؟ قال حب ام موسى، وإلى الله أشكو التقصير.

وقال له مرة أخرى: أبا الطفيل! قال: نعم. قال: أنت من قتلة عثمان؟

^{٢٢٧} (٢) العقد الفريد: ص ٢٨. والغدير: ج ١٠ ص ١٧١ عنه وعن المستطرف: ج ١ ص ٧٣. وتاريخ الخلفاء للسيوطى ص ١٣٣

^{٢٢٨} (٣) الغدير: ج ١ ص ١٧١

^{٢٢٩} (١) أمالى الشيخ: ج ١ ص ١٩٥ ط نجف

^{٢٣٠} (٢) وراجع البحار: ح ٤٤ ص ١٣٣ عن المجالس والامالى

قال: لا ولكنى ممن حضره ولم ينصره. قال: وما منعك من نصره؟ قال: لم ينصره المهاجرون والانصار فلم أنصره.

قال: لقد كان حقه واجبا وكان عليهم أن ينصروه . قال: فما منعك من نصرته يا أمير المؤمنين وأنت ابن عمه ؟ قال: أو ما طلبى نصره له؟ فضحك أبو

ص: ٢٤٩

الطفيل وقال: مثلك ومثل عثمان كما قال الشاعر:

لا عرفنك بعد الموت تتدمنى وفى حياتى ما زودتنى زادى^{٢٣١}

(١٧٥) عدى ومعاوية

قال معاوية لعدى بن حاتم: ما فعلت الطرفات يا أبا طريف؟

قال: قتلوا! قال: ما أنصفك ابن أبى طالب إذ قتل بنوك معه وبقي له بنوه.

قال: لئن كان ذلك لقد قتل هو وبقيت أنا بعه.

قال له معاوية: ألم تزعم أنه لا يخنق فى قتل عثمان غنز؟ قد والله خنق فيه التيس الاكبر . ثم قال معاوية: أما إنه قد بقيت من دمه قطرة ولا بد أن أتبعها.

قال عدى: لأبأ لك شم السيف، فان سل السيف يسل السيف . فالتفت معاوية إلى حبيب بن مسلمة، فقال : اجعلها فى كتابك فانها حكمة^{٢٣٢}.

وفى مروج الذهب: وذكر أن عدى بن حاتم الطائى دخل على معاوية، فقال له معاوية : ما فعلت الطرفات، يعنى أولاده؟ قال : قتلوا مع على! قال:

ما أنصفك على قتل أولادك وبقي أولاده. فقال عدى: ما أنصفت عليا إذ قتل وبقيت بعده.

^{٢٣١} (١) العقد الفريد: ج ٤ ص ٣٠. ومروج الذهب: ج ٣ ص ٢٥

^{٢٣٢} (٢) العقد الفريد: ج ١ ص ٢٨

فقال معاوية: أما إنه قد بقيت قطرة من دم عثمان ما يمحوها إلا دم شريف من أشرف اليمن . فقال عدى: والله! إن قلوبنا التي أبغضناك بها لفي صدورنا، وإن أسيافنا التي قاتلناك بها لعلی عواتقنا، ولئن أدنيت إلينا من الغدر فترا لندينن إليك من الشر شبرا، وإن حز الحلقوم وحشرجة الحيزوم

ص: ٢٥٠

لاهون علينا من أن نسمع المساءة في على، فسلم السيف يا معاوية لباعث السيف. فقال معاوية: هذه كلمات حكم فاكتبوها^{٢٣٣}.

(١٧٦) عدى مع رجل

قال رجل لعدى بن حاتم الطائي وكان من جملة أصحاب على عليه السلام : يا أبا طريف! ألم أسمعك تقول يوم الدار: " والله لا تحب في عناق حولية" وقد رأيت ماكان فيها، وقد كان فقئت عين عدى وقتل بنوه؟

فقال: أما والله! لقد حبقت في قتله العناق والتيس الاعظم^{٢٣٤}.

(١٧٧) عدى وابن الزبير

حضر جماعة عند معاوية وعنده عدى بن حاتم، وكان منهم عب د الله بن الزبير . فقالوا: يا أمير المؤمنين! ذرنا نكلم عديا، فقد زعموا أن عنده جوابا.

فقال: إني احذركموه! فقالوا: لا عليك دعنا وإياه.

فقال له ابن الزبير: يا أبا طريف! متى فقئت عينك؟ قال: يوم فرأبوك وقتل شر قتلة! وضربك الاشترا على استك فوقعت هاربا من الزحف! وأنشد:

لقيتك يوم الزحف مارمت لى سخطا

أما وأبى يا ابن الزبير لو أننى

صحيحين لم تنزع عروقهما القبطا

وكان أبى فى طى وأبو أبى

لرمت به يا ابن الزبير مدى شحطا

ولو رمت شتمى عند عدل قضائه

^{٢٣٣} (١) مروج الذهب ج ٣ ص ١٣

^{٢٣٤} (٢) ابن أبى الحديد: ج ٨ ص ٣٩

فقال معاوية: قد كنت حذرتكموه فأبيتم! ٢٣٥

ص: ٢٥١

(١٧٨) صعصة ومعاوية

حدث الهيثم، عن أبي سفيان عمرو بن يزيد، عن البراء بن يزيد، عن محمد بن عبد الله بن الحارث الطائي، ثم أحد بنى عفان قال: لما انصرف على عليه السلام من الجمل قال لآذنه : من بالباب من وجوه العرب؟ قال : محمد بن عمير بن عطارد التيمي والاحنف بن قيس وصعصة بن صوحان العبدى فى رجال سماهم، فقال: إئذن لهم. فدخلوا فسلموا [عليه] بالخلافة، فقال لهم: أنتم وجوه العرب عندى ورؤساء أصحابى فأشيروا على فى أمر هذا الغلام المترف - يعنى معاوية - فافتنت بهم المشورة عليه . فقال صعصة.

إن معاوية أترفه الهوى وحببت إليه الدنيا، فهانت ع ليه مصارع الرجال وابتاع آخرته بدنياههم، فان تعمل فيه برأى ترشد وتصب إن شاء الله، والتوفيق بالله وبرسوله وبك يا أمير المؤمنين! والرأى أن ترسل إليه عينا من عيونك وثقة من ثقاتك بكتاب تدعوه إلى بيعتك فان أجاب وأتاب كان له مالک وعليه ما عليك، وإلاجاهدته وصبرت لقضاء الله حتى يأتیک اليقين.

فقال على عليه السلام: عزمت عليك يا صعصة إلا كتبت الكتاب بيديك وتوجهت به إلى معاوية واجعل صدر الكتاب تحذيرا وتخويفا وعجزه استنابة واستنابة، وليكن فاتحة الكتاب " بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله على أمير المؤمنين إلى معاوية، سلام عليك، أما بعد " ثم اكتب ما أشرت به على واجعل عنوان الكتاب " ألا إلى الله تصير الأمور "، قال: اعفنى من ذلك. قال: عزمت عليك لتفعلن! قال: أفعل.

فخرج بالكتاب وتجهز وسار حتى ورد دمشق، فأتى باب معاوية، فقال لآذنه : استأذن لرسول أمير المؤمنين على بن أبى طالب، وللباب ازفلة من بنى

ص: ٢٥٢

امية، فأخذته الايدى والنعال لقوله، وهو يقول: " أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله " وكثرت الجلبة واللغط.

فاتصل ذلك بمعاوية، فوجه من يكشف الناس عنه فكشفوا، ثم أذن لهم فدخلوا.

فقال لهم: من هذا الرجل؟ فقالوا : رجل من العرب يقال له : " صعصة بن صوحان " معه كتاب من على . فقال: والله! لقد بلغنى أمره، هذا أحد سهام على وخطباء العرب، وقد كنت إلى لقائه شيقا، إئذن له يا غلام.

فدخل عليه، فقال : السلام عليك يا ابن أبي سفيان ! هذا كتاب أمير المؤمنين . فقال معاوية : أما إنه لو كانت الرسل تقتل في جاهلية أو إسلام لقتلتك! ثم اعترضه معاوية في الكلام وأراد أن يستخرجه ليعرف قريحته أطعاً أم تكلفاً؟ فقال : ممن الرجل؟ قال: من نزال. قال: وما كان نزار؟ قال : كان إذا غزا نكس، وإذا لقي افترس، وإذا انصرف احترس . قال: فمن أى أولاده أنت؟ قال من ربيعة. قال:، وما كان ربيعة؟ قال : كان يطيل النجاد، ويعول العباد، ويضرب ببقاع الارض العماد . قال فمن أى أولاده أنت؟ قال: من جديلة. قال: وما كان جديلة؟ قال: كان في الحرب سيفاً قاطعاً، وفي المكرمات غيثاً نافعا، وفي اللقاء لها ساطعاً. قال: فمن أى أولاده أنت؟ قال: من عبد القيس. قال: وما كان عبد القيس؟ قال كان خصيباً خضرم أبيض، وهاباً لضيغه ما يجد، ولا يسأل عما فقد، كثير المرق، طيب العرق، يقوم للناس مقام الغيث من السماء.

قال: ويحك يا ابن صوحان! فما تركت لهذا الحي من قريش مجدا ولا فخرا.

قال: بلى والله يابن أبي سفيان ! تركت لهم مالا يصلح إلا بهم، ولهم تركت الا بيض والاحمر والاصفر والاشقر والسرير والمنبر والملك إلى المحشر، وأنى لا يكون ذلك كذلك وهم منار الله في الارض ونجومه في السماء؟

ص: ٢٥٣

ففرح معاوية وظن أن كلامه يشتمل على قريش كلها، فقال: صدقت يا ابن صوحان! إن ذلك لكذلك.

فعرف صعصة ما أراد، فقال: ليس لك ولا لقومك في ذلك إصدار ولا إيراد، بعدتم عن انف المرعى، وعلوتم عن عذب الماء.

قال: فلم ذلك ويلك يا ابن صوحان؟ قال: الويل لاهل النار، ذلك لبنى هاشم، قال: قم، فأخرجوه.

فقال صعصة: الصدق ينبى عنك لا الوعيد، من أراد المشاجرة قبل المحاورة.

فقال معاوية: لشيء ما سوده قومه، وددت والله ! أنى من صلبه. ثم التفت إلى بنى امية، فقال: هكذا فلتكن الرجال^{٢٣٤}.

(١٧٩) صعصة ومعاوية

حبس معاوية صعصة بن صوحان العبدى و عبد الله بن الكواء اليشكرى ورجالا من أصحاب على مع رجال من قريش . فدخل عليهم معاوية يوما، فقال: نشدتكم بالله! إلا ما قلتم حقا وصدقا، أى الخلفاء رأيتموني؟ فقال: ابن الكواء: لولا أنك عزمت علينا ما قلنا، لانك جبار عنيد، لا تراقب الله في قتل الاخيار، ولكننا نقول : إنك ما علمنا واسع الدنيا ضيق الآخرة، قريب الثرى بعيد المرعى، تجعل الظلمات نورا والنور ظلمات.

فقال معاوية: إن الله أكرم هذا الامر بأهل الشام الذابين عن بيضته التاركين لمحارمه، ولم يكونوا كأمثال أهل العراق المنتهكين لمحارم الله والمحلين ما حرم الله والمحرمين ما أحل الله ثم تكلم صعصة فقال:

تكلمت يا ابن أبي سفيان فأبلغت، ولم تقصر عما أردت، وليس الامر على ما ذكرت، أنى يكون الخليفة من ملك الناس قهرا، ودانهم كبرا، واستولى باسباب الباطل كذبا ومكرا؟ أما والله ! مالک فى يوم بدر مضرب ولا مرمى، وما كنت فيه إلا كما قال القائل: "لاحلى ولا سبرى" ولقد كنت أنت وأبوك فى العير والنفير ممن أجلب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما أن ت طليق ابن طليق، أطلقكما رسول الله صلى الله عليه وآله، فأنى تصلح الخلافة لطليق؟! فقال معاوية: لولا أنى أرجع إلى قول أبى طالب حيث يقول:

قابلت جهلهم حلما ومغفرة والعفو عن قدرة ضرب من الكرم

لقتلتكم^{٢٣٧}.

(١٨٠) صصعة ومعاوية

الكلبي، قال: دخل صصعة بن صوحان [العبدى] على معاوية، فقال له:

يا ابن صوحان! أنت ذو معرفة بالعرب وبحالها، فأخبرنى عن أهل البصرة؟

وإياك والحمل على قوم لقوم! قال: البصرة واسطة العرب، ومنتهى الشرف والسؤدد، وهم أهل الخطط فى أول الدهر وآخره، وقد دارت بهم سروات العرب كدوران الرحى على قطبها.

قال: فأخبرنى عن أهل الكوفة؟ قال: قبة الاسلام، وذروة الكلام، ومظان ذوى الاعلام، إلا أن بها أجلافا تمنع ذوى الامر الطاعة، وتخرجهم عن الجماعة، وتلك اخلاق ذوى الهيئة والقناعة.

قال: فأخبرنى عن أهل الحجاز؟ قال: أسرع الناس إلى فتنة، وأضعفهم عنها

ص: ٢٥٥

وأقلهم غناء فيها، غير أن لهم ثباتا فى الدين وتمسكا بعروة اليقين، يتبعون الائمة الابرار، ويخلعون الفسقة الفجار.

فقال معاوية: من البررة والفسقة؟ فقال: يا ابن أبي سفيان! ترك الخداع من كشف القناع، على وأصحابه من الائمة الابرار، وأنت وأصحابك من اولئك.

ثم أحب معاوية أن يمضى صعصة في كلامه بعد أن بان فيه الغضب، فقال : أخبرني عن القبة الحمراء في ديار مضر؟ قال : أسد مضر بسلان بين غيلين، إذا أرسلتها افترست، وإذا تركتها احترست.

فقال معاوية: هنالك يا ابن صوحان العز الراسي، فهل في قومك مثل هذا؟ قال : هذا لاهله دونك يا ابن أبي سفيان! ومن أحب قوما حشر معهم.

قال: فأخبرني عن ديار ربيعة؟ ولا يستخفك الجهل وسابق الحمية بالتعصب لقومك . قال: والله ما أنا عنهم براض، ولكني أقول فيهم وعليهم، هم والله ! أعلام الليل، وأذنان في الدين والميل (هم والله أعلام الخيل وأرباب في الدين والميل خ ل) لن تغلب رايتها إذا رسخت، خوارج الدين، برازخ اليقين (جوارح الدين موارح اليقين خ) من نصره فليج، ومن خذله زليج.

قال: فأخبرني عن مضر؟ قال: كنانة العرب، ومعدن العز والحسب، يقذف البحر بها آذيه والبر رديه.

ثم أمسك معاوية. فقال له صعصة: سل يا معاوية! وإلا أخبرتك بما تحيد عنه. قال: وما ذاك يا ابن صوحان! قال: أهل الشام. قال: فأخبرني عنهم؟

قال: أطوع الناس لمخلوق وأعصاهم للخلق، عصاء الجبار وخلفه الاشرار، فعليهم الدمار ولهم سوء الدار.

فقال معاوية: والله يا ابن صوحان! إنك لحامل مديتك منذ أزمان، إلا أن حلم ابن أبي سفيان يرد عنك. فقال صعصة: بل أمر الله وقدرته، إن أمر الله

ص: ٢٥٦

كان قدرا مقدورا^{٢٣٨}.

(١٨١) صعصة ومعاوية

قال معاوية يوما- وعنده صعصة وكان قدم عليه بكتاب على وعنده وجوه الناس:- الأرض لله وأنا خليفة الله، فما آخذ من مال الله فهو لي، وما تركت منه كان جائزا لي.

فقال صعصة:

ن جهلا معاوى لا تأثم

تمنيك نفسك مالا يكو

فقال معاوية: يا صعصعة تعلمت الكلام! قال: العلم بالتعلم، ومن لا يعلم يجهل.

قال معاوية: ما أحوجك إلى أن اذيقك وبال أمر! قال: ليس ذلك بيدك، ذلك بيد الذي لا يؤخر نفسا إذا جاء أجلها.

قال: ومن يحول بيني وبينك؟ قال: الذي يحول بين المرء وقلبه.

قال معاوية: اتسع بطنك للكلام كما اتسع بطن البعير للشعير. قال: اتسع بطن من لا يشبع، ودعا عليه من لا يجمع^{٢٣٩}.

قال المسعودي: ولصعصعة بن صوحان أخبار حسان، وكلام في نهاية البلاغة والفصاحة والايضاح عن المعاني على إيجاز واختصار، ومن ذلك خبره مع عبد الله بن العباس، إلى آخر القصة^{٢٤٠}.

ص: ٢٥٧

(١٨٢) صعصعة ورجل

وقف رجل من بنى فزارة على صعصعة، فأسمعه كلاما منه : بسطت لسانك يا ابن صوحان على الناس فتهيبوك، أما لئن شئت لاكونن لك لصافا، فلا تنطق إلا حددت لسانك بأذرب من ظبة السيف بعضب قوى ولسان على، ثم لا يكون لك فى ذلك حل ولا ترحال.

فقال صعصعة: لو أجد غرضا منك لرميت، بل أرى شبحا، ولا أرى مثالا إلا كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا، أما لو كنت كفوا لرميت حصائلك بأذرب من ذلك السنان، ولرشتك بنبال تردعك عن النضال، ولخطمتك بخطام يخرم منك موضع الزمام.

فاتصل الكلام بابن عباس فاستضحك من الفزارى! وقال: أما لو كلف أخو فزارة نفسه نقل الصخور من جبال شمام إلى الهضام، لكان أهون عليه من منازعة أخى عبد القيس، خاب أبوه ما أجهله! يستجهل أخا عبد القيس وقواه المريعة، ثم تمثل:

إن الشقاء على الاشقين مصبوب^{٢٤١}

صبت عليك ولم تنصب من امم

^{٢٣٩} (٢) مروج الذهب: ج ٣ ص ٥٢

^{٢٤٠} (٣) مروج الذهب: ج ٣ ص ٥٥-٥٢

^{٢٤١} (١) مروج الذهب: ج ٣ ص ٥٥-٥٥

أخبرني رجل من الازد، قال: نظرت إلى أبي أيوب الانصاري في يوم النهروان، وقد علا عبد الله بن وهب الراسبي فضربه ضربة على كتفه فأبان يده، وقال: يؤيها إلى النار يا مارق! فقال عبد الله: ستعلم أينما أولى بها صلياً، قال: وأبيك إنى لأعلم.

إذ أقبل صعصعة بن صوحان فوقف وقال: أولى بها والله صلياً من ضل في

ص: ٢٥٨

الدنيا عمياً وصار إلى الآخرة شقياً، أبعدك الله وأنزحك ! أما والله! لقد أنذرتك هذه الصرعة بالامس فأبيت إلا نكوصاً على عقبيك، فذق يا مارق وبال أمرك.

وشرك أبا أيوب في قتله، ضرب به ضربةً بالسيف أبان بها رجله، وأدركه باخرى في بطنه، وقال : لقد صرت إلى نار لا تطفأ ولا يبوخ سعيها. ثم احتزا رأسه وأتيا به علياً، فقالا: هذا رأس الفاسق الناكث المارق عبد الله بن وهب^{٢٤٢}.

(١٨٣) صعصعة والمغيرة

قال المغيرة - وهو عامل معاوية يومئذ - لصعصعة بن صوحان: قم فالعن علياً. فقام فقال: إن أميركم هذا أمرني أن ألعن علياً، فالعنوه لعنه الله! وهو يضمير مغيرة^{٢٤٣}.

(١٨٤) أصحاب علي عليه السلام ومعاوية

روى أبو الحسن المدائني : أنه كان لهم - أي الاشتري، ومالك بن كعب الارجي، والاسود بن يزيد النخعي، وعلقمة بن قيس النخعي، وصعصعة بن صوحان، وغيرهم الذين سيرهم عثمان من الكوفة إلى الشام - مع معاوية بالشام مجالس طالت فيها المحاورات والمخاطبات، وان معاوية قال لهم في جملة ما قاله: إن قريشاً قد عرفت أن أبا سفيان كان أكرمها وابن أكرمها، إلا ما جعل الله لنبيه صلى الله عليه وآله فانه انتجبه وأكرمهم، ولو أن أبا سفيان ولد

ص: ٢٥٩

الناس كلهم لكانوا حلماً.

فقال له صعصعة بن صوحان : كذبت! قد ولد لهم خير من أبي سفيان، من خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا له، فكان فيهم البر والفاجر والكيس والاحمق.

(١٨٥) أصحاب علي عليه السلام ومعاوية

^{٢٤٢} (١) مروج الذهب: ج ٣ ص ٥٦

^{٢٤٣} (٢) شرح نهج لابن أبي الحديد: ج ١٥ ص ٢٥٧

قال: ومن المجالس التي دارت بينهم : أن معاوية قال لهم : أيها القوم! ردوا خيرا أو اسكتوا، وتفكروا وانظروا فيما ينفعكم والمسلمين فاطلبوه، وأطيعوني.

فقال له صعصة: لست بأهل ذلك، ولاكرامة لك أن تطاع في معصية الله.

فقال: إن أول كلام ابتدأت به أن أمرتكم بتقوى الله وطاعة رسوله، وأن تعتصموا جميعا ولا تفرقوا.

فقالوا: بل أمرت بالفرقة وخلاف ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله.

فقال: إن كنت فعلت، فاني الآن أتوب وأمركم بتقوى الله وطاعته ولزوم الجماعة، وأن توقروا أئمتكم وتطيعوهم.

فقال صعصة: إن كنت تبت فانا نأمرك أن تعتزل عملك، فان في المسلمين من هو أحق به منك، ممن كان أبوه أحسن أثرا في الاسلام من أبيك، وهو أحسن قدما في الاسلام منك.

فقال معاوية: إن لي في الاسلام لقدما وإن كان غيري أحسن قدما مني، لكنه ليس في زمانى أحد أقوى منى على ما أنا فيه منى، ولقد رأى عمر بن الخطاب ذلك، فلو كان غيري أقوى منى لم يكن عند عمر هودة لى ولا لغيرى، ولم احدث ما ينبغي له أن اغتزل عملى، فلو رأى ذلك أمير المؤمنين لكتب إلى [يخط يده] فاعتزلت عمله، فمهلا! فان فى دون ما أنتم فيه ما يأمر الشيطان

ص: ٢٤٠

وينتهى، ولعمري! لو كانت الامور تقضى على رأيكم وأهواءكم ما استقام الامر لاهل الاسلام يوما ولا ليلة، فعاودوا الخير وقولوه، فان الله ذو سطوات، وإنى خائف عليكم أن تتابعوا إلى مطاوعة الشيطان ومعصية الرحمن فيحللكم ذلك دار الهوان فى العاجل والآجل.

فوثبوا على معاوية فأخذوا برأسه ولحيته. فقال: مه! ان هذه ليست بأرض الكوفة، والله! لو رأى أهل الشام ما صنعتم بى [وأناات إمامهم] ما ملكت أن أنهاهم عنكم حتى يقتلوكم، فلعمري! إن صنيعتكم يشبه بعضه بعضا^{٢٤٤}.

(١٨٦) ابن عباس وصعصة مع الخوارج

قال البلاذري: ثم قامت خطباء الحرورية- أى الخوارج - فقالوا:

دعوتنا إلى كتاب الله والعمل به فأجبتك وبايعناك [و] قد قتلت في طاعتك قتلانا يوم الجمل ويوم صفين، ثم شككت في أمر الله وحكمت عدوك، ونحن على أمرك الذي تركت وأنت اليوم على غيره، فلسنا منك إلا أن تتوب منه وتشهد على نفسك بالضلالة.

فلما فرغوا من قولهم قال علي:

أما أن أشهد على نفسي بالضلالة: فمعاذ الله! أن أكون ارتبت منذ أسلمت أو ضللت منذ اهتديت، بل بنا هداكم الله من الضلالة واستنقذكم من الكفر وعصمكم من الجهالة، وإنما حكمت الحكمين بكتاب الله والسنة الجامعة غير المفرقة، فإن حكما بكتاب الله كنت أولى بالأمر من حكمهما، وإن حكما بغير ذلك لم يكن لهما على وعليكم حكم.

ثم تفرقوا فأعاد إليهم عبد الله بن عباس وصعصعة [بن صوحان] فقال لهم

ص: ٢٤١

صعصعة: اذكركم الله! أن تجعلوا فتنه العام مخافة فتنه عام قابل.

فقال ابن الكواء: أكنتم تعلمون أنى دعوتكم إلى هذا الامر؟ فقالوا: بلى.

قال: فاني أول من أطاع هذا الرجل، فانه واعظ شفيق. فخرج معه منهم نحو من خمسمائة فدخلوا في جملة على وجماعته^{٢٤٥}.

(١٨٧) محمد بن أبي بكر ومعاوية

١- كتاب محمد بن أبي بكر إلى معاوية:

من محمد بن أبي بكر إلى الغاوى معاوية بن صخر، سلام على أهل طاعة الله ممن هو سلم لاهل ولاية الله.

أما بعد: فان الله بجلاله وعظمته وسلطانه وقدرته خلق خلقا بلا عبث ولا ضعف في قوته لا حاجة به إلى خلقهم، ولكنه خلقهم عبيدا وجعل منهم شقيا وسعيدا وغويا ورشيدا، ثم اختار على علمه، فاصطفى وانتخب منهم محمدا صلى الله عليه وآله فاختصه برسالته، واختاره لوحيه، واثمنه على أمره، وبعثه رسولا مصدقا لما بين يديه من الكتب، ودليلا على الشرايع، فدعا إلى سبيل أمره بالحكمة والموعظة الحسنة، فكان أول من أجاب وأجاب وصدق فاسلم وسلم أخوه وابن عمه على بن أبي طالب عليه السلام، فصدقه بالغيب المكتوم، وآثره على كل حميم، ووقاه كل هول، وواساه بنفسه في كل خوف، فحارب حربه، وسالم سلمه، فلم يبرح مبتذلا لنفسه في ساعات الازل ومقامات الروح، حتى بارز سابقا لا نظير له في جهاده ولا مقارب له في فعله. وقد رأيتك تساميه وأنت أنت، وهو هو السابق المبرز في كل خير، أول الناس إسلاما، وأصدق الناس نية، وأطيب الناس ذرية، وأفضل الناس زوجة، وخير الناس ابن عم.

وأنت اللعين ابن اللعين، لم تنزل أنت وأبوك تبغيان لدين الله الغوائل، وتجتهدان على إطفاء نور الله، وتجمعان على ذلك الجموع، وتبذلان فيه المال، وتحالفان في ذلك القبائل، على هذا مات أبوك وعلى ذلك خلفته، والشاهد عليك بذلك من يأوى ويلجأ إليك من بقية الاحزاب ورؤوس النفاق والشقاق لرسول الله صلى الله عليه وآله، والشاهد لعلى مع فضله وسابقته القديمة أنصاره الذين ذكرهم الله تعالى فى القرآن ففضلهم وأثنى عليهم من المهاجرين والانصار، فهم معه كتائب وعصائب يجالدون حوله أسيافه، ويهريقون دماءهم دونه، يرون الفضل فى اتباعه، والشقاق والعصيان فى خلافه، فكيف يالك الويل ! تعدل نفسك بعلی؟ وهو وارث رسول الله صلى الله عليه وآله ووصيه، وأبوه ولده، وأول الناس له اتباعا، وآخرهم عهدا، يخبره بسر، ويشركه فى أمره، وأنت عدوه وابن عدوه ما استطعت بباطلك، وليمددك ابن العاص فى غوايتك، فكان أجلك قد انقضى وكيدك قد وهى، وسوف تستبين لمن تكون العاقبة العليا . واعلم أنك إنما تكايد ربك الذى قد أمنت كيده وآيست من روحه، وهو لك بالمرصاد، وأنت منه فى غرور، بالله وبأهل بيت نبيك الغناء^{٢٤٦}.

جواب معاوية:

بسم الله الرحمن الرحيم. من معاوية بن أبى سفيان إلى الزارى على أبيه محمد بن أبى بكر، سلام على أهل طاعة الله.

أما بعد، فقد أتاني كتابك تذكر فيه ما الله أهله فى قدرته وسلطانه وما أصفى به نبيه، مع كلام ألفته ووضعت له لرأيك فيه تضعيف ولايبك فيه تعنيف، ذكرت حق ابن أبى طالب وقديم سوابقه وقرابته من نبي الله صلى الله عليه ونصرته له ومواساته إياه فى كل خوف وهول، واحتجاجك على بفضل غيرك لا بفضلك، فأحمد آلهما صرف الفضل عنك وجعله لغيرك ! وقد كنا وأبوك معنا فى حياة من نبينا صلى الله عليه نرى حق ابن أبى طالب لازما لنا وفضله مبرزا علينا، فلما اختار الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ما عنده وأتم له ما وعده وأظهر دعوته وأفلج حجته، قبضه الله إليه، فكان أبوك وفاروقه أول من ابتز وخالفه على ذلك اتفاقا واتسقا، ثم دعوا إلى أنفسهم، فأبطأ عنهما وتلكأ عليهما، فهما به الهموم وأرادا به العظيم، فبايع وسلم لهما لا يشركانه فى أمرهما ولا يطلعهانه على سرهما، حتى قبضا وانقضى أمرهما . ثم قام بعدهما ثالثهما عثمان بن عفان يهتدى بهديهما ويسير بسيرتهما، فعبته أنت وصاحبك حتى طمع فيه الاقاصى من أهل المعاصى، وبطنتماله وأظهرتما [وكشفتما] عداوتكما وغلكما حتى بلغتما منه مناكم، فخذ حذرک يا ابن أبى بكر ! فسترى وبال أمرک، وقس شبرک بفترك تقصر عن أن تساوى أو توازى

^{٢٤٦} (١) ابن أبى الحديد: ج ٣ ص ١٨٨ الطبعة الجديدة وفى الطبعة الاولى المصرية: ج ١ ص ٢٨٣. ومروج الذهب: ج ٣ ص ٢١ - ٢٠. والغدير: ج ١٠ عنه: ووقعه صفين. ص ١٣٢ وفى نسخة مصرية ص ١١٨.

وجمهرة الرسائل: ج ١ ص ٥٤٢. والاختصاص للمفيد رحمه الله: ص ١١٩. والاحتجاج للطبرسى: ج ١ ص ٢٦٩ ط نجف، و عبد الله بن سبأ للعسكري: ص ١٢٣. وقاموس الرجال: ج ٧ ص ١٩٥. ولعله مراد الطبرى ج ٦ ص ٣٢٤٨ حيث قال: ذكر هشام عن أبى مخنف أن محمد بن أبى بكر كتب إلى معاوية بن أبى سفيان لما ولى، فذكرت مكابلات جرت بينهما كرهت ذكرها، لما فيه مما لا يحتمل سماعها العامة والبحار: ج ٨ ص ٦٠٣ و ٦٠٤ ط الكمباني عن ج وختص ونصر. وأنساب الاشراف: ج ١ ص ٣٩٣

من يزن الجبال حلمه [و] لا تلين على قسر قناته، ولا يدرك ذومدى أناته، أبوك مهد مهاده، وبنى ملكه وشاده، فان يكن ما نحن فيه صوابا فأبوك أوله، وإن يك جورا فأبوك أسسه ونحن شركاؤه، ويهديه أخذنا وبفعله اقتدينا، ولولا ما سبقنا إليه أبوك ما خالفنا ابن أبي طالب وأسلمنا له، ولكننا رأينا أباك فعل ذلك، فاحتدينا بمثاله واقتدينا بفعاله، فعب

ص: ٢٤٤

أباك ما بدا لك أو دع. والسلام على من أناب ورجع عن غوايته وتاب^{٢٤٧}.

وفي الاختصاص: أن محمدا كتب في أسفله هذه الايات:

معاوى ما أمسى هوى يستقيدنى	إليك ولا أخفى الذى لا اعالن
ولا أنا فى الاخرى إذا ما شهدتها	بنكس ولاهبابه فى المواطن
حللت عقال الحرب جبنا وإنما	يطيب المنايا خائنا وابن خائن
فحسبك من إحدى ثلاث رأيتها	بعينك أو تلك التى لم تعين
ركوبك بعد الامن حربا مشارفا	وقد دميت أظلافها والسناسن
وقد حك بالكفين تورى ضريمة	من الجهل أدتها إليك الكهائن
ومسحك أقراب الشמוש كأنها	تبس باحدى الداحيات الحواضن
تنازع أسباب المروء أهلها	وفى الصدر داء من جوى الغل كامن ^{٢٤٨}

(١٨٨) محمد ومعاوية وعمر

٢- كتابه إلى عمرو بن العاص ومعاوية:

أخرج الطبرى^{٢٤٩} ناقلا عن أبى مخنف، فقال: فخرج عمرو (أى ابن العاص) يسير حتى نزل أدانى مصر، فاجتمعت العثمانية إليه، فأقام بهم، وكتب إلى محمد بن أبى بكر:

^{٢٤٧} (١) المصادر المتقدمة

^{٢٤٨} (٢) الطبرى: ج ٥ ص ١٠٢-١٠١

أما بعد، ففتح عني بدمك يا ابن أبي بكر ! فاني لاحب أن يصيبك مني ظفر. إن الناس بهذا البلاد قد اجتمعوا على خلافك ورفض أمرك، وندموا على اتباعك، فهم مسلموك لو قد التقت حلقتا البطان، فاخرج منها فاني لك من الناصحين، والسلام .
وبعث إليه عمرو أيضا بكتاب معاوية إليه:

ص: ٢٦٥

أما بعد، فان غب البغي والظلم عظيم الوبال، وإن سفك الدم الحرام لا يسلم صاحبه من النقمة في الدنيا ومن التبعة الموبقة في الآخرة، وأنا لا أعلم أحدا كان أعظم على عثمان بغيا ولا أسوء له عيبا ولا أشد عليه خلافا منك ! سعيت عليه في الساعين، وسفكت معه في السافكين . ثم إنك أنت تظن أني عنك نائم أو ناس لك حتى تأتي وتأمر على بلاد أنت فيها جاري ! وجل أهلها أنصاري، يرون رأيي ويرقبون قولي، ويستصرخون عليك، وقد بعثت إليك قوما حناقا عليك يستسقون دمك، ويتقربون إلى الله بجهدك، وقد أعطوا عهدا ليمثلن بك ولو لم يكن منهم إليك ما عدا، فتلك ما حذرتك ولا أنذرتك، ولا حبيت أن يقتلوك بظلمك وقطيعتك وعدوك على عثمان يوم يطعن بمشاقصك بين خششائه وأوداجه، ولكن أكره أن امثل بقرشي، ولن يسلمك الله من القصاص أبدا أينما كنت، والسلام.

فطوى محمد الكتاب وبعثهما إلى أمير المؤمنين عليه السلام وكتب في جواب معاوية:

أما بعد، فقد أتاني كتابك تذكرني من أمر عثمان أمرا لا أعتذر إليك منه، وتأمرني بالتنحي عنك كأنك لي ناصح، وتخوفني المثلة كأنك شفيق، وأنا أرجو أن تكون لي الدائرة عليكم فاجتاحكم في الوقعة، وإن تؤتو النصر ويكن لكم الامر في الدنيا، فكم لعمري من ظالم قد نصرتم ! وكم من مؤمن قد قتلتم ومنلتم به ! وإلى الله مصيركم ومصيرهم، وإلى الله مرد الامور، وهو أرحم الراحمين، والله المستعان على ما تصفون، والسلام.

وكتب في جواب عمرو بن العاص:

أما بعد، فقد فهمت ما ذكرت في كتابك يا ابن العاص ! زعمت أنك تكره أن يصيبني منك ظفر، وأشهد أنك من المبطلين، وتزعم أنك لي نصيح، واقسم أنك عندى ظنين، وتزعم أن أهل البلد قد رفضوا رأيي وأمرى وندموا على

ص: ٢٦٦

اتباعى، فأولئك لك وللشيطان الرجيم أولياء، فحسبنا الله رب العالمين، وتوكلنا على الله رب العرش العظيم، والسلام^{٢٥}.

(١٨٩) عمار والاشتر مع عائشة

^{٢٤٩} (٢) الطبرى: ج ٥ ص ١٠٢-١٠١

^{٢٥٠} (١) راجع الغدير: ج ١١ ص ٦٩-٦٤. وشرح ابن أبي الحديد: ج ٦ ص ٨٥-٨٣.

دخل عمار بن ياسر ومالك بن الحارث الاشتر على عائشة بع د انتقضاء أمر الجمل . فقالت عائشة: يا عمار من معك؟ قال : الاشتر. فقالت: يا مالك! أنت الذى صنعت بابتى ما صنعت؟ قال: نعم، ولولا أننى كنت طاويا لارحت امه محمد منه . فقالت: أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: " لا يحل دم مسلم إلا باحدى أمور ثلاث : كفر بعد الايمان، أو زنا بعد إحصان، أو قتل نفس بغير حق " فقال الاشتر: على بعض هذه الثلاثة قاتلناه يا ام المؤمنين! وأيم الله! ما خاننى سيفى قبلها، ولقد أقسمت ألا يصحبنى بعدها.

قال أبو مخنف: ففى ذلك يقول الاشتر من جملة هذا الشعر الذى ذكرناه:

وقالت: على أى الخصال صرته	بقتل أتى أم رده لا أبأ لكأ!
أم المحصن الزانى الذى حل قتله	فقلت لها: لا بد من بعض ذلكا
أوله: أعائش لولا أننى كنت طاويا	ثلاثا لالفيت ابن اختك هالكا
غداة ينادى والرجال تحوزه	بأضعف صوت: اقتلونى ومالكا
فلم يعرفوه إذ دعاهم وغمه	خذب عليه فى العجاجة باركا
فنجاه منى أكله وشبابه	وأنى شيخ لم أكن متماسكا ^{٢٥١}

ص: ٢٦٧

(١٩٠) قنبر مولى على عليه السلام والحجاج

عن أبى الحسن صاحب العسكر عليه السلام: ان قنبرا مولى أمير المؤمنين عليه السلام ادخل على الحجاج . فقال: ما الذى كنت تلى من على بن أبى طالب؟ قال: كنت اوضئه. فقال له: ما كان يقول إذا فرغ من وضوئه؟ فقال:

كان يتلو هذه الآية " فلما نسوا ما ذكروا به " إلى قوله: " فاذا هم ملبسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين " فقال الحجاج: أظنه كان يتأوله علينا؟ قال: نعم [فقال: ما أنت صانع إذا ضربت علاوتك؟ قال: اذن اسعد وتشقى، فأمر به]^{٢٥٢}.

^{٢٥١} (٢) شرح النهج لابن أبى الحديد: ج ١١ ص ٢٦٣

^{٢٥٢} (١) البحار: ج ٦٧ ص ١٩٩ وج ٤٢ ص ١٣٥ عن العياشى والكشى

عن شهر بن حوشب، قال : قال لى الحجاج : يا شهر! آية فى كتاب الله قد أعيتنى . فقلت: أيها الامير! آية آية هى؟ فقال : قوله: " وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته " والله! إني لآمر باليهودى والنصرانى فتضرب عنقه ثم ارمقه بعينى فما أراه يحرك شفثيه حتى يحمل. فقلت: أصلح الله الامير! ليس على ما تأولت. قال: كيف هو؟ قلت: إن عيسى ينزل قبل يوم القيامة إلى الدنيا فلا يبقى أهل مله يهودى ولاغيره إلا آمن به قبل موته ويصلى خلف المهدي . قال: ويحك! أنى لك هذا؟ ومن أين جئت به؟ فقلت: حدثنى به محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام فقال: جئت والله بها من عين صافية! ٢٥٣.

ص: ٢٤٨

(١٩١) السيد الحميرى وسوار القاضى

ومما حكى الشيخ رحمه الله قال : قال الحارث بن عبد الله الربعى : كنت جالسا فى مجلس المنصور وهو بالجسر الاكبر وسوار القاضى عنده والسيد الحميرى ينشده:

إن الاله الذى لا شئ يشبهه	أتاكم الملك للديننا وللدين
أتاكم الله ملكا لا زوال له	حتى يقاد إليكم صاحب الصين
وصاحب الهند مأخوذ برمته	وصاحب الترك محبوس على هون

حتى أتى على القصيدة والمنصور مسرور.

فقال سوار: إن هذا والله يا أمير المؤمنين يعطيك بلسانه ما ليس فى قلبه! والله إن القوم الذين يدين بحبهم لغيركم، وإنه لينطوى على عداوتكم.

فقال السيد: والله! إنه لكاذب، وإننى فى مدحتك لصادق، وإنه حمله الحسد إذ رآك على هذه الحال، وإن انقطاعى إليكم ومودتى لكم أهل البيت لمعرق فيها من أبوى، وإن هذا وقومه لاعداءكم فى الجاهلية والاسلام، وقد أنزل الله عزوجل على نبيه عليه الصلاة والسلام فى أهل بيت هذا " إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون " فقال المنصور: صدقت.

فقال سوار: يا أمير المؤمنين! إنه يقول بالرجعة، ويتناول الشيخين بالسب والوقعة فيهما.

فقال السيد: أما قوله: إننى بالرجعة، فأنى أقول بذلك على ما قال الله تعالى : " ويوم نحشر من كل امه فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون " وقد قال فى موضع آخر " وحشرناهم فلم تغادر منهم أحدا " فعلمنا أن هاهنا حشرين:

أحدهما عام، والآخر خاص، وقال سبحانه: "ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين

ص: ٢٦٩

فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل " وقال تعالى: " فاماته الله مائة عام ثم بعثه " وقال تعالى: " ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم " فهذا كتاب الله تعالى، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: " يحشر المتكبرون في صور الذر يوم القيامة " وقال صلى الله عليه وآله: " لم يجر في بنى إسرائيل شيء إلا ويكون في امتي مثله حتى الخسف والمسح والقذف " وقال حذيفة: " والله! ما أبعد أن يمسح الله عز وجل كثيرا من هذه الامم قرده وخنزير ". فالرجعة التي أذهب إليها ما نطق به القرآن وجاءت به السنة، وإنني لا اعتقد أن الله عز وجل يرد هذا - يعني سوارا - إلى الدنيا كلبا أو قردا أو خنزيرا أو ذرة، فانه والله متجبر متكبر كافر! قال:

فضحك المنصور. وأنشأ السيد يقول:

جائيت سوارا أبا شملة	عند الامام الحاكم العادل
فقال قولا خطلا كله	عند الورى الحافل والناعل
ماذب عما قلت من وصمة	في أهله بل لج في الباطل
وبان للمنصور صدقي كما	قد بان كذب الانوك الجاهل
يبغض ذا العرش ومن يصطفى	من رسله بالنير الفاضل
ويشأ الحبر الجواد الذي	فضل بالفضل على الفاضل
ويعتدى بالحكم في معشر	أدوا حقوق الرسل للراسل
فبين الله تراويقه	فصار مثل الهائم الهامل

فقال المنصور: كف عنه. فقال السيد: يا أمير المؤمنين البادى أظلم، يكف عنى حتى أكف عنه . فقال المنصور للسوار: قد تكلم بكلام فيه نصفه، كف عنه حتى لا يهجوک .^{٢٥٤}

ص: ٢٧٠

قال المفيد - رحمه الله - في الكتاب المذكور - يعنى الفصول - : سأل بعض المعتزلة شيخا من أصحابنا الامامية وأنا حاضر في مجلس فيهم جماعة كثيرة من أهل النظر والمتفقهة . فقال له : إذا كان من قولك : إن الله عزوجل يرد الاموات إلى دار الدنيا قبل الآخرة عند القائم يشفى المؤمنين كما زعمتم من الكافرين وينتقم لهم منهم كما فعل بنى إسرائيل فيما ذكرتوه حيث تتعلق بقوله تعالى: " ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا " فخبرنى ما الذى يؤمنك أن يتوب يزيد وشمر و عبد الرحمن بن ملجم ويرجعوا عن كفرهم وضلالهم ويصيروا فى تلك الحال إلى طاعة الامام فيجب عليك ولايتهم والقطع بالثواب لهم! وهذا نقض مذاهب الشيعة.

فقال الشيخ المسؤول : القول بالرجعة إنما قلته من طريق التوقيف وليس للنظر فيه مجال، وأنا لا اجيب عن هذا السؤال، لانه لانص عندى فيه وليس يجوز لى أن أتكلف من غير جهة النص الجواب. فشنع السائل وجماعة المعتزلة عليه بالعجز والانتقاط.

فقال الشيخ - أيده الله - : فأقول أنا: إن عن هذا السؤال جوابين:

أحدهما: أن العقل لا يمنع من وقوع الايمان ممن ذكره السائل، لانه يكون إذ ذاك قادرا عليه ومتمكنا منه، ولكن السمع الوارد عن أئمة الهدى عليهم السلام بالقطع عليهم بالخلود فى النار، والتدين بلعنهم والبراءة منهم إلى آخر الزمان منع من الشك فى حالهم، وأوجب القطع على سوء اختيارهم، فجروا فى هذا الباب مجرى فرعون وهامان وقارون، ومجرى من قطع الله عزوجل على خلوده فى النار، ودل القطع على أنهم لا يختارون أبدا الايمان ممن قال الله تعالى: " ولو

ص: ٢٧١

أنا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله " يريد إلا أن يلجئهم الله، والذين قال الله فيهم: " إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون ".

ثم قال جل قائلا فى تفضيلهم وهو يوجه القول إلى ابليس: " لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين " وقوله تعالى: " وإن عليك لعنتى إلى يوم الدين " وقوله تعالى: " تبت يدا أبى لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى نارا ذات لهب " فقطع بالنار عليه وأمن من انتقاله إلى ما يوجب له الثواب. وإذا كان الامر على ما وصفناه بطل ما توهمتموه على هذا الجواب.

والجواب الآخر : أن الله سبحانه إذا رد الكافرين فى الرجعة لينتقم منهم لم يقبل لهم توبة، وجروا فى ذلك مجرى فرعون لما أدركه الغرق " قال آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين " قال الله سبحانه له:

" الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين " فرد الله عليه إيمانه ولم ينفعه فى تلك الحال ندمه وإقلاعه، وكأهل الآخرة الذين لا يقبل الله لهم توبة ولا ينفعهم ندم، لانه م كالمجنيين إذ ذاك إلى الفعل، ولان الحكمة تمنع من قبول التوبة أبدا ويوجب اختصاص بعض الاوقات بقبولها دون بعض.

وهذا هو الجواب الصحيح على مذهب أهل الامامة، وقد جاءت به آثار متظاهرة عن آل محمد صلى الله وآله، فروى عنهم في قوله تعالى: "يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا قل انتظروا إنا منتظرون" فقالوا: إن هذه الآية هو القائم عليه السلام، فإذا ظهر لم يقبل توبة المخالف. وهذا يسقط ما اعتمده السائل.

سؤال: فان قالوا: في هذا الجواب ما أنكرتم أن يكون الله تعالى على ما أصلمتموه قد أغرى عباده بالعصيان وأباحهم الهرج والمرج والطغيان، لانهم

ص: ٢٧٢

إذا كانوا يقدرّون على الكفر وأنواع الضلال وقد يئسوا من قبول التوبة لم يدعهم داع إلى الكف عما في طباعهم، ولا انزجروا من فعل قبيح يصلون به إلى النفع العاجل، ومن وصف الله تبارك وتعالى بإغراء خلقه بالمعاصي وابتاحتهم الذنوب فقد أعظم الفرية عليه!

جواب: قيل لهم: ليس الامر على ما ظننتموه، وذلك أن الدواعي لهم إلى المعاصي ترتفع إذ ذاك، ولا يحصل لهم داع إلى قبيح على وجه من الوجوه ولا سبب من الاسباب، لانهم يكونون قد علموا بما سلف لهم من العذاب وقت الرجعة على خلاف أئمتهم عليهم السلام، ويعلمون في الحال أنهم معذبون على ما سبق لهم من العصيان، وأنهم إن راموا فعل قبيح تزايد عليهم العقاب، ولا يكون لهم عند ذلك طبع يدعوهم إلى ما يتزايد عليهم به العذاب، بل يتوفر لهم دواعي الطباع والخواطر كلها إلى إظهار الطاعة والانتقال عن العصيان.

وإن لزمتنا هذا السؤال لزم أهل جميع أهل الاسلام مثله في أهل الآخرة وحالهم في إبطال توبتهم وكون ندمهم غير مقبول، فمهما أجاب الموحدون لمن ألزمهم ذلك فهو جوابنا بعينه.

سؤال آخر: وان سألوا على المذهب الاول والجواب المتقدم فقالوا: كيف يتوهم من القوم الاقامة على العناد والاصرار على الخلاف وقد عاينوا- فيما تزعمون- عقاب القبور وحل بهم عند الرجعة العذاب على ما تزعمون أنهم مقيمون عليه؟ وكيف يصح أن يدعوهم الدواعي إلى ذلك ويحظر لهم في فعله الخواطر؟ ما أنكرتم أن تكونوا في هذه الدواعي مكابرين.

جواب: قيل لهم: يصح ذلك على مذهب من أجاب بما حكيناه من أصحابنا بأن يقول: إن جميع ما عدتموه لا يمنع من دخول الشبهة عليهم في استحسان الخلاف، لان القوم يظنون أنهم إنما بعثوا بعد الموت تكربة لهم وليلوا الدنيا كما كانوا، ويظنون أن ما اعتقدوه في العذاب السالف لهم كان غلطا منهم،

ص: ٢٧٣

وإذا جل بهم العقاب ثانية توهموا قبل مفارقة أرواحهم أجسادهم أن ذلك ليس من طريق الاستحقاق وأنه من الله تعالى، لكنه كما يكون الدول وكما حل بالانبياء عليهم السلام.

ولاصحاب هذا الجواب أن يقولوا : ليس ما ذكرناه في هذا الباب بأعجب من كفر قوم موسى عليه السلام وعبادتهم العجل، وقد شاهدوا منه الآيات وعاینوا ما حل بفرعون وملئه على الخلاف ! ولاهو بأعجب من إقامة أهل الشرك على خلاف رسول الله صلى الله عليه وآله وهم يعلمون عجزهم عن مثل ما أتى به من القرآن، ويشهدون معجزاته وآياته عليه السلام ويجدون مخبرات أخبلوه على حقائقها من قوله تعالى : " سيهزم الجمع ويولون الدبر " وقوله عزوجل : " لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين " وقوله عزوجل : " ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون " وما حل بهم من العقاب بسيفه عليه السلام وهلاك كل من توعده بالهلاك. هذا، وفيهم أظهر الايمان به المنافقون ينضافون في خلافه إلى أهل الشرك والضلال.

على أن هذا السؤال لا يسوغ لاصحاب المعارف من المعتزلة لانهم يزعمون أن أكثر المخالفين على الانبياء كانوا من أهل العناد، وأن جمهور المظهرين الجهل بالله تعالى يعرفونه على الحقيقة ويعرفون أنبياءه وصدقهم، ولكنهم في الخلاف على اللجاجة والعناد، فلا يمتنع يكون الحكم في الرجعة وأهلها على هذا الوصف الذي حكيناه، وقد قال الله تعالى : " ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون ".

فاخبر سبحانه : أن أهل العقاب لو ردهم إلى الدنيا لعادوا إلى الكفر والعناد مع ما شاهدوا في القبور وفي المحشر من الاهوال وما ذاقوا من أليم

ص: ٢٧٤

العذاب ٢٥٥.

(١٩٣) المفيد يجيب في مسألة الرجعة

وفي المسائل السروية : أنه سئل الشيخ - قدس الله روحه - عما يروى عن مولانا جعفر بن محمد الصادق عليها السلام في الرجعة وما معنى قوله : " ليس منا من لم يقل بمتعتنا ويؤمن برجعتنا " أهى حشر في الدنيا مخصوص للمؤمن أو لغيره من الظلمة الجبارين قبل يوم القيامة؟

فكتب الشيخ - رحمه الله - بعد الجواب عن المتعة : وأما قوله عليه السلام :

" من لم يقل برجعتنا فليس منا " فانما أراد بذلك ما يختصه من القول به في أن الله تعالى يحشر قوما من امة محمد صلى الله عليه وآله بعد موتهم قبل يوم القيامة. وهذا مذهب يختص به آل محمد صلى الله وآله والقرآن شاهد به، قال الله عزوجل في ذكر الحشر الاكبر يوم القيامة : " وحشرناهم فلم تغادر منهم أحدا " وقال سبحانه في حشر الرجعة قبل يوم القيامة : " ويوم نحشر من كل امة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون " فأخبر أن الحشر حشران : عام، وخاص.

وقال سبحانه مخبرا عن يحشر من الظالمين: إنه يقول يوم الحشر الاكبر:

" ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل "

وللعامة في هذه الآية تأويل مردود، وهو أن قالوا : إن المعنى بقوله: " ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين " أنه خلقهم أمواتا ثم أماتهم بعد الحياة. وهذا باطل لا يستمر على لسان العرب، لأن الفعل لا يدخل إلا على من كان بغير

ص: ٢٧٥

الصفة التي انطوى اللفظ على معناها، ومن خلقه الله أمواتا لا يقال : أماته، وإنما يقال ذلك فيمن طرأ عليه الموت بعد الحياة، كذلك لا يقال: أحياء الله ميتا، إلا أن يكون قد كان قبل إحيائه ميتا. وهذا بين لمن تأمله.

وقد زعم بعضهم أن المراد بقوله: " ربنا أمتنا اثنتين " الموتة التي تكون بعد حياتهم في القبور للمسألة، فتكون الاولى قبل الاقبار والثانية بعده. وهذا أيضا باطل من وجه آخر، وهو أن الحياة للمسألة ليست للتكليف، فيندم الانسان على ما فاته في حاله . وندم القوم على ما فاتهم في حياتهم المرتين يدل على أنه لم يرد حياة المسألة، لكنه أراد حياة الرجعة التي تكون لتكليفهم الندم على تفريطهم، فلا يفعلون ذلك، فيندمون يوم العرض على ما فاتهم من ذلك^{٢٥٦}.

(١٩٤) هشام بن الحكم مع ضرار بن عمرو

قال السيد المرتضى - رضي الله عنه - في كتاب الفصول: أخبرني الشيخ - أيده الله - قال: دخل ضرار بن عمرو الضبي على يحيى بن خالد البرمكي، فقال له: يا أبا عمرو! هل لك في مناظرة رجل هو ركن الشيعة؟ فقال ضرار:

هلم من شئت.

فبعث إلى هشام بن الحكم فأحضره، فقال : يا أبا محمد! هذا ضرار، وهو من قد علمت في الكلام والخلاف لك، فكلمه في الامامة. فقال: نعم. ثم أقبل على ضرار، فقال: يا أبا عمرو! خبرني على ما تجب الولاية والبراءة، على الظاهر أم على الباطن؟ فقال ضرار: بل على الظاهر، فإن الباطن لا يدرك إلا بالوحي . فقال هشام: صدقت، فخبرني الآن أي الرجلين كان أذنب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله بالسيف، وأقتل لاعداء الله عز وجل بين يديه،

ص: ٢٧٦

وأكثر آثارا في الجهاد، على بن أبي طالب أو أبو بكر؟ فقال : على بن أبي طالب، ولكن أبا بكر كان أشد يقينا . فقال هشام: هذا هو الباطن الذي قد تركنا الكلام فيه، وقد اعترفت لعل عليه السلام بظاهر عمله من الولاية ما لم يجب لأبي بكر . فقال ضرار: هذا الظاهر نعم.

ثم قال هشام: أفليس إذا كان الباطن مع الظاهر فهو الفضل الذي لا يدفع؟ فقال ضرار: بلى. فقال هشام: أأست تعلم أن النبي صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام " إنه منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لاني بعدى " فقال ضرار: نعم. فقال له هشام: أيجوز أن يقول هذا القول إلا وهو عنده في الباطن مؤمن؟ قال: لا. فقال هشام: فقد صح لعلي عليه السلام ظاهره وباطنه، ولم يصح لصاحبك ظاهر ولا باطن! والحمد لله^{٢٥٧}.

(١٩٥) هشام مع يحيى بن خالد

قال: وأخبرني الشيخ - أدام الله تأييده - قال: سأل يحيى بن خالد البرمكي هشام بن الحكم - رحمه الله عليه - بحضرة الرشيد، فقال له: أخبرني يا هشام عن الحق هل يكون في جهتين مختلفتين؟ فقال هشام: لا. قال: فخبرني عن نفسين اختصما في حكم في الدين وتنازعا واختلفا، هل يخلو من أن يكونا محقين أو مبطلين أو يكون أحدهم مبطلا والآخر محقا؟ فقال هشام: لا يخلوان من ذلك، وليس يجوز أن يكونا محقين على ما قدمت من الجواب.

فقال له يحيى بن خالد: فخبرني عن علي والعباس لما اختصما إلى أبي بكر في الميراث أيهما كان المحق من المبطل إذ كنت لا تقول إنهما كانا محقين ولا مبطلين؟ فقال هشام: فنظرت إذا إنني إن قلت: إن عليا عليه السلام كان

ص: ٢٧٧

مبطلا كفرت وخرجت عن مذهبي، وإن قلت: إن العباس كان مبطلا ضرب عنقي! ووردت على مسألة لم أكن سئلت عنها قبل ذلك الوقت ولا أعددت لها جوابا، فذكرت قول أبي عبد الله عليه السلام وهو يقول لى: " يا هشام! لا تزال مؤيدا بروح القدس ما نصرتنا بلسانك " فعلمت أنني لا اخذل، وعن لى الجواب فى الحال فقلت له:

لم يكن من أحدهما خطأ وكانا جميعا محقين، ولهذا نظير قد نطق به القرآن فى قصة داود عليه السلام حيث يقول الله جل اسمه: " وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب " إلى قوله تعالى: " خصمان بغى بعضهما على بعض " فأى الملكين كان مخطئا؟ وأيها كان مصيبا؟ أم تقول: إنهما كانا مخطئين؟ فجوابك فى ذلك جوابى بعينه.

فقال يحيى: لست أقول: إن الملكين أخطأ، بل أقول: إنهما أصابا، وذلك أنهما لم يختصما فى الحقيقة ولا اختلفا فى الحكم، وإنما أظهرنا ذلك لينبها داود عليه السلام على الخطيئة ويعرفاه الحكم ويوقفاه عليه.

قال: فقلت له: كذلك على والعباس لم يختلفا فى الحكم ولم يختصما فى الحقيقة وإنما أظهرنا الاختلاف والخصومة لينبها أبا بكر على غلطه ويوقفاه على خطيئته ويدلاه على ظلمه لهما فى الميراث، ولم يكونا فى ريب من أمرهما، وإنما كان ذلك منهما على حد ما كان من الملكين. فلم يحر جوابا، واستحسن ذلك الرشيد^{٢٥٨}.

^{٢٥٧} (١) البحار: ج ١٠ ص ٢٩٢ عن الفصول المختارة: ج ١٠ - ١ / ٩

^{٢٥٨} (١) البحار: ج ١٠ ص ٢٩٣ وج ٨ ص ٨٥ ط الكمباني

وأخبرني الشيخ أيضا قال: أحب الرشيد أن يسمع كلام هشام بن الحكم

ص: ٢٧٨

مع الخوارج، فأمر باحضار هشام بن الحكم وإحضار عبد الله بن يزيد الا باضى. وجلس حيث يسمع كلامهما ولا يرى القوم شخصه، وكان بالحضرة يحيى بن خالد.

فقال يحيى لعبدالله بن يزيد: سل أبا محمد - يعنى هشاما - عن شئ. فقال هشام: لا مسألة للخوارج علينا. فقال عبد الله بن يزيد: وكيف ذلك؟ فقال هشام: لأنكم قوم قد اجتمعتم معنا على ولاية رجل وتعديله والافرار بامته وفضله، ثم فارقتمونا في عداوته والبراءة منه، فنحن على إجماعنا وشهادتكم لنا، وخلافكم علينا غير قادح في مذهبنا ودعواكم غير مقبولة علينا، إذ الاختلاف لا يقابل الاتفاق، وشهادة الخصم لخصمه مقبولة، وشهادته عليه مردودة.

قال يحيى بن خالد: لقد قريت قطعه يا أبا محمد! ولكن جاره شيئا، فان أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - يحب ذلك. قال: فقال هشام: أنا أفعل ذلك، غير أن الكلام ربما انتهى إلى حد يغمض ويدق على الافهام فيعاند أحد الخصمين أو يشتبه عليه، فان أحب الانصاف فليجعل بينى وبينه واسطة عدلا، إن خرجت عن الطريق ردنى إليه، وإن جار فى حكمه شهد عليه. فقال عبد الله بن يزيد: لقد دعا أبو محمد إلى الانصاف.

فقال هشام: فمن يكون هذه الواسطة؟ وما يكون مذهبه؟ أيكون من أصحابى أو من أصحابك أو مخالفا للملة لنا جميعا؟ قال عبد الله بن يزيد: اختر من شئت فقد رضيت به. قال هشام: أما أنا فأرى أنه إن كان من أصحابى لم يؤمن عليه العصبية لى، وإن كان من أصحابك لم آمنه فى الحكم على، وإن كان مخالفا لنا جميعا لم يكن مأمونا على ولا عليك، ولكن يكون رجلا من أصحابى ورجلا من أصحابك فينظران فيما بيننا ويحكمان علينا بموجب الحق ومحض الحكم بالحق. فقال عبد الله بن يزيد: فقد أنصفت يا أبا محمد! وكنت أنتظر هذا منك.

ص: ٢٧٩

فأقبل هشام على يحيى بن خالد : فقال له قد قطعتة أيها الوزير ودمرت على مذاهبه كلها بأهون سعى، ولم يبق معه شئ واستغنيت عن مناظرته ! قال: فحرك الستر الرشيد، وأصغى يحيى بن خالد، فقال : هذا متكلم الشيعة واقف الرجل موافقة لم يتضمن مناظرة ثم ادعى عليه أنه قد قطعه وأفسد مذهبه ! فمره أن يبين عن صحة ما ادعاه على الرجل . فقال يحيى بن خالد لهشام: إن أمير المؤمنين يأمر أن تكشف عن صحة ما ادعيت على هذا الرجل.

قال: فقال هشام رحمه الله : إن هؤلاء القوم لم يزالوا معناه على ولاية أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام حتى كان من أمر الحكمين ما كان فأكفروه بالتحكيم وضللوهم بذلك، وهم الذين اضطروه إليه، والآن فقد حكم هذا الشيخ وهو عماد أصحابه مختارا غير مضطر رجلين مختلفين فى مذهبهما:

أحدهما يكفره والآخر يعد له، فان كان مصيبا في ذلك فأمر المؤمنين أولى بالصواب، وإن كان مخطئا كافرا فقد أراحنا من نفسه بشهادته بالكفر عليها، والنظر في كفره وإيمانه أولى من النظر في إكفاره عليا عليه السلام.

قال: فاستحسن ذلك الرشيد، وأمر بصلته وجائزته^{٢٥٩}.

(١٩٧) هشام ورجل

وقال الشيخ - أدام الله عزه -: سئل هشام بن الحكم - رحمه الله عليه - عما يرويه العامة من قول أمير المؤمنين عليه السلام لما قبض عمرو قد دخل عليه وهو مسجى: "لوددت أن ألقى الله بصحيفة هذا المسجى"، وفي حديث آخر:

"إنى لأرجو أن ألقى الله تعالى بصحيفة هذا المسجى" فقال هشام: هذا حديث غير ثابت ولا معروف الاسناد، وإنما حصل من جهة القصاص

ص: ٢٨٠

وأصحاب الطرقات، ولو ثبت لكان المعنى فيه معروفا، وذلك: أن عمر واطأ أبا بكر والمغيرة وسالما مولى أبى حذيفة وأبا عبيدة على كتب صحيفة بينهم يتعاقدون فيها على أنه إذا مات رسول الله صلى الله عليه وآله لم يورثوا أحدا من أهل بيته ولم يولوهم مقامه بعده، وكانت الصحيفة لعمر، إذ كان عماد القوم فالصحيفة التي ود أمير المؤمنين عليه السلام ورجا أن يلقى الله عز وجل بها هي هذه الصحيفة ليخاصمه بها ويحتج عليه بمضمونها.

والدليل على ذلك ما روته العامة عن ابى بن كعب: أنه كان يقول في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله بعد أن أفضى الامر إلى أبى بكر لصوت يسمعه أهل المسجد: ألا هلك أهل العقدة! والله ما آسى عليهم! إنها آسى على من يضلون من الناس! فقليل له: يا صاحب رسول الله! من هؤلاء أهل العقدة؟

وما عقدتهم؟ فقال: قوم تعاقدوا بينهم إن مات رسول الله صلى الله عليه وآله لم يورثوا أحدا من أهل بيته ولم يولوهم مقامه، أما والله! لئن عشت إلى يوم الجمعة لأقومن فيهم مقاما أبين للناس أمرهم. قال: فما أتت عليه الجمعة^{٢٦٠}.

(١٩٨) هشام والمتكلمون

الاختصاص للمفيد - رحمه الله - : أحمد بن الحسن، عن عبد العظيم بن عبد الله، قال: قال هارون الرشيد لجعفر بن يحيى البرمكى: إنى احب أن أسمع كلام المتكلمين من حيث لا يعلمون بمكانى، فيحتجون عن بعض ما يريدون.

^{٢٥٩} (١) البحار: ج ١٠ ص ٢٩٤. وج ٨ ص ٥٧٠ ط الكمباني

^{٢٦٠} (١) البحار: ج ١٠ ص ٢٩٧ عن الفصول المختارة: ج ١ ص ٥٧

فأمر جعفر المتكلمين فاحضروا داره، وصار هارون فى مجلس يسمع كلامهم، وأرخى بينه وبين المتكلمين سترا . فاجتمع المتكلمون وغص المجلس

ص: ٢٨١

بأهله ينتظرون هشام بن الحكم، فدخل عليهم وعليه قميص إلى الركبة وسراويل إلى نصف الساق، فسلم على الجميع ولم يخص جعفرا بشئ! فقال له رجل من القوم : لم فضلت عليا على أبى بكر، والله يقول : " ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا"؟

قال هشام: فأخبرنى عن حزنه فى ذلك الوقت، أكان لله رضى أم غير رضى؟ فسكت . فقال هشام: إن زعمت أنه كان لله رضى، فلم نهاه رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : " لا تحزن"؟ أنهاه عن طاعة الله ورضاه؟ وإن زعمت أنه كان لله غير رضى، فلم تفتخر بشئ كان لله غير رضى؟ وقد علمت ما قال الله تبارك وتعالى حين قال: " فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين".

ولأنكم قُلتُم وقلنا وقالت العامة: " الجنة تشتاقي إلى أربعة نفر : على بن أبى طالب عليه السلام، والمقداد بن الاسود، وعمار بن ياسر، وأبى ذر الغفارى " فأرى صاحبنا قد دخل مع هؤلاء فى هذه الفضيلة، وتخلف عنها صاحبكم، ففضلنا صاحبنا على صاحبكم بهذه الفضيلة.

وقُلتُم وقلنا وقالت العامة: " إن الذابين عن الاسلام أربعة نفر : على بن أبى طالب عليه السلام والزيبر بن العوام، وأبو دجانة الانصارى، وسلمان الفارسى " فأرى صاحبنا قد دخل مع هؤلاء فى هذه الفضيلة وتخلف عنها صاحبكم، ففضلنا صاحبنا على صاحبكم بهذه الفضيلة.

وقُلتُم وقلنا وقالت العامة: " إن القراء أربعة نفر : على بن أبى طالب عليه السلام و عبد الله بن مسعود، وابى بن كعب، وزيد بن ثابت " فأرى صاحبنا قد دخل مع هؤلاء فى هذه الفضيلة، وتخلف عنها صاحبكم، ففضلنا صاحبنا على صاحبكم بهذه الفضيلة.

وقُلتُم وقلنا وقالت العامة: " إن المطهرين من السماء أربعة نفر: على بن أبى

ص: ٢٨٢

طالب، وفاطمة، والحسن، والحسين عليهم السلام " فأرى صاحبنا قد دخل مع هؤلاء فى هذه الفضيلة، وتخلف عنها صاحبكم، ففضلنا صاحبنا على صاحبكم بهذه الفضيلة.

وقُلتُم وقلنا وقالت العامة: " ان الابرار أربعة: على بن أبى طالب، وفاطمة، والحسن، والحسين عليهم السلام " فأرى صاحبنا قد دخل مع هؤلاء فى هذه الفضيلة، وتخلف عنها صاحبكم، ففضلنا صاحبنا على صاحبكم بهذه الفضيلة.

وقلتم وقتلنا وقالت العامة: "إن الشهداء أربعة نفر: على بن أبي طالب، وجعفر، وحمزة وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب " فأرى صاحبنا قد دخل مع هؤلاء في هذه الفضيلة، وتخلف عنها صاحبكم، ففضلنا صاحبنا على صاحبكم بهذه الفضيلة.

قال: فحرك هارون الستر، وأمر جعفر الناس بالخروج، فخرجوا مرعوبين وخرج هارون إلى المجلس فقال: من هذا ابن الفاعلة؟ فوالله لقد هممت بقتله وإحراقه بالنار! ٢٦١.

(١٩٩) هشام وعمر بن عبيد

عن يونس بن يعقوب، قال: كان عند أبي عبد الله الصادق عليه السلام جماعة من أصحابه، فيهم حمران بن أعين، ومؤمن الطاق، وهشام بن سالم، والطيار، وجماعة من أصحابه، فيهم هشام بن الحكم وهو شاب. فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا هشام! قال: لبيك يا ابن رسول الله! قال: ألا تحدثني كيف صنعت بعمر بن عبيد وكيف سألته؟ قال هشام: جعلت فداك يا ابن

ص: ٢٨٣

رسول الله! إني اجلك وأستحيك ولا يعمل لسانى بين يديك. فقال أبو عبد الله عليه السلام: إذا أمرتكم بشئ فافعلوا.

قال هشام: بلغنى ما كان فيه عمرو بن عبيد وجلسه في مسجد البصرة، وعظم ذلك على، فخرجت إليه ودخلت البصرة في يوم الجمعة، فأتييت مسجد البصرة، فإذا أنا بحلقة كبيرة، وإذا أنا بعمر بن عبيد عليه شملة سوداء متزر بها من صوف وشملة مرتد بها، فاسفرت الناس فأفروا، ثم قعدت في آخر القوم على ركبتى.

ثم قلت: أيها العالم! أنا رجل غريب تأذن لى فأسألك عن مسألة؟ قال:

فقال: نعم.

قال: قلت له: ألك عين؟ قال: يا بنى! أى شى هذا من السؤال؟ ! فقلت: هكذا مسألتنى. فقال: يا بنى! سل وإن كانت مسألتك حمقاء! قلت:

أجبنى فيها. قال: فقال لى: سل. قلت: ألك عين؟ قال: نعم، قلت: فما ترى به؟ قال: الالوان والاشخاص. قال: قلت: فلك أنف؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: اتشمم بها الرائحة. قال: قلت: ألك فم؟ قال: نعم، قلت:

قلت: وما تصنع به؟ قال: أتكلم به. قال: قلت: ألك اذن؟ قال: نعم، قلت:

وما تصنع بها؟ قال: أسمع بها الاصوات. قال: قلت: ألك يد؟ قال: نعم، قلت: وما تصنع بها؟ قال: أبطش بها. قال: قلت: ألك قلب؟ قال: نعم، قلت: وما تصنع به؟ قال: اميز كل ما ورد على هذه الجوارح.

قال: قلت: أفليس في هذه الجوارح غنى عن القلب؟ قال: لا، قلت:

وكيف ذلك وهي صريحة سليمة؟ قال: يا بني! إن الجوارح إذا شكت في شيء شتمته أو رأته أو ذاقته أو سمعته أو لمستته ردت به إلى القلب فييقن اليقين ويبطل الشك. قال: فقلت: إنما أقام الله القلب لشك الجوارح! قال: نعم.

قال: قلت: فلا بد من القلب وإلا لم تستقم الجوارح، يقال: نعم. قال: قلت:

ص: ٢٨٤

يا أبا مروان! إن الله - تعالى ذكره - لم يترك جوارحك حتى جعل لها إماما يصحح لها الصحيح وييقن ما شك فيه، وترك هذا الخلق كلهم في حيرتهم وشكهم واختلافهم لا يقيم لهم يردون إليه شكهم وحيرتهم ويقيم لك اماما لجوارحك ترد إليه حيرتك وشكك؟ قال: فسكت ولم يقل شيئا. قال: ثم التفت إلي، فقال: أنت هشام؟ فقلت: لا، فقال لي: أجالسته؟ فقلت: لا.

قال: فمن أين أنت؟ قلت: من أهل الكوفة، قال: فأنت إذا هو. قال: ثم ضمنى إليه وأقعدني في مجلسه وما نطق حتى قمت.

فضحك أبو عبد الله عليه السلام ثم قال: يا هشام! من علمك هذا؟ قال:

قلت: يا ابن رسول الله! جرى على لساني. قال: يا هشام! هذا والله مكتوب في صحف إبراهيم وموسى^{٢٦٢}.

(٢٠٠) هشام بن الحكم والديصاني

عن عدة من أصحابنا: أن عبد الله الديصاني أتى هشام بن الحكم. فقال له: ألك رب؟ فقال: بلى. قال: قادر؟ قال: بلى قادر قاهر. قال: يقدر أن يدخل الدنيا كلها في بيضة لا تكبر البيضة ولا تصغر الدنيا؟ فقال: هشام:

النظرة. فقال له: قد أنظرتك حولا، ثم خرج عنه.

فركب هشام إلى أبي عبد الله عليه السلام فاستأذن عليه، فأذن له.

فقال: يا ابن رسول الله! أتاني عبد الله الديصاني بمسألة ليس المعول فيها إلا على الله وعليك. فقال: أبو عبد الله عليه السلام: عما ذا سألك؟ فقال: قال لي: كيت وكيت.

ص: ٢٨٥

فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا هشام! كم حواسك؟ قال: خمس.

^{٢٦٢} (١) البحار: ج ٦١ ص ٢٤٩ - ٢٤٨ عن الكافي: ج ١ ص ١٧٠ - ١٦٩، والبحار: ج ٢٣ ص ٦ عن الاكمال والعلل والامالي

فقال: أيها أصغر؟ فقال: الناظر، قال: وكم قدر الناظر؟ قال: مثل العدسة أو أقل منها . فقال: يا هشام! فانظر أمامك وفوقك وأخبرني بما ترى. فقال:

أرى سماء وأرضا ودورا وقصورا وترابا وجبالا وأنهارا.

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: إن الذي قدر أن يدخل الذي تراه في العدسة أو أقل منها قادر أن يدخل الدنيا كلها البيضاء ولا تصغر الدنيا ولا تكبر البيضاء. فانكب هشام عليه وقبل يديه ورأسه ورجليه، وقال: حسبي يا ابن رسول الله! فانصرف إلى منزله وغدا عليه الديصاني، فقال له: يا هشام! إني جئتكم مسلما ولم أجئكم متقاضيا للجواب. فقال له هشام: إن كنت جئت متقاضيا فهناك الجواب^{٢٦٣}.

(٢٠١) علي بن ميثم مع العلاف

قال السيد المرتضى - رحمه الله - في كتاب الفصول: سأل علي بن ميثم - رحمه الله - أبا الهذيل العلاف، فقال: أأنت تعلم أن إبليس ينهى عن الخير كله ويأمر بالشر كله؟ فقال: بلى. قال فيجوز أن يأمر بالشر كله وهو لا يعرفه وينهى عن الخير كله وهو لا يعرفه؟ قال: لا. قال له أبو الحسن: فقد ثبت أن إبليس يعلم الشر والخير كله. قال: أبو الهذيل: أجل.

قال: فأخبرني عن إمامك الذي تأتم به بعد الرسول صلى الله عليه وآله هل يعلم الخير كله والشر كله؟ قال: لا. قال: فإبليس أعلم من إمامك إذا! فانقطع أبو الهذيل^{٢٦٤}.

ص: ٢٨٦

(٢٠٢) علي بن ميثم مع العلاف

قال أبو الحسن علي بن ميثم يوما آخر لابي الهذيل: أخبرني عن أقر على نفسه بالكذب وشهادة الزور هل يجوز شهادته في ذلك المقام على آخر؟

فقال أبو الهذيل: لا يجوز ذلك، قال أبو الحسن: أفأنت تعلم أن الانصار ادعت الامرء لنفسها ثم أكذبت نفسها في ذلك المقام؟ وشهدت بالزور ثم أقرت بها لابي بكر وشهدت بها له؟ فكيف تجوز شهادة أكذبوا أنفسهم وشهدوا عليها بالزور مع ما أخذنا رهنك من القول في ذلك؟^{٢٦٥}.

(٢٠٣) علي بن ميثم مع ضرار

^{٢٦٣} (١) البحار: ج ٦١ ص ٢٥٣ - ٢٥٢ عن التوحيد

^{٢٦٤} (٢) البحار: ج ١٠ ص ٧٠ عن الفصول المختارة: ج ١ ص ٦

^{٢٦٥} (١) البحار: ج ١٠ ص ٣٧١ عن الفصول المختارة: ج ١ ص ٦

أخبرني الشيخ أيضا، قال: جاء ضرار إلى أبي الحسن على بن ميثم - رحمه الله - فقال له: يا با الحسن! قد جئتكم مناظرا. فقال له أبو الحسن:

وفيم تناظرني؟ قال: في الامامة. قال: ما جئني والله مناظرا! ولكنك جئت متحكما. قال ضرار: ومن أين لك ذلك؟ قال أبو الحسن: على البيان عنه، أنت تعلم أن المناظرة ربما انتهت إلى حد يغمض فيه الكلام، فيتوجه الحجة على الخصم فيجهل ذلك أو يعاند، وإن لم يشعر بذلك منه أكثر مستمعيه بل كلهم، ولكنني أدعوك إلى منصفة في القول: اختر أحد الأمرين: إما أن تقبل قولي في صاحبي وأقبل قولك في صاحبك، فهذه واحدة. فقال ضرار:

لا أفعل ذلك. فقال له أبو الحسن: ولم لا تفعل؟ قال: لاني إذا قبلت قولك في صاحبك قلت لي: إنه كان وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وأفضل

ص: ٢٨٧

من خلفه وخليفته على قومه وسيد المسلمين، فلا ينفعني بعد ذلك مثل أن أقول: إن صاحبي كان صديقا واختاره المسلمون إماما، لان الذي قبلته منك يفسد على هذا.

قال أبو الحسن: فاقبل قولي في صاحبك وأقبل قولك في صاحبي. قال ضرار: وهذا لا يمكن أيضا، لاني إذا قبلت قولك في صاحبي قلت لي: كان ضالا مضلا ظالما لال محمد صلى الله عليه وآله قعد غير مجلسه ودفع الامام عن حقه وكان في عصر النبي صلى الله عليه وآله منافقا، فلا ينفعني قبولك قولي فيه: إنه كان خيرا فاضلا وصاحبا آمينا، لانه قد انتقض بقولي قولك قولي فيه: إنه كان خيرا فاضلا وصاحبا آمينا، لانه قد انتقض بقولي قولك فيه: إنه كان ضالا مضلا.

فقال له أبو الحسن - رحمه الله - : فإذا كنت لا تقبل قولك في صاحبك ولا قولي فيه فما جئني إلا متحكما ولم تأتني مناظرا^{٢٦٦}.

(٢٠٤) على بن ميثم مع نصراني

قال: وأخبرني الشيخ - أيده الله - قال: قال أبو الحسن على بن ميثم - رحمه الله - لرجل نصراني: لم علقت الصليب في عنقك؟ قال: لانه شبه الشيء الذي صلب عليه عيسى عليه السلام، قال أبو الحسن: أفكان عليه السلام يحب أن يمثل به؟ قال: لا. قال: فأخبرني عن عيسى أكان يركب الحمار ويمضي في حوائجه؟ قال: نعم، قال: أفكان يحب بقاء الحمار حتى يبلغ عليه حاجته؟ قال: نعم، قال: فتركت ما كان يحب عيسى بقاءه وما كان يركبه بمحبة منه، وعمدت إلى ما حمل عليه عيسى عليه السلام بالكره وأركبه بالبغض له، فعلقته في عنقك! فقد كان ينبغي على هذا القياس أن

ص: ٢٨٨

تعلق الحمار فى عنقك وتطرح الصليب، وإلا فقد تجاهلت^{٢٦٧}.

(٢٠٥) على بن ميثم مع سائل

قال: وأخبرنى الشيخ - أدام الله عزه - قال: سئل أبو الحسن على بن ميثم - رحمه الله - فقيل له: لم صلى أمير المؤمنين عليه السلام خلف القوم؟ فقال:

جعلهم بمثل سوارى المسجد. قال السائل: فلم ضرب الوليد بن عقبة الحد بين يدي عثمان؟ فقال: لأن الحد له وإليه، فإذا أمكنه إقامته أقامه بكل حيلة. قال: فلم أشار على أبي بكر وعمر؟ قال: طلبا منه أن يحيى أحكام الله ويكون دينه القيم، كما أشار يوسف على ملك مصر نظرا منه للخلق، ولأن الأرض والحكم فيها إليه، فإذا أمكنه أن يظهر مصالح الخلق فعل، وإذا لم يمكنه ذلك بنفسه توصل إليه على يدي من يمكنه طلبا منه لا حياء أمر الله تعالى.

قال: فلم قعد عن قتالهم؟ قال: كما قعد هارون بن عمران عليه السلام عن السامري وأصحابه وقد عبدوا العجل. قال: فأكان ضعيفا؟ قال: كان كهارون حيث يقول: "يا ابن ام إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني" وكان كنوح عليه السلام إذا قال: "إني مغلوب فانتصر" وكان كلوط عليه اسلام إذ قال: "لو أن لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد" وكان كهارون وموسى عليهما السلام إذ قال: "رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي" قال: فلم قعد فى الشورى؟ قال اقتدارا منه على الحج ء، وعلمنا منه بأن القوم إن ناظروه وأنصفوه كان هو الغالب، ولو لم يفعل وجبت الحجة عليه، لأن من كان له حق فدعى إلى أن يناظر فيه فان ثبت له الحجة أعطيه، فلم

ص: ٢٨٩

يفعل بطل حقه، وادخل بذلك الشبهة على الخلق، وقد قال يومئذ: اليوم ادخلت فى باب إن انصفت فيه وصلت إلى حقى، يعنى أن أبا بكر استبد بها يوم السقيفة ولم يشاور.

قال: فلم زوج عمر بن الخطاب ابنته؟ قال: لاظهاره الشهادتين وإقراره بفضل رسول الله صلى الله عليه وآله، وأراد بذل استصلاحه وكفه عنه، وقد عرض لوط بناته على قومه وهم كفار لردهم عن ضلالهم، فقال: "هؤلاء بناتى هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزوني فى ضيفى أليس منكم رجل رشيد"^{٢٦٨}.

(٢٠٦) على بن ميثم مع ملحد

قال: وأخبرنى الشيخ - أدام الله عزه - أيضا، قال: دخل أبو الحسن على ابن ميثم - رحمه الله - على الحسن بن سهل وإلى جانبه ملحد قد عظمه والناس حوله. فقال: لقد رأيت بيابك عجبا! قال: وما هو؟ قال: رأيت سفينة تعبر بالناس من جانب إلى جانب

^{٢٦٧} (١) البحار: ج ١٠ ص ٣٧٢ عن الفصول المختارة: ج ١ ص ٣٢

^{٢٦٨} (١) البحار: ج ١٠ ص ٣٧٣، ونبذا منه ج ٨ ط الكمباني ص ١٤٥ - ١٤٤

بلا ملاح ولا حاصر . فقال له صاحبه الملحد وكان بحضرته : إن هذا أصلحك الله لمجنون ! قال: قلت: وكيف ذلك؟ قال خشب جماد لا حيلة له ولا قوة ولا حياة فيه ولا عقل كيف تعبر بالناس؟ قال :

فقال أبو الحسن: وأيما أعجب، هذا أو هذا الماء الذى يجرى على وجه الارض يمنة ويسرة بلا روح ولا حيلة ولا قوى، وهذا النبات الذى يخرج من الارض، والمطر الذى ينزل من السماء؟ تزعم أنه لا مدبر لهذا كله، وتتكبر أن تكون سفينة تتحرك بلا مدبر وتعبر بالناس! قال: فبهت الملحد^{٢٦٩}.

ص: ٢٩٠

(٢٠٧) على بن ميثم مع العلاف

قال: وأخبرني الشيخ - أدام الله عزه - قال: سأل أبو الهذيل العلاف على ابن ميثم - رحمه الله - عند على بن رباح، فقال له : ما الدليل على أن عليا عليه السلام كان أولى بالامامة من أبي بكر؟ فقال له : الدليل عل ذلك إجماع أهل القبلة على أن عليا عليه السلام كان عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله مؤمنا عالما كافيا، ولم يجمعوا بذلك على أبي بكر.

فقال له أبو الهذيل: ومن لم يجمع عليه عافاك الله؟! قال له أبو الحسن: أنا وأسلافي من قبل وأصحابي الان.. قال له أبو الهذيل: فأنت وأصحابك ضلال تائهون. فقال له أبو الحسن: ليس جواب هذا الكلام إلا السباب واللطم^{٢٧٠}.

(٢٠٨) مجنون مع العلاف

حكى عن أبي الهذيل العلاف أنه قال : دخلت الرقة، فذكر لى أن بدير زكى [رجلا] مجنونا حسن الكلام، فأتيته فإذا أنا بشيخ حسن الهيئة جالسا على وسادة يسرح رأسه ولحيته، فسلمت عليه، فرد السلام.

وقال: ممن يكون الرجل؟ قال: قلت: من أهل العراق قال: نعم! أهل الظرف والاداب. قال: من أيها لانت؟ قلت: من أهل البصرة، قال:

أهل التجارب والعلم! قال [فمن] أيهم أنت؟ قلت : أبو الهذيل العلاف، قال : المتكلم؟ قلت: بلى، فوثب عن وسادته وأجلسني عليها.

ص: ٢٩١

ثم قال بعد كلام جرى بيننا : ما تقول في الامامة؟ قلت: أى الامامة تريد؟ قال: من تقدمون بعد النبي صلى الله عليه وآله؟ قلت : من قدم رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: ومن هو؟ قلت: أبو بكر. قال لى:

^{٢٦٩} (٢) البحار: ج ١٠ ص ٣٧٤. وروضات الجنات: ج ٦ ص ١٦٧

^{٢٧٠} (١) البحار: ج ١٠ ص ٣٧٤ عن الفصول المختارة: ج ١ ص ٥٥

يا أبا الهذيل! ولم قدمتموه؟ قلت: لان النبي صلى الله عليه وآله قال:

"قدموا خيركم وولوا أفضلكم" وتراضى الناس به جميعا.

قال: يا أبا الهذيل! هاهنا وقعت. أما قولك: إن النبي صلى الله عليه وآله قال: "قدموا خيركم وولوا أفضلكم" فاني اوجدك أن أبا بكر صعد المنبر وقال وليتكم ولست بخيركم! فان كانوا كذبوا عليه فقد خالفوا أمر النبي صلى الله عليه وآله، وإن كان هو الكاذب على نفسه فممنبر النبي صلى الله عليه وآله لا يصعده الكاذبون. وأما قولك: "إن الناس تراضوا به" فان أكثر الانصار قالوا: منا أمير ومنكم أمير. وأما المهاجرون: فان زبير بن العوام قال: لا ابايع إلا عليا فامر به فكسر سيفه، وجاء أبو سفيان بن حرب، فقال: يا أبا الحسن! إن شئت لاملانها خيلا ورجلا + يعنى المدينة - ورخرج سلمان فقال: "كردند ونكردند ونداند كه چه كردند" والمقداد وأبو ذر فهؤلاء المهاجرون أخبرني يا أبا الهذيل! عن قيام أبي بكر على المنبر وقوله: "إن لى شيطاننا يعترينى فإذا رأيتمونى مغضبا فاحذرونى لا أقع فى أشعارك وأبشاركم" فهو يخبركم على المنبر أنى مجنون! وكيف يحل لكم أن تولوا مجنونا؟.

وأخبرني يا أبا الهذيل! عن قيام عمر على المنبر وقوله: "وددت أنى شعرة فى صدر أبى بكر" ثم قال بعدها بجمعة، فقال: "إن بيعة أبى بكر كانت فلتنة وقى الله شرها، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه" فبينا هو يود أن يكون شعرة فى صدر أبى بكر يأمر بقتل من بايع مثله! فاخبرني يا أبا الهذيل "بالذى زعم أن النبي صلى الله عليه وآله لم

ص: ٢٩٢

يستخلف وأن أبا بكر استخلف عمر، وأن عمر لم يستخلف، فأرى أمركم بينكم متناقضا.

وأخبرني يا أبا الهذيل! عن عمر حين صيرها شورى فى ستة وزعم أنهم من أهل الجنة، فقال: : إن خالف اثنان لاربعة فاقتلوا الاثنين، وإن خالف ثلاثة لثلاثة فاقتلوا الثلاثة الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، فهذه ديانة أن يأمر بقتل أهل الجنة؟! وأخبرني يا أبا الهذيل "عن عمر لما طعن دخل عليه عبد الله بن العباس قال: فرأيتَه جزعا، فقلت: يا امير المؤمنين! ما هذا الجزع؟ فقال: يا ابن عباس! ما جزعى لاجلى ولكن جزعى لهذا الامر من يليه بعدى؟! قال: قلت: ولها طلحة بن عبيد الله، قال: رجل له حدة، كان النبي صلى الله عليه وآله يعرفه، فلا اولى امور المسلمين حديدا.

قال: قلت: ولها الزبير بن العوام، قال: رجل بخيل، رأيتَه يماكس امرأته فى كبة من غزل، فلا اولى امور المسلمين بخيلا.

قال: قلت: ولها سعد بن أبى وقاص، قال: رجل صاحب فرس وقوس وليس من أحلاس الخلافة.

قلت: ولها عبد الرحمن بن عوف، قال: رجل ليس يحسن أن يكفى عياله.

قال: قلت: ولها عبد الله بن عمر، فاستوى جالسا وقال: يا ابن عباس! ما والله أردت بهذا اولى رجلا لم يحسن أن يطلق امرأته.

قلت: ولها عثمان بن عفان، فقال: والله لئن وليته ليحملن آل أبي معيط على رقاب المسلمين وأوشك إن فعلنا أن يقتلوه، قالها ثلاثا.

قال: ثم سكت لما عرفت معاندته لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فقال لي، يا ابن عباس اذكر صاحبك، قال: قلت: ولها عليا، قال: والله

ص: ٢٩٣

ما جزعى إلا لما أخذت الحق من أربابه! والله لئن وليته ليحملنهم على المحجة العظمى وإن يطيعوه يدخلهم الجنة.

فهو يقول هذا، ثم صيرها شورى بين ستة، فويل له من ربه! قال أبو الهذيل: بينا هو يكلمني إذ اختلط وذهب عقله! فأخبرت المأمون بقصته. وكان من قصته أن ذهب بماله وضياعه حيلة وغدرا فبعث إليه المأمون فجاء به وعالجه، وكان قد ذهب عقله بما صنع به، فرد عليه ماله وضياعه وصيره نديما. فكان المأمون يتشيع من أجله^{٢٧١}.

أقول: لا بأس هنا بنقل احتجاج المأمون مع العلماء، وإن كان خارجا عن شرط الكتاب.

(٢٠٩) المأمون العباسي مع أهل الحديث والكلام

روى عن إسحاق بن حماد بن زيد، قال: سمعنا يحيى بن أكثم القاضي قال: أمرني المأمون بإحضار جماعة من أهل الحديث وجماعة من أهل الكلام والنثر، فجمعت له من الصنفين زهاء أربعين رجلا، ثم مضيت بهم فأمرتهم بالكينونة في مجلس الحاجب لا علمه بمكانهم، ففعلوا، فأعلمته، فأمرني بإدخالهم، ففعلت، فدخلوا وسلموا، فحدثهم ساعة وأنسهم.

ثم قال: إنني أريد أن أجعلكم بيني وبين الله تبارك وتعالى في يومي هذا حجة، فمن كان حاقنا أو به حاجة فليقم إلى قضاء حاجته، وانبسوا وسلموا أخفافكم وضعوا أرديتكم، ففعلوا ما أمروا به.

فقال: يا أيها القوم! إنما استحضرتكم لاحتج بكم عند الله عز وجل، فاتقوا الله وانظروا لأنفسكم وإمامكم! ولا تمنعكم جلالي ومكاني من قول

ص: ٢٩٤

الحق حيث كان ورد الباطل على من أتى به، وأشفقوا على أنفسكم من النار، وتقربوا إلى الله برضوانه وإينار طاعته، فما أحد تقرب إلى مخلوق بمعصية الخالق إلا سلطه الله عليه، فناظروني بجميع عقولكم.

^{٢٧١} (١) الاحتجاج: ج ٢ ص ٣٨٢ والبحار: ج ٤٩ ص ٢٨١ - ٢٧٩ عنه وج ٨ ص ٣٢٩ ط الكمباني وفي الهامش: نقلها أيضا تذكرة الخواص ت عقلاء المجانين

إني رجل أزعم أن عليا خير البشر بعد النبي صلى الله عليه وآله، فإن كنت مصيبا فصوبوا قولي، وإن كنت مخطئا فردوا علي، وهلموا، فإن شئتم سألتكم وإن شئتم سألتموني.

فقال له الذين يقولون بالحديث : بل نسألك. فقال: هاتوا، وقلدوا كلامكم رجلا منكم، فإذا تكلم فإن كان عند أحدكم زيادة فليزد، وإن أتى بخلل فسدوده.

فقال قائل منهم: أما نحن فنزعم أن خير الناس بعد النبي صلى الله عليه وآله أبو بكر، ومن قبل أن الرواية المجمع عليها جاءت عن الرسول صلى الله عليه وآله قال: "اقتدوا بالذين من بعدى أبي بكر وعمر" فلما أمر نبي الرحمة بالاعتداء بهما، علمنا أنه لم يأمر بالاعتداء إلا بخير الناس.

فقال المأمون: الروايات كثيرة، ولا بد من أن يكون كلها حقا، أو كلها باطلا، أو بعضها حقا وبعضها باطلا . فلو كانت كلها حقا كانت كلها باطلا من قبل أن بعضها ينقض بعضا ولو كانت كلها باطلا كان في بطلانها بطلان الدين ودروس الشريعة . فلما بطل الوجهان ثبت الثالث بالاضطرار، وهو أن بعضها حق وبعضها باطل، فإذا كان كذلك، فلا بد من دليل على ما يحق منها ليعتقد وينفى خلافه، فإذا كان دليل الخبر في نفسه حقا كان أولى ما أعتقده وأخذ به.

وروايتك هذه من الاخبار التي أدلتها باطله في نفسها، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله أحكم الحكماء وأولى الخلق بالصدق وأبعد الناس من الامر بالمحال وحمل الناس على التدين بالخلاف، وذلك أن هذين

ص: ٢٩٥

الرجلين لا يخلوا من أن يكونا متفقين من كل جهة أو مختلفين، فإن كانا متفقين من كل جهة كانا واحدا في العدد والصفة والصورة والجسم، وهذا معدوم أن يكون اثنان بمعنى واحد من كل جهة . وإن كانا مختلفين، فكيف يجوز الاعتداء بهما؟ وهذا تكليف ما لا يطاق، لانك إن اقتديت بواحد خالفت الآخر.

والدليل على اختلافهما: أن أبا بكر سبى أهل الردة، وردهم عمر أحرارا . وأشار عمر على أبي بكر بعزل خالد وبقتله بمالك بن نويرة، أفبى أبو بكر عليه. وحرم عمر المتعة، ولم يفعل ذلك أبو بكر. ووضع عمر ديوان العطية، ولم يفعله أبو بكر. واستخلف أبو بكر، ولم يفعل ذلك عمر. ولهذا نظائر كثيرة^{٢٧٢}.

فقال آخر من أصحاب الحديث : فإن النبي صلى الله عليه وآله قال : لو كنت متخذًا خليلا لا تتخذت أبا بكر خليلا أ فقال المأمون: هذا مستحيل، من قبل أن روايا تكلم أنه صلى الله عليه وآله أخى بين أصحابه وآخر عليا، فقال عليه السلام له في ذلك؟ فقال:

^{٢٧٢} (١) هنا كلام للصدق رحمه الله قال في هذا الفصل لم يذكره المأمون لخصمه، وهو أنهم لم يرووا أن النبي صلى الله عليه وآله قال: "اقتدوا بالذين من بعدى أبي بكر وعمر" وإنما روي "أبو بكر وعمر" ومنهم من روى "بأبكر وعمر" فلو كانت الرواية صحيحة لكان معنى قوله بالنصب "اقتدوا بالذين من بعدى كتاب الله والعترة يا بأبكر وعمر" ومعنى قوله بالرفع "اقتدوا أيها الناس وأبو بكر، وعمر بالذين من بعدى كتاب الله والعترة"

" ما أخرجت زلا لنفسي " فأى الروايتين ثبتت بطلت الاخرى.

قال آخر: إن عليا قال على المنبر: خير هذه الامه بعد نبيا أبو بكر وعمر.

قال المأمون: هذا مستحيل، من قبل أن النبي صلى الله عليه وآله لو علم أنهما أفضل ما ولى عليهما مرة عمرو بن العاص ومرز اسامه بن زيد،

ص: ٢٩٦

ومما يكذب هذه الرواية قول علي عليه السلام : قبض النبي وأنا أولى بمجلسه منى بقميصي ولكنى أشفت أن يرجع الناس كفارا. وقوله عليه السلام: أنى يكونان خيرا منى؟ وقد عبدت الله عزوجل قبلهما وعبدته بعدهما.

قال آخر: فان أبا بكر أغلق بابه وقال: هل من مستقيل فاقيله؟ فقال علي عليه السلام: قدمك رسول الله فمن ذا يؤخرك؟

فقال المأمون: هذا باطل، من قبل أن عليا عليه السلام قعد عن بيعه بى بكر، ورويت أنه قعد عنها حتى قبضت فاطمة عليها السلام، أونها أوثت أن تدفن ليلا لئلا يشهدا جنازتها.

ووجه آخر: وهو أنه إن كان النبي صلى الله عليه وآله استخلفه فكيف كان له أن يستقيل؟ وهو يقول للانصارى : قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين: أبا عبيدة وعمر! قال آخر: إن عمرو بن العاص قال: يا نبى الله " من أحب الناس إليك من النساء؟ فقال: عائشة. فقال: من الرجال؟ فقال: أبوها.

فقال المأمون: هذا باطل، من قبل أنكم رويت أن النبي صلى الله عليه وآله وضع بين يديه طائر مشوى، فقال : " اللهم إئتني بأحب خلقك إليك " فكان على عليه السلام، فأى روايتكم تقبل؟

فقال آخر: فان عليا عليه السلام قال: من فضلنى على أبى بكر وعمر جلدته حد المفترى.

قال المأمون: كيف يجوز أن يقول على عليه اسلام اجلد الحد من لا يجب الحد عليه؟ فيكون متعديا لحدود الله عزوجل عاملا بخلاف أمره! وليس تفضيل من فضله عليهما فريه، وقد رويت عن إمامكم أنه قال : " وليتكم ولست بخيركم " فأى الرجلين أصدق عندكم، أبو بكر على نفسه أو على

ص: ٢٩٧

على أبى بكر؟ مع تناقض الحديث فى نفسه، ولا بد له فى قوله من أن يكون صادقا أو كاذبا، فان كان صادقا فأنى عرف ذلك؟ أبوحى؟ فالوحى منقطع، أو بالنظر؟ فالنظر متحير، وإن كان غير صادق فمن المحال أن يلى أمر المسلمين ويقوم بأحكامهم ويقيم حدودهم [وهو] كذاب.

قال آخر: فقد جاء أن النبي صلى الله عليه وآله قال: أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة.

قال المأمون: هذا الحديث محال، لانه لا يكون في الجنة كهول، ويروى أن أشجعية كانت عند النبي صلى الله عليه وآله فقال: "لا يدخل الجنة عجوز" فبكت! فقال النبي صلى الله عليه وآله: إن الله عزوجل يقول:

"إنما أنشأناهن إنشاء فجعلنا هن أبكارا عربا أترابا" فان زعمتم أن أبا بكر ينشأ شابا إذا دخل الجنة، فقد رويتم أن النبي صلى الله عليه وآله قال للحسن والحسين: "إنهما سيدا شباب أهل الجنة من الاولين والآخرين، وأبوهما خير منهما".

قال آخر: فقد جاء أن النبي صلى الله عليه وآله قال: لو لم ابعث فيكم، لبعث عمر.

قال المأمون: هذا محال، لان الله عزوجل يقول: "إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده" وقال عزوجل: "وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم" فهل يجوز أن يكون من لم يؤخذ ميثاقه على النبوة مبعوثا؟ ومن اخذ ميثاقه على النبوة مؤخرا؟! قال آخر: إن النبي صلى الله عليه وآله نظر إلى عمر يوم عرفته فتبسم وقال: إن الله تعالى باهى بعباده عامة وبعمر خاصة.

قال المأمون: فهذا مستحيل، من قبل أن الله تعالى لم يكن ليباهى بعمر

ص: ٢٩٨

ويدع نبيه، فيكون عمر في الخاصة والنبي في العامة ! وليست هذه الرواية بأعجب من روايتكم : أن النبي صلى الله عليه وآله قال: "دخلت الجنة فسمعت خفق نعلين، فإذا بلال مولى أبي بكر قد سبقني إلى الجنة" وإنما قالت الشيعة: "على خير من أبي بكر" فقلتم: "عبد أبي بكر خير من رسول الله صلى الله عليه وآله" لان السابق أفضل من المسبوق. وكما رويتم:

أن الشيطان يفر من حس عمر، وألقى على لسان النبي صلى الله عليه وآله:

أنهن الغرائيق العلى، ففر من عمر وألقى على لسان النبي صلى الله عليه وآله: "قد قال النبي صلى الله عليه وآله: لو نزل العذاب ما نجا إلا عمر بن الخطاب.

قال المأمون: هذا خلاف الكتاب نصا، لان الله عزوجل يقول: "وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم" فجعلتم عمر مثل الرسول.

قال آخر: فقد شهد النبي صلى الله عليه وآله لعمر بالجنة فى عشرة من الصحابة.

فقال: لو كان هذا كما زعمت كان عمر لا يقول لحذيفة: نشدتك بالله أمن المنافقين أنا؟ فان كان قد قال له النبي صلى الله عليه وآله: أنت من أهل الجنة ولم يصدقه حتى زكاه حذيفة وصدق حذيفة ولم يصدق النبي صلى الله عليه وآله فهذا على غير الاسلام، وإن كان قد صدق النبي صلى الله عليه وآله فلم سأل حذيفة؟ وهذان الخبران متناقضان فى أنفسهما.

فقال آخر: فقد قال النبي صلى الله عليه وآله: وضعت امتي في كفة الميزان ووضعت في أخرى فرجحت بهم، ثم وضع مكانى أبو بكر فرجح بهم، ثم عمر فرجح، ثم رفع الميزان.

فقال المؤمنون: هذا محال، من قبل أنه لا يخلو من أن يكون من أجسامهما

ص: ٢٩٩

أو أعمالهما. فان كانت الاجسام، فلا يخفى على ذى روح أنه محال، لانه لا يرجح أجسامهما بأجسام الامة. وإن كانت أفعالهما، فلم يكن بعد، فكيف يرجح بما ليس؟ وخبروني: بما يتفاضل بالناس؟ فقال بعضهم:

بالاعمال الصالحة. قال: فأخبروني فمن فضل صاحبه على عهد النبي صلى الله عليه وآله؟ ثم إن المفضول عمل بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله بأكثر من عمل الفاضل على عهد النبي صلى الله عليه وآله أيلحق به؟ فان قلتم : نعم، أوجدتكم فى عصرنا هذا من هو أكثر جهادا وحجا وصوما وصلاة وصدقة من احدهما . قالوا: صدقت لا يلحق فاضل دهرنا فاضل عصر النبي صلى الله عليه وآله.

قال المؤمنون: فانظروا فيما روت أئمتكم الذين أخذتم عنهم أديانكم فى فضائل على عليه السلام وقايسوا إليها مارووا فى فضائل تمام العشرة الذين شهدوا لهم بالجنة، فان كانت جزءا من أجزاء كثيرة فالقول قولكم، وإن كانوا قد رووا فى فضائل على عليه السلام أكثر فخذوا عن أئمتكم ما رووا ولا تعدوه. قال: فأطرق القوم جميعا.

فقال المؤمنون: ما لكم سكتكم؟ قالوا: قد استقصينا.

قال المؤمنون: فانى أسألكم خبروني أى الاعمال كان أفضل يوم بعث الله نبيه صلى الله عليه وآله؟ قالوا: السبق إلى الاسلام، لان الله تبارك وتعالى يقول: " السابقون السابقون اولئك المقربون " قال: فهل علمتم أحدا أسبق من على عليه السلام إلى الاسلام؟ قالوا: أنه سبق حدثا لم يجر عليه حكم، وأبو بكر أسلم كهلا قد جرى عليه الحكم وبين هاتين الحالتين فرق.

قال المؤمنون: فخبروني عن إسلام على عليه السلام أبا لهام من قبل الله عزوجل، أم بدعاء النبي صلى الله عليه وآله؟ فان قلتم : بألهام، فقد

ص: ٣٠٠

فضلتموه على النبي صلى الله عليه وآله، لان النبي لم يلهم بل أتاه جبرئيل عليه السلام عن الله عزوجل داعيا وم عرفا، وإن قلتم: بدعاء النبي صلى الله عليه وآله فهل دعاه من قبل نفسه أم بأمر الله عزوجل؟ فان قلتم : من قبل نفسه، فهذا خلاف ما وصف الله عزوجل نبيه عليه السلام فى قوله تعالى:

" وما أنا من المتكلمين " وفى قوله عز وجل: " وما ينطق عن الهوى " وإن كان من قبل الله عز وجل ، فقد أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله بدعاء على عليه السلام من بين صبيان الناس وإيثاره عليهم، فدعاه ثقة به وعلمنا بتأييد الله تعالى إياه.

وخلة أخرى: خبرونى عن الحكيم هل يجوز أن يكلف خلقه ما لا يطيقون؟

فان قلت: نعم، كفرتم، وإن قلت: لا، فكيف يجوز أن يأمر نبيه صلى الله عليه وآله بدعاء من لم يمكنه قبول ما يؤمر به، لصغره وحداثته سنه وضعفه عن القبول.

وخلة أخرى: هل رأيتم النبی صلى الله عليه وآله دعا أحدا من صبيان أهله وغيرهم فيكون اسوء على عليه السلام؟ فان زعمتم أنه لم يدع غيره، فهذه فضيلة لعلی عليه السلام على جميع صبيان الناس.

ثم قال: أى الاعمال أفضل بعد السبق إلى الايمان؟ قالوا: الجهاد فى سبيل الله. قال: فهل تحدثون لاحد من العشرة فى الجهاد ما لعلی عليه السلام فى جميع مواقف النبی صلى الله عليه وآله من الاثر؟ هذه بدر قتل من المشركين فيها نيف وستون رج لا، قتل على عليه السلام منهم نيفا وعشرين، وأربعون لسائر الناس.

فقال قائل: كان أبو بكر مع النبی صلى الله عليه وآله فى عريشه يدبرها.

فقال المأمون: لقد جئت بها عجيبة! أكان يدبر دون النبی صلى الله

ص: ٣٠١

عليه وآله؟ أو معه فيشرکه؟ أو لحاجة النبی صلى الله عليه وآله إلى رأى أبى بكر؟ أى الثلاث أحب إليك؟ فقال: أعوذ بالله! من أن أزعم أنه يدبر دون النبی صلى الله عليه وآله أو يشرکه، أو بافتقار من النبی إليه.

قال: فما الفضيلة فى العريش؟ فان كانت فضيلة أبى بكر بتخلفه عن الحرب، فيجب أن يكون كل متخلف فاضلا أفضل من المجاهدين! والله عز وجل يقول: " لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما".

قال إسحاق بن حماد بن زيد : ثم قال لى : اقرأ " هل أتى على الانسان حين من الدهر " فقرأت حتى بلغت " ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا " إلى قوله: " وكان سعيكم مشكورا " فقال: فيمن نزلت هذه الايات؟ قلت: فى على عليه السلام قال: فهل بلغك أن عليا عليه السلام قال حين أطعم المسكين واليتيم والاسير: " إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا " على ما وصف الله عز وجل فى كتابه؟ فقلت: لا.

قال: فان الله عز وجل عرف سريرة على عليه السلام ونيته، فأظهر ذلك فى كتابه تعريفا لخلقه أمره.

فهل علمت أن الله عزوجل وصف في شيء مما وصف في الجنة ما في هذه الـ سورة "قوارير من فضة"؟ قلت: لا. قال: فهذه فضيلة أخرى، فكيف يكون القوارير من فضة؟ قلت: لا أدري. قال: يريد كأنها من صفائها من فضة يرى داخلها ما يرى خارجها، وهذا مثل قوله صلى الله عليه وآله:

"يا أبخشة رويدا سوقك بالقوارير!" وعنى به النساء كأنهن القوارير رقة.

وقوله عليه السلام: "ركبت فرس أبى طلحة فوجدته بحرا" أى كأنه بحر من

ص: ٣٠٢

كثرة جريه وعدوه. وكقول الله عزوجل: "ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ" أى كأنه ما يأتيه الموت ولو أتاه من مكان واحد لمات.

ثم قال: يا إسحاق! ألسنت ممن يشهد أن العشرة في الجنة؟ فقلت: بلى.

قال: أرايت لو أن رجلا قال: ما أدري أصحيح هذا الحديث أم لا، أكان عندك كافرا؟ قلت: لا. قال: أرايت لو قال: ما أدري أهذه السورة قرآن أم لا، أكان عندك كافرا؟ قلت: بلى. قال: أرى فضل الرجل يتأكد.

خبرني يا إسحاق! عن حديث الطائر المشوى أصحيح عندك؟ قال: بلى.

قال: بان والله عنادك! لا يخلو هذا إما أن يكون كما دعا النبي صلى الله عليه وآله أو يكون مردودا، أو عرف الله الفاضل من خلقه وكان المفضول أحب إليه، أو تزعم أن الله لم يعرف الفاضل من المفضول! فأى الثلاث أحب إليك أن تقول به؟.

قال إسحاق: فأطروقت ساعة، ثم قلت، يا أمير المؤمنين! إن الله عزوجل يقول في أبى بكر: "ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا" فنسبه الله عزوجل إلى صحبة نبيه صلى الله عليه وآله.

فقال: سبحان الله! ما أقل علمكم باللغة والكتاب! أما يكون الكافر صاحبا للمؤمن؟ فأى فضيلة في هذه؟ أما سمعت الله عزوجل يقول: "قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا" فقد جعله له صاحبا.

وقال الهذلى:

ولقد غدوت وصاحبى وحشية تحت الرداء بصيرة بالمشرق وقال الازدى:

ولقد دعوت الوحش فيه وصاحبى محض القوائم من هجان هيكل

فصير فرسه صاحبه.

وأما قوله: "إن الله معنا" فانه تبارك وتعالى مع البر والفاجر، أما سمعت قوله عزوجل: "ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا".

وأما قوله: "لا تحزن" فخيرني عن حزن أبي بكر أكان طاعة أو معصية؟

فان زعمت أنه كان طاعة، فقد جعلت النبي صلى الله عليه وآله ينهى عن الطاعة، وهذا خلاف صفة الحكيم . وإن زعمت أنه معصية، فأى فضيلة للعاصي؟

وخبرني عن قوله عزوجل: "فأنزل الله سكينته عليه" على من؟ قال إسحاق: فقلت: على أبي بكر، لان النبي كان مستغنيا عن السكينة. قال:

فخبرني عن قوله عزوجل: "ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين" أتدرى من المؤمنون الذين أراد الله عزوجل في هذا الموضع؟ قال : قلت: لا. قال: إن الناس انهزموا يوم حنين فلم يبق مع النبي صلى الله عليه وآله إلا سبعة من بني هاشم : على عليه السلام يضرب بسيفه، والعباس أخذ بلجام بغلة النبي صلى الله عليه وآله والخمسة محدقون بالنبي صلى الله عليه وآله خوفا من أن يناله سلاح الكفار حتى أعطى الله تبارك وتعالى رسوله عليه السلام الظفر، عنى بالمؤمنين في هذا الموضع : عليا عليه السلام ومن حضر من بني هاشم، فمن كان أفضل؟ أم من كان مع النبي صلى الله عليه وآله ونزلت السكينة على النبي صلى الله عليه وآله وعليه؟ أم من كان في الغار مع النبي صلى الله عليه وآله ولم يكن أهلا لنزولها عليه؟

يا إسحاق! من أفضل؟ من كان مع النبي صلى الله عليه وآله في الغار،

أم من نام على مهاده ووقاه بنفسه حتى تم للنبي صلى الله عليه وآله ما عزم عليه من الهجرة؟ إن الله تبارك وتعالى أمر نبيه صلى الله عليه وآله أن يأمر عليا عليه السلام بالنوم على فراشه ووقايته بنفسه، فأمره بذلك، فقال على عليه السلام : أتسلم يا نبي الله؟ قال : نعم، قال : سمعا وطاعة، ثم أتى مضجعه وتسجى بثوبه وأحدق المشركون به، لا يشكون في أنه النبي صلى الله عليه وآله وقد أجمعوا أن يضربه من كان بطن من قريش رجل ضربة لثلا يطالب الهاشميون بدمه، وعلى عليه السلام يسمع ما القوم فيه من التدبير في تلف نفسه، فلم يدعه ذلك إلى الجزع كما جزع أبو بكر في الغار، وهو مع النبي صلى الله عليه وآله وعلى عليه السلام وحده، فلم يزل صابرا محتسبا، فبعث الله تعالى ملائكة تمنعه من مشركي قريش.

فلما أصبح قام فنظر القوم إليه، فقالوا : أين محمد؟ قال: وما علمي به؟

قالوا: فأنت غررتنا! ثم لحق بالنبي صلى الله عليه وآله، فلم يزل على أفضل منه لما بدا منه [إلا ما] يزيد خيرا، حتى قبضه الله تعالى إليه وهو محمود مغفور له.

يا إسحاق! أما تروى حديث الولاية؟ فقلت: نعم، قال: إروه، فرويته. فقال:

أما ترى أنه أوجب لعل على أبي بكر وعمر من الحق ما لم يوجب لهما عليه؟

قلت: إن الناس يقولون: إن هذا قاله بسبب زيد بن حارثة.

قال: وأين قال النبي صلى الله عليه وآله هذا؟ قلت: بغدير خم بعد منصرفه من حجة الوداع. قال: فمتى قتل زيد بن حارثة؟ قلت: بمؤتة. قال:

أفليس قد كان قتل زيد بن حارثة قبل غدير خم؟ قلت: بلى. قال: فخبرني لو رأيت ابنا لك أتت عليه خمس عشرة سنة يقول: مولاي مولى ابن عمى أيها الناس فاقبلوا، أكنت تكره ذلك؟ فقلت: بلى. قال: أفتنزه ابنك عما

ص: ٣٠٥

لا تنزه النبي صلى الله عليه وآله؟ ويح كم! أجعلتم فقهاء كم أربابكم؟ إن الله عزوجل يقول: "اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله" والله ما صاموا لهم ولا صلوا لهم ولكنهم أمروا لهم فاطيعوا.

ثم قال: أتروى قول النبي صلى الله عليه وآله لعل: "أنت منى بمنزلة هارون من موسى"؟ قلت: نعم. قال: أما تعلم أن هارون أخو موسى لاييه واه؟ قلت: بلى. قال: فعلى كذلك؟ قلت: لا. قال: فهارون نبي وليس على كذلك، فما المنزلة الثالثة إلا الخلافة. وهذا كما قال المنافقون: إنه استخلفه استثقالا له، فأراد أن يطيب نفسه، وهذا كما حكى الله عزوجل عن موسى حيث يقول لهارون: "اخلفني فى قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين".

فقلت: إن موسى خلف هارون فى قومه وهو حى، ثم مضى إلى ميقات ربه عزوجل، وإن النبي خلف عليا عليه السلام حين خرج إلى غزاته.

فقال: أخبرني عن موسى حين خلف هارون، أكان معه - حيث مضى إلى ميقات ربه عزوجل - أحد من أصحابه؟ فقلت: نعم. قال: أو ليس قد استخلفه على جميعهم؟ قلت: بلى. قال: فكذلك على عليه السلام خلفه النبي صلى الله عليه وآله حين خرج فى غزاته فى الضعفاء والنساء والصبيان، إذ كان أكثر قومه معه وإن كان قد جعله خليفته على جميعهم، والدليل على أنه جعله خليفة عليهم فى حياته إذا غاب و بعد موته قوله عليه السلام: "على بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبى بعدى" وهو وزير النبي صلى الله عليه وآله أيضا بهذا القول، لان موسى عليه السلام قد دعا الله عزوجل، فقال فيما دعى: "واجعل لى وزيرا من أهلى هارون أخى أشدد به أزرى وأشركه فى أمرى" وإذا كان على عليه السلام منه صلى الله عليه وآله بمنزلة هارون من موسى، فهو وزيره، كما كان هارون وزير موسى

ص: ٣٠٦

عليه السلام وهو خليفته، كما كان هارون خليفة موسى عليه السلام.

ثم أقبل على أصحاب النظر والكلام، فقال: أسألكم أو تسألوني؟ قالوا:

بل نسألك. فقال: قولوا.

فقال قائل منهم: أليست إمامة على عليه السلام من قبل الله عز وجل نقل ذلك عن رسول الله من نقل الفرض، مثل الظهر أربع ركعات، وفي مائتين درهم خمسة دراهم، والحج إلى مكة؟ فقال : بلى. قال: فما بالهم لم يختلفوا في جميع الفرض واختلفوا في خلافة على عليه السلام وحدها؟

قال المأمون: لان جميع الفرض لا يقع فيه من التنافس والرغبة ما يقع في الخلافة.

فقال آخر: ما أنكرت أن يكون النبي صلى الله عليه وآله أمرهم باختيار رجل يقوم مقامه رافة بهم ورقة عليهم أن يستخلف هو بنفسه، فيعصى خليفته، فينزل العذاب؟

فقال: أنكرت ذلك من قبل أن الله عز وجل أرأف بخلقه من النبي صلى الله عليه وآله وقد بعث نبيه صلى الله عليه وآله وهو يعلم أن فيهم العاصي والمطيع، فلم يمنعه ذلك من إرساله.

وعلة أخرى: لو أمرهم باختيار رجل منهم كان لا يخلو من أن يأمرهم كلهم أو بعضهم، فلو كان أمر الكل من كان المختار؟ ولو أمر بعضا دون بعض كان لا يخلو من أن يكون على هذا البعض علامة، فان قلت: الفقهاء، فلا بد من تحديد الفقيه وسمته.

قال آخر: فقد روى أن النبي صلى الله عليه وآله قال : ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله عز وجل حسن، وما رآوه قبيحا فهو عند الله تبارك وتعالى قبيح.

فقال: هذا القول لابد من أن يريد كل المؤمنين أو البعض؟ فان أراد

ص: ٣٠٧

الكل فهو مفقود، لان الكل لا يمكن اجتماعهم، وإن كان البعض فقد روى كل في صاحبه حسنا، مثل رواية الشيعة في على عليه السلام، ورواية الحشوية في غيره، فمتى يثبت ما يريدون من الامامة؟

قال آخر: فيجوز أن يزعم أن أصحاب محمد صلى الله عليه وآله أخطأوا؟

قال: كيف نزعم أنهم أخطأوا واجتمعوا على ضلالة وهم لا يعلمون فرضا ولا سنة؟ لانك تزعم أن الامامة لا فرض من الله عزوجل ولا سنة من الرسول، فكيف يكون فيما ليس عندك بفرض ولا سنة خطأ؟

قال آخر: إن كنت تدعى لعلى عليه السلام من الامامة [دون غيره] فهات بينتك على ما تدعى.

فقال: ما أنا بمدع ولكنى مقر، ولا بينة على مقر، والمدعى من يزعم أن إليه التولية والعزل وأن إليه الاختيار، والبينة لا تعرى من أن يكون من شركائه فهم خصماء، أو يكون من غيرهم والغير معدوم، فيكف بالبينة على هذا؟

قال آخر: فما كان الواجب على على عليه السلام بعد مضى رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال : ما فعله. قال: أفما وجب عليه أن يعلم الناس أنه إمام؟

فقال: إن الامامة لا تكون بفعل منه فى نفسه ولا بفعل من الناس فيه من اختيار أو تفضيل أو غير ذلك، إنما يكون بفعل من الله عزوجل فيه، كما قال لبراهيم عليه السلام : " إني جاعلك للناس إماما " وكما قال عزوجل لداود عليه السلام : " يا داود إنا جعلناك خليفة فى الارض " وكما قال عزوجل للملائكة فى آدم عليه السلام : " إني جاعل فى الارض خليفة " فالامام إنما يكون إماما من قبل الله باختياره إياه فى بدء الصنيعة،

ص: ٣٠٨

والتشريف فى النسب، والطهارة فى المنشأ، والعصمة فى المستقبل، ولو كانت بفعل منه فى نفسه كان من فعل ذلك الفعل مستحقا للامامة وإذا عمل خلافها اعتزل، فيكون خليفة قبل أفعاله.

وقال آخر: فلم أوجبت الامامة لعلى عليه السلام بعد الرسول صلى الله عليه وآله؟

فقال: لخروجه من الطفولية إلى الايمان كخروج النبی صلى الله عليه وآله من الطفولية إلى الايمان، والبراءة من ضلالة قومه عن الحجة واجتنابه الشرك، كبراءة النبی صلى الله عليه وآله من الضلالة واجتنابه الشرك، لان الشرك ظلم عظيم.

ولا يكون الظالم إماما ولا من ع بد وثنا باجماع، ومن أشرك فقد حل من الله عزوجل محل أعدائه، فالحكم فيه الشهادة عليه بما اجتمعت عليه الامة حتى يجرى إجماع آخر مثله، ولان من حكم عليه مرة فلا يجوز أن يكون حاكما فيكون الحاكم محكوما عليه، فلا يكون حينئذ فرق بين الحاكم والمحكوم عليه.

قال آخر: فلم لم يقاتل على عليه السلام أبا بكر وعمر وعثمان كما قاتل معاوية؟

فقال: المسألة محال، لان " لم " اقتضاء و " لا يفعل " نفى، والنفى لا يكون له علة، إنما العلة للاثبات، وإنما يجب أن ينظر فى أمر على عليه السلام أمن قبل الله أم من قبل غيره؟ فان صح أنه من قبل الله عزوجل فالشك فى تدبيره كفر، لقوله عزوجل: " فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما " فأفعال

الفاعل تبع لاصله، فان كان قيامه عن الله عزوجل، فأفعاله عنه، وعلى الناس الرضا والتسليم، وقد ترك رسول الله صلى الله عليه وآله القتال يوم.

ص: ٣٠٩

الحديبية يوم صد المشركون هديه عن البيت، فلما وجد الاعوان وقوى حارب، كما قال عزوجل فى الاول : " فاصفح الصفح الجميل " ثم قال عزوجل: " اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد " .

قال آخر: إذا زعمت أن إمامة على عليه السلام من قبل الله عزوجل وأنه مفترض الطاعة فلم لم يجز إلا التبليغ والدعاء كما للأنبياء عليهم السلام وجاز لعلى أن يترك ما امر به من دعوة الناس إلى طاعته.

فقال: من قبل أنا لم ندع أن عليا امر بالتبليغ فيكون رسولا، ولكنه عليه السلام وضع علما بين الله تعالى وبين خلقه، فمن تبعه كان مطيعا ومن خالفه كان عصايا، فان وجد أعوانا يتقوى بهم جاهد، وإن لم يجد أعوانا فاللوم عليهم لا عليه، لانهم امروا بطاعته على كل حال، ولم يؤمر هو بمجاهدتهم إلا بقوة، وهو بمنزلة البيت على الناس الحج إليه، فإذا حجوا أدوا ما عليهم، وإذا لم يفعلوا كانت اللائمة عليهم لا على البيت.

وقال آخر: إذا وجب أنه لابد من إمام مفترض الطاعة بالاضطرار، فكيف يجب بالاضطرار أنه على عليه السلام دون غيره؟

فقال: من قبل أن الله عزوجل لا يفرض مجهولا، ولا يكون المفروض ممتنعا، إذ المجهول ممتنع، ولا بد من دلالة الرسول على الفرض، ليقطع العذر بين الله عزوجل وبين عباده . أرأيت لو فرض الله عزوجل على الناس صوم شهر ولم يعلم الناس أى شهر هو ولم يسم كان على الناس استخراج ذلك بعقولهم حتى يصيبوا ما أراد الله تبارك وتعالى؟ فيكون الناس حينئذ مستغنين عن الرسول والمبين لهم وعن الامام الناقل خبر الرسول إليهم.

وقال آخر: من أين أوجبت أن عليا عليه السلام كان بالغا حين دعاه

ص: ٣١٠

النبي صلى الله عليه وآله؟ فان الناس يزعمون أنه كان صبيا حين دعا ولم يكن جاز عليه الحكم ولا بلغ مبلغ الرجال.

فقال: من قبل أنه لا يعرى فى ذلك الوقت من أن يكون ممن أرسل إليه النبي صلى الله عليه وآله ليدعوه، فان كان كذلك فهو محتمل للتكليف قوى على أداء الفرائض، وإن كان ممن لم يرسل إليه فقد لزم النبي صلى الله عليه وآله قول الله عزوجل : " ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين " وكان مع ذلك قد كلف النبي صلى الله عليه وآله عباد الله ما لا يطيقون عن الله تبارك وتعالى، وهذا من المحال الذى يمتنع كونه، ولا يأمر به حكيم ولا يدل عليه الرسول، تعالى الله عن أن يأمر بالمحال، وجل الرسول عن أن يأمر بخلاف ما يمكن كونه فى حكمة الحكيم.

فسكت القوم عند ذلك جميعا.

فقال المأمون: قد سألتموني ونقضتم على أفأسألكم؟ قالوا: نعم.

قال: أليس روت الامة باجماع منها أن النبي صلى الله عليه وآله قال:

" من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار "؟ قالوا: بلى. [قال]:

وروا عنه عليه السلام أنه قال: " من عصى بمعصية صغرت أو كبرت ثم أتخ ذها ديننا ومضى مصرا عليها فهو مخلد بين أطباق الجحيم "؟ قالوا: بلى.

قال: فخبروني عن رجل يختاره العامة فتتصبه خليفة هل يجوز أن يقال له خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله ومن قبل الله عزوجل ولم يستخلفه الرسول؟ فان قلتم: نعم، كابرتم، وإن قلتم: لا، وجب أن أبا بكر لم يكن خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله ولا من قبل الله عزوجل، وأنكم تكذبون على نبي الله صلى الله عليه وآله وأنكم متعرضون لأن تكونوا ممن وسمه النبي صلى الله عليه وآله بدخول النار.

وخبروني في أي قولكم صدقتم؟ أفي قولكم: مضى صلى الله عليه وآله

ص: ٣١١

ولم يستخلف، أو في قولكم لا بى بكر: يا خليفة رسول الله، فان كنتم صدقتم في القولين فهذا ما لا يمكن كونه إذ كان متناقضا، وإن كنتم صدقتم في أحدهما بطل الآخر.

فاتقوا الله! وانظروا لانفسكم، ودعوا التقليد، وتجنبوا الشبهات، فوالله! ما يقبل الله عزوجل إلا من عبد لا يأتى إلا بما يعقل ولا يدخل إلا فيما يعلم أنه حق، والريب شك، وإدمان الشك كفر بالله عزوجل، وصاحبه في النار.

وخبروني هل يجوز ابتياع أحدكم عبدا، فإذا ابتاعه صار مولاه وصار المشتري عبده؟ قالوا: لا. قال: كيف جاز أن يكون من اجتمعتم عليه لهواكم واستخلفتموه صار خليفة عليكم وأنتم وليتموه؟ ألا كنتم أنتم الخلفاء عليه؟ بل تولون خليفة وتقولون: انه خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله ثم إذ سخطتم عليه قتلتموه! كما فعل بعثمان بن عفان.

قال قائل منهم: لان الامام وكيل المسلمين إذا رضوا عنه ولوه، وإذا سخطوا عليه عزلوه.

قال: فلمن المسلمون والعباد والبلاد! قالوا: الله^{٢٧٣} عزوجل. قال: فالله أولى أن يوكل على عباده وبلاده من غيره، لأن من إجماع الأمة أنه من أحدث في ملك غيره حدثاً فهو ضامن، وليس له أن يحدث، فإن فعل فآثم غارم.

ثم قال: خبروني عن النبي صلى الله عليه وآله هل استخلف حين مضى أم لا؟ فقالوا: لم يستخلف قال: فتركه ذلك هدى أم ضلال؟ قالوا:

هدى. قال: فعلى الناس أن يتبعوا الهدى ويتجنبوا الضلالة، قالوا: قد فعلوا ذلك. قال: فلم استخلف الناس بعده وقد تركه هو؟ فترك فعله ضلال، ومحال أن يكون خلاف الهدى هدى، وإذا كان ترك الاستخلاف هدى

ص: ٣١٢

فلم استخلف أبو بكر، ولم يفعله النبي صلى الله عليه وآله، وجعل عمر الأمر بعده شورى بين المسلمين خلافاً على صاحبه!

زعمتم أن النبي صلى الله عليه وآله لم يستخلف، وأن أبا بكر استخلف، وعمر لم يترك الاستخلاف كما تركه النبي صلى الله عليه وآله بزعمكم ولم يستخلف كما فعل أبو بكر وجاء بمعنى ثالث، فخبروني أى ذلك ترونه صواباً؟ فإن رأيتم فعل النبي صلى الله عليه وآله صواباً فقد خطأتم أبا بكر، وكذلك القول فى بقیة الاقاویل.

وخبروني أيهما أفضل؟ ما فعله النبي صلى الله عليه وآله بزعمكم من ترك الاستخلاف؟ أو ما صنعت طائفة من الاستخلاف؟

وخبروني هل يجوز أن يكون تركه من الرسول صلى الله عليه وآله هدى وفعله من غيره هدى، فيكون هدى ضد هدى ! فأين الضلال حينئذ؟

وخبروني هل ولى أحد بعد النبي صلى الله عليه وآله باختيار الصحابة منذ قبض النبي صلى الله عليه وآله إلى اليوم؟ فإن قلتم : لا، فقد أوجبتم أن الناس كلهم عملوا ضلالة بعد النبي صلى الله عليه وآله، وإن قلتم : نعم، كذبتم الأمة وبطل قوكم الوجود الذى لا يدفع.

وخبروني عن قول الله عزوجل: " قل لمن ما فى السموات والارض قل لله " أصدق هذا أم كذب؟ قالوا: صدق. قال: أفليس ما سوى الله لله، إذ كان محدثه ومالكه؟ قالوا : نعم. قال: ففى هذا بطلان ما أوجبتم من اختياركم خليفة تفترضون طاعته [إذ اخترتموه] وتسمونه خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وأنتم استخلفتموه، وهو معزول عنكم إذا غضبتم عليه وعمل بخلاف محبتكم، وهو مقتول إذا أبى الاعتزال، ويلكم ! لا تفترؤا على الله كذا فتلقوا وبال ذلك غدا إذ قمتم بين يدي الله عزوجل، وإذا وردتم على رسول الله صلى الله عليه وآله وقد كذبتم عليه متعمدين، وقد

ص: ٣١٣

^{٢٧٣} (١) كذا فى الاصل، وفى العقد " الله "

قال: "من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار".

ثم استقبل القبلة ورفع يديه وقال : اللهم إني قد نصحت لهم، اللهم إني قد أرشدتهم، اللهم إني قد أخرجت ما وجب على إخراجه من عنقي، اللهم إني لم أدعهم في ريب ولا في شك، اللهم إني أدين بالتقرب إليك بتقديم على عليه السلام على الخلق بعد نبيك صلى الله عليه وآله كما أمرنا به رسولك صلواتك وسلامك عليه وآله.

قال: ثم افترقنا، فلم نجتمع بعد ذلك حتى قبض المأمون.

قال محمد بن أحمد بن يحيى الأشعري: وفي حديث آخر: قال: فسكت القوم، فقال لهم: لم سكتهم؟ قالوا: لا ندري ما نقول. قال: يكفيني هذه الحجة عليكم. ثم أمر باخراجهم. قال: فخرجنا متحيرين خجلين. ثم نظر المأمون إلى الفضل بن سهل، فقال : هذا أقصى ما عند القوم، فلا يظن ظان أن جلالتي منعتهم من النقض على^{٢٧٤}.

(٢١٠) المأمون وبنو العباس

أقول: لما انتهى الكلام إلى هنا، فلا نرى بأساً بنقل كتاب المأمون إلى بني العباس في الاحتجاج عليهم:

عن الطوائف للسيد - رحمه الله تعالى - قال: من الطوائف المشهورة ما بلغ إليه المأمون في مدح امير ال مؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام ومدح أهل بيته عليهم السلام ذكره ابن مسكويه صاحب التاريخ (المسمى ظ) بحوادث الاسلام في كتاب سماه " نديم الفريد" يقول فيه حيث ذكر كتابا كتبه بنو

ص: ٣١٤

هاشم يسألون جوابهم ما هذا لفظه:

فقال المأمون:

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآل محمد على رغم أنف الراغبين.

أما بعد، عرف المأمون كتابكم وتديير أمركم، ومخض زبدتكم، وأشرف على صغيركم وكبيركم، وعرفكم مقبلين ومدبرين، وما آل إليه كتابكم قبل كتابكم في مراوضة الباطل وصرف وجوه الحق عن مواضعها، ونبذ كم كتاب الله تعالى والاثار وكلما جاءكم به الصادق محمد صلى الله عليه وآله حتى كأنكم من الامم السالفة التي هلكت بالخسفة والغرق والريح والصيحة والصواعق والرجم.

^{٢٧٤} (١) البحار: ج ٤٩ ص ٢٠٨ - ١٨٩ عن عيون أخبار الرضا: ج ٢ ص ١٨٥، والعقد الفريد: ج ٥ ص ١١٠ - ٩٢

" أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفا لها ؟" والذي هو أقرب إلى المأمون من حبل الوريد ! لو لا أن يقول قائل: إن المأمون ترك الجواب عجزا لما أجبتمكم من سوء أخلاقكم وقلة أخطاركم وركاكة عقولكم ومن سخافة ما تأوون إليه من آرائكم، فليستمع مستمع، فليبلغ شاهد غائبا.

أما بعد، فإن الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وآله عرى فترة من الرسل وقریش فی أنفسها وأموالها لا يرون أحدا يسامهم ولا يباريهم، فكان نبينا صلى الله عليه وآله أمينا من أوسطهم بيتا وأقلهم مالا، وكان أول من آمنت به خديجة بنت خويلد، فواسته بمالها، ثم آمن به أمير المؤمنين على بن أبى طالب سبع سنين، لم يشرك بالله شيئا طرفه عين، ولم يعبد وثنا، ولم يأكل ربا، ولم يشاكل الجاهلية فى جهالاتهم، وكانت عمومة رسول الله صلى الله عليه وآله إما مسلم مهين أو كافر معاند، إلا حمزة، فانه لم يمتنع من الاسلام ولا يمتنع الاسلام منه، فمضى لسبيله على بينة من ربه.

وأما أبو طالب: فانه كفله ورباه، ولم يزل مدافعا عنه ومانعا منه، فلما

ص: ٣١٥

قبض الله أبا طالب فهم القوم وأجمعوا ليقتلوه، فهاجر إلى القوم الذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم، يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى أنفسهم حاجة مما اوتوا" ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون".

فلم يقم مع رسول الله صلى الله عليه وآله أحد من المهاجرين كقيام على بن أبى طالب عليه السلام فانه آزره ووقاه بنفسه ونام فى مضجعه، ثم لم يزل بعد متمسكا بأطراف الثغور، وينازل الابطال، ولا ينكل عن قرن، ولا يولى عن جيش، منيع القلب، يؤمر على الجميع ولا يؤمر عليه أحد، أشد الناس وطأة على المشركين، وأعظمهم جهادا فى الله، وأفقههم فى دين الله وأقرأهم لكتاب الله، وأعرفهم بالحلال والحرام، وهو صاحب الولاية فى حديث غدير خم، وصاحب قوله: " أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدى " وصاحب يوم الطائف، وكان أحب الخلق إلى الله تعالى وإلى رسوله صلى الله عليه وآله، وصاحب الباب فتح له وسد أبواب المسجد، وهو صاحب الراية يوم خيبر، وصاحب عمرو بن عبد ود فى المبارزة، وأخو رسول الله صلى الله عليه وآله حين آخى بين المسلمين.

وهو منيع جزيل، وهو صاحب آية " ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا " وهو زوج فلطمة سيدة نساء العالمين وسيدة نساء أهل الجنة، وهو ختن خديجة عليها السلام، وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وكفله، وهو ابن أبى طالب عليه السلام فى نصرته وجهاده، وهو نفس رسول الله صلى الله عليه وآله فى يوم المباهلة، وهو الذى لم يكن أبو بكر وعمر ينفذان حكما حتى يسألانه عنه، فما رأى إنفاذه أنفاذاه وما لم يره رداه، وهو داخل من بنى هاشم فى الشورى.

ولعمري! لو قدر أصحابه على دفعه عنه عليه السلام كما دفع العباس

ص: ٣١٦

- رضوان الله عليه - ووجدوا إلى ذلك سبيلا لدفعوه.

فأما تقديمكم العباس عليه : فان الله تعالى يقول: " أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستون عند الله " والله! لو كان ما في أمير المؤمنين من المناقب والفضائل والاي المفسرة في القرآن خلة واحدة في رجل واحد من رجالكم أو غيره لكان مستأهلاً متأهلاً للخلافة مقدماً على أصحاب رسول الله بتلك الخلة.

ثم لم يزل الامور تتراقى به إلى أن ولي امور المسلمين، فلم يعن بأحد من بنى هاشم إلا بعد الله بن عباس تعظيماً لحقه وصلة لرحمه وثقة به، فكان من أمره الذي يغفر الله له . ثم نحن وهم يد واحدة كما زعمتم، حتى قضى الله تعالى بالامر إلينا، فأخفناهم وضيقنا عليهم وقتلناهم أكثر من قتل بنى امية إياهم ! ويحكم! إن بنى امية إنما قتلوا منهم من سل سيفاً، وإنا معاشر بنى العباس قتلناهم جملاً! فتسألن أعظم الهاشمية بأى ذنب قتلت؟ ولتسألن نفوس القيت في دجلة والفرات ونفوس دفنت ببغداد والكوفة أحياء، هيهات! إنه من يعمل مثلاً ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره.

وأما ما وصفتم من أمر المخلوع وما كان فيه من لبس فلعمري! ما لبس عليه أحد غيركم، إذ هويتهم عليه النكت وزينتهم له الغدر، وقتلهم له: ما عسى أن يكون من أمر أخيك هو رجل مغرب ومعك الاموال والرجا ل، نبعث إليه فيؤتى به، فكذبتم ودبرتم ونسيتم قول الله تعالى: " ومن بغى عليه لينصرنه الله " وأما ما ذكرتم من استبصار المأمون في البيعة لابی الحسن الرضا عليه السلام فما بايع له المأمون إلا مستبصراً في أمره، عالماً بأنه لم يبق أحد على ظهرها أبين فضلاً ولا أظهر عفة ولا أروع ورعاً ولا أزهد زهداً في الدنيا ولا أطلق نفساً ولا أرضى في الخاصة والعامة ولا أشد في ذات الله منه، وأن

ص: ٣١٧

البيعة له لموافقة لرضى الرب عزوجل، ولقد جهدت وما أجد في الله لومة لائم . ولعمري! إن لو كانت بيعتي بيعه محاباة لكان العباس ابني وسائر ولدي أحب إلى قلبي وأجلى في عيني، ولكن أردت أمراً وأراد الله أمراً، فلم يسبق أمرى أمر الله.

وأما ما ذكرتم ما مسكم من الجفاء في ولايتي : فلعمري! ما كان ذلك إلا منكم بمظافرتكم عليه ومما يلتكم إياته، فلما قتلته وتفرقت عباديد، فطورا أتباعاً لابن أبي خالد، وطورا أتباعاً لا عرابي، وطورا أتباعاً لابن شكله، ثم لكل من سل سيفاً على. ولو لا أن شيمتي العفو وطبيعتي التجاوز ما تركت على وجهها منكم أحداً، فكلكم حلال الدم محل بنفسه.

وأما ما سألتهم من البيعة للعباس ابني: أtestبدلون الذي هو أدنى بالذى هو خير؟ ويلكم! إن العباس غلام حدث السن ولم يونس رشده ولم يمهل وحده ولم تحكمه التجارب، تدبره النساء تكفله الاماء، ثم لم يتفقه في الدين، ولم يعرف حلالاً من حرام إلا معرفة لا تأتي به رعية ولا تقوم به حجة، ولو كان مستأهلاً قد أحكمته التجارب وتفقه في الدين وبلغ مبلغ أمير العدل في الزهد في الدنيا وصرف النفس عنها ما كان له عندي في الخلافة إلا ما كان لرجل من عك وحمير، فلا تكثرُوا في هذا المقال، فان لساني لم يزل مخزوناً عن امور وأنباء كراهية أن تخنث النفوس عند ما تتكشف، علماً بأن الله بالغ أمره ومظهر قضاه يوماً.

فاذا أبيتم إلا كشف الغطاء وقشر العطاء، فالرشيد أخبرني عن آبائه وعما وجد في كتاب الدولة غيره: أن السابع من ولد العباس لا تقوم لبني العباس بعده قائمة ولا تزال النعمة متعلقة عليهم بحياته، فإذا أودعت فودعاها، وإذا فقدتم شخصي فاطلبوا لانفسكم معقلاً، وهيهات! ما لكم إلا السيف! يأتىكم الحسنى النائر البائر فيحصدكم حصداً، أو السفينى المرغم، والقائم

المهدى يحقن دمائكم إلا بحقها.

وأما ما كنت أردته من البيعة لعلى بن موسى بعد استحقاق منه لها فى نفسه واختيار منى له : فما كان ذلك منى إلا أن أكون الحاقن لدمائكم والذائد عنكم باستدامته المودة بيننا وبينهم وهى الطريق أس لكها فى إكرام آل أبى طالب ومواساتهم فى الفئ بيسير ما يصيبهم منه.

وإن تزعموا أنى أردت أن يؤول إليهم عاقبة ومنفعة، فانى فى تدبيركم والنظر لكم ولعقبكم وأبنائكم من بعدكم، وأنتم ساهون لاهون تائهون فى غمرة تعمهون، لا تعلمون ما يراد بكم وما أظللتم عليه من النعمة وابتزاز النعمة، همة أحدكم أن يمسى مركوبا ويصبح مخمورا، تباهون بالمعاصى وتبتهجون بها وآلهتكم البرابط، مختنون مؤثنون، لا يتفكر متفكر منكم فى إصلاح معيشة ولا استدامة نعمة ولا اصطناع مكرمة ولا كسب حسنة يمد بها عنقه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

أضعتم الصلاة، واتبعتم الشهوات، وأكببتم على اللذات [عن النعمات]^{٢٧٥}، فسوف تلقون غيا.

وأيهم الله! لربما افكر فى أمركم فلا أجد أمة من الامم استحقوا العذاب حتى نزل بهم لخله من خلال إلا أصيب تلك الخل عبينها فكيم مع خلال كثيرة، لم أكن أظن أن إبليس اهتدى إليها ولا أمر بالعمل عليها! وقد أخبر الله تعالى فى كتابه العزيز عن قوم صالح أنه كان فيهم تسعة رهط يفسدون فى الارض ولا يصلحون، فأيكم ليس معه تسعة وتسعون من المفسدين فى الارض؟ قد اتخذتموهم شعارا ودارا، استخفافا بالمعاد وقله يقين بالحساب، وأيكم له رأى يتبع و روية تنفع؟ فشاهت الوجوه وعفرت الخدود!

وأما ما ذكرتم من العشرة كانت فى أبى الحسن عليه السلام نور الله وجهه : فلعمري! أنها عندى للنهضة والاستقلال الذى أرجو به قطع الصراط والامن والنجاة من الخوف يوم الفزع الاكبر، ولا أظن عملت عملا هو عندى أفضل من ذلك إلا أن أعود بمثلها إلى مثله، وأين لى بذلك! وأنى لكم بتلك السعادة! وأما قولكم: إنى سفهت آراء آبائكم وأحلام أسلافكم: فكذلك قال مشركو قريش: "إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون" ويلكم! إن الدين لا يؤخذ إلا من الانبياء، فافقهوا وما أراكم تعقلون! وأما تعبيركم إياى بسياسة المجوس إياكم: فما أذهبكم الانفة عن ذلك! ولو ساستكم القرده والخنازير ما أردتم إلا أمير المؤمنين، ولعمري! لقد كانوا مجوسا فأسلموا كآبائنا وامهاتنا فى القديم، فهم المجوس الذين أسلموا، وأنتم المسلمون الذين ارتدوا، فمجوسى أسلم خير من مسلم ارتد، فهم يتناهون عن المنكر، ويأمرون بالمعروف، ويتقربون من الخير، ويتباعدون من الشر، ويذوبون عن حرم المسلمين، يتباهجون بما نال الشرك وأهله من النكر، ويتباشرون بما نال الاسلام وأهله من الخير " منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا".

وليس منكم إلا لا عب بنفسه مأفون فى عقله وتدييره، إما مغن أو ضارب دف أو زامر، والله ! لو أن بنى امية الذين قتلتموهم بالامس نشروا، ففيل لهم: لا تأنفوا فى معائب تنالونهم بها، لما زادوا على ما صيرتموه لكم شعارا ودثارا وصناعة وأخلاقا.

ليس فيكم إلا من إذا مسه الشر جزع وإذا مسه ال خير منع، ولا تأنفون ولا ترجعون إلا خشية، وكيف يأنف من بيت مركوبا ويصبح بائمه معجبا؟ كأنه قد اكتسب حمدا! غايته بطنه وفرجه، لا يبالي أن ينال شهوته

ص: ٣٢٠

ه يقتل ألف نبى مرسل أو ملك مقرب، أحب الناس إليه من زين له معصيته أو أعانه فى فاحشة، تنظفه المخمورة وتربد المظمورة، فشئت الاحوال . فان ارتدعتم مما أنتم فيه من السيئات والفضائح وما تهذرون به عن عذاب ألسنتك، وإلا فدونك تعلوا بالحديد. ولا قوة إلا بالله، وعليه توكلى، وهو حسبي^{٢٧٦}.

(٢١١) ضرار بن ضمره ومعاوية

لم أجد هذا الرجل فى كتب الرجال والتراجم، إلا فى قصة له وقعت فى مجلس معاوية، رواها العلماء من الفريقين فى كتبهم، وفى مروج الذهب: أنه "كان من خواص على عليه السلام".

قالوا: دخل ضرار بن ضمره على معاوية، فقال له معاوية: صف لى عليا. فقال: أو تعفينى يا أمير المؤمنين؟ قل: لا اعفيك.

قال: أما إذ لابد، فانه كان والله بعى المدى شديد القوى، يقول فصلا ويحكم عدلا، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته، وكان والله غزير العبرة، طويل الفكرة، يقلب كفه، ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما جشب.

كان والله كأحدن، يدنينا إذا أتينا، ويجيينا إذا سألناه، وكان مع تقربه إلينا وقربه منا لا نكلمه هيبه له، فان تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم،

ص: ٣٢١

يعظم أهل الدين ويحب المساكين، لا يطمع القوى فى باطله، ولا يبأس الضعيف من عدله.

فاشهد بالله! لقد رأيته فى بعض مواقفه وقد أرخى ا لليل سدوله وغرات نجومه، يميل فى محرابه، قابضا على لحيته، يتململ تمللم السليم، ويبكى بكاء الحزين، فكأنى أسمع الان وهو يقول : يا ربنا يا ربنا، يتضرع إليه، ثم يقول للدنيا : إلى تغررت إلى

^{٢٧٦} (١) البحار: ج ٤٩ ص ٢٠٨. وراجع قاموس الرجال: ج ١٠ / ٣٥٦. وحياء الامام الرضا عليه السلام: ص ٤٥٣ عن الطرائف (الترجمة الفارسية) ص ١٣١ نقلا عن

كتاب نديم الفريد لابن مسكويه والبحار والقاموس. والينابيع: ص ٤٨٤ مختصرا. والغدير عن العباة: ج ١ ص ١٤٧

تشوقت؟ هيهات! هيهات! غرى غرى، قد تبتك ثلاثا: فعمرك قصير ومجلسك حقير وخطر ك يسير، آه آه! من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق.

فوكفت دموع معاوية على لحيته ما يملكها، وجعل ينشفها بكمه، وقد اختنق القوم بالبكاء فقال: كذا كان أبو الحسن - رحمه الله - كيف وجدك عليه يا ضرار؟ قال: وجد من ذبح واحدا في حجرها، لا ترقأ دمعته ولا يسكن حزنها. ثم قال وخرج^{٢٧٧}.

ص: ٣٢٢

(٢١٢) تلامذة الصادق عليه السلام مع الشامي

^{٢٧٧} (١) رواه حلية الاولياء: ج ١ ص ٨٤. وأمالى الصدوق - رحمه الله - ص ٣٧١ المجلس ٩١ بأسانيده. والاستيعاب هاشم الاصابه: ج ٣ ص ٤٤٠ فى ترجمة أمير المؤمنين - عليه السلام - وكشف الغمة ص ٢٣ الحبرية. والمناقب لابن شهر اشوب: ج ١ ص ٣٠٩. وزهر الاداب للقيروانى: ص ٤٠ العقد الفريد. وتذكرة الخواص: ص ١٢٧. وينابيع المودة: ص ٢١٩-١٤٤. وتهذيب ابن عساکر: ج ٧ ص ٣٥. ومطالب السؤل: ص ٢٣. وصفوة الصفوة: ج ١ ص ١٢٢. والبحار: ج ٨٧ ص ١٥٦. ونور الابصار: ص ١٠٩. والفصول المهمة لابن صباغ ص ١٢٨. وابن أبى الحديد ج ١٨ ص ٢٢٥. ونهج البلاغة: ٧٧ من القصار. والارشاد للديلمى: ص ١١. والبحار: ج ٨ ص ٥٣٨-٥٣٢ الحبرية و ج ٤١ الجديدة ص ١٢٠-٢٣-١٤ والغدير: ج ٢ ص ٣١٩ و ج ٧ ص ١١٤. وكنز الفوائد للكرجكي: ص ٢٧١.

ومروج الذهب فى آخر تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام وزاد فقال معاوية: زدنى شيئا من كلامه.

فقال ضرار: كان يقول: أعجب ما فى الانسان قلبه، وله مواد من الحكمة وأضداد من خلافتها، فان سنع له الرجاء أماله الطمع، وإن مال به الطمع أهلكه الحرص، وإن ملكه القنوط قتله الاسف، وإن عرض له الغضب اشتد به الغيظ، وإن أسعده الرضا نسي التحفظ، وإن ناله الخوف فضحه الجزع، وإن أفاد مالا أطفاه الغنى، وإن عضته فاقة فضحه الفقر، وإن أجهد الجوع أضعفه الضعف، وإن أفرط به الشبع كظنه البطنة، فكل تقصير به مضر، وكل إفراط له مفسد

فقال له معاوية: زدنى كلما وعيته من كلامه.

فقال: هيهات أن أتى على جميع ما سمعته منه. ثم قال: سمعته يوصى كميل بن زياد [ذات يوم فقال له] يا كميل! ذب عن المؤمن، فان ظهره حمى الله، ونفسه كريمة على الله، وظالمه خصم الله، واحذرکم من ليس له ناصر إلا الله . قال: وسمعته يقول ذات يوم: إن هذه الدنيا إذا أقبلت على قوم أعرتهم محاسن غيرهم، وإذا أدبرت عنهم سلبتهم محاسن أنفسهم. قال وسمعته يقول: بطل الغنى يمنع من عز الصبر. قال: وسمعته يقول: ينبغي للمؤمن أن يكون نظره عبرة، وسكوته فكرة، وكلامه حكمة ورواه (يعنى ما تقدم من كلام ضرار فى وصف أمير المؤمنين عليه السلام) فى ملحقات الاحقاق:

ج ٨ ص ٥٩٨ عن أمالى القالى، وربيع الابرار: ص ١٥، والتطريز: ص ١٢٢، ودر بحر المناقب: ص ٩، ونهاية الادب: ج ٣ ص ١٧٣، ونظم درر السمطين: ص ١٣٤، والرياض النضرة: ج ٢ ص ٢١٢، وذخائر العقبى: ص ١٠٠، والمستطرف: ج ٢ ص ١٢٧، والارجوزة: ص ٣٠٠، والكواكب الدرية:

ص ٤٤، وأخبار الدول: ص ٣٧، والاتحاف: ص ٧، والروضة الندية: ص ١٣، والشرف المؤيد:

ص ٥٩. والطبقات المالكية: ص ٧٢، وبعض المصادر المتقدمة.

نسخ هذه القصة مختلفة، فمن أراد فليراجع المصادر التى ذكرناها

ونسبه البيهقى فى المحاسن والسماوى إلى ابن عباس راجع ص ٤٥ وفى نسخة ج ١ ص ٧٢، وإلى عدى بن حاتم كما فى ص ٤٦.

وراجع ربيع الابرار للزمخشري: ج ١ ص ٨٣٥-٩٧. وشرح النهج لابن أبى الحديد: ج ١٨ ص ٢٢٥-٢٢٦ وقاموس الرجال: ج ٥ ص ١٤٩. ونهج الصباغة: ج ٣ ص ١٨٢ و ج ١٢ ص ١٢٤، والمروج، وخصائص السيد الرضى - رحمه الله - وأمالى ابن بابويه، والاستيعاب. وزهر الربيع: ج ١ ص ١٩٧ و ج ٢ ص ٢٣. الكنى

واللقاب: ج ٢ ص ١٠٥

عن يونس بن يعقوب، قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فورد عليه رجل من أهل الشام فقال : إني رجل صاحب كلام وفقه وفرائض،

ص: ٣٢٣

وقد جئت لمناظرة أصحابك.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: كلامك من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله أو من عندك؟ فقال : من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله ومن عندي، فقال أبو عبد الله عليه السلام : فأنت إذا شريك رسول الله صلى الله عليه وآله؟ ! قال: لا. قال: فسمعت الوحي عن الله عز وجل يخبرك؟

قال: لا. قال: فتجب طاعتك كما تجب طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: لا.

فالتفت أبو عبد الله عليه السلام إلى، فقال : يا يونس بن يعقوب! هذا قد خصم نفسه قبل أن يتكلم . ثم قال: يا يونس! لو كنت تحسن الكلام كلمته . قال: يونس: فيالها من حسرة! فقلت: جعلت فداك! إني سمعتك تنهى عن الكلام وتقول : ولى لأصحاب الكلام! يقولون: هذا ينقاد وهذا لا ينقاد، وهذا ينساق وهذا لا ينساق، وهذا نعقله وهذا لا نعقله . فقال أبو عبد الله عليه السلام : إنما قلت: فويل لهم إن تركوا ما أقول وذهبوا إلى ما يريدون.

ثم قال لى: اخرج إلى الباب فانظر من ترى من المتكلمين فأدخله.

قال: فأدخلت حمران بن أعين وكان يحسن الكلام، وأدخلت الاحول وكان يحسن الكلام، وأدخلت هشام بن سالم وكان يحسن الكلام، وأدخلت قيس الماصر وكان عندي أحسنهم كلاما وكان قد تعلم الكلام من على بن الحسين عليهما السلام.

فلما استقر بنا المجلس - وكان أبو عبد الله عليه السلام قبل الحج يستقر أياما في جبل في طرف الحرم في فارة له مضروبة - قال: فأخرج أبو عبد الله عليه السلام رأسه من فازته فإذا هو بيعير يخب، فقال : هشام ورب الكعبة! قال: فظننا أن هشاما رجل من ولد عقيل كان شديد المحبة له.

ص: ٣٢٤

قال: فورد هشام بن الحكم وهو أول ما اختطت لجنته وليس فينا إلا من هو أكبر سنا منه . قال: فوسع له أبو عبد الله عليه السلام وقال: ناصرنا بقلبه ولسانه ويده! ثم قال: يا حمران كلم الرجل، فكلمه فظهر عليه حمران . ثم قال: يا طاقى كلمه، فكلمه، فظهر عليه الاحول. ثم قال: يا هشام بن سالم كلمه، فتعارفا . ثم قال أبو عبد الله عليه السلام لقيس الماصر كلمه، فكلمه . فأقبل أبو عبد الله عليه السلام يضحك من كلامهما مما قد أصاب الشامي.

فقال للشامي: كلم هذا الغلام - يعنى هشام بن الحكم - فقال: نعم.

فقال لهشام: يا غلام! سلني في إمامة هذا . فعضب هشام حتى ارتعد، ثم قال للشامي : يا هذا! أربك أنظر لخلقه أم خلقه لانفسهم؟ فقال الشامي:

بل ربی انظر لخلقه . قال: ففعل بنظره لهم ماذا؟ قال : أقام لهم حجة ودليلا کی لا یتشتوا او یختلفوا، یتألفهم ویقیم أودهم ویخبرهم بفرض ربهم.

قال: فمن هو؟ قال: رسول الله صلى الله عليه وآله - قال هشام: فبعد رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: الكتاب والسنة. قال هشام: فهل نفعلنا اليوم الكتاب والسنة في رفع الاختلاف عنا؟ قال الشامي: نعم.

قال: فلم اختلفنا أنا وأنت وصرت إلينا من الشام في مخالفتنا إياك؟ قال:

فسكت الشامي! فقال أبو عبد الله عليه السلام للشامي: مالك لا تتكلم؟ قال الشامي:

إن قلت: لم نختلف كذبت، وإن قلت: إن الكتاب والسنة يرفعان عنا الاختلاف أبطلت لانهما يحتملان الوجوه، وإن قلت: قد اختلفنا وكل واحد منا يدعى الحق فلم ينفعنا إذن الكتاب والسنة، إلا أن لي عليه هذه الحجة.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: سلّه تجده مليا.

فقال الشامي: يا هذا! من أنظر للخلق أربهم أو أنفسهم؟ فقال هشام:

ص: ۳۲۵

رهبهم أنظر لهم منهم لانفسهم. فقال الشامي: فهل أقام لهم من يجمع لهم كلمتهم ويقيمهم اودهم ويخبرهم بحقهم من باطلهم؟ قال هشام: في وقت رسول الله صلى الله عليه وآله أو الساعة؟ قال الشامي : في وقت رسول الله صلى الله عليه وآله والساعة من؟ فقال هشام: هذا القاعد الذي تشد إليه الرحال ويخبرنا بأخبار السماء [والارض] وراثه عن أب عن جد، قال الشامي: فكيف لي أن أعلم ذلك؟ قال هشام: سله عما بدا لك، قال الشامي: قطعت عذري، فعلى السؤال.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا شامي اخبرك كيف كان سفرک وكيف كان طریقک؟ کان کذا وكذا! فأقبل الشامي يقول: صدقت أسلمت لله الساعة. فقال أبو عبد الله عليه السلام: بل آمنت بالله الساعة، إن الاسلام قبل الايمان وعليه يتوارثون ويتناحون، والايمان عليه يثابون.

فقال الشامي: صدقت! فأنا الساعة أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وآله وأنك وصي الاوصياء.

ثم التفت أبو عبد الله عليه السلام إلى حرمان فقال: تجرى الكلام على الاثر فتصيب. والتفت إلى هشام بن سالم، فقال: تريد الاثر ولا تعرفه. ثم التفت إلى الاحول، فقال: قياس رواج تكسر باطلا بباطل، إلا أن باطلك أظهر. ثم التفت إلى قيس الماصر، فقال:

تتكلم وأقرب ما تكون من الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله أبعد ما تكون منه، تمزج الحق مع الباطل، وقليل الحق يكفى عن كثير الباطل، أنت والاحول لقفازان حاذقان.

قال يونس: فظننت والله! إنه يقول لهشام قريبا مما قال لهما. ثم قال:

يا هشام! لا تكاد تقع تلوى رجليك إذا هممت بالارض طرت! مثلك فليكلم

ص: ٣٢٦

الناس، فاتق الزلّة، والشفاعة من ورائها، إن شاء الله^{٢٧٨}.

(٢١٣) أسعد بن أبى روح مع بعض المالكية

قال ابن حجر فى لسان الميزان^{٢٧٩} فى ترجمة أسعد بن أبى روح أنهى الفضل الرافضى قاضى طرابلس ما لفظه باختصار منا:

كان جليل القدر، يرجع إليه أهل عقيدته، وكان عظيم الصلاة والتهجد، لا ينام إلا بعض الليل، وكان صمته أكثر من كلامه.

وحكى الراشدى تلميذه، قال: جمع ابن عمار بين أبى الفضل وبين بعض الفقهاء المالكية فناظره فى تحريم الفقاع، وكان فصيحاً، فنطق بالحجة فانزعج المالكي، فقال له: كلنى! فقال فى الحال: ما أنا على مذهبك! يريد أن مذهبه جواز أكل الكلب.

وقال له ابن عمار: ما الدليل على حدوث القرآن؟ قال: النسخ، والقديم لا يتبدل ولا يدخله زيادة ولا نقص.

(٢١٤) هشام بن الحكم مع بعض الخوارج

قال بعض الخوارج لهشام بن الحكم: العجم تتزوج فى العرب؟ قال:

نعم. قال: فالعرب تتزوج فى قريش؟ قال: نعم. قال فقريش تتزوج فى بنى هاشم؟ قال: نعم. فجاء الخارجى إلى الصادق عليه السلام فقص عليه، ثم قال: أسمع منك؟ فقال عليه السلام: نعم قد قلت ذاك. قال الخارجى:

ص: ٣٢٧

^{٢٧٨} (١) أصول الكافي: ج ١ ص ١٧٣ - ١٧١، والبحار: ج ٤٧ ص ١٥٧ مختصراً منه عنه وعن المناقب ج ٤٨ ص ٢٠٣ عن الارشاد وأعلام الورى. وج ٢٣ ص ٩

عن الاحتجاج. وراجع قاموس الرجال: ج ٩ ص ٣٣٥. وبهج الصباغة ج ٣ ص ٩. والاحتجاج: ج ٢ ص ١٢٣

^{٢٧٩} (٢) لسان الميزان: ج ١ ص ٣٨٦ / ٣٨٧

فها أنا ذا قد جئتكم خاطبا ! فقال له أبو عبد الله عليه السلام : إنك لكفو في دينك وحسبك في قومك، ولكن الله عزوجل صاننا عن الصدقات وهي أوساخ أيدي الناس، فنكره أن نشرك فيما فضلنا الله به من لم يجعل الله له مثل ما جعل لنا . فقال الخارجي وهو يقول: بالله ما رأيت رجلا مثله ردني والله أقبح رد، وما خرج من قوله صاحبه^{٢٨٠}.

(٢١٥) هشام مع ابن أبي العوجاء

سأل ابن أبي العوجاء هشام بن الحكم، فقال له: أليس الله حكيما؟

قال: بلى هو أحكم الحاكمين. قال: فأخبرني عن قول الله عزوجل:

" فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث وربا ع فان خفتن أن لا تعدلوا فواحدة " أليس هذا فرض؟ قال : بلى قال: فأخبرني عن قوله عزوجل:

" ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل " أى حكيما يتكلم بهذا؟

فلم يكن عنده جواب، فرحل إلى المدينة إلى أبي عبد الله عليه السلام فقال : يا هشام! في غير وقت حج ولا عمرة! قال: نعم جعلت فداك لامرأهمنى، إن ابن أبي العوجاء سألني عن مسألة لم يكن عندي فيها شيء، قال:

وما هي؟ قال: فأخبره بالقصة.

فقال له أبو عبد الله عليه السلام، أما قوله عزوجل: " فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث وربا ع فان خفتن أن لا تعدلوا فواحدة " يعنى فى النفقة.

وأما قوله: " ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا

ص: ٣٢٨

كل الميل فتذروها كالمعلقة " يعنى فى المودة.

قال: فلما قدم عليه هشام بهذا الجواب وأخبره قال: والله ما هذا من عندك^{٢٨١}!

(٢١٦) مؤمن الطاق مع الخوارج

^{٢٨٠} (١) البحار: ج ٤٧ ص ٢١٩ عن المناقب

^{٢٨١} (١) البحار: ج ٤٧ ص ٢٢٥ عن الكافي: ج ٥ ص ٣٦٢

اجتمعت الشيعة والمحكمة عند أبي نعيم النخعي بالكوفة، وأبو جعفر محمد بن النعمان مؤمن الطاق حاضر، فقال ابن أبي خدره : أنا اقرر معكم أيتها الشيعة أن أبا بكر أفضل من علي وجميع أصحاب النبي صلى الله عليه وآله بأربع خصال لا يقدر على دفعها أحد من الناس:

هو ثان مع رسول الله صلى الله عليه وآله في بيته مدفون، وهو ثاني اثني معه في الغار، وهو ثاني اثنين صلى بالناس آخر صلاة قبض بعدها رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ثاني اثنين الصديق من الامة.

قال أبو جعفر مؤمن الطاق رحمه الله عليه : يا ابن أبي خدره ! وأنا اقرر معك أن عليا عليه السلام أفضل من أبي بكر وجميع أصحاب النبي صلى الله عليه وآله بهذه الخصال التي وصفتها وأنا مثلبة لصاحبك، والزمك طاعة علي عليه السلام من ثلاث جهات: من القرآن ووصفا، ومن خبر رسول الله صلى الله عليه وآله نضا، ومن حجة العقل اعتبارا، ووقع الاتفاق على إبراهيم النخعي، وعلى أبي إسحاق السبيعي، وعلى سليمان بن مهران الاعمش.

فقال أبو جعفر مؤمن الطاق: أخبرني يا ابن أبي خدره عن النبي صلى الله عليه وآله أترك بيوته التي أضافها الله إليه ونهى الناس عن دخولها إلا

ص: ٣٢٩

بأذنه ميراثا لاهله وولده، أو تركها صدقة على جميع المسلمين؟ قال ما شئت.

فانقطع ابن أبي خدره لما أورد عليه ذلك وعرف خطأ ما فيه.

فقال أبو جعفر مؤمن الطاق: إن تركها ميراثا لولده وأزواجه فانه قبض عن تسع نسوة، وإنما لعائشة بنت أبي بكر تسع ثمن هذا البيت الذي دفن فيه صاحبك، ولم يصبها من البيت ذراع في ذراع، وإن كان صدقة فالبلية أطم وأعظم! فانه لم يصب له من البيت إلا ما لادني رجل من المسلمين، فدخل بيت النبي صلى الله عليه وآله بغير إذنه في حياته وبعد وفاته معصية إلا لعلي بن أبي طالب عليه السلام وولده، فان الله أحل لهم ما أحل للنبي صلى الله عليه وآله.

ثم قال: إنكم تعلمون أن النبي صلى الله عليه وآله أمر بسد أبواب جميع الناس التي كانت مشرعة إلى المسجد ما خلا باب علي عليه السلام، فسأله أبو بكر أن يترك له كوة لينظر منها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأبى عليه، وغضب عمه العباس من ذلك، فخطب النبي صلى الله عليه وآله خطبة وقال : إن الله تبارك وتعالى أمر لموسى وهارون أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا، وأمرهما أن لا يبیت في مسجد هما جنب ولا يقرب فيه النساء إلا موسى وهارون وذريتهما، وإن عليا مني هو بمنزلة هارون من موسى وذريته كذرية هارون، ولا يحل لاحد أن يقرب النساء في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله ولا يبیت فيه جنبا، إلا على وذريته عليهم السلام، فقالوا بأجمعهم: كذلك كان.

قال أبو جعفر: ذهب ربع دينك يا ابن أبي خدره! وهذه منقبة لصاحبك ليس لاحد مثلها، ومثلبة لصاحبك.

وأما قولك: ثاني اثنين إذ هما في الغار، أخبرني هل أنزل الله سكينته على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى المؤمنين في غير الغار؟ قال ابن أبي

ص: ٣٣٠

خدره: نعم. قال أبو جعفر: فقد أخرج صاحبك في الغار ما السكينه وخصه بالحزن، ومكان على عليه السلام في هذه الليلة على فراش النبي صلى الله عليه وآله وبذل مهجته دونه أفضل من مكان صاحبك في الغار، فقال الناس: صدقت. فقال أبو جعفر: يا ابن أبي خدره! ذهب نصف دينك.

وأما قولك: ثاني اثنين الصديق من الامة، أوجب الله على صاحبك الاستغفار لعلي بن أبي طالب عليه السلام في قوله عزوجل: "والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان" إلى آخر الآية. والذي ادعيت إنما هو شيء سماه الناس، ومن سماه القرآن وشهد له بالصدق والتصديق أولى به ممن سماه الناس، وقد قال على عليه السلام على منبر البصرة: "أنا الصديق الأكبر آمنت قبل أن آمن أبو بكر وصدقت قبله" قال الناس: صدقت.

قال أبو جعفر مؤمن الطاق: يا ابن أبي خدره! ذهب ثلاث أرباع دينك.

وأما قولك في الصلاة بالناس: كنت ادعيت لصاحبك فضيلة لم تقم له، وإنها إلى التهمة أقرب منها إلى الفضيلة، فلو كان ذلك بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله لما عزله عن تلك الصلاة بعينها، أما علمت أنه لما تقدم أبو بكر ليصلي بالناس خرج رسول الله صلى الله عليه وآله فتقدم وصلى بالناس وعزله عنها؟ ولا تخلو هذه الصلاة من أحد وجهين: إما أن تكون حيلة وقعت منه فلما حس النبي صلى الله عليه وآله بذلك خرج مبادرا مع علته فنحاه عنها لكي لا يحتج بعد على امته فيكونوا في ذلك معذورين، وإما أن يكون هو الذي أمره بذلك وكان ذلك مفوضا إليه كما في قصة تبليغ براءة فنزل جبرئيل عليه السلام وقال: لا يؤديها إلا أنت أو رجل منك، فبعث عليا عليه السلام في طلبه وأخذها منه وعزله عنها وعن تبليغها؟

ص: ٣٣١

فكذلك كانت قصة الصلاة، وفي الحالتين هو مذموم، لأنه كشف عنه ما كان مستورا عليه، وذلك دليل واضح، لأنه لا يصلح للاستخلاف بعده، ولا هو مأمون على شيء من أمر الدين، فقال الناس: صدقت.

قال أبو جعفر مؤمن الطاق: يا ابن أبي خدره! ذهب دينك كله، وفضحت حيث مدحت، فقال الناس لابي جعفر: هات حجتك فيما ادعيت من طاعة على عليه السلام، فقال أبو جعفر مؤمن الطاق:

أما من القرآن وصفا، فقوله: عزوجل: "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين" فوجدنا عليا عليه السلام بهذه الصفة في القرآن في قوله عزوجل: "والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس" يعني في الحرب والتعب "اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون" فوقع الاجماع من الامة بأن عليا عليه السلام أولى بهذا الامر من غيره، لأنه لم يفر عن زحف قط كما فر غيره في غير موضع، فقال الناس: صدقت.

وأما الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله نضا، فقال: "إنى تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدى: كتاب الله وعترتى أهل بيتى، فانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض" وقوله صلى الله عليه وآله:

" مثل أهل بيتى فيكم كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنا غرق، ومن تقدمها مرق، ومن لزمها لحق " فالتمسك بأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله هاد مهتد بشهادة من الرسول صلى الله عليه وآله والتمسك بغيرهم ضال مضل، قال الناس: صدقت يا أبا جعفر.

وأما من حجة العقل : فان الناس كلهم يستعبدون بطاعة العالم ووجدنا الاجماع قد وقع على على عليه السلام أنه كان أعلم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وكان جميع الناس يسألونه ويحتاجون إليه، وك ان على عليه السلام مستغنيا عنهم، هذا من الشاهد، والدليل عليه من القرآن قوله عز

ص: ٣٣٢

وجل: " أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدى إلا أن يهدى فمالكم كيف تحكمون".

فما اتفق يوم أحسن منه، ودخل فى هذا الامر عالم كثير.

وقد كانت لابی جعفر مؤمن الطاق مقامات مع أبى حنيفة، فمن ذلك:

ماروى أنه قال يوما من الايام لمؤمن الطاق: إنكم تقولون بالرجعة؟ قال:

نعم، قال أبو حنيفة: فأعطني الآن ألف درهم حتى أعطيك ألف دينار إذا رجعنا ! قال الطاقى لابی حنيفة: فاعطني كفيلا بأنك ترجع إنسانا ولا ترجع خنزيرا.

وقال له يوما آخر: لم لم يطالب على بن أبى طالب بحقه بعد وفاء رسول الله صلى الله عليه وآله إن كان له حق؟ فأجابه مؤمن الطاق، فقال:

خاف أن تقتله الجن كما قتلوا سعد بن عبادة بسهم المغيرة بن شعبة.

وكان أبو حنيفة يوما آخر يتماشى مع مؤمن الطاق فى سكة من سكك الكوفة، إذا بمناد ينادى، من يدلنى على صبي ضال؟ فقال مؤمن الطاق: أما الصبي الضال فلم نره، وإن أردت شيئا ضالا فخذ هذا! عنى به أبا حنيفة.

ولما مات الصادق عليه السلام رأى أبو حنيفة مؤمن الطاق، فقال له:

مات إمامك؟ قال: نعم، أما إمامك فمن المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم! ^{٢٨٢}.

ص: ٣٣٣

(٢١٧) هشام وأبو عبيدة

قال أبو عبيدة المعتزلي لهشام بن الحكم: الدليل على صحة معتقدنا وبطلان معتقدكم كثرتنا وقلتكم مع كثرة أولاد على وادعائهم. فقال هشام: لست إيانا أردت بهذا القول إنما أردت الطعن على نوح عليه السلام حيث لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم إلى النجاة ليلا ونهارا، وما آمن معه إلا قليل.

وسأل هشام بن الحكم جماعة من المتكلمين، فقال: أخبروني حين بعث الله محمدا صلى الله عليه وآله بعثه بنعمة تامة أو بنعمة ناقصة؟ قالوا: بنعمة تامة، قال: فأيا أتم؟ أن يكون في أهل بيت واحد نبوة وخلافة؟ أو يكون نبوة بلا خلافة؟ قالوا: بل يكون نبوة وخلافة، قال: فلما ذا جعلتموها في غيرها، فإذا صارت في بني هاشم ضربتم وجوههم بالسيوف؟ فافحموا ^{٢٨٣}.

(٢١٨) الهيثم وأبو حنيفة

عن محمد بن نوفل قال: [كنت عند الهيثم بن حبيب الصيرفي] دخل علينا أبو حنيفة النعمان بن ثابت، فذكرنا أمير المؤمنين عليه السلام ودار بيننا كلام فيه، فقال أبو حنيفة: قد قلت لأصحابنا لا تقرؤا لهم بحديث غدير حم فيخصموكم! فتغير وجه الهيثم بن حبيب الصيرفي وقال له: لم لا يقرون به؟

أما هو عندك يا نعمان؟ قال: هو عندي وقد رويته! قال: فلم لا يقرون به وقد حدثنا به حبيب بن أبي ثابت، عن أبي الطفيل، عن زيد بن ارقم: أن

ص: ٣٣٤

عليا عليه السلام نشد الله في الرحبة من سمعه؟ فقال أبو حنيفة: أفلا ترون أنه قد جرى في ذلك خوض حتى نشد على الناس لذلك؟ فقال الهيثم:

فنحن نكذب عليا أو نرد قوله؟ فقال أبو حنيفة: ما نكذب عليا ولا نرد قولاً قاله: ولكنك تعلم أن الناس قد غلا فيهم قوم.

^{٢٨٢} (١) البحار: ج ٤٧ ص ٤٠٥ - ٤٠٠ - ٣٩٦ وج ٨ ص ١٤٤ ط الكمباني عن المناقب وراجع قاموس الرجال: ج ٨ ص ٣١٠ وج ٩ ص ٢١٥. وروضة المؤمنين:

ص ٨١ - ٦٩ عن الاحتجاج وكذا ص ١٥٣ ونهج الصباغة: ج ٤ ص ٣٣٩. والاحتجاج: ج ٢ ص ١٤٨ - ١٤٣. وزهر الربيع: ص ١٤٢ - ٣١ - ٢٤.

والكنى واللقاب: ج ٢ ص ٤٠٣

^{٢٨٣} (١) البحار: ج ٤٧ ص ٤٠١ عن المناقب

فقال الهيثم: يقول رسول الله صلى الله عليه وآله ويخطب به ونشفق نحن منه ونتقيه لعلو غال أو قول قائل؟ ثم جاء من قطع الكلام بمسألة سأل عنها، ودار الحديث بالكوفة وكان معنا في السوق حبيب بن زار بن حسان، فجاء إلى الهيثم، فقال له : قد بلغني ما دار عنك في علي وقوله - وكان حبيب مولى لبنى هاشم - فقال له الهيثم النظر يمر فيه أكثر من هذا، فخفض الامر.

فحججنا بعد ذلك ومعنا حبيب، فدخلنا على أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام فسلمنا عليه، فقال له حبيب : يا أبا عبد الله! كان من الامر كذا وكذا، فتبين الكراهية في وجه أبي عبد الله عليه السلام، فقال له حبيب : هذا محمد بن نوفل حضر ذلك، فقال له أبو عبد الله عليه السلام : أى حبيب كف! خالفوا الناس بأخلاقهم وخالفوهم بأعمالكم، فان لكل امرئ ما اكتسب، وهو يوم القيامة مع من أحب، لا تحملوا الناس عليكم وعلينا، وا دخلوا في ذمهم الناس، فان لنا أياما ودولة يأتي بها الله إذا شاء، فسكت حبيب، فقال: أفهمت يا حبيب؟ لا تخالفوا أمرى فتندموا، قال: لن أخالف أمرى، الحديث^{٢٨٤}.

(٢١٩) محمد بن حكيم مع شريك

عن محمد بن حكيم وصاحب له - قال أبو محمد: قد كان درس اسمه في

ص: ٣٣٥

كتاب أبي - قالوا: رأينا شريكا واقفا في حائط من حيطان فلان - قد كان درس اسمه أيضا في الكتاب - قال أحدنا لصاحبه: هل لك في خلوة من شريك؟ فأتيناه فسلمنا عليه، فرد علينا السلام، فقلنا : يا أبا عبد الله مسألة، فقال : في أى شيء؟ فقلنا : في الصلاة، فقال: سلوا عما بدا لكم.

فقلنا: لا نريد أن نقول : قال فلان وقال فلان، إنما نريد أن تسنده إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال : أليس في الصلاة؟ فقلنا: بلى، فقال: سلوا عما بدا لكم. فقلنا: في كم يجب التقصير؟ قال: كان ابن مسعود يقول:

لا يغرنكم سوادنا هذا، وكان يقول فلان . قال: قلت: إنا استثنينا عليك ألا تحدثنا إلا عن نبي الله صلى الله عليه وآله قال : والله! إنه لتبجح لشيوخ يسئل عن مسألة في الصلاة عن النبي لا يكون عنده فيها شيء، وأقبح من ذلك أن أكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله.

قلت: فمسألة اخرى، فقال: أليس في الصلاة؟ قلنا: بلى، قال: سلوا عما بدا لكم.

قلنا: على من تجب صلاة الجمعة؟ قال: عادت المسألة جذعة! ما عندي في هذا عن رسول الله صلى الله عليه وآله شيء.

قال: فأردنا الانصراف، قال : إنكم لم تسألوا عن هذا إلا وعندكم منه علم، قال : قلت: نعم أخبرنا محمد بن مسلم الثقفي، عن محمد بن علي، عن أبيه، عن جده، عن النبي صلى الله عليه وآله، فقال : الثقفي الطويل اللحية؟ فقلنا : نعم، قال: أما انه لقد كان

مأمونا على الحديث، ولكن كانوا يقولون : إنه خشبي، ثم قال : ماذا روى؟ قلنا : روى عن النبي صلى الله عليه وآله : أن التقصير يجب في بريدين، وإذا اجتمع خمسة أحدهم

ص: ٣٣٦

الامام فلهم أن يجمعوا^{٢٨٥}.

(٢٢٠) مؤمن الطاق مع زيد

عن مؤمن الطاق - واسمه محمد بن علي بن النعمان، أبو جعفر الاحول - قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فدخل زيد بن علي، فقال لي:

يا محمد بن علي أنت الذي تزعم أن في آل محمد إماما مفترض الطاعة معروفا بعينه؟ قال : قلت: نعم، فكان أبوك علي بن الحسين أحدهم، قال: ويحك! فما كان يمنعه من أن يقول لي؟ فوالله ! لقد كان يؤتي بالطعام الحار فيقعدي على فخذه ويتناول البضعة فيبردها ثم يلقيها، أفتراه كان يشفق علي من حر الطعام ولا يشفق علي من حر النار؟ قال : قلت: كره أن يقول فتكفر، فيجب من الله عليك الوعيد ولا يكون له فيك شفاعه، فتركك مرجئا لله فيك المشيئة وله فيك الشفاعه^{٢٨٦}.

(٢٢١) مؤمن الطاق مع الضحاک

عن أبي مالك الاحمسي قال: خرج الضحاک الشاري بالكوفة فحكم وتسمى بامرأة المؤمنين ودعا الناس إلى نفسه، فأتاه مؤمن الطاق، فلما رآته الشراء وثبوا في وجهه فقال لهم: جانح. قال: فأوتى به صاحبهم، فقال له مؤمن الطاق: أنا رجل على بصيرة من ديني، وسمعتك تصف العدل، فأحببت الدخول معك، فقال الضحاک لأصحابه: إن دخل هذا معكم نفعكم.

ص: ٣٣٧

قال: ثم أقبل مؤمن الطاق على الضحاک، فقال: لم تبرأتم من علي بن أبي طالب واستحللتم قتله وقتاله؟ قال: لانه حكم في دين الله، قال: وكل من حكم في دين الله استحللتم قتله وقتاله والبراءة منه؟ قال: نعم، قال:

فأخبرني عن الدين الذي جئت اناظرک عليه لادخل معک فيه إن غلبت حجتی حجتک أو حجتک حجتی، من يوقف المخطئ على خطئه ويحكم للمصيب بصوابه؟ فلا بد لنا من إنسان يحكم بيننا قال : فأشار الضحاک إلى رجل من أصحابه فقال : هذا

^{٢٨٥} (١) البحار: ج ٤٧ ص ٤٠٤ - ٤٠٣ عن الكشي: والاختصاص: ص ٤٥. والكشي: ص ١٦٦

^{٢٨٦} (٢) البحار: ج ٤٧ ص ٤٠٥ وقد مر بلفظ آخر والكشي: ص ١٨٧ - ١٨٦ بسندين

الحكم بيننا فهو عالم بالدين، قال : وقد حكمت هذا فى الدين الذى جئت أناظرک فيه؟ قال : نعم، فأقبل مؤمن الطاق على أصحابه، فقال: إن هذا صاحبکم قد حکم فى دين الله فشأنکم به! فضربوا الضحاک بأسیافهم حتى سکت^{٢٨٧}.

(٢٢٢) مؤمن الطاق مع ابن أبى العوجاء

عن یونس، عن أبى جعفر الاحول، قال: قال ابن أبى العوجاء مرة:

أليس من صنع شيئا وأحدثه حتى يعلم أنه من صنعته فهو خالقه؟ قلت:

بلى، قال: فأخلى شهرا أو شهرين ثم تعال حتى أريك . قال: فحجبت فدخلت على أبى عبد الله ع ليه السلام فقال : أما أنه قد هيا لك شاتين وهو جاء معه بعدة من أصحابه، ثم يخرج لك الشاتين قد امتلئا دودا، ويقول لك : هذا الدود يحدث من فعلى، فقل له : إن كان من صنعک وأنت أحدثته فميز ذكوره من اناثه . وخرج إلى الدود فقلت له : ميز الذكور من الاناث، فقال : هذه والله ليست من إبرازک! هذه التى حملتها الابل من الحجاز.

ص: ٣٣٨

ثم قال: ويقول لك: أليس تزعم أنه غنى، فقل : بلى، فيقول أیكون الغنى عندک من المعقول فى وقت من الاوقات ليس عنده ذهب ولا فضة؟

فقل له: نعم، فانه سيقول لك: كيف يكون هذا غنيا؟ فقل: إن كان الغنى عندک أن يكون الغنى غنيا من قبل فضته وذهبه تجارته، فهذا كله مما يتعامل الناس به، فأى القياس أكثر وأولى بأن يقال: غنى: من أحدث الغنى فأغنى به الناس قبل أن يكون شئ وهو وحده، أو من أفاد مالا من هبة أو صدقة أو تجارة؟ قال : فقلت له ذلك، قال: فقال: وهذه والله ليست من إبرازک! هذه والله مما تحملها الابل^{٢٨٨}.

(٢٢٣) مؤمن الطاق وأبو حنیفة

وقيل: انه - يعنى مؤمن الطاق - دخل على أبى حنیفة يوما، فقال له أبو حنیفة : بلغنى عنکم معشر الشيعة شئ؟ فقال : فما هو؟ قال: بلغنى أن الميت منکم إذا مات كسرتم يده اليسرى لکی يعطى كتابه بيمينه! فقال:

مكذوب علینا يا نعمان! ولكنى بلغنى عنکم معشر المرجئة : أن الميت منکم إذا مات قمعتم فى دبره قمعا فصببتم فيه جرّة من ماء لکی لا يعطش يوم القيامة! فقال أبو حنیفة: مكذوب علینا وعلیکم^{٢٨٩}.

^{٢٨٧} (١) البحار: ج ٤٧ ص ٤٠٥ عن الكشى وج ٨ ص ٥٧٠ ط الكمباني عن المناقب وراجع قاموس الرجال: ج ٨ ص ٣٠٧ والكشى: ص ١٨٨

^{٢٨٨} (١) البحار: ج ٤٧ ص ٤٠٦ وراجع قاموس الرجال: ج ٨ ص ٣٠٨ والكشى: ص ١٨٩

^{٢٨٩} (٢) البحار: ج ٤٧ ص ٤٠٧. قاموس الرجال: ج ٨ ص ٣٠٨. والكشى: ص ١٩٠

عن هشام بن سالم، قال : كنا عند أبي عبد الله عليه السلام جماعة من أصحابه، فورد رجل من أهل الشام فاستأذن، فاذن له، فلما دخل سلم،

ص: ٣٣٩

فأمره أبو عبد الله عليه السلام بالجلوس.

ثم قال له : ما حاجتك أيها الرجل؟ قال : بلغني أنك عالم بكل ما تسأل عنه، فصرت إليك لا ناظر ك . فقال أبو عبد الله عليه السلام: فيما ذا؟ قال: في القرآن وقطعه واسكانه وخفضه ونصبه ورفع، فقال أبو عبد الله عليه السلام:

يا حمران دونك الرجل! فقال الرجل: اريدك أنت لا حمران. فقال أبو عبد الله عليه السلام: إن غلبت حمران فقد غلبتني، فأقبل الشامي يسأل حمران حتى ضجر ومل وعرض وحمران يجيبه. فقال أبو عبد الله عليه السلام: كيف رأيت يا شامي؟ قال:

رأيت حاذقا ما سألته عن شيء إلا أجابني فيه. فقال أبو عبد الله عليه السلام:

يا حمران سل الشامي، فما تركه يكثر.

فقال الشامي: أ رأيت يا أبا عبد الله اناظر ك في العربية؟ فالتفت أبو عبد الله عليه السلام فقال : يا أبان بن تغلب ناظره، فناظره، فما ترك الشامي يكثر.

قال: اريد أن اناظر ك في الفقه، فقال أبو عبد الله: يا زرارة ناظره، فما ترك الشامي يكثر.

قال: اريد أن اناظر ك في الكلام، فقال : يا مؤمن الطاق ناظره، فناظره فسجل الكلام بينهما، ثم تكلم مؤمن الطاق بكلامه فغلبه به.

فقال: اريد أن اناظر ك في الاسطاعة، فقال للطيار: كلمه فيها، قال:

فكلمه، فما ترك يكثر.

فقال: اريد أن اناظر ك في التوحيد، فقال لهشام بن سالم: كلمه، فسجل الكلام بينهما، ثم خصمه هشام.

فقال: اريد أن اتكلم في الامامة، فقال لهشام بن الحكم : كلمه يا أبا الحكم، فكلمه فما تركه يرتد ولا يحلى ولا يم ر. قال: فبقى يضحك أبو عبد الله

ص: ٣٤٠

عليه السلام حتى بدت نواجده.

فقال الشامي: كأنك أردت أن تخبرني أن في شيعتك مثل هؤلاء الرجال؟ قال: هو ذلك، ثم قال: يا أخا أهل الشام! أما حمران: فحرفك فحرت له فغلبك بلسانه، وسألك عن حرف من الحق فلم تعرفه . وأما أبان ابن تغلب: فمغث حقا بباطل فغلبك . وأما زرار: فقاسك فغلب قياسه قياسك . وأما الطيار: فكان كالطير يقع ويقوم وأنت كالطير المقصوص [لا نهوض لك]. وأما هشام بن سالم: قال حبارى يقع ويطير. وأما هشام بن الحكم: فتكلم بالحق فما سوغك بريقك.

يا أخا أهل الشام! إن الله أخذ ضغنا من الحق وضغنا من الباطل، فمغنهما، ثم أخرجهما إلى الناس، ثم بعث أنبياء يفرقون بينهما، فعرفهما الانبياء والافصياء فبعث الله الانبياء ليفرقوا ذلك وجعل الانبياء قبل الافصياء ليعلم الناس من فضل الله ومن يختص، ولو كان الحق على حدة والباطل على حدة كل واحد منهما قائم بشأنه ما احتاج الناس إلى نبي ولا وصي، ولكن الله خلطهما، وجعل يفرقهما الانبياء والائمة عليهم السلام من عباده.

فقال الشامي: قد أفلح من جالسك! فقال أبو عبد الله عليه السلام: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يجالسه جبرائيل وميكائيل واسرافيل يصعد إلى السماء فيأتيه الخبر من عند الجبار، فان كان ذلك كذلك فهو كذلك.

فقال الشامي اجعلني من شيعتك وعلمني، فقال أبو عبد الله عليه السلام لهشام: علمه فاني احب أن يكون تلميذا لك.

قال علي بن منصور وأبو مالك الخضرمي، رأينا الشامي عند هشام بعد موت أبي عبد الله عليه السلام وىأتى الشامي بهدايا أهل الشام وهشام يرده

ص: ٣٤١

هدايا أهل العراق. قال علي بن منصور: وكان الشامي ذكي القلب^{٢٩٠}.

(٢٢٥) حريز وأبو حنيفة

عن حريز قال: دخلت على أبي حنيفة وعنده كتب كادت تحول فيما بيننا وبينه، فقال لي: هذ الكتب كلها في الطلاق! وأنتم؟ وأقبل يقلب بيده قال: قلت: نحن نجمع هذا كله في حرف، قال وما هو؟ قلت: قوله تعالى " يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة".

^{٢٩٠} (١) البحار: ج ٤٧ ص ٤٠٧ عن الكشي، وقاموس الرجال: ج ٩ ص ٣٣٩ والكشي:

فقال لى: وأنت لا تعلم شيئا إلا برواية؟ قلت : أجل، فقال لى : ما تقول فى مكاتب كانت مكاتبته ألف درهم فأدى تسعمائة وتسعة وتسعين درهما ثم أحدث - يعنى الزنا - كيف تحده؟ فقلت: عندى بعينها حديث، حدثنى محمد بن مسلم، عن أبى جعفر عليهما السلام أن عليا عليه السلام كان يضرب بالسوط وبثله وبنصفه وبيعضه بقدر أدائه.

فقال لى: أما إني أسألك عن مسألة لا يكون فيها شئ، فما تقول فى جمل اخرج من البحر؟ فقلت : إن شاء فليكن جملا وإن شاء فليكن بقره، إن كان عليه فلوس أكلناه، وإلا فلا^{٢٩١}.

(٢٢٦) مؤمن الطاق وأبو حنيفة

سأل أبو حنيفة أبا جعفر محمد بن النعمان صاحب الطاق، فقال له:

يا أبا جعفر ما تقول فى المتعة؟ أترعم أنها حلال؟ قال: نعم، قال: فما منعك

ص: ٣٤٢

أن تأمر نساءك أن يستمتعن ويكتسبن عليك؟ فقال له أبو جعفر : ليس كل الصناعات يرغب فيها وإن كانت حلالا، وللناس أقدار ومراتب يرفعون أقدارهم، ولكن ما تقول يا أبا حنيفة فى النبذ أترعم أنه حلال؟ قال : نعم، قال: فما يمنعك أن تقعد نساءك فى الحوانيت نباذات فيكسبن عليك؟ فقال أبو حنيفة: واحدة بواحدة، وسهمك أنفذ! ثم قال له: يا أبا جعفر إن الآية التى فى "سأل سائل" تنطق بتحريم المتعة، والرواية عن النبى صلى الله عليه وآله قد جاءت بنسخها، فقال له أبو جعفر، يا أبا حنيفة إن سورة "سأل سائل" مكية وآية المتعة مدنية وروايتك شاذة رديئة . فقال له أبا حنيفة: وآية الميراث أيضا تنطق بنسخ المتعة، فقال له أبو جعفر: قد ثبت النكاح بغير ميراث، قال أبو حنيفة: من أين قلت ذاك؟

فقال أبو جعفر: لو أن رجلا من المسلمين تزوج امرأة من أهل الكتاب ثم توفى عنها ما تقول فيها؟ قال : لا ترث منه . قال: فقد ثبت النكاح بغير ميراث. ثم افترقا^{٢٩٢}.

(٢٢٧) الاعمش وأبو حنيفة

عن شريك بن عبد الله القاضى، قال : حضرت الاعمش فى علته التى قبض فيها، فبينما أنا عنده إذ دخل عليه ابن شبرمة وابن أبى ليلى وأبو حنيفة، فسألوه عن حاله، فذكر ضعفا شديدا، وذكر ما يتخوف من خطيئاته، وأدركته رنة فبكى ! فأقبل عليه أبو حنيفة، فقال: يا أبا محمد اتق الله! وانظر لنفسك فانك فى آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة، وقد كنت تحدث فى على بن أبى طالب عليه السلام بأحاديث لو

^{٢٩١} (٢) البحار: ج ٤٧ ص ٤١٠ - ٤٠٩ عن الكشى والاختصاص للمفيد والكشى: ص ٣٨٤

^{٢٩٢} (١) البحار: ج ٤٧ ص ٤١١. وراجع قاموس الرجال: ج ٨ ص ٣١٠

ص: ٣٤٣

رجعت عنها كان خيرا لك.

قال الاعمش: مثل ماذا يا نعمان؟ قال: مثل حديث عباية: "أنا قسم النار" قال: أو لمثلي تقول يا يهودي؟ أقعدوني سندوني أقعدوني! حدثني والذي إليه مصيري! موسى بن طريف - ولم أر أسديا كان خيرا منه - قال: سمعت عباية بن ربعي إمام الحى، قال: سمعت عليا أمير المؤمنين عليه السلام يقول: أنا قسم النار، أقول: هذا وليي دعيه، وهذا عدوي خذيه.

وحدثني أبو المتوكل الناجي في إمرة الحجاج، وكان يشتم عليا عليه السلام شتما مقذعا - يعنى الحجاج لعنه الله - عن أبي سعيد الخدرى - رحمه الله - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة يأمر الله عز وجل فأقعد أنا وعلى على الصراط، ويقال لنا: "أدخلا الجنة من آمن بى وأحبكما وأدخلا النار من كفر بى وأبغضكما" قال أبو سعيد:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما آمن بالله من لم يؤمن بى ولم يؤمن بى من لم يتول - أو قال: لم يحب - عليا، وتلا "ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد".

قال: فجعل أبو حنيفة إزاره على رأسه وقال: قوموا بنا "لا يجيئنا أبو محمد بأطم من هذا. قال الحسن بن سعيد: قال لى شريك بن عبد الله: فما أمسى - يعنى الاعمش - حتى فارق الدنيا^{٢٩٣}.

(٢٢٨) أعرابى وهارون

الفضل بن ربيع ورجل آخر قالوا: حج هارون الرشيد وابتدأ بالطواف

ص: ٣٤٤

ومنعت العامة من ذلك لينفرد وحده، فهنما هو فى ذلك إذ ابتدر أعرابى البيت! وجعل يطوف معه.

فقال الحاجب: تنح يا هذا عن وجه الخليفة! فانتهرهم الاعرابى وقال:

إن الله ساوى بين الناس فى هذا الموضع، فقال: "سواء العاكف فيه والباد" فأمر الحاجب بالكف عنه، فكلما طاف الرشيد طاف الاعرابى أمامه، فنهض إلى الحجر الاسود ليقبله فسبقه الاعرابى إليه والتثمه، ثم صار الرشيد إلى المقام ليصلى فيه فصلى الاعرابى أمامه.

^{٢٩٣} (١) البخار: ج ٤٧ ص ٤١٢ عن أمالى الشيخ، وص ٣٥٨ عن بشارة المصطفى، وج ٣٩ ص ١٩٧ عن أمالى الشيخ - رحمه الله -، وص ٢٠٥ عن المناقب.

وقاموس الرجال: ج ٤ ص ٤٩٤، وج ٦ ص ٤٠١

فلما فرغ هارون من صلاته استدعى الاعرابي، فقال الحجاب : أجب امير المؤمنين ! فقال: مالى إليه حاجة فأقوم إليه، بل إن كانت الحاجة له فهو بالقيام إلى أولى ! قال: صدق! فمشى إليه وسلم عليه، فرد عليه السلام، فقال هارون : أجلس يا أعرابي؟ فقال: ما لموضع لى فتستأذنى فيه بالجلوس ! إنما هو بيت الله نصبه لعباده، فان أحببت أن تجلس فاجلس، وإن أحببت أن تتصرف فانصرف.

فجلس هارون وقال: ويحك يا أعرابي! مثلك من يزاحم الملوك؟ قال:

نعم وفى مستمع، قال : فانى سائلك فان عجزت آذيتك، قال : سؤالك هذا سؤال متعلم أو متعنت؟ قال : بل سؤال متعلم، قال : اجلس مكان السائل من المسؤول! وسل وأنت مسؤول.

فقال هارون: أخبرنى ما فرضك؟ قال : إن الفرض - رحمك الله - واحد، وخمسة، وسبعة عشر، وأربع وثلاثون وأربع وتسعون ومائة وثلاثة وخمسون على سبعة عشر، ومن إثني عشر واحد، ومن أربعين واحد، ومن مائتين خمس، ومن الدهر كله واحد، وواحد بواحد.

قال: فضحك الرشيد! وقال: ويحك! أسألك عن فرضك وأنت تعد على الحساب! قال: أما علمت أن الدين كله حساب؟ ولو لم يكن الدين

ص: ٣٤٥

حسابا لما اتخذ الله للخلائق حسابا، ثم قرأ " وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين " قال: فبين لى ما قلت، وإلا أمرت بقتلك بين الصفا والمروة.

فقال الحاجب: تهبه لله ولهذا المقام، قال: فضحك الاعرابي من قوله، فقال الرشيد: مما ضحكت يا أعرابي؟ قال: تعجبا منكما، إذ لا أدرى من الاجهل منكما؟ الذى يستوهب أجلا قد حضر؟ أو الذى استعجل أجلا لم يحضر؟ فقال الرشيد : فسر ما قلت، قال: أما قولى: " الفرض واحد " فدين الاسلام كله واحد، وعليه خمس صلوات، وهى سبع عشر ركعة، وأربع وثلاثون سجدة، وأربع وتسعون تكبيرة، ومائة وثلاث وخمسون تسبيحة . وأما قولى: " من إثني عشر واحد " فصيام شهر رمضان من إثني عشر شهرا . وأما قولى: " من الاربعين واحد " فمن ملك أربعين دينارا أوجب الله عليه دينارا وأما قولى : " من مائتين خمسة " فمن ملك مائتى درهم أوجب الله عليه خمسة دراهم، وأما قولى: " فمن الدهر كله واحد " فحجة الاسلام. وأما قولى:

" واحد من واحد " فمن أهرق دما من غير حق وجب إهراق دمه، قال الله تعالى: " النفس بالنفس ".

فقال الرشيد لله درك ! وأعطاه بدرة. فقال: فبم استوجبت منك هذه البدرة يا هارون؟ بالكلام أو بالمسألة؟ قال : بالكلام، قال: فانى سائلك عن مسألة، فان أتيت بها كانت البدرة لك تصدق بها فى هذا الموضع الشريف، وإن لم تجبني عنها أضفت إلى البدرة بدرة أخرى لا تصدق بها على فقراء الحى من قومى، فأمر بإيراد اخرى وقال: سل عما بدا لك.

فقال: أخبرني عن الخنفساء تزق، أم ترضع ولدها؟ فجرد هارون وقال : ويحك يا أعرابي! مثلي من يسأل عن هذه المسألة؟! فقال: سمعت ممن سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من ولي أقواما وهب له

ص: ٣٤٦

من العقل كعقولهم، وأنت إمام هذه الأمة يجب أن تسأل عن شيء من أمر دينك ومن الفرائض إلا أجبت عنها، فهل عندك له الجواب؟

قال هارون: رحمك الله! لا، فبين لي ما قلته، وخذ البدرتين، فقال: إن الله تعالى لما خلق الأرض خلق دبابات الأرض الذي من غير روث ولادم خلقها من التراب، وجعل رزقها وعيشها منه، فإذا فارق الجنين أمه لم تزقه ولم ترضعه وكان عيشها من التراب. فقال هارون: والله! ما ابتلي أحد بمثل هذه المسألة. وأخذ الاعرابي البدرتين، وخرج.

فتبعه بعض الناس وسأله عن اسمه، فإذا هو موسى بن جعفر بن محمد عليهم السلام، فاخبر هارون بذلك، فقال : والله! لقد كان ينبغي أن تكون هذه الورقة من تلك الشجرة^{٢٩٤}.

أقول: نقلته كما وجدته، وإن كان خارجا من موضوع الكتاب، لأن الغرض جمع مواقف الشيعة لا الا ثمة عليهم السلام والرجاء من الله سبحانه أن يوفقني لجمعه في كتاب مستقل، إن شاء الله تعالى.

(٢٢٩) هشام والمتكلمون

عن يونس بن عبد الرحمن، قال : كان يحيى بن خالد البرمكي قد وجد على هشام بن الحكم شيئا من طعنه على الفلاسفة، وأحب أن يغري به هارون ونصرته على القتل، قال: وكان هارون لما بلغه عن هشام مال إليه.

وذلك: أن هشاما تكلم يوما بكلام عند يحيى بن خالد في إرث النبي صلى الله عليه وآله فنقل إلى هارون فأعجبه، وقد كان قبل ذلك يحيى

ص: ٣٤٧

يسترق أمره عند هارون ويرده عن أشياء كان يعزم عليها من أذاه، فكان ميل هارون إلى هشام أحد ما غير قلب يحيى على هشام، فشيعه عنده وقال له : يا أمير المؤمنين! إنني قد استبظنت أمر هشام، فإذا هو يزعم أن الله في أرضه إماما غيرك مفروض الطاعة! قال: سبحان الله!! قال: نعم، ويزعم أنه لو أمره بالخروج لخرج، وإنما كنا نرى أنه ممن يرى الالباد بالأرض.

^{٢٩٤} (١) البحار: ج ٤٨ ص ١٤٣ - ١٤١ عن المناقب

فقال هارون ليحيى : فاجمع عندك المتكلمين وأكون أنا من وراء الستر بيني وبينهم لئلا يفطنوا بى ولا يمتنع كل واحد منهم أن يأتى بأصله لهيبتي.

قال: فوجه يحيى وأشحن المجلس من المتكلمين، وكان فيهم ضرار بن عمرو وسليمان بن جرير و عبد الله بن يزيد الاباضى ومؤبد بن مؤبد ورأس الجالوت، قال: فتساءلوا فتكافؤوا وتناظروا وتقاطعوا وتناهوا إلى شاذ من شاذ الكلام، كل يقول لصاحبه : لم تجب، ويقول : قد أجبت، وكان ذلك عن يحيى حيلة عل هشام، إذ لم يعلم بذلك المجلس، واغتنم ذلك لعله كان أصابها هشام بن الحكم.

فلما تناهوا إلى هذا الموضع قال لهم يحيى بن خالد: أترضون فيما بينكم هشاما حكما؟ قالوا: قد رضينا أيها الوزير! فأنى لنا به وهو عليل؟ فقال يحيى: فأنا اوجه إليه، فأرسله أن يتجشم المشى، فوجه إليه فأخبره بحضورهم وأنه إنما منعه أن يحضروه أول المجلس إبقاء عليه من العلة وأن القوم قد اختلفوا فى المسألة ثل والاجوبة وتراضوا بك حكما بينهم، فان رأيت أن تتفضل وتحمل على نفسك فافعل.

فلما صار الرسول إلى هشام، قال لى : يا يونس! قلبى ينكر هذا القول ولست آمن أن يكن هاهنا أمرا لا أقف عليه، لان هذا الملعون - يحيى بن خالد - قد تغير على لامور شتى، وقد كنت عزمت إن من الله على بالخروج من هذه العلة أن أشخص إلى الكوفة واحرم الكلام بته وألزم المسجد ليقطع.

ص: ٣٤٨

عنى مشاهدة هذا الملعون - يعنى يحيى بن خالد - قال: قلت: جعلت فداك! لا يكون إلا خيرا، فتحرز ما أمكنك، فقال لى : يا يونس! أترى التحرز عن أمر يريد الله إظهاره على لسانى؟ أنى يكون ذلك! ولكن قم بنا على حول الله وقوته.

فركب هشام بغلا كان مع رسوله، وركبت أنا حمارا كان لهشام، قال:

فدخلنا المجلس، فإذا هو مشحون بالمتكلمين ! قال: فمضى هشام نحو يحيى فسلم عليه وسلم على القوم وجلس قريبا منه، وجلست أنا حيث انتهى بى المجلس.

قال: فأقبل يحيى على هاشم بعد ساعة، فقال: إن القوم حضروا وكنا مع حضورهم نحب أن نحضر، لا لان تناظر، بل لان نأنس بحضورك إن كانت العلة تقطعك عن المناظرة، وأنت بحمد الله صالح وليست علتك بقاطعة من المناظرة، وهؤلاء القوم قد تراضوا بك حكما بينهم.

قال: فقال هشام: ما لموضع الذى تنا هت به المناظرة؟ فأخبره كل فريق منهم بموضع مقطعه، فكان من ذلك أن حكم لبعض على بعض، فكان من المحكومين عليه "سليمان بن جرير" فحقدها على هشام.

قال: ثم إن يحيى بن خالد قال لهشام : إنا قد أعرضنا عن المناظرة والمجادلة منذ اليوم، ولكن إن رأيت أن تبين عن فساد اختيار الناس الامام وأن الامامة في آل بيت الرسول دون غيرهم ! قال هشام: أيها الوزير! العلة تقطعني عن ذلك، ولعل معترضا يعترض فيكتسب المناظرة والخصومة. قال:

إن اعترض معترض قبل أن تبلغ مرادك وغرضك فليس ذلك له، بل عليه أن يحفظ المواضع التي له فيها مطعن فيقفها إلى فراغك ولا يقطع عليك كلامك .

فبدأ هشام وساق الذكر لذلك وأطال واختصرنا منه موضع الحاجة.

ص: ٣٤٩

فلما فرغ مما قد ابتدأ فيه من الكلام في فساد اختيار الناس الامام قال يحيى لسليمان بن جرير : سل أبا محمد عن شيء من هذا الباب؟ قال سليمان لهشام : أخبرني عن علي بن أبي طالب مفروض الطاعة؟ فقال هشام : نعم، قال : فان أمرك الذي بعده بالخروج بالسيف معه تفعل وتطيعه؟ فقال هشام : لا يأمرني، قال: ولم إذا كانت طاعته مفروضة عليك وعليك أن تطيعه؟ فقال هشام: عد عن هذا فقد تبين فيه الجواب، قال سليمان: فلم يأمرك في حال تطيعه وفي حال لا تطيعه؟ فقال هشام:

ويحك! لم أقل لك: إني لا اطيعه فتقول: إن طاعته مفروضة، إنما قلت لك:

لا يأمرني.

قال سليمان: ليس أسألك إلا على سبيل سلطان الجدل، ليس على الواجب أنه لا يأمرك، فقال هشام : كم تحول حول الحمى؟ هل هو إلا أن أقول لك : إن أمرني فعلت؟ فتقطع أقبح الانقطاع ولا ي كون عندك زيادة ! وأنا أعلم بما يجب قولى وما إليه يؤول جوابى.

قال: فتغير وجه هارون، وقال هارون: قد أفصح، وقام الناس، واغتنمها هشام، فخرج على وجهه إلى المدائن.

قال: فبلغنا أن هارون قال ليحيى: شد يدك بهذا وأصحابه.

وبعث إلى أبي الحسن موسى عليه السلام فحبسه، فكان هذا سبب حبسه مع غيره من الاسباب، وإنما أراد يحيى أن يهرب هشام فيموت مخفيا مادام لهارون سلطان.

قال: ثم صار هشام إلى الكوفة، وهو يعقب عليه، ومات في دار ابن شرف بالكوفة، رحمه الله تعالى.

قال: فبلغ هذا المجلس محمد بن سليمان النوفلى وابن ميثم، وهما في حبس هارون، فقال النوفلى: أرى هشاما ما استطاع أن يعتل، فقال ابن

ص: ٣٥٠

ميثم: بأى شئ يستطيع أن يعتل وقد أوجب أن طاعته مفروضة من الله قال : يعتل بأن يقول: الشرط على في إمامته أن لا يدعو أحدا إلى الخروج حتى ينادى مناد من السماء، فمن دعاني ممن يدعى الامامة قبل ذلك الو قت علمت أنه ليس بامام، وطلبت من أهل هذا البيت من لا يقول أنه يخرج ولا يأمر بذلك حتى ينادى مناد من السماء، فأعلم أنه صادق.

فقال ابن ميثم: هذا من أخبت الخرافة! ومتى كان هذا في عقد الامامة؟ إنما يروى هذا في صفة القائم عليه السلام وهشام أجدل من أن يحتج بهذا! على أنه لم يفصح بهذا الافصاح الذي قد شرطته أنت، إنما قال :

إن أمرني المفروض الطاعة بعد على عليه السلام فعلت، ولم يسم فلان دون فلان، كما تقول : إن قال لى طلبت غيره، فلو قال هارون له وكان المناظر له:

من المفروض الطاعة؟ فقال: أنت، لم يكن أن يقول له: فان أمرتك بالخروج بالسيف تقاتل أعدائي تطلب غيرى وتنتظر المنادى من السماء، هذا لا يتكلم به مثل هذا، لعلك لو كنت أنت تكلمت به.

قال: ثم قال على بن إسماعيل الميثمي : إنا لله وإنا إليه راجعون ! على ما يمضى من العلم إن قتل، ولقد كان عضدنا وشيخنا والمنظور إليه فينا^{٢٩٥}.

(٢٣٠) هشام مع يحيى

عن يونس، قال: كنت مع هشام بن الحكم في مسجده بالعشاء، حيث أتاه مسلم صاحب بيت الحكم، فقال له : إن يحيى بن خالد يقول: قد أفسدت على الرفضة دينهم! لانهم يزعمون أن الدين لا يقوم إلا بامام حى،

ص: ٣٥١

وهم لا يدرون إمامهم اليوم حى أو ميت.

فقال هشام عند ذلك: إنما علينا أن ندين بحياء الامام أنه حى حاضرا عندنا أو متواريا عنا حتى يأتينا موته، فما لم يأتنا موته فنحن مقيمون على حياته، ومثل مثالا فقال : الرجل إذا جامع أهله وسافر إلى مكة أو توارى عنه ببعض الحيطان، فعلينا أن نقيم على حياته حتى يأتينا خلاف ذلك.

فلنصرف سالم ابن عم يونس بهذا الكلام فقضه على يحيى بن خالد، فقال يحيى : ما ترى؟ ما صنعنا شيئا ! فدخل يحيى على هارون فأخبره، فأرسل من الغد فطلبه، فطلب في منزله فلم يوجد، وبلغه الخبر، فلم يلبث إلا شهرين أو أكثر حتى مات في منزل محمد وحسين الحنطين، فهذا تفسير أمر هشام.

^{٢٩٥} (١) البحار: ج ٤٨ ص ١٩٣ - ١٨٩ وقاموس الرجال: ج ٩ ص ٣٢٠ والكشى: ص ٢٥٨

وزعم يونس أن دخول هشام على يحيى بن خالد وكلامه مع سليمان بن جرير بعد أن اخذ أبو الحسن عليه السلام بدهر، إذا كان في زمن المهدي ودخوله إلى يحيى بن خالد في زمن الرشيد^{٢٩٦}.

(٢٣١) هشام والمتكلمون

على على الاسوارى، قال: كان ليحيى بن خالد مجلس في داره يحضره المتكلمون من كل فرقة وملة يوم الاحد، فيتناظرون في أديانهم ويحتج بعضهم على بعض، فبلغ ذلك الرشيد، فقال ليحيى بن خالد : يا عباسى ما هذا المجلس الذى بلغنى فى منزلك يحضره المتكلمون؟ فقال: يا أمير المؤمنين! ما شئ مما رفعنى به أمير المؤمنين وبلغ من الكرامة والرفعة أحسن موقعا عندى من هذا المجلس، فانه يحضره كل قوم مع اختلاف مذاهبهم، فيحتج بعضهم على

ص: ٣٥٢

بعض، ويعرف المحق منهم، ويتبين لنا فساد كل مذهب من مذاهبهم.

قال له الرشيد: فأنا أحب أن أحضر هذا المجلس وأسمع كلامهم من غير أن يعلموا بحضورى فيحتشمون ولا يظهرون مذاهبهم، قال: ذلك إلى أمير المؤمنين متى شاء. قال: فضع يدك على رأسى ولا تعلمهم بحضورى، ففعل.

وبلغ الخبر المعتزلة فتشاوروا فيما بينهم وعزموا أن لا يكلموا هشاما إلا فى الامامة لعلمهم بمذهب الرشيد وإنكاره على من قال بالامامة.

قال: فحضروا وحضر هشام وحضر عبد الله بن يزيد الاباضى - وكان من أصدق الناس لهشام بن الحكم وكان يشاركه فى التجارة - فلما دخل هشام سلم على عبد الله بن يزيد من بينهم، فقال : يحيى بن خالد لعبد الله ابن يزيد : يا عبد الله! كلم هشاما فيما اختلفتم فيه من الامامة، فقال هشام:

أيها الوزير! ليس لهم علينا جواب ولا مسألة، هؤلاء قوم كانوا مجتمعين معنا على إمامة رجل، ثم فارقونا بلا علم ولا معرفة، فلا حين كانوا معنا عرفوا الحق ولا حين فارقونا علموا على ما فارقونا! فليس لهم علينا مسألة ولا جواب.

فقال بيان - وكان من الحرورية - : أنا أسألك يا هشام ! أخبرنى عن أصحاب على يوم حكموا الحكمين : أكانوا مؤمنين، أم كافرين؟

قال هشام: كانوا على ثلاثة أصناف: صنف مؤمنون، وصنف مشركون، وصنف ضلال . فأما المؤمنون: فمن قال مثل قولى، الذين قالوا: إن عليا إمام من عند الله ومعاوية لا يصلح لها، فأمنوا بما قال الله عزوجل فى على وأقروا به . وأما المشركون: فقوم قالوا:

على إمام معاوية يصلح لها فأشركوا إذ أدخلوا معاوية مع على . وأما الضلال : فقوم خرجوا على الحمية والعصبية للقبائل والعشائر لم يعرفوا شيئا من هذا وهم جهال.

قال: وأصحاب معاوية من كانوا؟ قال: كانوا ثلاثة أصناف: صنف

ص: ٣٥٣

كافرون، وصنف مشركون، وصنف ضلال. فأما الكافرون: فالذين قالوا:

إن معاوية إمام وعلى لا يصلح لها، فكفروا من جهتين : أن جحدوا إماما من الله، ونصبوا إماما ليس من الله . وأما المشركون: فقوم قالوا: معاوية إمام وعلى يصلح لها، فأشركوا معاوية مع على عليه السلام . وأما الضلال فعلى سبيل اولئك خرجوا للحمية والعصبية للقبائل والعشائر.

فانقطع بيان عند ذلك.

فقال ضرار: فأنا أسألك يا هشام! في هذا، فقال هشام: أخطأت، قال:

ولم؟ قال: لانكم مجتمعون على دفع إمامة صاحبي وقد سألتني هذا عن مسألة وليس لكم أن تتنوا بالمسألة على حتى أسألك يا ضرار عن مذهب في هذا الباب، قال ضرار: فسل.

قال: أتقول: إن الله عدل لا يجور؟ قال : نعم هو عدل لا يجور تبارك وتعالى، قال : فلو كلف الله المقعد المشي إلى المساجد والجهاد في سبيل الله وكلف الاعمى قراءة المصاحف والكتب أترأه كان عادلا أم جائرا؟ قال ضرار : ما كان الله ليفعل ذلك، قال هشام: قد علمنا أن الله لا يفعل ذلك، ولكن على سبيل الجدل والخصومة إن لو فعل ذلك أليس كان في فعله جائرا؟ وكلفه تكليفا لا يكون له السبيل إلى إقامته وأدائه؟ قال: لو فعل ذلك لكان جائرا.

قال: فأخبرني عن الله عز وجل كلف العباد ديناً واحداً لا اختلاف فيه لا يقبل منهم إلا أن يأتوا به كما كلفهم؟ قال : بلى، قال: فجعل لهم دليلاً على وجود ذلك الدين، أو كلفهم ما لا دليل على وجوده فيكون بمنزلة من كلف الاعمى قراءة الكتب والمقعد المشي إلى المساجد والجهاد؟

قال: فسكت ضرار ساعة، ثم قال : لا بد من دليل وليس بصاحبك، قال : فضحك هشام! وقال: تشيع شطرك وصرت إلى الحق ضرورة!

ص: ٣٥٤

ولا خلاف بيني وبينك إلا في التسمية.

قال ضرار: فاني أرجع إليك في هذا القول: قال: هات! قال ضرار:

كيف تعقد الامامة؟ قال هشام : كما عقد الله النبوة، قال : فإذا هو نبي؟! قال هشام: لا لان النبوة يعقدها أهل السماء والامامة يعقدها اهل الارض فعقد النبوة بالملائكة وعقد الامامة بالنبي والعقدان جميعا باذن الله عزوجل .

قال: فما الدليل على ذلك؟ قال هشام: الاضرار في هذا، قال ضرار:

وكيف ذلك؟ قال هشام : لا يخلو الكلام في هذا من أحد ثلاثة وجوه : إما أن يكون الله عزوجل رفع التكليف عن الخلق بع د الرسول صلى الله عليه وآله فلم يكلفهم ولم يأمرهم ولم ينههم وصاروا بمنزلة السباع والبهائم التي لا تكليف عليها، أفتقول هذا يا ضرار: ان التكليف عن الناس مرفوع بعد رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: لا أقول هذا، قال هشام: فالوجه الثاني ينبغي أن يكون الناس المكلفون قد استحالوا بعد الرسول علماء في مثل حد الرسول في العلم حتى لا يحتاج أحد إلى أحد فيكونوا كلهم قد استغنوا بأنفسهم وأصابوا الحق الذي لا اختلاف فيه، أفتقول هذا : إن الناس قد استحالوا علماء حتى صاروا في مثل حد الرسول في العلم حتى لا يحتاج أحد إلى أحد مستغن ين بأنفسهم عن غيرهم في إصابة الحق؟ قال : لا أقول هذا ولكنهم يحتاجون إلى غيرهم.

قال: فبقى الوجه الثالث، لانه لا بد لهم من علم يقيمه الرسول لهم، لا يسهو ولا يغلط ولا يحيف، معصوم من الذنوب، مبرأ من الخطايا، يحتاج إليه ولا يحتاج إلى أحد، قال : فما الدليل عليه؟ قال هشام: ثمان دلالات: أربع في نعت نسبه، وأربع في نعت نفسه.

فأما الاربعة التي في نعت نسبه : بأن يكون معروف الجنس، معروف القبيلة، معروف البيت، وأن يكون من صاحب الملة والدعوة إليه إشارة،

ص: ٣٥٥

فلم ير جنس من هذا الخلق أشهر من جنس العرب الذين منهم صاحب الملة والدعوة الذي ينادى باسمه في كل يوم خمس مرات على الصوامع:

أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فتصل دعوته إلى كل بر وفاجر وعالم وجاهل ومقر ومنكر في شرق الارض وغربها، ولو جاز أن يكون الحجّة من الله على هذا الخلق في غير هذا الجنس لاتي على الطالب المرتاد دهر من عصره لا يجده، ولو جاز أن يطلبه في أجناس هذا الخلق من العجم وغيرهم لكان من حيث أراد الله أن يكون صلاحا يكون فسادا، ولا يجوز هذا في حكم الله تبارك وتعالى وعدله أن يفرض على الناس فريضة لا توجد.

فلما لم يجر ذلك لم يجر إلا أن يكون إلا في هذا الجنس لا تضالنه بصاحب الملة والدعوة، ولم يجر أن يكون من هذا الجنس إلا في هذه القبيلة لم يجر أن يكون من هذه القبيلة لقرب نسبها من صاحب الملة، وهي قريش، ولما لم يجر أن يكون من هذا الجنس إلا في هذه القبيلة لم يجر أن يكون من هذه القبيلة إلا في هذا البيت لقرب نسبه من صاحب الملة والدعوة، ولما كثر أهل هذا البيت وتشاجروا في الامامة

لعلوها وشرفها ادعاها كل واحد منهم، فلم يجز إلا أن يكون من صاحب الملة والدعوة إليه إشارة بعينه واسمه ونسبه لئلا يطمع فيها غيره.

وأما الرابع التي في نعت نفسه : أن يكون أعلم الناس كلهم بفرائض الله وسننه وأحكامه حتى لا يخفى عليه منها دق يق ولا جليل، وأن يكون معصوما من الذنوب كلها، وأن يكون أشجع الناس، وأن يكون أسخى الناس، قال : من أين قلت : إنه أعلم الناس؟ قال: لانه إن لم يكن عالما بجميع حدود الله وأحكامه وشرائعه وسننه لم يؤمن عليه أن يقلب الحدود، فمن وجب عليه القلع حده ومن وجب عليه الحد قطعه، فلا يقيم الله حدا على ما أمر به، فيكون من حيث أراد الله صلاحا يقع فسادا.

قال: فمن أين قلت: إنه معصوم من الذنوب؟ قال: لانه إن لم يكن

ص: ٣٥٦

معصوما من الذنوب دخل في الخطأ فلا يؤمن أن يكتم على نفسه ويكتم على حميمه وقريبه، ولا يحتج الله عزوجل بمثل هذا على خلقه.

قال: فمن أين قلت: إنه أشجع الناس؟ قال: لانه فئة للمسلمين الذين يرجعون إليه في الحروب وقال الله عزوجل : " ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله " فان لم يكن شجاعا فر، فيبوء بغضب من الله، فلا يجوز أن يكون من يبوء بغضب من الله حجة لله على خلقه.

قال: فمن أين قلت: إنه أسخى الناس؟ قال : لانه خازن المسلمين، فان لم يكن سخيا تآقت نفسه إلى أموالهم فأخذها، فكان خائنا، ولا يجوز أن يحتج الله على خلقه بخائن.

فقال عند ذلك ضرار: فمن هذا بهذه الصفة في هذا الوقت؟ فقال:

صاحب العصر أمير المؤمنين! وكان هارون الرشيد قد سمع الكلام كله فقال عند ذلك : أعطانا والله من جراب النورة! ويحك يا جعفر- وكان جعفر ابن يحيى جالسا معه في الستر- من يعنى بهذا؟ قال: يا أمير المؤمنين يعنى موسى ابن جعفر، قال : ما عنى بها غير أهلها، ثم عض على شفته وقال : مثل هذا حى ويبقى لى ملكى ساعة واحدة؟ فوالله للسان هذا أبلغ فى قلوب الناس ما مائة ألف سيف! وعلم يحيى أن هشاما قد أتى فدخل الستر، فقال : ويحك يا عباسى! من هذا الرجل؟ فقال : يا أمير المؤمنين تكفى تكفى! ثم خرج إلى هشام، فغمزه فعلم هشام أنه قد اتى، فقام يريهم أنه يبول أو يقضى حاجة، فلبس نعليه وانسل ومر ببنيه وأمرهم بالتواري، وهرب، ومر من فوره نحو الكوفة ونزل على بشير النبال- وكان من حملة الحديث من أصحاب أبى عبد الله عليه السلام فأخبره الخبر، ثم اعتل علة شديدة، فقال له

ص: ٣٥٧

بشير: آتيك بطبيب؟ قال: لا أنا ميت.

فلما حضره الموت قال لبشير: إذا فرغت من جهازى فاحملنى فى جوف الليل وضعنى بالكناسة واكتب رقعة وقل : هذا هشام بن الحكم الذى طلبه أمير المؤمنين مات حتف أنفه ! وكان هارون قد بعث إلى إخوانه وأصحابه، فأخذ الخلق به، فلما أصبح أهل الكوفة رأوه! وحضر القاضى وصاحب المعونة والعامل والمعدلون بالكوفة، وكتب إلى الرشيد بذلك، فقال : الحمد لله الذى كفانا أمره فخلى عنى كان اخذ به^{٢٩٧}.

(٢٣٢) سعيد بن جبير والحجاج

قال أبو عبد الله عليه السلام: إن سعيد بن جبير كان يأتى بعلى بن الحسين عليهما السلام فكان على يثنى عليه، وما كان سبب قتل الحجاج له إلا على هذا الامر، وكان مستقيما.

وذكر أنه لما دخل على الحجاج بن يوسف قال: أنت شقى بن كسير؟

قال: امى أعرف بى سمئى " سعيد بن جبير " قال: ما تقول فى أبى بكر وعمر، هما فى الجنة أو فى النار؟ قال : لو دخلت الجنة فنظرت إلى أهلها لعلمت من فيها، ولو دخلت النار ورأيت أهلها لعلمت من فيها، قال: فما قولك فى الخلفاء؟ قال: لست عليهم بوكيل، قال: أيهم احب إليك؟ قال:

أرضاهم لخالقى، قال: فأيهم أرضى للخالق؟ قال: علم ذلك عند الذى يعلم سرهم ونجواهم، قال: أبيت أن تصدقنى؟ قال: بل لم احب أن اكذبك^{٢٩٨}.

ص: ٣٥٨

(٢٣٣) داود وبعض الخوارج

عن داود الرقى، قال: سألتنى بعض الخوارج عن قول الله تبارك وتعالى " ومن الضأن اثنين ومن المعز اثنين - إلى قوله - ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين " الاية، ما الذى أحل الله من ذلك؟ وما الذى حرم الله؟ قال : فلم يكن عندى فى ذلك شئ، فحججت فدخلت على أبى عبد الله عليه السلام فقلت: جعلت فداك! إن رجلا من الخوارج سألتنى عن كذا وكذا.

فقال عليه السلام: إن الله عزوجل أحل فى الاضحية بمنى الضأن والمعز الاهلية وحرم فيها الجبلية، وذلك قول الله عزوجل : " ومن الضأن اثنين ومن المعز اثنين " وإن الله عزوجل أحل فى الاضحية بمنى الابل العراب وحرم فيها البخاتى، وأحل فيها البقر الاهلية وحرم فيها الجبلية، فذلك قوله: " ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين ".

قال: فانصرفت إلى صاحبي، فأخبرته بهذا الجواب، فقال: هذا شئ حملته الابل من الحجاز^{٢٩٩}.

^{٢٩٧} (١) البحار: ج ٤٨ ص ٢٠٣-١٩٧ عن إكمال الدين

^{٢٩٨} (٢) البحار: ج ٤٦ ص ١٣٧-١٣٦ عن روضة الواعظين. وقاموس الرجال: ج ٤ ص ٣٥٤ عن الكشى ص ١١٩ ويأتى برواية ابن قتيبة ج ٢ ص ٣٠١

على الخليل بن أحمد العروضي، قال : حضرت مجلس الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان، وقد اسحنفر في سب علي واثعنجر في ثلبه، إذ خرج عليه أعرابي على ناقه له وذفراها يسيلان لاغذاذ السير دما ! فلما رآه الوليد - لعنه الله - في منظرة قال: ائذنوا لهذا الاعرابي، فاني أراه قد قصدنا.

ص: ٣٥٩

وجاء الاعرابي فعقل ناقته بطرف زمامها، ثم أذن له فدخل فأورده قصيدة لم يسمع السامعون مثلها جودة قط إلى أن انتهى إلى قوله:

ولما أن رأيت الدهر ألى على ولح في إضعاف حالي وفدت إليك أبغى حسن عقي أسد بها خصاصات العيال وقائلة إلى من قد رآه يؤم ومن يرجي للمعالي فقلت إلى الوليد أزم قصدا وقاه الله من غير الليالي هو الليث الهصور شديد بأس هو السيف المجرد للقتال خليفة ربنا الداعي علينا وذو المجد التليد أخو الكمال قال : فقبل مدحته وأجزل عطيته، وقال له : يا أخا العرب! قد قبلنا مدحتك وأجزلنا صلتك، فاهج لنا عليا أبا تراب، فوثب الاعرابي يتهافت قطعاً ويزأر حنقا ويشمذر شققا! وقال:

والله! إن الذي عنيت به بالهجاء لهو أحق منك بالمديح وأنت أولى منه بالهجاء ! فقال له جلساؤه: اسكت نرحك الله! قال: علام ترجوني؟ وبم تبشروني؟ ولما أيديت سقطا ولا قلت شططا ولا ذهبت غلطا، على أنني فضلت عليه من هو أولى بالفضل منه على بن أبي طالب صلوات الله عليه الذي تجلبب بالوقار، ونبد الشنار، وعاف العار، وعمد الانصاف، وأبد الاوصاف، وحسن الاطراف، وتألف الاشراف، وأزال الشكوك في الله بشرح ما استودعه الرسول من مكنون العلم الذي نزل به الناموس وحيا من ربه، ولم يفتر طرفا، ولم يصمت ألفا، ولم ينطق خلفا ، الذي شرفه فوق شرفه، وسلفه في الجاهلية أكرم من سلفه، لا تعرف المأديات في الجاهلية إلا بهم ولا الفضل إلا فيهم، صفة من اصطفاه الله واختارها.

فلا يغتر الجاهل بأنه قعد عن الخلافة بمثابرة من ثابر عليها وجالد بها، واللال المارقة والاعوان الظالمة، ولئن قلت ذلك كذلك إنما استحقها

ص: ٣٦٠

بالسبق، تالله! ما لكم الحجة في ذلك، هلا سبق صاحبكم إلى المواضع الصعبة والمنازل الشعبة والمعارك المرة، كما سبق إليها على بن أبي طالب صلوات الله عليه الذي لم يكن بالقبعة ولا الهبة، ولا مضطغنا آل الله ولا منافقا رسول الله، كان يدراً عن الاسلام كل اصبوحة، ويذب عنه كل أمسية، ويلج نفسه في الليل الديجور المظلم الحلكوك مرصدا للعدو، هو ذل تارة وتضكضك اخرى ويا رب لزبة آتية قسيه ! وأوان آن أرونان كذف بنفسه في لهوات وشيعة، وعليه زغبة ابن عمه الفضفاضة ويده خطبته عليها سنان لهزم، فبرز عمرو بن ود القرم الاود والخصم الالد، والفارس الاشد على فرس عنجوج، كأنما نجر نجره

بالبلنجوج، فضرِب قونسه ضربةً قنع منها عنقه، أو نسيتم عمرو بن معدى كرب الزبيدي؟ إذ أقبل يسحب ذلاذل درعه مدلا بنفسه، قد زحزح الناس عن أماكنهم، ونهضهم عن مواضعهم، ينادى أين المبارزون يميناً وشمالاً فانقض عليه كسوذنيق أو كصيخودةً منجنيق، فوقصه وقص القطام بحجره الحمام، وأتى به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله كالبعير الشارد، يقاد كرها، وعينه تدمع، وأنفه ترمع، وقلبه يجزع، هذا وكم له من يوم عصيب برز فيه إلى المشركين نبيةً صادقةً، وبرز غيره وهو أكشف أميل أجم أعزل. الا وإنى مخبركم بخبر على أنه منى بأوباش كالمراطة بين لعموط وحجابه وفقامه، ومغذمر ومهزمر، حملت به شوهاء شهواء فى أقصى مهيلها، فأئت به محضا بحتا، وكلهم أهون على من سعادته بغل، أفضل هذا يستحق الهجاء؟ وعزمه الحاذق، وقوله الصادق، وسيفه الفالق، وإنما يستحق الهجاء من سامه إليه وأخذ الخلافة، وأزالها عن الوراثه، وصاحبها ينظر إلى فيئه، وكأن الشبادع تلسبه، حتى إذا لعب بها فريق بعد فريق وخريق بعد خريق، إقتصروا على ضراعة الوهز وكثرة الابز، ولو ردوه إلى سمت الطريق والمرت البسيط والتامور العزيز، ألفوه قائما.

ص: ٣٤١

واضعاً الاشياء فى مواضعها، لكنهم انتهزوا الفرصة واقتحموا الغصة وباءوا بالحسرة.

قال: فاربد وجه الوليد وتغير لونه وغص بريقه وشرق بعبرته، كانما فقى فى عينه حب المض الحاذق، فأشار عليه بعض جلسائه بالانصراف، وهو لا يشك أنه مقتول به! فخرج فوجد بعض الاعراب الداخلين. فقال له: هل لك أن تأخذ خلعتى الصفراء وأخذ خلعتك السوداء وأجعل لك بعض الجائزة حظاً، ففعل الرجل.

وخرج الاعرابى، فاستوى على راحلته، وغاص فى صحرائه، وتوغل فى بيئاته. واعتقل الرجل الآخر فضرِب عنقه! وجى به إلى الوليد، فقال:

ليس هو هذا، بل صاحبنا ! وأنفذ الخيل السراع فى طلبه، فلحقوه بعد لاي، فلما أحس بهم أدخل يده إلى كنانته يخرج سهماً سهماً يقتل به فارساً، إلى أن قتل من القوم أربعين، وانهمزم الباقون.

فجاءوا إلى الوليد فأخبروه بذلك، فأغمى عليه يوماً وليلةً أجمع! قالوا:

ما تجد؟ قال: أجد على قلبى غمة كالجبل من فوت هذا الاعرابى، فله دره ٣٠٠.

(٢٣٥) رجل مع عبد الملك

قال رجل لعبد الملك بن مروان: اناظرك وأنا آمن؟ قال: نعم.

فقال له: أخبرني عن هذا الامر الذى صار إليك أبئس من الله ورسوله؟ قال : لا، قال: اجتمعتم الامة فتراضوا بك؟ فقال : لا، قال:

فكانت لك بيعه فى أعناقهم فوفوا بها؟ قال: لا، قال: فاختارك أهل

ص: ٣٦٢

الشورى؟ قال: لا، قال: أفليس قد قهرتهم على أمرهم واستأثرت بفيئهم دونهم؟ قال : بلى، قال: فبأى شئ سميت أمير المؤمنين ولم يؤمرك الله ولا رسوله ولا المسلمون؟ قال له : اخرج عن بلادى، وإلا قتلتك! قال: ليس هذا جواب أهل العدل والانصاف، ثم خرج عنه^{٣٠١}.

(٢٣٦) رجل مع عمر بن عبد العزيز

روى أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عامله بخراسان : أن أوفد إلى من علماء بلادك مائة رجل أسألهم عن سيرتك فجمعهم، وقال لهم ذلك، فاعتذروا وقالوا: إن لنا عيالا وأشغالا لا يمكننا مفارقتهم، وعدله لا يقتضى إجبارنا، ولكن قد أجمعنا على رجل منا يكون عوضنا عنده ولساننا لديه، فقلوه قولنا ورأيه رأينا، فأوفد به العامل إليه.

فلما دخل عليه سلم وجلس، فقال له : اخل لى المجلس! فقال له: ولم ذلك وأنت لا تخلص أن تقول حقا فيصدقك أو تقول باطلا فيكذبوك؟ فقال له: ليس من أجلى أريد خل المجلس، ولكن من أجلك، فانى أخاف أن يدور بيننا كلام تكره سماعه.

فأمر باخراج أهل المجلس، ثم قال له: قل، فقال: أخبرني عن هذا الامر من أين صار إليك؟ فسكت طويلا، فقال له : ألا تقول؟ فقال: لا! فقال:

ولم؟ فقال له: إن قلت: بنص من الله ورسوله كان كذبا، وإن قلت:

باجماع المسلمين قلت: فنحن أهل بلاد المشرق ولم نعلم بذلك ولم نجتمع عليه، وإن قلت : بالميراث من آبائى قلت: بنو أبيك كثير فلم تفردت أنت به دونهم؟

ص: ٣٦٣

فقال له: الحمد لله على اعترافك على نفسك بالحق لغيرك! فأرجع إلى بلادى؟ فقال : لا، فوالله إنك لواعظ قبط! فقال له: فقل ما عندك بعد ذلك، فقال له : رأيت أن من تقدمنى ظلم وغشم وجار واستأثر بئى المسلمين وعلمت من نفسى أنى لا استحل ذلك وأن المؤمنين لا شئ يكون أنقص وأخف عليهم، فوليت.

^{٣٠١} (١) البحار: ج ٤٦ ص ٣٣٥ عن أعلام الدين للدليمى

فقال له: أخبرني لو لم تل هذا الأمر ووليه غيرك وفعل ما فعل من كان قبله أكان يلزمك من إثمه شيء ! فقال: لا، فقال له: فأراك قد شريت راحة غيرك بتعبك وسلامته بخطر؟ فقال له: إنك لواعظ قط! فقام ليخرج. ثم قال له: والله لقد هلك أولنا بأولكم، وأوسطنا بأوسطكم، وسيهلك آخرنا بآخركم! والله المستعان عليكم، وهو حسبنا ونعم الوكيل^{٣٠٢}.

(٢٣٧) رجل مع عبد الملك

عن الثمالي، قال: حدثني من حضر عبد الملك بن مروان وهو يخطب الناس بمكة، فلما صار إلى موضع العظة من خطبته قام إليه رجل، فقال له:

مهلا! مهلا! إنكم تأمرون ولا تأتمرون، وتتهون ولا تنتهون، وتعظون ولا تتعظون، أفأقتداء بسيرتكم أم طاعة لامركم؟ فان قلت: اقتداء بسيرتنا، فكيف يقتدى بسيرة الظالمين؟ وما الحجة في اتباع المجرمين؟ الذين اتخذوا مال الله دولا وجعلوا عباد الله خولا. وإن قلت: أطيعوا أمرنا واقبلوا نصحن، فكيف ينصح غيره من لم ينصح نفسه؟ أم كيف تجب طاعة من لم تثبت له عدالة؟

وإن قلت: خذوا الحكمة من حيث وجدتموها واقبلوا العظة ممن سمعتموها، فلعل فينا من هو أفصح بصنوف العظات وأعرف بوجوه اللغات منكم،

ص: ٣٦٤

فتزحزحوا عنها، وأطلقوا أبقالها، وخلوا سبيلها، ينتدب لها الذين شردتم في البلاد، ونقلتموهم عن مستقرهم إلى كل واد، فوالله ما قلدناكم أزمة أمورنا! وحكمناكم في أموالنا وأبداننا وأدياننا لتسيروا فينا بسيرة الجبارين ! غير أنا بصراء بأنفسنا لا ستيفاء المدء وبلوغ الغاية وتمام المحنة، ولكل قائم منكم يوم لا يعدوه وكتاب لا بد أن يتلوه، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون . قال: فقام إليه بعض أصحاب الم سالح، فقبض عليه، وكان آخر عهدنا به، ولا ندرى ما كانت حاله^{٣٠٣}.

(٢٣٨) كلام برير بن خضير في كربلاء

ركب أصحاب عمر بن سعد فقرب إلى الحسين فرسه، فاستوى عليه، وتقدم نحو القوم في نفر من أصحابه، وبين يديه برير بن خضير، فقال له الحسين عليه السلام: كلم القوم، فتقدم برير، فقال:

يا قوم اتقوا الله! فان ثقل محمد قد أصبح بين أظهركم، هؤلاء ذريته وعترته وبناته وحرمة، فهاتوا ما عندكم، وما الذي تريدون أن تصنعوه بهم؟ فقالوا:

^{٣٠٢} (١) البحار: ج ٤٦ ص ٣٣٦

^{٣٠٣} (١) البحار: ج ٤٦ ص ٣٣٧ عن أمالي المفيد رحمه الله وأمالى الشيخ ج ١ ص ١٠٧-١٠٦

نريد أن نمكن منهم الامير ابن زياد، فيرى رأيهم فيهم، فقال لهم برير : أفلا تقبلون منهم أن يرجعوا إلى المكان الذي جاءوا منه؟ ويلكم يا أهل الكوفة، أنسيتم كتبكم وعهودكم التي أعطيتموها وأشهدتم الله عليها؟ يا ويلكم ! أدعوتم أهل بيت نبيكم وزعمتم أنكم تقتلون أنفسكم دونهم، حتى إذا أتوكم أسلمتموهم إلى ابن زياد وحلاتموهم عن ماء الفرات؟ بئس ما خلفتم نبيكم في ذريته! ما لكم؟ لا سقاكم الله يوم القيامة! فبئس القوم أنتم! فقال له نفر منهم: يا هذا ما ندرى ما تقول! فقال برير: الحمد لله الذي

ص: ٣٦٥

زادني فيكم بصيرة، اللهم إني أبرأ إليك من فعال هؤلاء القوم، اللهم ألق بأسهم بينهم حتى يلقوك وأنت عليهم غضبان.

فجعل القوم يرمونه بالسهام، فرجع برير إلى ورائه^{٣٠٤}.

(٢٣٩) كلام للحر - رحمه الله - في كربلاء

فاستقدم الامام الحسين عليه السلام فقال:

يا أهل الكوفة! لا تمك الهبل والعبر! أدعوتم هذا العبد الصالح حتى إذا أتاكم أسلمتموه؟ وزعمتم أنكم قاتلوا أنفسكم دونه، ثم عدوتم عليه لتقتلوه، أمسكتم بنفسه، وأخذتم بكلكله، وأحطتم به من كل جانب لتمنعوه التوجه إلى بلاد الله العريضة، فصار كالأسير في أيديكم! لا يملك لنفسه نفعا ولا يدفع عنها ضرا، وحلاتموه ونساءه وصبيته وأهله من ماء الفرات الجارى تشريه اليهود والنصارى والمجوس وتمرغ فيه خنازير السواد وكلابهم، وهامهم ق د صرعه العطش، بئسما خلفتم محمدا في ذريته ! لا سقاكم الله يوم الظما^{٣٠٥}!

(٢٤٠) بنو هاشم ومعاوية

روى سليم بن قيس، قال: سمعت عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال:

قال لي معاوية: ما أشد تعظيمك للحسن والحسين! ما هما بخير منك ولا أبوهما بخير من إبيك، لو أن فاطمة بنت رس ول الله صلى الله عليه وآله لقلت:

ما امك أسماء بنت عميس بدونها! قال: فغضبت من مقالته وأخذني ما لا أملك، فقلت: إنك لقليل المعرفة بهما وبأبيهما وامهما، بلى والله! هما خير مني، وأبوهما

ص: ٣٦٦

^{٣٠٤} (١) البحار: ج ٤٥ ص ٥ عن محمد بن أبي طالب

^{٣٠٥} (٢) البحار: ج ٤٥ ص ١١ عن المفيد رحمه الله

خير من أبي، وامهما خير من أمي، ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول فيهما وفي أبيهما وأنا غلام، فحفظته منه وعيته.

فقال معاوية - وليس في المجلس غير الحسن والحسين عليهما السلام وابن جعفر رحمه الله وابن عباس وأخيه الفضل - : هات ما سمعت، فوالله ما أنت بكذاب! فقال: إنه أعظم مما في نفسك، قال: وإن كان أعظم من أحد وحرى! فانه لم يكن أحد من أهل الشام لا ابالي، أما إذا قتل الله طاغيتكم وفرق جمعكم وصار الامر في أهله ومعدنه فلا نبالي ما قتلتم ولا يضرنا ما ادعيتهم.

قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، من كنت أولى به من نفسه فأنت يا أخى أولى به من نفسه وعلى بين يديه عليهما السلام [في البيت والحسن والحسين وعمر بن أم سلمة واسامة بن زيد]^{٣٠٦} وفي البيت فاطمة عليها السلام وأم أيمن وأبو ذر والمقداد والزبير بن العوام وضرب رسول الله صلى الله عليه وآله على عضده وأعاد ما قال فيه ثلاثا ثم نص بالامامة على الاثمة تمام الاثنى عشر عليهم السلام.

ثم قال صلوات الله عليه : ولا متى اثنا عشر إمام ضلالة كلهم ضال مضل، عشرة من بنى امية ورجلان من قريش وزر جميع الاثنى عشر وما أظلوها في أعناقهم، ثم سماها رسول الله صلى الله عليه وآله وسمى العشرة معهم.

قال: فسمهم لنا، قال: فلان، وفلان، وفلان، وصاحب السلسلة وابنه من آل أبي سفيان، وسبعة من ولد الحكم بن أبي العاص، أولهم مروان.

قال معاوية: لئن كان ما قلت حقا لقد هلكت وهلكت الثلاثة قبلي وجميع من تولاهم من هذه الامة، ولقد هلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من المهاجرين والانصار واللبعين غيركم أهل البيت وشيعتكم. قال ابن

ص: ٣٦٧

جعفر: فان الذي قلت والله حق سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال معاوية للحسن والحسين وابن عباس : ما يقول ابن جعفر؟ قال ابن عباس - ومعاوية بالمدينة أول سنة إجتمع عليه الناس بعد قتل علي عليه السلام-: أرسل إلى الذين سمى.

فأرسل إلى عمر بن أم سلمة واسامة فشهدوا جميعا أن الذي قال ابن جعفر حق قد سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وآله كما سمعه^{٣٠٧}.

^{٣٠٦} (١) قال في هامش البحار: ما بين العلامتين ساقط عن نسخة الكمباني موجود في نسخة المصنف والمصدر ص ١٤٤

^{٣٠٧} (١) إلى هنا تجد الحديث في الكافي: ج ١ ص ٥٢٩ مع تغيير ما عن سليم بن قيس فراجع

ثم أقبل معاوية إلى الحسن والحسين وابن عباس والفضل وابن ام سلمة واسامة، فقال : كلكم على ما قال ابن جعفر؟ قالوا: نعم. قال معاوية: فانكم يا بنى عبد المطلب لتدعون أمرا عظيما ! وتحتجون بحجة قوية، فان كانت حقا فانكم لتصبرون على أمر وتسترونه والناس فى غفلة وعمى، ولئن كان ما تقولون حقا لقد هلكت الامة ورجعت عن دينها وكفرت بربها وجحدت نبيها إلا أنتم أهل البيت ومن قال بقولكم، فاولئك قليل فى الناس.

فأقبل ابن عباس على معاوية، فقال : قال الله: " وقليل من عبادى الشكور " وقال: " وقليل ما هم " وما تعجب منى يا معاوية أعجب من بنى إسرائيل، إن السحرة قالوا لفرعون: " فاقض ما أنت قاض " فآمنوا بموسى وصدقوه، ثم سار بهم ومن اتبعهم من بنى إسرائيل، فأقطعهم البحر وأراهم العجائب، وهم مصدقون بموسى وبالتوراة يقرون له بدينه، ثم مروا بأصنام تعبد، فقالوا : " اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون "، وعكفوا على العجل جميعا غير هارون ! فقالوا: " هذا الهكم واله موسى ! " وقال لهم موسى بعد ذلك: " ادخلوا الارض المقدسة " فكان من جوابهم ما قص الله عزوجل عليهم، فقال موسى عليه السلام : " رب إنى لا أملك إلا نفسى وأخى فافرق

ص: ٣٤٨

بيننا وبين القوم الفاسقين".

فما اتباع هذه الامة رجالا سودوهم وأطاعوهم لهم سوابق مع رسول الله ومنازل قريبة منه وإصهار مقرين بدين محمد وبالقرآن حملهم الكبر والحسد أن خالفوا إمامهم ووليتهم بأعجب من قوم صاغوا من حليهم عجلا ثم عكفوا عليه يعبدونه ويسجدون له ويزعمون أنه رب العالمين! واجتمعوا على ذلك كلهم غير هارون وحده.

وقد بقى مع صاحبنا الذى هو من نبينا بمنزلة هارون من موسى من أهل بيته ناس : سلمان وأبو ذر والمقداد والزبير، ثم رجع الزبير وثبت هؤلاء الثلاثة مع إمامهم حتى لقوا الله.

وتتعجب يا معاوية أن سمى الله من الائمة واحدا بعد واحد؟ قد نص عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله بغدير خم وفى غير موطن، واحتج بهم عليهم وأمرهم بطاعتهم، وأخبر أن اولهم على بن أبى طالب عليه السلام ولى كل مؤمن ومؤمنة من بعده وأنه خليفته فهم ووصيه، وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وآله جيشا يوم مؤتة، فقال : عليكم جعفر، فان هلك فزيد، فان هلك فعبد الله بن رواحة، فقتلوا جميعا أفتراه يترك الامة ولم يبين لهم من الخليفة بعده؟ ليختاروا هم لانفسهم الخل يفة! كأن رأيهم لانفسهم أهدى لهم وأرشد من رأيه واختياره ! وما ركب القوم ما ركبوا إلا بعدما بينه، وما تركهم رسول الله صلى الله عليه وآله فى عمى ولا شبهة.

فأما ما قال الرهط الاربعة الذين تظاهروا على على عليه السلام وكذبوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وزعموا أنه قال: " إن الله لم يكن ليجمع لنا أهل البيت النبوة والخلافة " فقد شبهوا على الناس بشهادتهم وكذبهم ومكرهم.

قال معاوية: ما تقول يا حسن؟ قال: يا معاوية قد سمعت ما قلت وما قال ابن عباس، العجب منك يا معاوية ومن قلة حيائك، ومن جرأتك على الله

ص: ٣٦٩

حين قلت: "قد قتل الله طاغيتكم ورد الامر إلى معدنه" فأنت يا معاوية معدن الخلافة دوننا ويل لك يا معاوية " وللثلاثة قبلك الذين أجلسوك هذا المجلس، وسنوا لك هذه السنة! لا قولن كلاما ما أنت أهله، ولكني أقول لتسمعه بنو أبي هؤلاء حولي:

إن الناس قد اجتمعوا على امور كثيرة ليس بينهم اختلاف فيها ولا تنازع ولا فرقة، على شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله وعبد، والصلوات الخمس، والزكاة المفروضة، وصوم شهر رمضان، وحج البيت، ثم أشياء كثيرة من طاعة الله التي لا تحصى ولا يعدها إلا الله . واجتمعوا على تحريم الزنا، والسرقة، والكذب، والقطيعة، والخيانة، وأشياء كثيرة من معاصي الله لا تحصى ولا يعدها إلا الله.

واختلفوا في سنن اقتتلوا فيها، وصاروا فرقا يلعن بعضهم بعضا، وهي الولاية، ويبرأ بعضهم من بعض، ويقتل بعضهم بعضا، أيهم أحق وأولى بها إلا فرقة تتبع كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله، فمن أخذ بما عليه أهل القبلة الذي ليس فيه اختلاف ورد علم ما اختلفوا فيه إلى الله سلم ونجا به من النار ودخل الجنة، ومن وفقه الله ومن عليه واحتج عليه بأن نور قلبه بمعرفة ولادة الامر من أئمتهم ومعدن العلم أين هو، فهو عند الله سعيد والله ولي، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: رحم الله امرا علم حقا فقال فغنم، أو سكت فسلم.

نحن نقول أهل البيت: إن الاثمة منا، وإن الخلافة لا تصلح إلا فينا، وإن الله جعلنا أهلها في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وآله، وإن العلم فينا ونحن أهله، وهو عندنا مجموع كله بحذاقيره، وانه لا يحدث شئ إلى يوم القيامة حتى ارش الخدش إلا وهو عندنا مكتوب باملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخط على عليه السلام بيده.

ص: ٣٧٠

وزعم قوم أنهم أولى بذلك منا حتى أنت يا ابن هند! تدعى ذلك وتزعم، إن عمر أرسل إلى أبي: إني أريد أن أكتب القرآن في مصحف، فابعث إلى بما كتبت من القرآن، فأتاه، فقال: تصرب والله عنقي قبل أن يصل إليك، قال:

ولم؟ قال: لأن الله تعالى قال: "والراسخون في العلم" قال: إياي عنى، ولم يعنك ولا أصحابك، فغضب عمر.

ثم قال: إن ابن أبي طالب يحسب أن أحدا ليس عنده علم غيره، من كان يقرأ من القرآن شيئا فليأتني، فإذا جاء رجل فقرا شيئا معه فيه آخر كتبه وإلا لم يكتبه، ثم قالوا: قد ضاع منه قرآن كثير، بل كذبوا والله! بل هو مجموع محفوظ عند أهله.

ثم أمر عمر قضاته وولاته: أجهدوا آراءكم واقضوا بما ترون أنه الحق، فلا يزال هو وبعض ولاته قد وقعوا فى عظمة، فيخرجهم منها أبى ليحتج عليهم بها، فتجتمع القضاة عند خليفتهم وقد حكموا فى شئ واحد بقضايا مختلفة، فأجازها لهم لأن الله لم يؤته الحكمة وفصل الخطاب.

وزعم كل صنف من مخالفيها من أهل هذه القبلة : أن معدن الخلافة والعلم دوننا، فنستعين بالله على من ظلمنا وجحدنا حقنا وركب رقابنا وسن للناس علينا ما يحتج به مثلك، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

إنما الناس ثلاثة: مؤمن يعرف حقنا ويسلم لنا ويأتم بنا، فذلك ناجح محب لله ولى، وناصب لنا العداوة يتبرأ منا ويلعننا ويستحل دماءنا ويحسد حقنا ويدين الله بالبراءة منا، فهذا كافر مشرك فاسق، وإنما كفر وأشرك من حيث لا يعلم، كما سبوا الله [عدوا] بغير علم، كذلك يشرك ما بالله بغير علم.

ورجل آخذ بما لا يختلف فيه ورد علم ما أشكل عليه إلى الله مع ولايتنا ولا يأتم بنا ولا يعادينا ولا يعرف حقنا فنحن نرجو أن يغفر الله له ويدخله الجنة، فهذا مسلم ضعيف.

ص: ٣٧١

فلما سمع ذلك معاوية أمر لكل واحد منهم بمائة ألف غير الحسن والحسين وابن جعفر، فانه أمر لكل واحد منهم بألف ألف درهم^{٣٠٨}.

(٢٤١) بنو هاشم وبنو أمية

خاصم عمرو بن عثمان بن عفان اسامة بن زيد إلى معاوية بن أبى سفيان مقدمه المدينة فى حائط من حيطان المدينة، فارتفع الكلام بينهما حتى تلاخبا، فقال عمرو : تلاخبتى وأنت مولاي ! فقال اسامة : والله ما أنا بمولاك، ولا يسرنى أنى فى نسبك، مولاي رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال : ألا تسمعون ما يستقبلنى به هذا العبد؟! ثم التفت إليه عمرو، فقال : يا ابن السوداء ما أطغاك ! فقال: أنت أطغى منى، ولم تعبرنى بامى؟ وامى والله خير من امك ! وهى " ام ايمن " مولاء رسول الله صلى الله عليه وآله بشرها رسول الله فى غير موطن بالجنة، وأبى خير من أيبك " زيد بن حارثة " صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وحبه ومولاه قتل شهيدا بمؤتة على طاعة الله وطاعة رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنا أمير على أيبك وعلى من هو خير من أيبك على أبى بكر وعمر وعلى أبى عبيدة وسروات المهاجرين والانصار، فأنى تفاخرنى يا ابن عثمان؟

فقال عمرو: يا قوم أما تسمعون ما يجيبنى به هذا العبد؟ فقام مروان بن الحكم، فجلس إلى جنب عمرو بن عثمان، فقام الحسن بن على عليهما السلام فجلس إلى جنب اسامة، فقام سعيد بن العاص، فجلس إلى جنب عمرو، فقام عبد الله بن جعفر، فجلس إلى جنب اسامة، فلما رأهم معاوية قد صاروا

^{٣٠٨} (١) البحار: ج ٤٤ ص ١٠٢-٩٧ عن الاحتجاج. وج ٣٦ ص ٢٣١ عن كمال الدين والخصال وعيون الاخبار، وغيبة النعماني نبذا منه وراجع قاموس الرجان ج

٦ ص ٣٩ عن سليم، وسيأتى ج ٢ ص ٦٧ عن البحار ج ٨

ص: ٣٧٢

فريقين من بنى هاشم وبنى امية، خشى أن يعظم البلاء، فقال : إن عندى من هذا الحائط لعلما . قالوا: فقل بعلمك، فقد رضينا، فقال معاوية: أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وآله جعله لا سامة بن زيد، قم يا اسامة، فاقبض حائطك هنيئا مريئا . فقام اسامة والهاشميون فجزوا معاوية خيرا.

فأقبل عمرو بن عثمان على معاوية، فقال: لا جزاك الله عن الرحم خيرا! ما زدت على أن كذبت قولنا، وفسخت حجتنا، واشمت بنا عدونا. فقال معاوية: ويحك يا عمرو! إنى لما رأيت هؤلاء الفتية من بنى هاشم قد اعتزلوا ذكرت أعينهم تدور إلى من تحت المغافر بصفين وكاد يختلط على عقلى، وما يؤمننى يا ابن عثمان منهم؟ وقد أحلوا بأبيك ما أحلوا ونازعونى مهجة نفسى حتى نجوت منهم بعد نبأ عظيم وخطب جسيم، فانصرف، فنحن مخلفون لك خيرا من حائطك إن شاء الله ^{٣٠٩}.

(٢٤٢) عبيد الله بن عباس وبسر

اجتمع عبيد الله بن العباس من بعد - أى بعد قتل بسر ابنه فى اليمن - وبسر ابن أوطاة عند معاوية، فقال معاوية لعبيد الله: أتعرف هذا الشيخ قاتل الصبيبن؟ قال بسر: نعم أنا قاتلها، فمه؟ فقال عبيد الله : لو أن لى سيفا ! قال بسر: فهاك سيفى - وأوماً إلى سيفه - فزيره معاوية وانتهره وقال: اف لك من شيخ ما أحققك! تعمد إلى رجل قد قتلت ابنه فتعطيه سيفك! كأنك لا تعرف أكباد بنى هاشم، والله لو دفعته إليه لبدء بك، وثنى بى! فقال عبيد الله: بل والله كنت أبدء بك واثنى به! ^{٣١٠}.

ص: ٣٧٣

(٢٤٣) بنو هاشم وبنو امية

فى دفن الامام السبط الاكبر الحسن عليه السلام فى حديث منع بنى امية وأن الحسين أمر أن يفتح البيت فحال دون ذلك مروان بن الحكم وآل أبى سفيان ومن حضر هناك من ولد عثمان بن عفان، وقالوا: يدفن أمير المؤمنين الشهيد القتييل ظلما بالبقيع بشر مكان ويدفن الحسن مع رسول الله؟! لا يكون ذلك أبدا حتى تكسر السيوف بيننا وتنقص الرماح وينفده النبل.

فقال الحسين عليه السلام: أما والله الذى حرم مكة، للحسن بن على وابن فاطمة أحق برسول الله صلى الله عليه وآله وببيته ممن ادخل بيته بغير إذن، وهو والله أحق به من حمال الخطايا، مسير أبى ذر رحمه الله، الفاعل بعمار ما فعل، وبعبد الله ما صنع، الحامى الحمى، المأوى لطريد رسول الله صلى الله عليه وآله لكنكم صرتم بعده الامراء وتابعكم على ذلك الاعداء وأبناء الاعداء.

قال: فحملناه فأتينا به قبر امه فاطمة عليها السلام فدفناه إلى جنبها رضى الله عنه وأرضاه.

^{٣٠٩} (١) البحار: ج ٤٤ ص ١٠٧ عن أمالى المفيد - رحمه الله - وأمالى الشيخ - رحمه الله -: ج ١ ص ٢١٦

^{٣١٠} (٢) البحار: ج ٤٤ ص ١٢٩ عن أمالى المفيد - رحمه الله - ومجالس الشيخ - رحمه الله -: ج ١ ص ٧٥ وسيأتى عن ابن أبى الحديد برواية اخرى

قال ابن عباس: وكنت أول من انصرف فسمعت اللغط وخفت أن يعجل الحسين على من قد أقبل، ورأيت شخصا علمت الشر فيه، فأقبلت مبادرا، فإذا أنا بعائشة في أربعين راكبا على بغل مرحل! تقدمهم وتأمرهم بالقتال.

فلما رأتني قالت: إلى إلى با ابن عباس! لقد اجترأتم على في الدنيا تؤذونني مرة بعد أخرى، تريدون أن تدخلوا بيتي من لا أهوى ولا أحب. فقلت:

واسوأته! يوم على بغل، ويوم على جمل، تريدان أن تطفئ نور الله، وتقاتلي أولياء الله، وتحولي بين رسول الله وبي ن حبيبه أن يدفن معه! أرجعي فقد كفى الله عزوجل المؤونة ودفن الحسن عليه السلام إلى جنب امه، فلم يزد من الله.

ص: ٣٧٤

تعالى إلا قربا وما ازددتم منه والله إلا بعدا، يا سوأته! انصرفي فقد رأيت ما سر.

قال: فقطبت في وجهي ونادت بأعلى صوتها: أو ما نسيتم الجمل يا ابن عباس؟ إنكم لذوو أحقاد، فقلت: أم والله ما نسيته أهل السماء، فكيف تنساه أهل الارض؟ فانصرفت وهي تقول:

فألقت عصاها واستقرت بها النوى كما قر عينا بالاياب المسافر^{٣١١}

(٢٤٤) بنو هاشم وبنو امية

فلما قبض الحسن عليه السلام وضع على سريرته، وانطلق به إلى مصلى رسول الله الذي كان يصلى فيه على الجنائز، فصلى على الحسن عليه السلام فلما أن صلى عليه حمل فادخل المسجد.

فلما اوقف على قبر رسول الله بلغ عائشة الخبر وقيل لها: إنهم قد أقبلوا بالحسن بن علي عليهما السلام ليدفن مع رسول الله صلى الله عليه وآله، فخرجت مبادرة على بغل بسرج، فكانت أول امرأة ركبت في الاسلام سرجا، فوقفت فقالت: نحوا ابنكم عن بيتي! فانه لا يدفن فيه شيء، ولا يهتك على رسول الله صلى الله عليه وآله حجاب.

فقال لها الحسين بن علي صلوات الله عليهما: قديما هتكت أنت وأبوك حجاب رسول الله صلى الله عليه وآله، وأدخلت بيته من لا يحب رسول الله قربه، وإن الله سائلك عن ذلك يا عائشة! إن أخى أمرنى أن اقربه من أبيه رسول الله صلى الله عليه وآله ليحدث به عهدا.

واعلمى أن أخى أعلم الناس بالله ورسوله، وأعلم بتأويل كتابه من أن

ص: ٣٧٥

^{٣١١} (١) البحار: ج ٤٤ ص ١٥٢ عن أمالي المفيد - رحمه الله - وعن الكافي

يهتك على رسول الله صلى الله عليه وآله ستره، لأن الله تبارك وتعالى يقول:

" يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم " وقد أدخلت أنت بيت رسول الله صلى الله عليه وآله الرجال بغير إذنه، وقد قال الله عز وجل:

" يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي " ولعمري! لقد ضربت أنت لايبك وفاروقه عند اذن رسول الله صلى الله عليه وآله المعاول، وقال الله عز وجل: " إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى " ولعمري! لقد أدخل أبوك وفاروقه على رسول الله صلى الله عليه وآله بقربيهما منه الاذى، وما رعيًا من حقه ما أمرهما الله به على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله، إن الله حرم على المؤمنين أمواتا ما حرم منهم أحياء.

وتالله يا عائشة! لو كان هذا الذي كرهتيه من دفن الحسن عن أبيه صلوات الله عليهما جائزا فيما بيننا وبين الله لعلمت أنه سيدفن وإن رغم معطسك! قال: ثم تكلم محمد بن الحنفية وقال: يا عائشة يوما على بغل، ويوما على جمل! فما تملكين نفسك ولا تملكين الارض عداوة لبنى هاشم. قال، فأقبلت عليه فقالت: يا الحنفية! هؤلاء الفواطم يتكلمون فما كلامك؟ فقال لها الحسين: وأنى تبعدين محمدا من الفواطم؟! فوالله لقد ولدته ثلاث فواطم:

فاطمة بنت عمران بن عائذ بن عمرو بن مخزوم، وفاطمة بنت أسد بن هاشم، وفاطمة بنت الاصم بن رواحة بن حجر بن [عبد] معيص بن عامر. قال:

فقات عائشة للحسين عليه السلام: نحو ابنكم واذهبوا به فانكم قوم خصمون! قال: فمضى الحسين عليه السلام إلى قبر امه ثم أخرجه فدفنه بالبقيع^{٣١٢}.

ص: ٣٧٤

(٢٤٥) ابن عباس وعائشة

فلما فرغ الحسين عليه السلام من شأنه وحمله ليدفنه - الحسن عليه السلام - مع رسول الله صلى الله عليه وآله ركب مروان بن الحكم طريقا يريد رسول الله بغلة وأتى عائشة، فقال لها: يا ام المؤمنين! إن الحسين يريد أن يدفن أخاه الحسن مع رسول الله صلى الله عليه وآله، والله إن دفن مع ليذهبن فخر أبيك وصاحبه عمر إلى يوم القيامة! قالت: فما أصنع يا مروان؟ قال: الحقى به وامنعيه من أن يدفن مع! قالت: وكيف الحقه؟ قال: اركبى بغلتي هذه.

فنزل عن بغلته، وركبتها. وكانت تؤذ الناس وبنى امية على الحسين عليه السلام وتحرضهم على م نعه مما هم به، فلما قربت من قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وكان قد وصلت جنازة الحسن فرمت بنفسها عن البغلة! وقالت:

والله لا يدفن الحسن هاهنا أبداً أو تجز هذه - وأومت بيدها إلى شعرها - فأراد بنو هاشم المجادلة، فقال الحسين عليه السلام :
الله الله ! لا تضيعوا وصي أخى، فاعدلوا به إلى البقيع، فانه أقسم على أن أنا منعت من دفنه مع جده صلى الله عليه وآله أن لا
أخاصم فيه أحداً، وأن أدفنه بالبقيع مع امه عليها السلام، فعدلوا به ودفنوه بالبقيع معها عليها السلام.

فقام ابن عباس رضى الله عنه وقال : يا حميراء ليس يومنا منك بواح د، يوم على الجمل ويوم على البغلة ! أما كفاك أن يقال: "
يوم الجمل" حتى يقال:

" يوم البغل"؟ يوم على هذا ويوم على هذا ! بارزة عن حجاب رسول الله صلى الله عليه وآله تريدين إطفاء نور الله، والله متم
نوره ولو كره المشركون، إنا لله

ص: ٣٧٧

وإنا إليه راجعون. فقالت له: إليك عنى، واف لك ولقومك! ^{٣١٣}.

فلما غسله وكفنه الحسين عليه السلام وحمله على سريريه وتوجه إلى قبر جده رسول الله صلى الله عليه وآله ليجدد به عهداً،
أتى مروان بن الحكم ومن معه من بنى أمية، فقال: أيدفن عثمان فى أقصى المدينة ويدفن الحسن مع النبى؟

لا يكون ذلك أبداً! ولحقت عائشة على بغل، وهى تقول: ما لى ولكم؟ تريدون أن تدخلوا بيتى من لا احب.

فقال ابن عباس لمروان بن الحكم: لا نريد دفن صاحبنا، فانه كان أعلم بحرمة قبر رسول الله من أن يطرق عليه هجماً، كما طرق
ذلك غيره ودخل بيته بغير إذنه، انصرف فنحن ندفنه بالبقيع كما وصى.

ثم قال لعائشة: واسوأته! يوماً على بغل ويوماً على جمل! وفى رواية: يوماً تجملت ويوماً تبغلت وإن عشت تفيلت فأخذه ابن
الحجاج الشاعر البغدادي، فقال:

يا بنت أبى بكر لا كان ولا كنت لك التسع من الثمن وبالكل تملكى تجملت تبغلت وإن عشت تفيلت ^{٣١٤} وفى ص ١٥٧ نقله
عن الارشاد للمفيد رحمه الله والمناقب لابن شهر آشوب بنحو يقرب مما ذكرنا.

(٢٤٦) ابن عباس ومعاوية

عن خراش، قال: سأل معاوية ابن عباس، قال: فما تقول فى على بن أبى طالب عليه السلام؟ قال: على أبو الحسن عليه السلام
على، كان والله علم

^{٣١٣} (١) الخرائج: ص ١٥٤، البحار: ج ٤٤ ص ١٤١

^{٣١٤} (٢) البحار: ج ٤٤ ص ١٥٤

الهدى، وكهف التقي، ومحل الحجي، ومحتد النداء، وطود النهى، وعلم الورى، ونورا فى ظلمة الدجى، وداعيا إلى المحجة العظمى، ومستمسكا بالعروة الوثقى، وساميا إلى المجد والعلى، وقائد الدين والتقى، وسيد من تقمص وارتدى، بعل بنت المصطفى، وأفضل من صام وصلى، وأفخر من ضحك وبكى، صاحب القبلتين، فهل يساويه مخلوق كان أبو يكون؟ كان والله كالاسد مقاتلا ولهم فى الحروب حاملا، على مبغضيه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين إلى يوم التناد^{٣١٥}.

(٢٤٧) صعصة ومعاوية

قدم وفد العراقيين على معاوية، فقد فى وفد أهل الكوفة عدى بن حاتم الطائى، وفى وفد أهل البصرة الاحنف بن قيس وصعصة بن صوحان، فقال عمرو بن العاص لمعاوية : هؤلاء رجال الدنيا وهم شيعة على عليه السلام الذين قاتلوا معه يوم الجمل ويوم صفين، فكن منهم على حذر. فأمر لكل رجل منهم بمجلس سرى واستقبل القوم بالكرامة.

فلما دخلوا عليه قال لهم: أهلا وسهلا، قدمتم أرض المقدسة والانبياء والرسل والحشر والنشر.

فتكلم صعصة - وكان من أحضر الناس جوابا - فقال: يا معاوية! أما قولك:

" أرض المقدسة " فان الارض لا تقديس أهلها، وإنما تقديسهم الاعمال الصالحة . وأما قولك: " أرض الانبياء والرسل " فمن بها من أهل النفاق والشرك والفراغة والجباية أكثر من الانبياء والرسل . وأما قولك: " أرض الحشر والنشر " فان المؤمن لا يضره بعد المحشر والمنافق لا ينفعه قربه.

فقال معاوية: لو كان الناس كلهم أولدهم أبو سفيان لما كان فيهم إلا كيسا رشيدا. فقال صعصة: قد أولد الناس من كان خيرا من أبى سفيان، فأولد الاحمق والمنافق والفاجر والفساق والمعتوه والمجنون، آدم أبو البشر. فخجل معاوية^{٣١٦}.

(٢٤٨) صعصة ومعاوية

عن هشام بن السائب، عن أبيه، قال : خطب الناس يوما معاوية بمسجد دمشق، وفى الجامع يومئذ من الوفود علماء قريش وخطباء ربيعة ومدارها وصناديد اليمن وملوكها.

فقال معاوية: إن الله تعالى أكرم خلفاءه فأوجب لهما الجنة وأنقذهم من النار، ثم جعلنى منهم، وجعل أنصارى أهل الشام الذابين عن حرم الله، المؤيدين بظفر الله، المنصورين على أعداء الله.

^{٣١٥} (١) البحار: ج ٤٤ ص ١١٢ عن الروضة والفضائل

^{٣١٦} (١) البحار: ج ٤٤ ص ١٢٣ عن الاختصاص: ص ٦٥-٦٤

قال: كان في الجامع من أهل العراق الاحنف بن قيس وصعصعة بن صوحان، فقال الاحنف لصعصعة : أتكفيني أم أقوم إليه أنا؟ فقال صعصعة للاحنف: بل أكفيكه أنا، ثم قام صعصعة فقال : يا ابن أبي سفيان! تكلمت فأبلغت ولم تقصر دون ما أردت، وكيف يكون ما تقول، وقد غلبتنا قسرا، وملكتنا تجبرا، ودتتنا بغير الحق، واستوليت بأسباب الفضل علينا . فأما إطراؤك لاهل الشام: فما رأيت أطوع لمخلوق وأعصى لخالق منهم! قوم ابتعت منهم دينهم وأبدانهم بالمال، فان أعطيتهم حاموا عليك ونصروك، وإن منعتهم قعدوا عنك ورفضوك.

قال معاوية: اسكت يا ابن صوحان! فوالله لو لا أني لم أتجرع غصة غيظ

ص: ٣٨٠

قط أفضل من حلم وأحمد من كرم- سيما في الكف عن مثلك والاحتمال لذويك- لما عدت إلى مثل مقاتلك! فقعد صعصعة، فأنشأ معاوية يقول:

قبلت جاهلهم حلما ومكرمة والحلم عن قدرة فضل من الكرم^{٣١٧}

(٢٤٩) أبو الأسود ومعاوية

روى أن معاوية نظر إلى الحسن بن علي عليهما السلام وهو بالمدينة، وقد احتف به خلق من قريش يعظمونه، فتداخله حسد، فدعا أبا الاسود الدؤلي والضحاك بن قيس الفهري، فشاورهم في أمر الحسن والذي يهيم به من الكلام.

فقال له أبو الأسود: رأى أمير المؤمنين أفضل وأرى أن لا تفعل، فان أمير المؤمنين لن يقول فيه قولا إلا أنزله سامعوه منه به حسدا ورفعوه به صعدا، والحسن يا أمير المؤمنين معتدل شبابه أحضر ما هو كائن جوابه، فأخاف أن يرد عليك كلامك بنو اذ تردع سهامك، فيقرع بذلك ظنوبك، ويبدى به عيوبك، فإذا كلامك فيه صار له فضلا وعليك كلا، إلا أن تكون تعرف له عيبا في أدب، أو وقية في حسب، وإنه لهو المذهب، قد أصبح من صريح العرب في غر لبابها وكريم محتده وطيب عنصرها، فلا تفعل يا أمير المؤمنين، الحديث^{٣١٨}.

(٢٥٠) حارثة بن قدامة مع معاوية

قدم حارثة بن قدامة السعدي على معاوية، ومع معاوية على السرير

ص: ٣٨١

^{٣١٧} (١) البحار: ج ٤٤ ص ١٣٢ عن أمالي الشيخ رحمه الله: ج ١ ص ٥-٤

^{٣١٨} (٢) البحار: ج ٤٤ ص ١٢٠

الاحنف بن قيس والحباب المجاشعي، فقال له معاوية : من أنت؟ قال : أنا حارثة بن قدامة، قال : وكان نبيلًا، فقال له معاوية: ما عسيت أن تكون! هل أنت إلا نحلة؟

فقال: لا تفعل يا معاوية! قد شبهتني بالنحلة، وهى والله حامية اللسعة حلوة البصاق، ما معاوية إلا كلبه تعاوى الكلاب، وما امية إلا تصغير أمة، فقال معاوية: لا تفعل، قال: إنك فعلت ففعلت.

قال له: فادن اجلس معى على السرير، فقال: لا افعل، قال: ولم؟ قال:

لانى رأيت هذين قد أماطاك عن مجلسك فلم أكن لأشاركهما.

قال له معاوية: ادن اسارك، فدنا منه، فقال : يا حارثة! إنى اشتريت من هذين الرجلين دينهما، قال : ومنى فاشتر يا معاوية! قال له: لا تجهر^{٣١٩}.

(٢٥١) أعرابى ومعاوية

يقال: دخل الحسين عليه السلام على معاوية وعنده أعرابى يسأله حاجة، فأمسك وتشاغل بالحسين عليه السلام فقال الاعرابى لبعض من حضر: من هذا الذى دخل؟ قالوا: الحسين بن على، فقال الاعرابى للحسين عليه السلام:

أسألك يا ابن بنت رسول الله لما كلمته فى حاجتى، فكلمه الحسين عليه السلام فى ذلك، فقضى حاجته، فقال الاعرابى:

إلى أن هزه ابن الرسول

أتيت العشمى فلم يجد لى

ومن بطن المطهرة البتول

هو ابن المصطفى كرما وجودا

كما فضل الربيع على المحول

وإن لهاشم فضلا عليكم

فقال معاوية: يا اعرابى اعطيك وتمدحه؟! فقال الاعرابى: يا معاوية!

ص: ٣٨٢

أعطيتنى من حقه وقضيت حاجتى بقوله^{٣٢٠}.

^{٣١٩} (١) البحار: ج ٤٤ ص ١٣٣ عن أمالى المفيد

^{٣٢٠} (١) البحار: ج ٤٤ ص ٢١٠ عن المناقب

(٢٥٢) هانى بن عروه وابن زياد

قال المفيد رحمه الله : وخاف هانى بن عروه عبيدالله على نفسه فانتقطع عن حضور مجلسه وتمارض، فقال ابن زياد لجلسائه : مالى لا أرى هانتا؟ فقالوا : هو شاك، فقال : لو علمت بمرضه لعدته . ودعا محمد بن الاشعث واسماء بن خارجة وعمرو بن الحجاج الزبيدي - وكانت رويحة بنت عمرو تحت هانى بن عروه، وهى ام يحيى بن هانى - فقال لهم: ما يمنع هانى بن عروه من إتياننا؟

فقالوا: ما ندرى، وقد قيل : إنه يشتكى قال: قد بلغنى أنه قد برئ وهو يجلس على باب داره، فالتقوه ومروه أن لا يدع ما عليه من حقنا، فاني لا احب أن يفسد عندي مثله من أشرف العرب.

فأتوه حتى وقفوا عليه عشية وهو جالس على بابه، وقالوا له : ما يمنعك من لقاء الامير؟ فانه قد ذكرك وقال : لو أعلم أنه شاك لعدته، فقال لهم:

الشكوى تمنعني، فقالوا: قد بلغه أنك تجلس كل عشية على باب دارك، وقد استبطأك، والابطاء والجفاء لا يحتمل السلطان، اقسمننا عليك لما ركبت معنا! فدعا بثيابه فلبسها ثم دعا ببغلة فركبها حتى إذا دنا من القصر كأن نفسه أحست ببعض الذى كان.

فقال لحسان بن أسماء بن خارجة : يا ابن الاخ إني والله لهذا الرجل لخائف فما ترى؟ فقال : يا عم والله ما أتخوف عليك شيئا، ولم تجعل على نفسك سبيلا؟ ولم يكن حسان يعلم فى أى شئ بعث إليه عبيدالله.

فجاء هانى حتى دخل على عبيدالله بن زياد وعنده القوم، فلما طلع قال

ص: ٣٨٣

عبيدالله: أتتكم بحائن رجلاه! فلما دنا من ابن زياد - وعنده شريح القاضي - التفت نحوه، فوّل :

اريد حباءه ويريد قتلى عذيرك من خليلك من مراد

وقد كان أول ما قدم مكرما له ملطفا، فقال له هانى: وماذاك أيها الامير؟

قال: ايه! يا هانى بن عروه، ما هذه الامور التى تربص فى دارك لأمر المؤمنين وعامة المسلمين؟ جئت بمسلم بن عقيل فأدخلته دارك وجمعت له الجموع والسلاح والرجال فى الدور حولك ! وظننت أن ذلك يخفى على؟ قال : ما فعلت ذلك وما مسلم عندي، قال : بلى قد فعلت ! فلما كثر بينهما وأبى هانى إلا مجاحدته ومناكرته، دعا ابن زياد معقلا - ذلك العين - فجاء

حتى وقف بين يديه، وقال: أتعرف هذا؟ قال: نعم، وعلم هاني عند ذلك أنه كان عينا عليهم وأنه قد أتاه بأخبارهم، فأسقط في يده ساعة.

ثم راجعته نفسه، فقال: اسمع مني وصدق مقاتلي، فوالله ما كذبت، والله ما دعوته إلى منزلي ولا علمت بشئ من أمره حتى جاءني يسألني النزول، فاستحييت من رده، وداخلني من ذلك ذمام فضيفته وآويته، وقد كان من أمره ما بلغك، فان شئت أن أعطيك الآن موثقا مغلظا أن لا أبغيك سوءا ولا غائلة، ولا تبينك حتى أضع يدي في يدك، وإن شئت أعطيتك رهينة تكون في يدك حتى آتيك وأنطلق إليه، فأمره أن يخرج من داري إلى حيث شاء من الأرض، فأخرج من ذمامه وجواره.

فقال له ابن زياد: والله لا تفلوقني أبدا حتى تأتيني به! قال: لا والله لأجيبك به أبدا! أجيبك بضيفي تقتله؟ قال: والله لتأتيني به! قال: والله لا آتيك به! فلما كثر الكلام بينهما، قام مسلم بن عمرو الباهلي - وليس بالكوفة شامي ولا بصرى غيره - فقال: أصلح الله الأمير! خلني وإياه حتى اكلمه، فقام فخلا به ناحية من ابن زياد، وهما منه بحيث يراهما، فإذا رفعأ أصواتهما سمع ما يقولان.

ص: ٣٨٤

فقال له مسلم: يا هاني أنشدك الله أن تقتل نفسك وأن تدخل البلاء في عيشرتك! فوالله إنني لانيك بك عن القتل، إن هذا ابن عم القوم وليسوا قاتليه ولا ضائريه، فادفعه إليهم، فانه ليس عليك بذلك مخزاة ولا منقصة إنما تدفعه إلى السلطان.

فقال هاني: والله إن على في ذلك الخزي والعار أن أدفع جاري وضيفي وأنا حي صحيح أسمع وأرى، شديد الساعد كثير الاعوان، والله لو لم يكن لي إلا واحد ليس لي ناصر لم أدفعه حتى أموت دونه. فأخذ يناشده وهو يقول:

والله لا أدفعه إليه أبدا.

فسمع ابن زياد - لعنه الله - ذلك، فقال: أدنوه مني، فأدنوه منه، فقال:

والله لتأتيني به أو لأضربن عنقك! فقال هاني: إذا والله تكثر البارقة حول دارك! فقال ابن زياد: والهفاه عليك! أبا لبارقه تخوفني؟ وهو يظن أن عشيرته سيمنعونه. ثم قال: أدنوه مني، فادني منه، فاستعرض وجهه بالقضيب فلم يزل يضرب به أنفه وجبينه وخده حتى كسر أنفه وسال الدماء على وجهه ولحيته ونثر لحم جبينه وخده على لحيته، حتى كسر القضيب، وضرب هاني يده على قائم سيف شرطي، وجاذبه [الرجل] ومنعه.

فقال عبيدالله: أحروري سائر اليوم؟ قد حل دمك، جروه، فجروه وألقوه في بيت من بيوت الدار، وأغلقوا عليه بابه، فقال: اجعلوا عليه حرسا، ففعل ذلك به.

فقام إليه حسان بن اسماء، فقال : أرسل غدر سائر اليوم، أمرتنا أن نجئك بالرجل حتى إذا جئناك به هشمت أنفه ووجهه وسيلت دمائه على لحيته وزعمت أنك تقتله! فقال له عبيدالله: وإنك لها هنا، فأمر به فلهز وتنعع واجلس ناحيته، فقال محمد بن الأشعث: قد رضينا بما رأى الأمير، لنا كان أم علينا، إنما الأمير مؤدب.

ص: ٣٨٥

وبلغ عمرو بن الحجاج أن هانثا قد قتل ! فأقبل في مذبح حتى أحاط بالقصر ومعه جمع عظيم، وقال : أنا عمرو بن الحجاج، وهذه فرسان مذبح ووجوهها، لم نخلع طاعة ولم نفارق جماعة، وقد بلغهم أن صاحبهم قد قتل، فأعظموا ذلك.

فقبل لعبيدالله بن زياد: وهذه فرسان مذبح بالباب؟! فقال لشريح القاضي: ادخل على صاحبهم فانظر إليه، ثم اخرج فأعلمهم أنه حي لم يقتل، فدخل شريح فنظر إليه فقال هانى لما رأى أى شريحا: يا لله! يا للمسلمين! اهلكت عشيرتى، أين أهل الدين؟ أين أهل مصر؟ والدماء تسيل على لحيته، إذ سمع الضجة على باب القصر، فقال: إني لأظنها أصوات مذبح وشيعتى من المسلمين، إنه إن دخل على عشرة نفر أنقذونى.

فلما سمع كلامه شريح خرج إليهم، فقال لهم : إن الأمير لما بلغه كلامكم ومقاتلتكم فى صاحبكم أمرنى بالدخول إليه، فأتيته فنطرت إليه، فأمرنى أن ألقاكم واعرفكم أنه حي، وأن الذى بلغكم من قتله باطل.

فقال له عمرو بن الحجاج وأصحابه: أما إذ لم يقتل فالحمد لله، ثم انصرفوا! الحديث ٣٢١.

(٢٥٣) دخول مسلم على ابن زياد

فلما دخل لم يسلم عليه بالامرء فقال له الحرسى : ألا تسلم على الأمير؟

فقال: إن كان يريد قتلى فما سلامى عليه؟ وإن كان لا يريد قتلى فليكثرن سلامى عليه، فقال له ابن زياد : لعمري لتقتلن! قال: كذلك؟ قال: نعم، قال: فدعنى اوصى إلى بعض قومى، قال: افعل.

ص: ٣٨٦

فنظر مسلم إلى جلساء عبيدالله بن زياد، وفيهم عمر بن سعد بن أبى وقاص، فقال : يا عمر! إن بينى وبينك قرابة، ولى إليك حاجة، وقد يجب لى عليك نجح حاجتى وهى سر . فامتنع عمر أن يسمع منه، فقال له عبيدالله بن زياد : لم تمتنع أن تنظر فى حاجة ابن عمك؟ فقام معه فجلس حيث ينظر إليهما ابن زياد.

فقال له: إن على بالكوفة دينا استدنته منذ قدمت الكوفة، سبعمائة درهم، فبع سيفى ودرعى فاقضها عنى، وإذا قتلت فاستوهب جثتى من ابن زياد فوارها، وابعث إلى الحسين عليه السلام من يرده، فاني قد كتبت إليه اعلمه أن الناس معه، ولا أراه إلا مقبلا.

فقال عمر لابن زياد: أتدري أيها الأمير ما قال لي؟ إنه ذكر كذا وكذا ! فقال ابن زياد: إنه لا يخونك الامين، ولكن قد يؤتمن الخائن! أما ماله فهو له ولسنا نمنعك أن تصنع به ما أحب، وأما جثته فانا لا نبالي إذا قتلناه ما صنع بها، وأما حسين فانه إن لم يردنا لم نرده.

ثم قال ابن زياد: إيه ابن عقيل! أتيت الناس وهم جمع فشئت بينهم وفرقت كلمتهم وحملت بعضهم على بعض، قال : كلا! لست لذلك أتيت، ولكن أهل المصر زعموا أن أباك قتل خيارهم وسفك دماءهم وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر، فأتيانهم لنأمر بالعدل وندعو إلى الكتاب، فقال له ابن زياد: " وما أنت وذاك ى فاسق! لم لم تعمل فيهم بذلك إذ أنت بالمدينة تشرب الخمر؟ قال مسلم: أنا أشرب الخمر؟ أما والله! إن الله ليعلم أنك غير صادق وأنت قد قلت بغير علم، وإنى لست كما ذكرت، وإنك أحق بشرب الخمر منى، وأولى بها من يلغ في دماء المسلمين ولغا، فيقتل النفس التي حرم الله قتلها، ويسفك الدم الذي حرم الله على الغضب والعداوة وسوء الظن وهو يلهو ويلعب كأن لم يصنع شيئا ..

ص: ٣٨٧

فقال له ابن زياد: يا فاسق! إن نفسك منتك ما حال الله دونه، ولم يرك الله له أهلا، فقال مسلم : فمن أهله إذا لم تكن نحن أهله؟ فقال ابن زياد:

أمير المؤمنين يزيد! فقال مسلم: الحمد لله على كل حال، رضينا بالله حكما بيننا وبينك، فقال له ابن زياد: قتلنى الله إن لم أقتلك قتلة لم يقتلها أحد فى الاسلام من الناس.

فقال له مسلم: أما إنك احق من أحدث فى الاسلام ما لم يكن، وأنت لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة وخبث السيرة ولؤم الغلبه، لا أحد أولى بها منك.

فأقبل ابن زياد يشتمه، ويشتم الحسين وعليه وعقيله، وأخذ مسلم لا يكلمه، الحديث ٣٢٢.

(٢٥٤) سودة ومعوية

روى أن سودة بنت عماره الهمدانية دخلت على معاوية بعد موت على، فجعل يؤنبها على تحريضها عليه أيام صفين، وآل أمره إلى أن قال: ما حاجتك؟

قالت: إن الله مسائلك عن أمرنا وما افترض عليك من حقنا، ولا يزال يتقدم علينا من قبلك من يسمو بمكانك ويبطش بقوة سلطانك، فيحصدنا حصيد السنبل ويدوسنا دوس الحرمل، يسومنا الخسف ويذيقنا الحتف، هذا بسر بن أرطاة قدم علينا فقتل رجالنا وأخذ أموالنا، ولولا الطاعة لكان فىنا عزومنة، فان عزلته عنا شكرناك، وإلا كفرناك.

فقال معاوية: إياي تهددين بقومك يا سودة! لقد هممت أن أحملك على قتب أشوس فاردك إليه، فينفذ فيك حكمه، فأطرقت سودة ساعة، ثم قالت:

صلى الاله على روح تضمنها قبر فأصبح العدل فيه مدفونا

ص: ٣٨٨

قد حالف الحق لا يبغى به بدلا فصار بالحق والايامن مقرونا

فقال معاوية: من هذا يا سودة؟ قالت: هو والله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، والله لقد جئته في رجل كان قد ولاه صدقاتنا فجار علينا، فصادفته قائما يصلي، فلما رأيته انفتل من صلاته، ثم أقبل علي برحمة ورفق ورأفة وتعطف، وقال: ألك حاجة؟ قلت: نعم فأخبرته الخبر، فبكي ثم قال: "اللهم أنت الشاهد علي وعليهم، وإنني لم آمرهم بظلم خلقك ولا بترك حقك" ثم أخرج قطعة جلد فكتب فيها: بسم الله الرحمن الرحيم ... الحديث^{٣٢٣}.

نورده عن العقد الفريد أيضا لاشتماله على الزيادة:

وفدت سودة بنت عمار بن الاشر [الاسك] الهمدانية على معاوية بن أبي سفيان فاستأذنت عليه، فأذن لها، فلما دخلت عليه سلمت، فقال لها: كيف أنت يا ابنة الاشر؟ قالت: بخير يا أمير المؤمنين. قال لها: أنت القائلة لاختيك:

شمر كفعل أيبك يا ابن عماره يوم الطعان وملتقى الاقران

وانصر عليا والحسين ورهطه واقصد لهند وابنها بهوان

إن الامام أخو النبي محمد علم الهدى ومنارة الايمان

فقه الحتوف وسر أمام لوائه قدما بأبيض صارم وسانان

^{٣٢٣} (١) راجع كشف الغمة: ص ٥٠. والعقد الفريد: ج ٢ ص ١٠٢. والبحار: ج ٤١ ص ١١٩. والامامة والسياسة: ج ١ ص ٥٣. ونور الابصار: ص ١٠٩. والفصول

المهمة لابن الصباغ: ص ١٢٩. ومطالب السؤل: ص ٣٣، وبلاغات النساء: ص ٣٠. ومحادثات النساء: ص ٧٣

قالت: يا أمير المؤمنين مات الرأس وبتر الذنب، فدع عنك تذكّار ما قد نسي . قال: هيهات! ليس مثل مقام أخيك ينسى، قالت: صدقت والله

ص: ٣٨٩

يا أمير المؤمنين ما كان أخى خفى المقام ذليل المكان، ولكن كما قالت الخنساء:

وإن صخرًا لتأتم الهداة به كأنه علم فى رأسه نار

(وفى بلاغات النساء: قالت: إى الله! ما مثلى من رغب عن الحق أو اعتذر بالكذب. قال لها: فما حملك على ذلك؟ قالت: حب على عليه السلام واتباع الحق، قال: فوالله ما أرى عليك من أثر على شيئاً، قالت: انشددك الله يا أمير المؤمنين! وإعادة ما مضى وتذكّار ما قد نسي، قال: هيهات! ما مثل مقام أخيك ينسى، وما لقيت من أحد ما لقيت من قومك وأخيك، قالت: صدق فوك، لم يكن أخى ذميم المقام ولا خفى المكان، كان والله كقول الخنساء :) وبالله أسأل أمير المؤمنين إعفائى مما استعفيتى، قال : قد فعلت، فقولى حاجتك.

قالت: يا أمير المؤمنين إنك للناس سيد ولا مورهم مقلد، والله سائلك عما افترض عليك من حقنا، ولا تزال تقدم علينا من ينهض [ينوء خ] بعزك ويبسط سلطانك [يبطش بسلطانك خ] فيحصدنا حصاد السنبل ويدوسنا دياس البقر ويسومنا الخسيصة ويسألنا [يسلنا خ] الجليّة، هذا (بسر) بن أرطاة قدم بلادى [قدم علينا من قبلك خ] وقتل رجالى وأخذ مالى (يقول لى فوهى بما استعصم الله منه وألجأ إليه فيه) ولولا الطاعة لكان فينا عزومنة، فإما عزلته عنا فشكرناك، وإما لا فعرفناك .

فقال معاوية: إياى تهديدى بقومك، والله لقد هممت أن أردك إليه على قتب أشرس، فينفذ حكمه فيك، فسكتت ثم قالت:

صلى الاله على روح تضمنه قبر فأصبح فيه العدل مدفونا

قد حالف الحق لا يبغي به ثمنا [بدلاخ] فصار بالحق والايمان مقرونا

قال: ومن ذلك؟ قالت: على بن أبى طالب رحمه الله تعالى، قال : ما أرى عليك منه أثرا، قال : بلى أتيتته يوما فى رجل ولاه صدقاتنا، فكان بيننا وبينه ما بين الغث والسمين، فوجدته قائما يصلى فانفتل من الصلاة، ثم قال برأفه

ص: ٣٩٠

وتعطف: ألك حاجة؟ فأخبرته خبر الرجل، فبكى، ثم رفع يديه إلى السماء، فقال: "اللهم إني لم آمرهم بظلم خلقك ولا ترك حقك" ثم أخرج من جيبه قطعة من جراب، فكتب فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم : قد جاءكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين * بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين * وما أنا عليكم بحفيظ. إذا أتاك كتابي هذا فاحتفظ بما في يديك حتى يأتي من يقبضه منك والسلام".

فأخذته منه يا أمير المؤمنين، ما خزمه بخزام، ولا ختمه بختام.

فقال معاوية: اكتبوا لها بالانصاف لها والعدل عليها، فقالت: ألى خاصة أم لقومى عامة؟ قال: وما أنت وغيرك؟ قالت: هى والله إذا الفحشاء واللؤم إن لم يكن عدلا شاملا، وألا يسعنى ما يسع قومى، قال : هيهات! لمظكم ابن أبى طالب الجرأه [على السلطان، فبطيئا ما تظمون، وغركم قوله:

لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

فلو كنت بوابا على باب جنه

وقوله:

ومثل همدان سنى فتحة الباب

ناديت همدان والابواب مغلقة

وجه جميل وقلب غير وجاب

كالهندوانى لم تقلل مضاربه

اكتبوا لها بحاجتها^{٣٢٤}.

أقول: أشرنا إلى بعض الخلاف بين نسختى العقد الفريد وبلاغات النساء. ونقله فى قاموس الرجال عن البلاغات^{٣٢٥}.

ص: ٣٩١

^{٣٢٤} (١) العقد الفريد: ج ١ ص ٣٢٥

^{٣٢٥} (٢) قاموس الرجال: ج ١ ص ٤٦١ عن بلاغات النساء

(٢٥٥) بكاره الهاليله ومعاويه

محمد بن عبد الله الخزاعي، عن الشعبي، قال:

استأذنت بكاره الهاليله على معاويه بن أبي سفيان، فأذن لها، وهو يومئذ بالمدينه، فدخلت عليه - وكانت امرأة قد أسنت وعشى بصرها وضعفت قوتها ترعش بين خادمين لها - فسلمت وجلست، فرد عليها معاويه السلام، وقال:

كيف أنت يا خاله؟ قالت: بخير يا أمير المؤمنين، قال: غيرك الدهر! قالت:

كذلك هو ذو غير، ومن عاش كبر، ومن مات قبر.

قال عمرو بن العاص: هي والله القائلة يا أمير المؤمنين:

سيفا حساما في التراب دفينا

يا زيد دونك فاستثر من دارنا

فاليوم أبرزه الزمان مصونا

قد كنت أذخره ليوم كريهه^{٣٢٦}

قال مروان: وهي والله القائلة يا أمير المؤمنين:

هيهات! ذاك وإن أراد بعيد

أترى ابن هند للخلافة مالكا

أغراك عمرو للشقاء وسعيد

منتك نفسك في الخلاء ضلالة

قال سعيد بن العاص: هي والله القائلة:

فوق المنابر من اميه خاطبا

قد كنت أطمع أن أموت ولا أرى

حتى رأيت من الزمان عجائبا

فالله آخر مدتي فتطاولت

بين الجميع لأن أحمد عائبا

في كل يوم للزمان خطيبهم

^{٣٢٦} (١) قد كان مذخورا لكل عظيمه" عن البلاغات"

ثم سكتوا.

فقالت: يا معاوية^{٣٢٧} كلامك أعشى بصرى وقصر حجتى، أنا والله قاتله

ص: ٣٩٢

ما قالوا، وما خفى عليك منى أكثر! فضحك وقال: ليس يمنعنا ذلك من برک، اذكرى حاجتك، قالت: الآن فلا^{٣٢٨}.

(٢٥٦) الزرقاء مع معاوية

عبيدالله بن عمرو الغساني عن الشعبي، قال: حدثني جماعة من بنى أمية ممن كان يسمر مع معاوية قالوا:

بينما معاوية ذات ليلة مع عمرو وسعيد وعتبة والوليد، إذ ذكروا الزرقاء بنت عدى [بن غالب] بين قيس الهمدانية [امراة كانت من أهل الكوفة] وكانت شهدت مع قومها صفين، فقال: أيكم يحفظ كلامها؟ قال بعضهم: نحن نحفظه يا أمير المؤمنين، قال: فأشيروا على فى أمرها، فقال بعضهم: نشير عليك بقتلها، قال: بئس الراى أشرت به على! أيعسن بمثل أن يتحدث عنه أنه قتل امراة بعد ما ظفر بها؟ فكتب إلى عامله بالكوفة أن يوفدها إليه مع ثقة من ذوى محارمها وعدة من فرسان قومها، وأن يمهد لها وطاء ليأى ويسترها بستر خفيف يوسع لها فى النفقة، فأرسل إليها فأقرأها الكتاب.

فقالت: إن كان أمير المؤمنين جعل الخيار إلى فانى لا آتية، وإن كان حتم فالطاعة أولى.

فحملها وأحسن جهازها على ما امر به، فلما دخلت على معاوية قال:

مرحبا وأهلا! قدمت خير مقدم قدمه وافد، كيف حالک؟ قالت: بخير يا أمير المؤمنين أدام الله لك النعمة، قال: كيف كنت فى مسيرک؟ قالت:

ربيبة بيت أو طفلا ممهدا، قال: بذلك أمرناهم، أتدرين فيم بعثت إليك؟

وعشى بصرى وأنا والله.

ص: ٣٩٣

^{٣٢٧} (٢) فى البلاغات: فقالت بكارة: نبحتنى كلابک يا أمير المؤمنين واعتورتنى، فقصر محجنى وكتر عجبى

^{٣٢٨} (١) العقد الفريد: ج ٢ ص ١٠٥، وراجع بلاغات النساء: ص ٣٥، ومحادثات النساء: ص ٩١

قالت: أنى لى بعلم ما لم اعلم؟ قال: ألتست الراكبة الجمل الاحمر والواقفة بين الصفين [يوم صفين] تحضين على القتال وتوقدين الحرب؟ فما حملك على ذلك؟

قالت: يا أمير المؤمنين مات الرأس وبتر الذنب، ولم يعد ما ذهب، والدهر ذو غير، ومن تفكر أبصر، والامر يحدث بعد الامر، قال لها معاوية: [صدقت] أتحفظين كلامك؟ [يوم صفين] قالت: لا والله! لا أحفظه، ولقد أنسيته، قال: لكنى أحفظه، لله أبوك! حين تقولين:

أيها الناس! ارعوا وارجعوا، إنكم قد أصبحتم فى فتنه غشتكم جلايب الظلم، وجارت بكم عن قصد المحجة، فيالها من فتنه عمياء صماء بكماء.

لا تسمع لنا عقها ولا تنساق لقائدها، إن المصباح لا يضىء فى الشمس، ولا تنير الكواكب مع القمر، ولا يقطع الحديد إلا الحديد، ألا من استرشدنا أرشدناه، ومن سألنا أخبرناه. أيها الناس! إن الحق كان يطلب ضالته فأصابها، فصبرا يا معشر المهاجرين [والانصار] على الغصص، فكان قد اندمل شعب الشتات، والتأمت كلمة العدل، ودمغ الحق باطله، فلا يجهلن أحد، فيقول: كيف [العدل] وأنى؟ ليقضى الله أمرا كان مفعولا، ألا وإن خضاب النساء الحناء وخضاب الرجال الدماء، و لهذا اليوم ما بعده، والصبر خير فى الامور عواقبا، إيها فى الحرب قدما غير ناكسين ولا متشاكسين.

ثم قال لها: والله يا زرقاء! لقد شركت عليا فى كل دم سفكه.

قالت: أحسن الله بشارتك وأدام سلامتك! فمهلك بشر بخير وسر جليسه، قال لها: أو يسرك ذلك؟ قالت: نعم والله لقد سررت بالخير، فأنى لى بتصديق الفعل؟ فضحك معاوية وقال: والله لوفاءكم له بعد موته أعجب من حبكم له فى حياته! اذكرى حاجتك.

قالت: يا أمير المؤمنين آليت على نفسى أن لا أسأل أميرا أعنت عليه أبدا، ومثلک أعطى عن غير مسألة وجاد من غير طلبه، قال: صدقت! وأمر لها وللذين

ص: ٣٩٤

جاءوا معها بجوائز وكسا^{٣٢٩}.

(٢٥٧) ام سنان ومعاوية

حبس مروان [بن الحكم] وهو والى المدينة غلاما من بنى ليث فى جناية جناها، فأنته جد الغلام [ام أبيه] وهى ام سنان بنت خيثمة بن خرشة المذحجية، فكلمته فى الغلام، فأغلظ [لها] مروان.

^{٣٢٩} (١) العقد الفريد: ج ٢ ص ١٠٦. وبلاغات النساء: ص ٣٢ وأكملناه من البلاغات. وراجع قاموس الرجال: ج ١٠ ص ٤٤٠. ومجاذبات النساء: ص ٧٦

فخرجت إلى معاوية : فدخلت عليه فانتسبت، فعرفها، فقال لها : مرحبا بابنة خيثة ! ما أقدمك أرضنا وقد عهدتک تشتميننا وتحضين علينا عدونا؟

قالت: إن لبني عبد مناف أخلاقا طاهرة، وأحلاما وافرة، لا يجهلون بعد علم، ولا يسفهون بعد حلم، ولا ينقمون بعد عفو، وإن أولى الناس باتباع ماسن آباؤه لانت. قال : صدقت نحن كذلك، فكيف قولك:

والليل يصعد بالهموم ويورد

عزب الرقاد فمقلتي لا ترقد

إن العدو لآل أحمد يقصد

يا آل مذحج لا مقام فشمروا

وسط السماء من الكواكب أسعد

هذا على كالهلال تحفه

إن يهدكم بالنور منه تهتدوا

خير الخلائق وابن عم محمد

والنصر فوق لوائه ما يفقد

ما زال مذ شهد الحروب مظفرا

قالت: كان ذلك يا أمير المؤمنين، وأرجو أن تكون لنا خلفا [بعده] فقال:

رجل من جلسائه: كيف يا أمير المؤمنين وهي القائلة:

بالحق تعرف هاديا مهديا

أما هلكت أبا الحسين فلم تزل

فوق الغصون حمامة قمريا

فاذهب عليك صلاة ربك ما دعت

ص: ٣٩٥

أوصى إليك بنا فكنت وفيا

قد كنت بعد محمد خلفا كما

هيهات! نأمل بعده انسيا

فاليوم لا خلف يؤمل بعده

قالت: يا أمير المؤمنين لسان نطق وقول صدق ! ولئن تحقق [فيك] ما ظننا فحظك الاوفر، والله ما ورثك الشناءة في قلوب المسلمين إلا هؤلاء، فأدحض مقاتلهم وأبعد منزلتهم، فانك إن فعلت ذلك تزدد من الله قربا ومن المؤمنين حبا.

قال: وإنك لتقولين ذلك؟ قالت : سبحان الله! والله ما مثلك مدح بباطل ولا اعتذر إليه بكذب، وإنك لتعلم ذلك من رأينا وضمير قلوبنا، كان والله على أحب إلينا منك، وأنت أحب إلينا من غيرك، قال: ممن؟ قالت: من مروان بن الحكم وسعيد بن العاص، قال: وبم استحققت ذلك عندك؟

قالت: بسعة حلمك وكريم عفوك، قال: فانهما يطمعان في ذلك، قالت: هما والله من الرأى على ماكنت عليه لعثمان بن عفان - رحمه الله - قال: والله لقد قاربت! فما حاجتك؟

قالت: يا أمير المؤمنين، إن مروان تبك بالمدينة تبك من لا يريد منها البراح، لا يحكم بعدل ولا يقضى بسنة، يتتبع عثرات المسلمين، ويكشف عورات المؤمنين، حبس ابن ابني فأتيته، فقال : كبت وكبت، فألقمته أخشن من الحجر، وألقته أمر من الصاب، ثم رجعت إلى نفسي باللائمة وقلت: لم لا أصرف ذلك إلى نم هو أولى بالعفو منه، فأتيته يا أمير المؤمنين لتكون في أمري ناظرا وعليه معديا.

قال: صدقت، لا أسالك عن ذنبه ولا عن القيام بحجته، اكتبوا لها باطلاقه.

قالت: يا أمير المؤمنين وأنى لى بالرجعة وقد نفذ زادى وكلت راحلتى، فأمر

ص: ٣٩٦

لها براحلة [موطأة] وخمسة آلاف [درهم] ٣٣٠.

(٢٥٨) عكرشة عند معاوية

دخلت عكرشة بنت الاطرش بن رواحة على معاوية متوكة على عكاز لها، فسلمت عليه بالخلافة ثم جلست، فقال لها معاوية : الآن يا عكرشة صرت عندك أمير المؤمنين؟! قالت: نعم إذ لا على حى.

قال: ألسنت المتقلدة حمائل السيف بصفين وأنت واقفة بين الصفين تقولين : أيها الناس! عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم، إن الجنة لا يرحل عنها من قطنها، ولا يهرم من سكنها، ولا يموت من دخلها، فابتاعوها بدار لا يدوم نعيمها ولا تنصرم همومها، وكونوا قوما مستبصرين فى دينهم مستظهرين بالصبر على طلب حقهم، إن معاوية دلف إليكم بعجم العرب غلف القلوب، لا يفقهون الايمان ولا يدرون ما الحكمة، دعاهم بالدنيا فأجابوه، واستدعاهم إلى الباطل فلبوه، فالله الله عباد الله فى دين الله ! وإياكم والتواكل، فان ذلك ينقض عرى الاسلام ويطفئ نور الحق، هذه بدر الصغرى والعقبة الاخرى، يا معشر

المهاجرين والانصار! امضوا على بصيرتكم واصبروا على عزيبتكم، فكأنى بكم غدا وقد لقيتم أهل الشام كالحر الناهقة تصقع صقع البقر [وتروث روث العتاق] فكأنى أراك على عصاك هذه وقد انكفأ عليك العسكران، يقولون: هذه عكرشة بنت الاطرش بن رواحة، فان كدت لتقتلين أهل الشام لولا قدر الله، وكان أمر الله قدرا مقدورا، فما حملك على ذلك؟

قالت: يا أمير المؤمنين [قال الله تعالى]: "يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن

ص: ٣٩٧

أشياء إن تبدلكن تسؤكن" وإن اللبيب إذا كره أمرا لا يحب إعادته.

قال: صدقت فاذكرى حاجتك [قالت]: إنه كانت صدقاتنا تؤخذ من أغنيائنا فترد على فقرائنا، وإننا قد فقدنا ذلك، فما يجبر لنا كسير ولا ينعش لنا فقير، فان كان ذلك عن رأيك. فمثلك من انتبه عن الغفلة وراجع التوبة وإن كان عن غير رأيك، فما مثلك من استعان بالخونة ولا استعمل الظلمة.

قال معاوية: يا هذه إنه ينوبنا من أمور رعيتنا أمور تنبثق وبحور تنفهد، قالت: يا سبحان الله! والله ما فرض الله لنا حقا فجعل فيه ضررا على غيرنا، وهو علام العيوب.

قال معاوية: [هيهات] بأهل العراق! نهكم على بن أبي طالب فلن تطاقوا. ثم أمر برد صدقاتهم فيهم وإنصافها^{٣٣١}.

(٢٥٩) الدارمية الحجونية ومعاوية

سهل بن أبي سهل التميمي عن أبيه قال:

حج معاوية فسأل عن امرأة من بنى كنانة كانت تنزل بالحجون يقال لها:

دارمية الحجونية - وكانت سوداء كثيرة اللحم - فاخبر بسلامتها، فبعث إليها، فجئ بها. فقال: ما حالك يا ابنة حام؟ فقالت: لست لحام إن عبتني، أنا امرأة من بنى كنانة.

قال: صدقت، أتدريين لم بعثت إليك؟ قالت: لا يعلم الغيب إلا الله، قال: بعثت إليك لاسألك علام أحببت عليا وأبغضتني وواليتيه وعاديتني؟

^{٣٣١} (١) العقد الفريد: ج ٢ ص ١١١-١٠٨ وبلاغات النساء: ص ٧١ وقاموس الرجال: ج ١١ ص ٢ عنه. ومحادثات النساء: ص ٨١ وفتوح ابن أعثم الكوفي: ج ٣

قالت: أو تعفينى [يا أمير المؤمنين] قال: لا اعفيك، قالت: أما إذا أبيت فانى

ص: ٣٩٨

أحببت عليا على عدله فى الرعية وقسمه بالسوية، وأبغضتك على قتالك من هو أولى منك بالامر وطلبتك ما ليس لك بحق،
وواليت عليا على ما عقد له رسول الله صلى الله عليه وآله من الولاء، وحبه المساكين، وإعظامه لاهل الدين، وعاديتك على
سفكك الدماء، وجورك فى القضاء، وحكمك بالهواء.

قال: صدقت فلذلك انتفخ بطنك، وعظم ثدياك، وربت عجيزتك، قالت: يا هذا بهند والله كان يضرب المثل فى ذلك لابی.

قال معاوية: يا هذه اربعى، فانا لم نقل إلا خيرا، إنه إذا انتفخ بطن المرأة تم خلق ولدها، وإذا عظم ثديها تروى رضيعها، وإذا
عظمت عجيزتها رزن مجلسها، فرجعت وسكتت.

قال لها: يا هذه هل رأيت عليا؟ قالت: إى والله! قال: فكيف رأيته؟

قالت: رأيته والله لم يفتنه الملك الذى فتنك، ولم تشغله النعمة التى شغلتك.

قال: فهل سمعت كلامه؟ قالت: نعم والله! فكان يجلو القلب من العمى كما يجلو الزيت صداء الطست، قال: صدقت، فهل لك من
حاجة؟ قالت: أو تفعل إذا سألتك؟ قال: نعم، قالت: تعطينى مائة ناقة حمراء فيها فحلها وراعيها، قال: تصنعين بها ماذا؟ قال:
أغذوا بألبانها الصغار وأستحيى بها الكبار، وأكتسب بها المكارم، وأصلح بها بين العشائر.

قال: فان أعطيتك فهل احل عندك محل على بن أبى طالب؟ قالت:

[ماء ولا كصدا ومرعى ولا كالسعدان وفتى ولا كمالك يا] سبحان الله! أو دونه، فأنشأ معاوية يقول:

فمن ذا الذى بعدى يؤمل للحلم

إذ لم أعد بالحلم منى عليكم

جزاك على حرب العداوة بالسلم

خذيها هنيئا واذكرى فعل ماجد

ثم قال: أما والله لو كان على حيا ما أعطاك منها شيئا، قالت: لا والله!

ص: ٣٩٩

ولا وبرة واحدة من مال المسلمين^{٣٣٢}.

(٢٦٠) أم الخير عند معاوية

عبيد الله بن عمر الغساني، عن الشعبي، قال:

كتب معاوية إلى واليه بالكوفة أن يحمل إليه أم الخير بنت الحريش بن سراقه البارقي برحله، وأعلمه أنه مجازيه بقولها فيه بالخير خيرا وبالشر شرا، فلما ورد عليه كتابه ركب إليها فأقرأها كتابه.

فقلت: أما أنا فغير زائغة عن طاعة ولا معتلة بكذب، ولقد كنت أحب لقاء أمير المؤمنين لأمور تختلج في صدري . فلما شيعها وأراد مفارقتها، قال لها:

يا أم الخير إن أمير المؤمنين كتب إلى أنه مجازيني بالخير خيرا وبالشر شرا فمالى عندك؟ قالت: يا هذا لا يطمعك برك بي أن أسرك بباطل، ولا تؤيسك معرفتي بك أن أقول فيك غير الحق.

فسارت خير مسير حتى قدمت على معاوية، فأنزلها مع الحرم، ثم أدخلها عليه في اليوم الرابع وعنده جلساؤه، فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فق ال لها : وعليك السلام يا أم الخير بحق ما دعوتني بهذا الاسم ! قالت: يا أمير المؤمنين [مه! فان بديهة السلطان مدحضة لما يحب علمه و] لكل أجل كتاب.

قال: صدقت، فكيف حالك يا خالة؟ وكيف كنت في مسيرك؟ قالت:

لم أزل يا أمير المؤمنين في خير وعافية حتى صرت إليك، فأنا في مجلس أتيق عند

ص: ٤٠٠

ملك رقيق.

قال معاوية: بحسن نيتي ظفرت بكم، قالت: يا أمير المؤمنين يعيذك الله من دحض المقال وما تردى عاقبته.

قال: ليس هذا أردنا، أخبرينا كيف كان كلامك إذ قتل عمار بن ياسر؟

قالت: لم أكن زورته قبل ولا رويته بعد، وإنما كانت كلمات نفتها لساني عند الصدمة، فان أحببت أن احدث لك مقالا غير ذلك فعلت [قال: لا أشاء ذلك] فالتفت معاوية إلى جلسائه، فقال: أيكم يحفظ كلامها؟ فقال رجل منهم أنا أحفظ بعض كلامها يا أمير

^{٣٣٢} (١) العقد الفريد: ج ٣ ص ١١٣. وبلاغات النساء: ص ٧٢، والغدير: ج ١٠ ص ١٦٦ ط ١ عنهما وعن صحيح الاعشى: ج ١ ص ٢٥٩. وبيع الابرار للزمخشري:

الباب ٤١. والبحار: ج ٨ ص ٥٣٤ ط الكمباني: عن العقد. وقاموس الرجال: ج ١٠ ص ٤٣٦. ومحدثات النساء: ص ٨٨

المؤمنين قال: هات، قال: كأني بها وعليها برد زيدي كثيف النسيج وهي على جمل أرمك [وقد احيط حولها] ويدها سوط منتشر الضفيرة، وهي كالفحل يهدر في شقشقته، تقول:

يا أيها الناس اتقوا ربكم، إن زلزلة الساعة شيء عظيم، إن الله قد أوضح لكم الحق وأبان الدليل وبين السبيل ورفع العلم، ولم يدعكم في عمياء [مبهمة ولا سوداء] مدلهمة فأين تريدون رحمكم الله؟ أفرارا عن أمير المؤمنين؟ أم فرارا من الزحف؟ أم رغبة عن الاسلام؟ أم ارتدادا عن الحق؟ أما سمعتم الله جل ثناؤه يقول: "ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم" ثم رفعت رأسها إلى السماء وهي تقول: اللهم قد عيل الصبر وضعف اليقين وانتشرت الرغبة، ويبدك يا رب أزمة القلوب، فاجمع اللهم بها الكلمة على التقوى، وألف القلوب على الهدى، واردد الحق إلى أهله، هلموا رحمكم الله إلى الامام العادل والرضي التقى والصديق الاكبر، إنها أحن بدرية وأحقاد جاهلية [وضعائن أحدىة] وثب بها واثب^{٣٣٣} حين الغفلة ليدرك ثارات بني

ص: ٤٠١

عبد شمس.

ثم قالت:

قاتلوا أئمة الكفر إنهم لا إيمان لهم لعلهم ينتهون، صبرا يا معشر المهاجرين والانصار! قاتلوا على بصيرة من ربكم وثبات من دينكم، فكأني بكم غدا وقد لقيتم أهل الشام كحمر مستنفرة فرت من قسورة، لا تدرى أين يسلك بها من فجاج الارض، باعوا الآخرة بالدنيا، واشتروا الضلالة بالهدى [وباعوا البصيرة بالعمى] وعما قليل ليصبحن نادمين، حين تحل بهم الندامة، فيطلبون الاقالة ولات حين مناص، إنه من ضل والله عن الحق وقع في الباطل، ألا إن أولياء الله استصغروا عمر الدنيا فرفضوها، واستطابوا الآخرة فسعوا لها، فالله الله أيها الناس! قبل أن تبطل الحقوق وتعطل الحدود [ويظهر الظالمون] وتقوى كلمة الشيطان، فإلى أين تريدون رحمكم الله؟ عن ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله، وصهره وأبى سبطيه؟ خلق من طينته، وتفرع من نبعته [وخصه بسره] وجعله باب مدينته، وأبان ببغضه المنافقين، وهما ه و ذا مفلق الهام ومكسر الاصنام، صلى والناس مشركون، وأطاع والناس كارهون، فلم يزل في ذلك حتى قتل مبارزى بدر، وأفنى أهل احد، وهزم الاحزاب، وقتل الله به أهل خيبر، وفرق به جمع هوازن، فيالها من وقايع! زرعت في قلوب نفاقا وردة وشقاقا، وزادت المؤمنين إيمانا، قد اجتهت في القول وبالغت في النصيحة، وبالله التوفيق، والسلام عليكم ورحمة الله.

فقال معاوية: يا ام الخير ما أردت بهذا الكلام إلا قتلى، ولو قتلتنك ما خرجت في ذلك.

قالت: والله ما يسوءني أن يجرى قتلى على يدي من يسعدني الله بشقائه.

قال: هيهات يا كثيرة الفضول! ما تقولين في عثمان بن عفان رحمه الله؟

^{٣٣٣} (١) في بلاغات النساء: معاوية

قالت: وما عسيت أن أقول في عثمان؟ استخلفه الناس وهم به راضون، وقتلوه

ص: ٤٠٢

وهم له كارهون.

قال معاوية: يا ام الخير هذا أصلك الذي تبين عليه؟ قالت: لكن الله يشهد وكفى بالله شهيدا، ما أردت بعثمان نقضا ولكن كان سابقا إلى الخير وإنه لرفيع الدرجة غدا [قال: فما تقولين في طلحة بن عبيدالله؟ قالت: وما عسى أن أقول في طلحة اغتيل من مأمنه وأتى من حيث لم يحذر وقد وعده رسول الله صلى الله عليه وآله الجنة] قال: فما تقولين في الزبير؟ قالت: وما أقول في ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وآله وحواء ربه وقد شهد له رسول الله صلى الله عليه وآله بالجنة [ولقد كان سابقا إلى كل مكرمة في الاسلام] وأنا أسألك بحق الله يا معاوية- فان قريشا تحدثت أنك أحلمها- [أن تسعني بفضل حلمك و] أن تعفيني من هذه المسائل، وتسألني عما شئت من غيرها.

قال: نعم ونقمة عين وقد أعفيتك منها. ثم أمر لها بجائزة ربيعة وردها مكرمة^{٣٣٤}.

(٢٤١) أروى بنت الحارث ومعاوية

العباس بن بكار، قال: حدثني عبد الله بن سليمان المدني وأبو بكر الهذلي:

أن أروى بنت الحارث بن عبد المطلب دخلت على معاوية وهي عجوز كبيرة، فلما رآها معاوية قال: مرحبا بك وأهلا يا عمه! فكيف كنت بعدنا؟ فقالت:

يا ابن أخي! لقد كفرت يد النعمة، وأسأت لابن عمك الصعبة، وتسميت بغير اسمك، وأخذت غير حقك، من غير بلاء كان منك ولا من آبائك، ولا سابقة في الاسلام بعد أن كفرتم برسول الله، فأتعس الله منكم الجدد،

ص: ٤٠٣

وأضرع الخدود، ورد الحق إلى أهله ولو كره المشركون، وكانت كلمتنا هي العليا، ونبينا هو المنصور، فوليتم علينا من بعده تحتجون بقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وآله ونحن أقرب إليه منكم وأولى بهذا الامر، فكنا فيكم بمنزلة بنى إسرائيل في آل فرعون، وكان على بن أبي طالب رحمه الله بعد نبينا صلى الله عليه وآله بمنزلة هارون من موسى، فغايطنا الجنة وغايتمكم النار.

فقال لها عمرو بن العاص:

^{٣٣٤} (١) العقد الفريد: ج ٢ ص ١١٥ وبلاغات النساء: ص ٣٦ وقاموس الرجال: ج ١٠ ص ٣٩٤. وبهج الصباغة ج ١٠ ص ١٧٨، ومحادثات النساء ص ٨٣

كفى أيتها العجوزة الضالئة! وأقصرى من قولك مع ذهاب عقلك. إذ لا تجوز شهادتك وحدك.

فقلت له: وأنت يا ابن النابغة تتكلم؟ وامك كانت أشهر امرأة تغنى (بغى خ) بمكة وآخذهن لاجرة، ادعاك خمسة نفر من قريش فسئلت امك عنهم فقلت: كلهم أتاني! فانظروا أشبههم به فألحقوه به، فغلب عليك شبه العاصي بن وائل، فلحقت به.

فقال مروان:

كفى أيتها العجوزة! واقصدي لما جئت له، فقلت: وأنت أيضا يا ابن الزرقاء تتكلم؟ [والله وأنت ببشير مولى ابن كلدة أشبه منك بالحكم بن العاص، وقد رأيت الحكم سبط الشعر مديد القامة وما بينكما قرابة إلا كقرابة الفرس الضامر من الاتان المقرف، فاسأل عما أخبرتك به امك، فانها ستخبرك بذلك] عن البحار.

ثم التفتت إلى معاوية فقلت: والله ما جرأ على هؤلاء غيرك، فان امك القائلة في قتل حمزة:

والحرب بعد الحرب ذات سعر

نحن جزينا بكم بيوم بدر

وشكر وحشى على دهرى

ما كان لى عن عتبه من صبر

حتى ترم أعظمى فى قبرى

ص: ٤٠٤

فأجابتها بنت عمى، وهى تقول:

يا ابنه جبار عظيم الكفر

خزيت فى بدر وبعد بدر

فقال معاوية: عفا الله عما سلف، يا عمه هات حاجتك، قالت: مالى إليك حاجة، وخرجت عنه^{٣٣٥}.

(٢٦٢) ام البراء عند معاوية

^{٣٣٥} (١) العقد الفريد: ج ٢ ص ١١٩. وبلاغات النساء: ص ٢٧، والغدير: ج ١٠ ص ١٦٧ عنهما، وثمرات الاوراق هامش المستطرف: ج ١ ص ١١٣ وسيأتى من البحار أيضا. ومجاذبات النساء: ص ٩٢ وقاموس الرجال: ج ١٠ ص ٣٧٧، والغدير: ج ٢ ص ١٢١ عن العقد والبلاغات وروض المناظر: ج ٨ ص ٤. وثمرات الاوراق: ج ١ ص ١٣٢. ودائرة المعارف للوجدى: ج ١ ص ٢١٥. وجمهرة الخطب: ج ٢ ص ٣٦٣

حدثنا العباس، قال: حدثنا سهيل بن أبي سفيان التميمي، عن جعدة بن هبيرة المخزومي، قال: استأذنت أم البراء بنت صفوان بن هلال على معاوية، فأذن لها، فدخلت في ثلاثة دروع تسحبها قد كارت على رأسها كورا كهيئة المنسف، فسلمت ثم جلست، فقال: كيف أنت يا بنت صفوان؟ قالت: بخير يا أمير المؤمنين، قال: فكيف حالك؟ قالت: ضعفت بعد جلد وكسلت بعد نشاط، قال: سيان بينك اليوم وحين تقولين:

عضب المهزة ليس بالخوار

يا عمرو دونك صارما ذا رونق

للحرب غير معرد لفرار

اسرج جوادك مسرعا ومشمرا

وافر العدو بصارم بتار

أجب الامام ودب تحت لوائه

فأذب عنه عساكر الفجار

يا ليتني أصبحت ليس بعورة

قالت: قد كان ذاك يا أمير المؤمنين ومثلك عفا، والله تعالى يقول: "عفا الله عما سلف" قال: هيهات! أما إنه لو عاد لعدت، لكنه اخترم دونك،

ص: ٤٠٥

فكيف قولك حين قتل؟ قالت: نسيته يا أمير المؤمنين.

فقال بعض جلسائه: هو والله حين تقول يا أمير المؤمنين:

فدحت فليس مصابها بالهازل

يا للرجال لعظم هول مصيبة

خير الخلاق والامام العادل

الشمس كاسفة لفقد إمامنا

فوق التراب لمحتف أو ناعل

ياخير من ركب المطى ومن مشى

فالحق أصبح خاضعا للباطل

حاشا النبي لقد هددت قواءنا

فقال معاوية: قاتلك الله يا بنت صفوان! ما تركت لقائل فقال مقالا، اذكرى حاجتك.

قالت: هيهات بعد هذا! والله لا سألتك شيئا. ثم قامت ففثرت، فقالت:

تعس شائي على، فقال: يا بنت صفوان زعمت إلا، قالت: هو ما علمت. فلما كان من الغد بعث إليها بكسوة فاخرة ودراهم كثيرة وقال: إذا أنا ضيعت الحلم فمن يحفظه؟^{٣٣٦}.

(٢٤٣) آمنة بنت الشريد ومعاوية

حدثنا العباس بن بكار، قال: حدثنا أبو بكر الهذلي، عن الزهري وسهل ابن أبي سهل التميمي، عن أبيه، قال: لما قتل على بن أبي طالب عليه السلام بعث معاوية في طلب شيعته، فكان في من طلب عمرو بن الحمق الخزاعي، فراغ منه، فأرسل إلى امرأته آمنة بنت الشريد فحبسها في سجن دمشق سنتين.

ثم إن عبد الرحمن بن الحكم ظفر بعمر بن الحمق في بعض الجزيرة، فقتله، وبعث برأسه إلى معاوية، وهو أول رأس حمل في الاسلام. فلما أتى معاوية الرسول بالرأس، بعث به إلى آمنة في السجن، وقال للحرسى: احفظ

ص: ٤٠٦

ما تكلمت به حتى توديه إلى واطرح الرأس في حجرها، ففعل هذا، فار تاعت له ساعة. ثم وضعت يدها على رأسها وقالت:

واحزنا! لصغره في دار هوان وضيق من ضيمه سلطان، فنفيتموه عنى طويلا وأهديتموه إلى قتيلا، فأهلا وسهلا بمن كنت له غير قالية وإناله اليوم غير ناسية، أرجع به أيها الرسول إلى معاوية، فقل له ولا تطوه دونه : أيتم الله ولدك وأوحش منك أهلك ولا غفر لك ذنبك.

فرجع الرسول إلى معاوية، فأخبره بما قالت، فأرسل إليها فأتته، وعنده نفر فيهم أياس بن حسل أخو مالك بن حسل، وكان في شقيقه نوء عن فيه لعظم كان في لسانه وثقل إذا تكلم، فقال لها معاوية: أأنت يا عدوة الله صاحبة الكلام الذي بلغني؟

قالت: نعم! غير نازعة عنه ولا معذرة منه ولا منكراً له، فلعمري لقد اجتهدت في الدعاء إن نفع الاج تهاد، وأن الحق لمن وراء العباد، وما بلغت شيئا من جزائك وإن الله بالنقمة من ورائك.

فأعرض عنها معاوية. فقال أياس: اقتل هذه يا أمير المؤمنين، فوالله ما كان زوجها أحق بالقتل منها! فالتفت إليه، فلما رآته ناتئ الشدين ثقيل اللسان، قالت: تبا لك! ويلك! بين لحيتك كجثمان الضفدع، ثم أنت تدعوه إلى قتلى كما قتل زوجي بالامس، إن تريد إلا أن تكون جبارا في الارض، وما تريد أن تكون من المصلحين، فضحك معاوية، ثم قال : لله درك! اخرجي ثم لا أسمع بك في شيء من الشام.

قالت: وأبى لاخرجن! ثم لا تسمع لى فى شئ من الشام، فما الشام لى بحبيب ولا أعرج فيها على حميم، وما هى لى بوطن ولا أحن فيها إلى سكن، ولقد عظم فيها دينى وما قرت فيها عيني، وما أنا فيها إليك بعائده ولا حيث كنت بحامده فاشار إليها ببنانه: اخرجى، فخرجت وهى تقول:

ص: ٤٠٧

واعجبنى لمعاوية يكف عنى لسانه ويشير إلى الخروج ببنانه، أما والله ليعارضنه عمرو بكلام مؤيد سديد أو جمع من نوافذ الحديد أو ما أنا بابنة الشريد! فخرجت، وتلقاها الاسود الهلالي - وكان رجلا أسود أصلع أصلع - فسمعها وهى تقول ما تقول، فقال: لمن تعنى هذه؟ الأمير المؤمنين تعنى؟ عليها لعنة الله! فالتفتت إليه، فلما رآته قالت: خزيا لك وجدعا! أتلعننى؟ واللعنة بين جنبيك وما بين قرنيك إلى قدميك، إخسأ يا هامة الصعل ووجه الجعل، فاذلل بك نصيرا واقلل بك ظهيرا، فبهت الاسلع ينظر إليها، ثم سأل عنها فأخبر، فأقبل إليها معتذرا خوفا من لسانها.

فقالت: قد قبلت عذرک، وإن تعد أعد، ثم لا أستقبل ولا أراقب فيک.

فبلغ ذلك معاوية، فقال: زعمت يا أسلع أنك لا توافق من يغلبک، أما علمت أن حرارة المبتول ليست بمخالسة نوافذ الكلام عند مواقف الخصام؟

أفلا تركت كلامها قبل البصصة منها والاعتذار إليها؟ قال: إى والله يا أمير المؤمنين؟ لم أكن أرى شيئا من النساء يب لغ من معاضيل الكلام ما بلغت هذه المرأة، حالستها، فإذا هى تحمل قلبا شديدا ولسانا حديدا وجوبا عتيذا، وهالتنى رعبا وأوسعتنى سبا.

ثم التفت معاوية إلى عبيد بن أوس، فقال: ابعث لها ما تقطع به عنا لسانها وتقضى به ما ذكرت من دينها، وتخف به إلى بلادها، وقال: اللهم اكفنى شر لسانها، فلما أتاها الرسول بما أمر به معاوية، قالت: يا عجبى لمعاوية! يقتل زوجى ويبعث إلى بالجوائز، فليت أبى كرب سد عنى حره صله، خذ من^{٣٣٧} الرضعة ما عليها^{٣٣٨}، فأخذت ذلك وخرجت تريد الجزيرة فمرت بحمص، فقتلها الطاعون

ص: ٤٠٨

فبلغ ذلك الاسلع، فأقبل إلى معاوية كالمبشر له، فقال له: أفرخ روعك يا أمير المؤمنين، قد استجيبت دعوتك فى ابنة الشريد، وقد كفيت شر لسانها.

قال: وكيف ذلك؟ قال مرت بحمص فقتلها الطاعون، فقال له معاوية:

^{٣٣٧} (١) كذا والصحيح ما فى مجمع الامثال ج ٢ ص ١٩٤: "ليت حظى من أبى كرب أن يسد عنى خيره خيله"

^{٣٣٨} (٢) كذا والصحيح ما فى مجمع الامثال ج ١ ص ٢٣١: "خذ من الرضعة ما عليها"

فنفسك فبشر بما أحببت، فان موتها لم يكن على أحد أروح منه عليك، ولعمري ! ما أنصفت منها حين أفر غت عليك شؤبا وبيلا، فقال الاسلع:

ما أصابني من حرارة لسانها شيء إلا وقد أصابك مثله أو أشد منه^{٣٣٩}.

(٢٤٤) امرأة من بنى ذكوان عند معاوية

عن خالد بن سعيد، عن رجل من بنى امية، قال : حضرت معاوية يوما وقد أذن للناس إذنا عاما، فدخلوا عليه لمظالمهم وحوائجهم، فدخلت امرأة كأنها قلعة ومعها جاريتان لها، فحدرت اللثام عن لون كأنما اشرب ماء الدر في حمرة التفاح، ثم قالت:

الحمد لله يا معاوية! الذى خلق اللسان فجعل فيه البيان، ودل به على النعم، وأجرى به القلم فيما أبرم وحتم، ودرا وبرأ، وحكم وقضى، صرف الكلام باللغات المختلفة على المعانى المتفرقة، ألها بالتقديم والتأخير، والاشباه والمنابر والموافقة والتزايد، فأدته الآذان إلى القلوب، وأدته القلوب إلى اللسان بالبيان، استدل به على العلم، وعبد به الرب، وأبرم به الامر، وعرفت به الاقدار، وتمت به النعم، فكان من قضاء الله وقدره أن قربت زيادا وجعلت له بين آل سفيان نسبا، ثم وليته أحكام العباد، يسفك الدماء بغير حلها ولاحقها، ويهتك الحرم بلا مراقبة الله فيها، خوون غشوم، كافر ظلوم، يتخير من المعاصي أعظمها، لا يرى الله وقارا ولا يظن أن له معادا، وغدا يعرض عمله فى

ص: ٤٠٩

صحيفتك وتوقف على ما أجتوم بين يدي ربك، ولك برسول الله صلى الله عليه وآله اسوء وبينك وبينه صهر، فلا الماضين من ائمة الهدى اتبعت ولا طريقتهم سلكت، جعلت عبد تقيف على رقاب امه محمد صلى الله عليه وآله يدبر امورهم ويسفك دماءهم، فماذا تقول لربك يا معاوية؟ وقد مضى من أجلك أكثره، وذهب خيره وبقي وزره.

إنى امرأة من بنى ذكوان وثب زياد المدعى إلى أبى سفيان على ضيعتى ورثتها عن أبى وامى، فغصبنيها وحال بينى وبينها، وقتل من نازعه فيها من رجالى، فأتييتك مستصرخة، فان أنصفت وعدلت، وإلا وكلتك وزايد إلى الله عزوجل، فلن تبطل ظلامتى عندك ولاعنده والمنصف لى منكما حكم عدل.

فبهت معاوية ينظر إليها متعجبا من كلامها، ثم قال : ما لزياد؟ لعن الله زيادا، فانه لا يزال يبعث على مثالبه من ينشرها، وعلى مساوئها من يثيرها . ثم أمر كاتبه بالكتاب إلى زياد، يأمره بالخروج إليها من حقها، وإلا صرفه مذموما مدحورا، ثم أمر لها بعشرين ألف درهم.

^{٣٣٩} (١) بلاغات النساء: ص ٤١-٥٩، وسيأتى ج ٢ ص ٩٠ عن المفيد. وراجع قاموس الرجال: ج ١٠ ص ٣٧٧. ومحادثات النساء: ص ٧١-٦٧. وأعلام النساء:

ج ١ ص ١١. والبحار: ج ٨ ص ٦٧٣، ط حجرى

وعجب معاوية وجميع من حضره من مقالاتها وبلوغها حاجتها^{٣٤٠}.

(٢٦٥) جروءة التميمية عند معاوية

أبو عبد الله محمد بن زكريا، قال: حدثنا العباس بن بكار، قال: حدثني عبد الله بن سليمان المديني عن أبيه، وسهيل التميمي عن أبيه، عن عمته، قالت: احتجم معاوية بمكة، فلما أمسى أرق أرقا شديدا، فأرسل إلى جروءة ابنة غالب التميمية، وكانت مجاورة بمكة، وهي من بني أسد بن عمرو بن تميم، فلما دخلت قال لها: مرحبا يا جروءة، أرعناك؟ قالت: إى والله! يا أمير المؤمنين، لقد

ص: ٤١٠

طرقت في ساعة لا يطرق فيها الطير في وكره، فأرعت قلبي وريع صيباني وأفزعت عشيرتي، وتركت بعضهم يموج في بعض، يراجعون القول ويديرون الكلام خشية منك وشفقة على.

فقال لها: ليسكن روعك ولتطب نفسك فان الامر على خلاف ما ظننت، إني احتجمت فأعقبتني ذلك أرقا، فأرسلت إليك تخبريني عن قومك.

قالت: عن أى قومي تسألني؟ قال: عن بني تميم.

قالت: يا أمير المؤمنين، هم أكثر الناس عددا وأوسع بلدوا أبعد أمدا، هم الذهب الأحمر والحسب الأفخر، قال: صدقت فنزليهم لى.

قالت: يا أمير المؤمنين، أما بنو عمرو بن تميم : فأصحاب بأس ونجدة وتحاشد وشدة، لا يتخاذلون عند اللقاء ولا يطمع فيهم الاعداء، سلمهم فيهم وسيفهم على عدوهم، قال: صدقت، ونعم القوم لانفسهم.

قالت: وأما بنو سعد بن زيد مناه : ففي العدد الاكثرون وفي النسب الاطيون، يضررون إن غضبوا ويدركون إن طلبوا، أصحاب سيوف وجحف ونزال وزلف، على أن بأسهم فيهم وسيفهم عليهم.

وأما حنظلة: فالبيت الرفيع والحسب البديع والعز المنيع، المكرمون للجار والطالبون بالنار والناقضون للاوتار . قال: ان حنظلة شجرة تفرع، قالت:

صدقت يا أمير المؤمنين.

وأما البراجم: فأصابع مجتمعة وكف ممتعة . وأما طهية: فقوم هوج وقرن لجوج . وأما بنو ربيعة: فصخرة صماء وحية رقشاء، يغزون غيرهم ويفخرون بقومهم . وأما بنو يربوع: ففرسان الرماح واسود الصباح، يعتنقون الاقران ويقتلون الفرسان . وأما بنو

^{٣٤٠} (١) بلاغات النساء: ص ٦٣-٦٤. ومحدثات النساء: ص ٧٢-٧١

مالك: فجمع غير مفلول وعز غير مجهول، ليوث هراة وخبول كراة . وأما بنو دارم: فكرم لا يداني وشرف لا يسامي وعز لا يوازي.

ص: ٤١١

قال: أنت اعلم الناس بتميم، فكيف علمك بقيس؟ قالت: كعلمي بنفسى، قال فخيريني عنهم.

قالت: أما غطفان: فأكثر سادة وأمنع قادة. وأما فزارة: فبيتها المشهور وحسبها المذكور. وإما ذبيان: فخطباء شعراء أعز أقباء، وأما عبس: فجمرة لا تطفأ وعقبة لا تعلو وحية لا ترقى، وأما هوازن: فحلم ظاهر وعز قاهر. وأما سليم: ففرسان الملاحم واسود ضراغم، وأما نمير: فشوكة مسمومة وهامة مذمومة وراية ملمومة . وأما هلال: فاسم فخم وعز قوم . وأما بنو كلاب فعدد كثير وفخر أثير.

قال: لله أنت! فما قولك فى قريش؟ قالت: يا أمير المؤمنين هم ذروة السنام وسادة الانام والحسب القمقام، قال: فما قولك فى على عليه السلام؟ قالت: جاز والله فى الشرف حدا لا يوصف وغاية لا تعرف، وبالله أسأل أمير المؤمنين إعفائى مما أتخوف.

قال: قد فعلت، وأمر لها بضبعة نفيسة غلتها عشرة آلاف درهم^{٣٤١}.

(٢٦٦) أروى بنت الحارث مع معاوية

كلام أروى بنت الحارث بن عبد المطلب مع معاوية، بنقل البحار:

روى فى بعض مؤلفات أصحابنا عن قتادة: أن أروى بنت الحارث بن عبد المطلب دخلت على معاوية بن أبى سفيان، وقد قدم المدينة، وهى عجوز كبيرة. فلما رآها معاوية قال: مرحبا بك يا خالة! كيف كنت بعدى؟ قالت:

كيف أنت يا ابن اختى؟ لقد كفرت النعمة وأسأت لابن عمك الصعبة و تسميت بغير اسمك وأخذت غير حقك، بلا بلاء كان منك ولا من آبائك فى

ص: ٤١٢

ديننا ولا سابقة كانت لكم، بل كفرتم بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله فأتعس الله منكم الجدود وأصعر منكم الخدود، ورد الحق إلى أهله، فكانت كلمتنا هى العليا، ونبينا هو المنصور على من ناواه ، فوثبت قريش علينا من بعده حسدا لنا وبغيا، فكننا بحمد الله ونعمته أهل بيت فيكم بمنزلة بنى إسرائيل فى آل فرعون، وكان سيدنا فيكم بعد نبينا بمنزلة هارون من موسى، وغايتنا الجنة وغايتكم النار.

^{٣٤١} (١) بلاغات النساء: ص ٧٣، وعنه بهج الصباغة: ج ١٠ ص ٢٨٠

فقال لها عمرو بن العاص: كفى أيتها العجوز الضالة، واقصرى من قولك مع ذهاب عقلك، إذ لا تجوز شهادتك وحدك.

فقالت: وأنت يا ابن الباغية تتكلم؟ وامك أشهر بغى بمكة وأقلهم اجرة ! وادعاك خمسة من قريش، فسئلت امك عن ذلك، فقالت: كل أتاها! فانظروا أشبههم به فألحقوه به، فغلب شبه العاص بن وائل جزار قريش، الامهم مكرأ وأمهمهم خيرا، فما ألومك ببغضنا.

قال مروان بن الحكم: كفى أيتها العجوز، واقصدى لما جئت له.

فقالت: وأنت يا ابن الزرقاء تتكلم؟ والله وأنت ببشير مولى ابن كلداء أشبه منك بالحكم بن العاص، وقد رأيت الحكم سبط الشعر مديد القامة، وما بينكما قرابة إلا كقرابة الفرس الضامر من الاتان المقرف، فاسأل عما أخبرتك به امك، فانها ستخبرك بذلك.

ثم التفتت إلى معاوية، فقالت: والله ما جرأ هؤلاء غيرك، وإن امك القائلة في قتل حمزة:

والحرب بعد الحرب ذات السعير

نحن جزيناكم بيوم بدر

إلى آخر الايات. فأجابتها ابنة عمى:

يا بنت وقاع عظيم الكفر

خزيت في بدر وغير بدر

إلى آخر الايات.

ص: ٤١٣

فالتفت معاوية إلى مروان وعمرو، وقال : والله ما جرأها على غيركماء ولا أسمعنى هذا الكلام سواكما . ثم قال: يا خالة اقصدى لحاجتك ودعى أساطير النساء عنك.

قالت: تعطينى ألفى دينار وألفى دينار وألفى دينار . قال: ما تصنعين بألفى دينار؟ قالت: أزوج بها فقراء بنى الحارث بن عبد المطلب. قال: هي كذلك، فما تصنعين بألفى دينار؟ قالت: استعين بها على شدة الزمان وزيارة بيت الله الحرام. قال: قد أمرت بها لك، فما تصنعين بألفى دينار؟ قالت : أشتري بها عينا خراة في أرض حوارة تكون لفقراء بنى الحارث بن عبد المطلب. قال: هي لك يا خالة، أما والله لو كان ابن عمك على ما أمر بها لك ! قالت: تذكر عليا فض الله فاك وأجهد بلاك ! ثم علا نحيبها وبكاؤها، وجعلت تقول:

ألا يا عين ويحك فاسعدينا	ألا فابكى أمير المؤمنين
رزئنا خير من ركب المطايا	وجال بها ومن ركب السفينا
ومن لبس النعال ومن حذاها	ومن قرأ المثنى والمئينا
إذا استقبلت وجه أبي حسين	رأيت البدر راق الناظرينا
إلا فابلغ معاوية بن حرب	فلا قرت عيون الشامتينا
أفى الشهر الحرام فجعثمونا	بخير الخلق طرا أجمعينا
مضى بعد النبي فدته نفسى	أبو حسن وخير الصالحينا
كأن الناس إذ فقدوا عليا	نعام جال فى بلد سنينا
فلا والله لا أنسى عليا	وحسن صلاته فى الراكعينا
لقد علمت قريش حيث كانت	بانك خيرها حسبا ودينا
فلا يفرح معاوية بن حرب	فان بقية الخلفاء فينا

ص: ٤١٤

قال: فبكى معاوية! ثم قال: يا خالة لقد كان كما قلت وأفضل^{٣٢٢}.

(٢٦٧) أبو أمامة مع معاوية

رأيت فى بعض مؤلفات أصحابنا : روى أنه دخل أبو امامة الباهلى على معاوية، فقربه وأدناه، ثم دعا بالطعام فجعل يطعم أبا امامة بيده، ثم أوسع رأسه ولحيته طيبا بيده، وأمر له ببدره من دنائير فدفعها إليه، ثم قال : يا أبا امامة بالله أنا خير أم على بن أبى طالب؟ فقال أبو أمامة : نعم ولاكذب، ولو بغير الله سألتنى لصدقت، على والله خير منك، وأكرم وأقدم إسلاما، وأقرب إلى رسول الله قرابة، وأشد فى المشركين نكاية، وأعظم عند الامم غناء، أتدرى من على يا معاوية؟ ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله، وزوج ابنته سيده نساء العالمين، وأبو الحسن والحسين سيدى شباب أهل الجنة، وابن أخ حمزة سيد الشهداء، وأخو جعفر

^{٣٢٢} (١) البحار: ج ٤٢ ص ١٢٠-١١٨. وج ٨ ص ٥٣٣ ط الكمباني عن كشف الحق وص ٥٣٤ عن الطرائف. وراجع قاموس الرجال: ج ١٠ ص ٣٧٧ وقد مر فى

ذی الجناحین، فأین تقع أنت من هذا یا معاویة؟ أظننت أنى سأخیرک على على بالطافک وطعامک وعطائک؟ فأدخل إلیک مؤمنا وأخرج منک کافرا؟ بشس ما سولت لک نفسک یا معاویة! ثم نهض وخرج من عنده.

فأتبعه بالمال، فقال لا والله! لأقبل منک دینارا واحدا^{٣٤٣}.

(٢٤٨) کمیل والحجاج

روی جریر عن المغيرة، قال: لما ولی الحجاج طلب کمیل بن زیاد،

ص: ٤١٥

فهرب منه، فحرم قومه عطاہم.

فلما رأى کمیل ذلك، قال: أنا شیخ کبیر وقد نفذ عمری، لا ینبغی أن احرم قومی عطاہم، فخرج فدفع بیده إلی الحجاج.

فلما رآه قال له: لقد كنت احب أن أجد علیک سبیلا، فقال له کمیل:

لاتصرف على أنيابک ولا تهدم على، فوالله ما بقى من عمری إلا مثل کواهل الغبار، فاقض ما أنت قاض، فان الموعد الله وبعد القتل الحساب، ولقد خبرنى أمیر المؤمنین علیه السلام أنك قاتلى.

فقال له الحجاج: الحجة علیک إذا! فقال له کمیل: ذاک إذا کان القضاء إلیک. قال: بلى قد كنت فیمن قتل عثمان بن عفان، اضربوا عنقه، فضربت عنقه^{٣٤٤}.

(٢٤٩) قنبر مولى على علیه السلام والحجاج

إن الحجاج بن یوسف الثقفى قال ذات یوم: احب أن اصیب رجلا من أصحاب أبى تراب فأقترب إلی الله بدمه، فقیل له: ما نعلم أحدا کان أطول صحبة لابی تراب من قنبر مولاه.

فبعث فى طلبه، فأوتى به، فقال له: أنت قنبر؟ قال: نعم، قال: أبو همدان؟

قال: نعم، قال: مولى على بن أبى طالب؟ قال: الله مولای وأمیر المؤمنین على ولی نعمتى، قال: أبرأ من دینه، قال: فإذا برئت من دینه تدلنى على دین غیره أفضل منه؟ قال: إنى قاتلک فاختر أى قتلة أحب إلیک، قال: قد صیرت ذلک إلیک، قال: ولم؟ قال:

^{٣٤٣} (٢) البحار: ج ٤٢ ص ١٧٩

^{٣٤٤} (١) البحار: ج ٤٢ ص ١٤٨. وراجع بهج الصباغة: ج ٥ ص ١٢٧

لأنك لا تقتلني قتله إلا قتلتك مثلها، وقد أخبرني أمير المؤمنين عليه السلام : أن ميتي يكون ذبحا ظلما بغير حق. قال: فأمر به،

ص: ٤١٦

فدبح^{٣٤٥}.

(٢٧٠) ميثم وابن زياد

.... فقد (ميثم) الكوفة، فاخذ وادخل على عبيدالله بن زياد، وقيل له:

هذا كان من أثر الناس عند أبي تراب، قال: ويحكم! هذا الاعجمي؟ قالوا:

نعم.

فقال له عبيدالله: أين ربك؟ قال: بالمرصاد، قال: قد بلغني اختصاص أبي تراب لك؟ قال: قد كان بعض ذلك، فما تريد؟ قال: وإنه ليقال: إنه قد أخبرك بما سيلقاك، قال: نعم إنه أخبرني: أنك تصلبني عاشر عشرة وأنا أقصرهم خشبة وأقربهم من المطهرة، قال: لا خالفه، قال: ويحك! كيف تخالفه؟ إنما أخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله عن جبرئيل وأخبر جبرئيل عن الله، فكيف تخالف هؤلاء؟ أما والله! لقد عرفت الموضع الذي اصلب فيه أين هو من الكوفة، وإنى لأول خلق الله الجم في الاسلام بلجام كما يلجم الخيل.

فحبسه، وحبس معه المختار بن أبي عبيدة الثقفي، فقال ميثم للمخ تار وهما في حبس ابن زياد: إنك تفلت وتخرج ثائرا بدم الحسين عليه السلام فتقتل هذا الجبار الذي نحن في سجنه، وتطأ بقدمك هذا على جبهته وخديه.

فلما دعا عبيدالله بن زياد بالمختار ليقتله طلع البريد بكتاب يزيد بن معاوية إلى عبيدالله يأمره بتخليئة سبيله، وذلك: أن اخفق كانت تحت عبد الله ابن عمر بن الخطاب، فسألت بعلمها أن يشفع فيه إلى يزيد، فشفع، فأمضى

ص: ٤١٧

شفاعته، فكتب بتخليئة سبيل المختار على البريد، فوافي البريد وقد اخرج ليضرب عنقه، فاطلق.

وأما ميثم: فاخرج بعده ليصلب، وقال عبيدالله: لامضين حكم أبي تراب فيه! فلقيه رجل فقال له: ما كان أغناك عن هذا يا ميثم؟ فقبسم وقال: لها خلقت ولي غذيت.

^{٣٤٥} (١) البحار: ج ٤٢ ص ١٢٦ عن الارشاد للمفيد رحمه الله، وبهج الصباغة ج ١٠ ص ٢١٤ و ج ٥ ص ١٢٧. والكنى والالفاظ: ج ٢ ص ٢٦٨

فلما رفع على الخشبة اجتمع الناس حوله على باب عمرو بن حريث، فقال عمرو : لقد كان يقول : إني مجاورك، وكان يأمر جاريته كل عشية أن تكس تحت خشبته وترشه وتجمر بمجمرة تحته.

فجعل ميثم يحدث بفضائل بني هاشم ومخازي بني أمية وهو مصلوب على الخشبة . فقيل لابن زياد : قد فضحك هذا العبد، فقال: أجموه، فالجم، فكان أول خلق الله الجم في الاسلام.

فلما كان في اليوم الثاني فاضت منخره وفمه دما، فلما كان في اليوم الثالث طعن بحربة، فمات.

وكان قتل ميثم قبل قدوم الحسين عليه السلام العراق بعشرة أيام^{٣٤٦}.

(٢٧١) رشيد الهجري وزياد

عن زياد النضر الحارثي، قال : كنت عند زياد وقد اوتي برشيد الهجري، وكان من خواص أصحاب علي عليه السلام، فقال له زياد: ما قال لك خليلك إنا فاعلون بك؟ قال: تقطعون يدي ورجلي وتصلبونني، فقال زياد: أما والله

ص: ٤١٨

لاكذبن حديثه! خلوا سبيله. فلما أراد أن يخرج قال : ردوه، لانجد لك شيئا أصلح مما قال صاحبك، إنك لا تزال تبغي لنا سوء إن بقيت، اقطعوا يديه ورجليه، فقطعوا يديه ورجليه وهو يتكلم، فقال : اصلبوه خنقا في عنقه . فقال رشيد: وقد بقي لي عندكم شيء ما أراكم فعلتموه، فقال زياد : اقطعوا لسانه، فلما أخرجوا لسانه، قال : نفسوا عني أتكلم كلمة واحدة، فنفسوا عنه، فقال: والله هذا تصديق خبر أمير المؤمنين، أخبرني بقطع لساني، فقطعوا لسانه وصلبوه^{٣٤٧}.

(٢٧٢) ابن عباس ومعاوية

حج معاوية فأتى المدينة وأصحاب النبي صلى الله عليه وآله متوافرون، فجلس في حلقة بين عبد الله بن عباس و عبد الله بن عمر، فضرب بيده على فخذ ابن عباس، ثم قال: أما كنت أحق وأولى بالامر من ابن عمك؟ قال ابن عباس: وبم؟ قال: لاني ابن عم الخليفة المقتول ظلما! قال: هذا إذا- يعني ابن عمر- أولى بالامر منك، لان أبا هذا قتل قبل ابن عمك . قال: فانصاع عن ابن عباس، وأقبل على سعد وقال : وأنت يا سعد الذي لم يعرف حقنا من باطل غيرنا فتكون معنا أو علينا؟ قال سعد : إني لما رأيت الظلمة قد غشيت الارض قلت لبعيري : " هيخ " فأنخته حتى إذا اسفوت مضيت، قال : والله لقد قرأت المصحف يوما بين

^{٣٤٦} (١) البحار: ج ٤١ ص ٣٤٥-٣٤٤ عن ابن أبي الحديد. وراجع ج ٤٢ ص ١٢٥ عن الارشاد للمفيد- رحمه الله- و ١٣١ عن الكشي و ١٣٣ عن الكشي أيضا و

١٣٨ عن الروضة. وراجع بهج الصباغة: ج ٥ ص ١٢٧-١٢٥. والكشي: ص ٨٣ و ٨٦ وسيأتي ج ٣ ص ١٥٤

^{٣٤٧} (١) البحار: ج ٤١ ص ٣٤٦ عن ابن أبي الحديد. وراجع ج ٤٢ ص ١٢٢ عن أمالي الشيخ رحمه الله و ١٢٥ عن الارشاد للمفيد رحمه الله و ١٣٦ عن الكشي و

١٣٨ عنه أيضا. وراجع بهج الصباغة: ج ٥ ص ١٣٨. والكشي: ص ٧٦

الدفنتين، ما وجدت فيه " هيخ " فقال: أما إذ أبيت فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي: " أنت مع الحق والحق معك " قال: لتجيئني بمن سمعه معك أو لافعلن، قال: ام سلمة، قال:

ص: ٤١٩

فقام وقاموا معه حتى دخلوا على ام سلمة، قال: فبدأ معاوية فتكلم فقال: يا ام المؤمنين! إن الكذابة قد كثرت على رسول الله صلى الله عليه وآله بعده، فلا يزال قائل يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما لم يقل، وإن سعدا روى حديثا يزعم أنك سمعته معه، قالت: فما هو؟ قال: زعم أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعلي: " أنت مع الحق والحق معك " قالت: صدق في بيتي قاله.

فأقبل على سعد، فقال: الآن ألوم ما كنت عندى، والله لو سمعت هذا من رسول الله ما زلت خادما لعلي حتى أموت! ^{٣٤٨}.

(٢٧٣) أبو أيوب وعلمة والاسود

إن علمة والاسود أتيا أبا أيوب الانصارى عند منصرفه من صفين، فقالا له: يا أبا أيوب إن الله أكرمك بنزول محمد صلى الله عليه وآله في بيتك وبمجيئ ناقته تفضلا من الله تعالى وإكراما لك حتى أناخت ببابك دون الناس جميعا، ثم جئت بسيفك على عاتقك تضرب أهل لا إله إلا الله! فقال: يا هذا إن الرائد لا يكذب أهله، إن رسول الله أمرنا بقتال ثلاثة مع علي: بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، فأما الناكثون: فقد قاتلناهم وهم أهل الجمل وطلحة والزبير، وأما القاسطون: فهذا منصرفنا عنهم - يعنى معاوية وعمرو بن العاص - وأما المارقون: فهم أهل الطرفاوات وأهل السقيفات وأهل النخيلات وأهل النهروانات، والله ما أدرى أين هم، ولكن لابد من قتالهم إن شاء الله.

ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعمار: تقتلك الفئة الباغية، وأنت إذ ذاك مع الحق والحق معك، يا عمار إن رأيت عليا قد سلك واديا وسلك الناس كلهم واديا فاسلك مع علي، فانه لن يدليكَ في ردى ولن

ص: ٤٢٠

يخرجك من هدى، يا عمار من تقلد سيفاً وأعان به عليا على عدوه قلده الله يوم القيامة وشاحين من در، ومن تقلد سيفاً أعان به عدو على قلده الله تعالى يوم القيامة وشاحين من نار.

قلنا: يا هذا حسبك يرحمك الله! حسبك يرحمك الله! ^{٣٤٩}.

(٢٧٤) ابن عباس وقريش

^{٣٤٨} (١) البحار: ج ٣٨ ص ٣٣ عن كشف الغمة

^{٣٤٩} (١) البحار: ج ٣٨ ص ٣٩-٣٨ عن الطرائف عن الخطيب

عن سعيد، عن ابن عباس، أنه مر بمجلس من مجالس قريش وهم يسبون على بن أبي طالب عليه السلام فقال لقائده : ما يقول هؤلاء؟ قال: يسبون عليا! قال: قربني إليهم، فلما أن وقف عليهم قال: أيكم الساب لله؟ قالوا:

سبحان الله! ومن يسب الله فقد أشرك بالله، قال : فأأيكم الساب رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قالوا : ومن يسب رسول الله فقد كفر، قال: فأأيكم الساب على بن أبي طالب؟ قالوا: قد كان ذلك، قال: فاشهد بالله وأشهد لله! لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: " من سب عليا فقد سبني ومن سبني فقد سب الله عز وجل " ثم مضى، فقال لقائده: فهل قالوا شيئا حين قلت لهم ما قلت؟ قال: ما قالوا شيئا، قال: كيف رأيت وجوههم؟ قال:

نظروا إليك بأعين محمرة نظر التيوس إلى شفار الجازر

قال: زدني فداك أبوك! قال:

خرز الحواجب ناكسوا أذقانهم نظر الذليل إلى العزيز القاهر

قال: زدني فداك أبوك! قال: ما عندي غير هذا، قال: لكن عندي:

أحيأؤهم خزي على أمواتهم والميتون فضيحة للغابر^{٣٥٠}

ص: ٤٢١

(٢٧٥) خليل بن أحمد ويونس

عن يونس بن حبيب النحوي - وكان عثمانيا - قال: قلت: للخليل بن أحمد:

^{٣٥٠} (٢) البحار: ج ٣٩ ص ٣١١ عن أمالي الصدوق رحمه الله. وقاموس الرجال: ج ٦ ص ٢٨ عن المسعودي. والغدير: ج ٢ ص ٣٠٠ عن الملا في سيرته، والرياض:

ج ١ ص ١٦٦، وكفاية الطالب:

ص ٢٧، والفرائد للحموي، والفصول لابن صباغ

اريد أن أسألك عن شيء، فتكتمها على؟ قال : إن قولك يدل على أن الجواب أغلظ من السؤال، فتكتمه أنت أيضا؟ قال : قلت: نعم أيام حياتك.

قال: سل، قال: قلت: ما بال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ورحمهم كأنهم كلهم بنو ام واحدة، وعلى بن أبى طالب عليه السلام من بينهم كأنه ابن علة؟ قال : من أين لك هذا السؤال؟ قال : قلت: قد وعدتني الجواب، قال : وقد ضمنت لى الكتمان، قال: قلت: أيام حياتك، فقال : إن عليا تقدمهم إسلاما، وفاقهم علما، وبزهم شرفا، ورجحهم زهدا، وطالهم جهادا، فحسدوه، والناس إلى أشكالهم وأشباههم أميل منهم إلى من بان منهم، فافهم^{٣٥١}.

(٢٧٤) خليل بن أحمد وأبو زيد النحوى

عن أبى زيد النحوى، قال سألت الخليل بن أحمد العروضى : لم هجر الناس عليا عليه السلام وقرباه من رسول الله صلى الله عليه وآله وقرباه وموضعه من المسلمين موضعه وعناؤه فى الاسلام عناؤه؟ فقال: بهر والله نوره أنوارهم

ص: ٤٢٢

وغلبيهم على صفو كل منهل، والناس إلى أشكالهم أميل، أما سمعت الاول حىث يقول:

وكل شكل لشكله آلف
أما ترى الفيل يألف الفيلا؟

قال: وأنشدنا الرياشى فى معناه عن العباس بن الاحنف:

وقائل كيف تهاجرتما
فقلت قولا فيه انصاف
لم يكن من شكلى فهاجرته
والناس أشكال وألاف^{٣٥٢}

(٢٧٧) جمع من الصحابة أنكروا على أبى بكر

^{٣٥١} (١) البحار: ج ٤٠ ص ٧٤- ص ٧٥ عن أمالى الشيخ رحمه الله. وج ٨ ص ١٥١ ط الكمباني عن المناقب قريبا منه، وص ١٥٣ عن الشيخ رحمه الله. وراجع

قاموس الرجال: ج ٩ ص ٤٨٤. ونور القيس: ص ٥٧. وبهج الصباغة: ج ٤ ص ١٥٧ و ٥١٧. والكنى واللقاب: ج ١ ص ٤١٧.

^{٣٥٢} (١) البحار: ج ٨ ص ١٥١ ط الكمباني عن علل الشرايع والامالى للصدوق- رحمه الله- وبهج الصباغة: ج ٤ ص ١٥٧

عن أبان بن تغلب، قال : قلت لابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام : جعلت فداك ! هل كان أحد في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أنكر على أبي بكر فعله وجلسه مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله؟

فقال: نعم كان الذى أنكر على أبى بكر اثنا عشر رجلا من المهاجرين : خالد ابن سعيد بن العاص وكان من بنى امية، وسلمان الفارسي، وأبو ذر الغفارى، والمقداد بن الاسود، وعمار بن ياسر، وبريدة الاسلمى . ومن الانصار: أبو الهيثم بن التيهان، وسهل وعثمان ابنا حنيف، وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وابى بن كعب، وأبو أيوب الانصارى.

قال: فلما صعد أبو بكر المنبر تشاوروا بينهم، فقال بعضهم لبعض : والله لنأتينه ولنزلنه عن منبر رسول الله صلى الله عليه وآله، وقال الآخرون منهم:

والله لئن فعلتم ذلك إذا لاعتنم على أنفسكم وقد قال الله عزوجل : " ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة " فانطلقوا بنا إلى أمير المؤمنين عليه السلام لنستشيره

ص: ٤٢٣

ونستطلع رأيه.

فانطلق القوم إلى أمير المؤمنين بأجمعهم، فقالوا: يا أمير المؤمنين تركت حقا أنت أحق به وأولى منه، لانا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: " على مع الحق والحق مع على، يميل مع الحق كيف مال " ولقد هممنا أن نصير إليه فننزله عن منبر رسول الله صلى الله عليه وآله، فجئناك نستشيرك ونستطلع رأيك فيما تأمرنا، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: وأيم الله! لو فعلتم ذلك لما كنتم لهم إلا حربا، ولكنكم كالملاح فى الزاد وكالكحل فى العين، وأيم الله ! لو فعلتم ذلك لاتيتموني شاهرين أسيافكم مستعدين للحرب والقتال، إذا لاتونى فقالوا لى:

بايع وإلا قتلناك، فلا بد من أن أدفع القوم عن نفسى، وذلك : أن رسول الله صلى الله عليه وآله أو عز إلى قبل وفاته فقال لى : يا أبا الحسن إن الامة ستعذر بك بعدى وتنقض فيك عهدي، وإنك منى بمنزلة هارون من موسى، وأن الامة م ن بعدى بمنزلة هارون ومن اتبعه والسامرى ومن اتبعه، فقلت : يا رسول الله فما تعهد إلى إذا كان ذلك، فقال : إن وجدت أعوانا فبادر إليهم وجاهدهم، وإن لم تجد أعوانا كف يدك واحقن دمك حتى تلحق بى مظلوما، ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وآله اشتغلت بغسله وتكفينه والفواغ من شأنه، ثم آليت يمينا أن لا أرتدى إلا للصلاة حتى أجمع القرآن، ففعلت . ثم أخذت بيد فاطمة عليها السلام وابنى الحسن والحسين عليهما السلام فدرت على أهل بدر وأهل السابقة، فناشدتهم حقى ودعوتهم إلى نصرتى، فما أجابنى منهم إلا أربعة رهط منهم: سلمان، وعمار، والمقداد، وأبو ذر. ولقد راودت فى ذلك تقييد بينتى، فاتقوا الله على السكوت لما علمتم من وعر صدور القوم وبغضهم لله ولرسوله ولاهل بيت نبيه صلى الله عليه وآله، فانطلقوا بأجمعكم إلى الرجل، فعرفوه ما سمعتم من قول رسولكم صلى الله عليه وآله ليكون ذلك أوكد للحجة وأبلغ ل لعذر، وأبعد لهم من رسول الله صلى الله عليه وآله إذا وردوا عليه.

ص: ٤٢٤

فسار القوم حتى أحدقوا بمنبر رسول الله صلى الله عليه وآله وكان يوم الجمعة، فلما صعد أبو بكر المنبر قال المهاجرون للانصار: تقدموا فتكلموا، وقال الانصار للمهاجرين: بل تكلموا أنتم، فان الله عزوجل ادناكم فى كتابه إذ قال الله: "لقد تاب الله بالنبي على المهاجرين والانصار". قال أبان: فقلت له:

يا ابن رسول الله إن العامة لا تقرأ كما عندك، فقال: وكيف تقرأ يا أبان؟ قال:

قلت: إنها تقرأ: "لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار" فقال:

ويلهم! وأى ذنب كان لرسول الله صلى الله عليه وآله حتى تاب الله عليه منه؟

إنما تاب الله به على امته . فأول من تكلم به خالد بن سعيد بن العاص، ثم باقى المهاجرين، ثم من بعدهم الانصار . وروى أنهم كانوا غيبا عن وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله فقدموا وقد تولى أبو بكر ! وهم يومئذ أعلام مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقام خالد بن سعيد بن العاص وقال:

اتق الله يا أبا بكر، فقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله - قال - ونحن محتشوه يوم قريظة حين فتح الله له وقد قتل على يومئذ عدة من صناديد رجالهم وأولى البأس والنجدة منهم : يا معاشر المهاجرين والانصار! إني موصيكم بوصية فاحفظوها ومودعكم امرا فاحفظوه، ألا إن على بن أبى طالب عليه السلام أميركم بعدى وخليفتى فيكم، بذلك أوصانى ربي، ألا وإنكم إن لم تحفظوا فيه وصيتى وتوازروه وتنتصروه اختلفتم فى أحكامكم، واضطرب عليكم أمر دينكم، ووليكم شرارك م، ألا إن أهل بيتى هم الوارثون لامرى والعاملون بأمر امتى من بعدى، اللهم من أطاعهم من امتى وحفظ فيهم وصيتى فاحشرهم فى زمرتى واجعل لهم نصيبا من مرافقتى يدركون به نور الآخرة، اللهم ومن أساء خلافتى فى أهل بيتى فاحرمه الجنة التى عرضها كعرض السماء والارض.

ص: ٤٢٥

فقال عمر بن الخطاب: اسكت يا خالد، فلست من أهل المشورة ولا ممن يقتدى برأيه.

فقال خالد: اسكت يا ابن الخطاب، فانك تتنطق عن لسان غيرك، وأيم الله ! لقد علمت قريش أنك من ألامها حسبا وأدناها منصبا وأخسها قدرا وأقلهم غناء عن الله ورسوله، وأنك لجبان فى الحروب بخيل بالمال لثيم العنصر، مالك فى قريش من فخر ولا فى الحروب من ذكر، وإنك فى هذا الامر بمنزلة الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إني برئ منك إني أخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما أنهما فى النار خالدین فيها وذلك جزاء الظالمين . فأبلس عمر، وجلس خالد بن سعيد.

ثم قام سلمان الفارسي وقال:

كردید و نكرديد [وندانید چه كردید] أى فعلتم ولم تفعلوا [وما علمتم ما فعلتم] وامتنع من البيعة قبل ذلك حتى وجئ عنقه، فقال: يا أبا بكر! إلى من تسند أمرك إذا نزل بك مالا تعرفه؟ وإلى من تفزع إذا سئلت عما لا تعلمه؟ وما عذرک فى تقدم من هو أعلم منك وأقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وأعلم بتأويل كتاب الله عزوج لو سنة نبيه ومن قدمه النبي صلى الله عليه وآله فى حياته وأوصاكم به عند وفاته؟ فنبذتم قوله وتناسيتم وصيته، وأخلفتم الوعد ونقضتم العهد، وحللتهم العقد الذى كان عقده عليكم من النفوذ تحت راية اسامة بن زيد، حذرا من مثل ما أتيتموه وتنبيهها للامة على عظيم ما اجترحتموه من مخالفة أمره، فعن قليل يصفو لك الامر وقد أثقلك الوزر ونقلت إلى قبرك، وحملت معك ما اكتسبت يداك، فلو راجعت الحق من قرب وتلافيت نفسك وتبت إلى الله من عظيم ما اجترمت كما ن ذلك أقرب إلى نجاتك يوم تفرد فى حفرتك ويسلمك ذو ونصرتك، فقد سمعت كما سمعنا

ص: ٤٢٦

ورأيت كما رأينا، فلم يردعك ذلك عما أنت متشبث به من هذا الامر الذى لا عذر لك فى تقلده، ولا حظ للدين والمسلمين فى قيامك به، فالله الله فى نفسك! فقد أعذر من أنذر، ولا تكن كمن أدبر واستكبر.

ثم قام أبو ذر:

فقال: يا معاشر قريش! أصبتم قباحة وتركتم قرابة، والله! لترتدن جماعة من العرب ولتشكن فى هذا الدين، ولو جعلتم الامر فى أهل بيت نبيكم ما اختلف عليكم سيفان، والله! لقد صارت لمن غلب، ولتطمحن إليها عين من ليس من أهلها وليسفكن فى طلبها دماء كثيرة - فكان كما قال أبو ذر - ثم قال: لقد علمتم وعلم خياركم أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : الامر بعدى لعلى، ثم لابنى الحسن والحسين، ثم للطاهرين من ذريتي، فاطرحتهم قول نبيكم، وتناسيتهم ما عهد به إليكم، فأطعتم الدنيا الفانية، وبعتم الآخرة الباقية، التى لا يهرم شبابها ولا يزول نعيمها ولا يحزن أهلها ولا تموت سكانها، بالحقير التافه الفانى الزائل، وكذلك الامم من قبلكم كفرت بعد أنبيائها ونكصت على أعقابها وغيرت وبدلت واختلفت، فساويتموهم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة، وعما قليل تذوقون وبال أمركم، وتجزون بما قدمت أيديكم، وما الله بظلام للعبيد.

ثم قام المقداد بن الاسود وقال:

ارجع يا أبا بكر عن ظلمك، وتب إلى ربك، والزم بيتك، وابك على خطيئتك، وسلم الامر لصاحبه الذى هو أولى به منك، فقد علمت ما عقده رسول الله صلى الله عليه وآله فى عنقك من بيعته، والزمك من النفوذ تحت راية اسامة بن زيد وهو مولاه، ونبه على بطلان وجوب هذا الامر لك ولمن عضدك.

ص: ٤٢٧

عليه بضمه لكما إلى علم النفاق ومعدن الشنآن والشقاق عمرو بن العاص الذي أنزل الله تعالى فيه على نبيه صلى الله عليه وآله " إن شاتك هو الابتر " فلا اختلاف بين أهل العلم أنها نزلت في عمرو، وهو كان أميراً عليكما وعلى سائر المنافقين في الوقت الذي أنفذه رسول الله صلى الله عليه وآله في غزاة ذات السلاسل، وإن عمروا قلدكما حرس عسكره، فمن الحرس إلى الخلافة؟ اتق الله! وبادر الاستقالة قبل فوتها، فان ذلك أسلم لك في حياتك وبعد وفاتك، ولا تركز إلى دنياك، ولا تغرر كقريش وغيرها، فعن قليل تضمحل عنك دنياك، ثم تصير إلى ربك فيجزيك بعملك، وقد علمت وتيقنت أن علي بن أبي طالب عليه السلام صاحب هذا الامر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فسلمه إليه بما جعله الله له، فانه أتم لسترك وأخف لوزرك، فقد والله نصحت لك إن قبلت نصحي، وإلى الله ترجع الامور.

ثم قام بريدة الاسلمى فقال:

إنا لله وإنا إليه راجعون، ماذا لقي الحق من الباطل يا أبا بكر؟

أنسيت أم تناسيت؟ أم خدعتك نفسك وسولت لك الاباطيل؟ أو لم تذكر ما أمرنا به رسول الله صلى الله عليه وآله من تسمية على بامرة المؤمنين والنبي بين أظهرنا؟ وقوله في عدة أوقات : هذا أمير المؤمنين وقاتل القاسطين؟ فاتق الله ! وتدارك نفسك قبل أن لا تدركها، وأنقذها مما يهلكها، واردد الامر إلى من هو أحق به منك، ولا تنماد في اغتصابه، وراجع وأنت تستطيع أن تراجع، فقد محضتكم النصيح، ودللتكم على طريق النجاء، فلا تكونن ظهيرا للمجرمين.

ثم قام عمار بن ياسر فقال:

يا معاشر قريش! يا معاشر المسلمين! إن كنتم علمتم، وإلا فاعلموا:

ص: ٤٢٨

أن أهل بيت نبيكم اولى به وأحق بإرثه وأقوم بامور الدين وآمن على المؤمنين وأحفظ لملته وأنصح لامته، فمروا صاحبكم فليرد الحق إلى أهله قبل أن يضطرب حبلكم ويضعف أمركم ويظفر عدوكم ويظهر شتاتكم وتعظم الفتنة بكم وتختلفون فيما بينكم ويطمع فيكم عدوكم، فقد علمتم أن بنى هاشم أولى بهذا الامر منكم، وعلى من بينهم وليكم بعهد الله وبرسوله، وفرق ظاهر قد عرفتموه في حال بعد حال : عند سد النبي صلى الله عليه وآله أبوابكم التي كانت إلى المسجد فسدتها كلها غير بابيه، وإيثاره إياه بكريمته فاطمة دون سائر من خطبها إليه منكم، وقوله صلى الله عليه وآله : " أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن أراد الحكمة فليأتها من بابها " وأنتم جميعا مصطرخون فيما اشكل عليكم من امور دينكم إليه، وهو مستغن عن كل أحد منكم إلى ماله من السوابق التي ليست لافضلكم عند نفسه، فما بالكم تحيدون عنه وتغيرون على حقه وتؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة؟ بس للظالمين بدلا! اعطوه ما جعله الله له، ولا تتولوا عنه مدبرين، ولا ترتدوا على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين.

ثم قام ابي بن كعب فقال:

يا أبا بكر! لا تجحد حقا جعله الله لغيرك، ولا تكن أول من عصى رسول الله صلى الله عليه وآله في وصيه وصفيه وصدف عن أمره، اردد الحق إلى أهله تسلم، ولا تتماذ في غيبيك فتندم، وبادر الانابة يخف وزرك، ولا تخصص بهذا الامر الذى لم يجعله الله لك نفسك فتلقى وبال عملك، فعن قليل تفارق ما أنت فيه وتصير إلى ربك فيسألك عما جنيت، وما ربك بظلام للعبيد.

ثم قام خزيمة بن ثابت فقال:

أيها الناس! أستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله قبل

ص: ٤٢٩

شهادتي وحدي ولم يرد معي غيري؟ قالوا: بلى، قال: فأشهد أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: "أهل بيتي يفرقون بين الحق والباطل، وهم الأئمة الذين يقتدى بهم" وقد قلت ما علمت، وما على الرسول إلا البلاغ المبين.

ثم قام أبو الهيثم بن التيهان فقال:

وأنا أشهد على نبينا صلى الله عليه وآله أنه أقام عليا عليه السلام يعنى يوم غدیر خم، فقالت الانصار: ما أقامه إلا للخلافة، وقام بعضهم:

ما أقامه إلا ليعلم الناس أنه مولى من كان رسول الله صلى الله عليه وآله مولاه، وأكثروا الخوض فى ذلك، فبعثنا رجالا منا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فسألوه عن ذلك، فقال: "قولوا لهم: على عليه السلام ولى المؤمنين بعدى، وأنصح الناس لامتى" وقد شهدت بما حضرني، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، إن يوم الفصل كان ميقاتا.

ثم قام سهل بن حنيف فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي محمد وآله، ثم قال:

يا معاشر قريش إشهدوا على إنى اشهد على رسول الله صلى الله عليه وآله وقد رأيته فى هذا المكان - يعنى الروضة - وهو آخذ بيد على بن أبى طالب عليه السلام وهو يقول: أيها الناس! هذا على إمامكم من بعدى، ووصى فى حياتى وبعد وفاتى وقاضى دينى، ومنجز وعدى، وأول من يضافحنى على حوضى، فطوبى لمن تبعه ونصره! والويل لمن تخلف عنه وخذله!

ص: ٤٣٠

وقام معه أخوه عثمان بن حنيف فقال:

سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: "أهل بيتي نجوم الارض فلا تتقدموهم وقدموهم، فهم الولاة بعدى" فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله وأى أهل بيتك؟ فقال صلى الله عليه وآله: "على والطاهرون من ولده"، وقد بين صلى الله عليه وآله فلا تكن يا أبا بكر أول كافر به، ولا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون.

ثم قام أبو أيوب الانصارى فقال:

اتقوا الله عباد الله فى أهل بيت نبيكم، وردوا إليهم حقهم الذى جعله الله لهم، فقد سمعتم مثل ما سمع إخواننا فى مقام بعد مقام
لنبينا صلى الله عليه وآله ومجلس بعد مجلس يقول: "أهل بيتي أئمتكم بعدى" ويومئ إلى على عليه السلام ويقول: "هذا أمير
البررة وقاتل الكفرة، مخدول من خذله منصور من نصره" فتوبوا إلى الله من ظلمكم إن الله تواب رحيم، ولا تتولوا عنه مدبرين،
ولا تتولوا عنه معرضين.

قال الصادق عليه السلام فافحم أبو بكر على المنبر حتى لم يحر جوابا، ثم قال : وليتكم ولست بخيركم! أقيلوني أقيلوني! فقال
عمر بن الخطاب: انزل عنها يالكع! إذا كنت لا تقوم بحجج قريش لم أقمت نفسك هذا المقام؟ والله لقد هممت أن أخلعك
وأجعلها فى سالم مولى أبى حذيفة! قال: فنزل ثم أخذ بيده وانطلق إلى منزله وبقوا ثلاثة أيام لا يدخلون مسجد رسول الله
صلى الله عليه وآله، فلما كان فى اليوم الرابع جاءهم خالد بن الوليد ومعه ألف رجل، وقال لهم: ما جلوسكم؟ فقد طمع فيها والله
بنو هاشم، وجاءهم سالم مولى أبى حذيفة ومعه ألف رجل، وجاءهم معاذ بن جبل ومعه

ص: ٤٣١

ألف رجل، فما زال يجتمع رجل رجل حتى اجتمع أربعة آلاف رجل، فخرجوا شاهرين أسيافهم يقدمهم عمر بن الخطاب حتى
وقفوا بمسجد النبى صلى الله عليه وآله، فقال عمر : والله يا صحابة على، لئن ذهب الرجل منكم يتكلم بالذى تكلم به بالامس
لنأخذن الذى فيه عيناه.

فقام إليه خالد بن سعيد بن العاص وقال:

يا ابن صهاك الحبشية! أبا سيافكم تهددوننا؟ أم بجمعكم تفرعوننا؟

والله إن أسيافنا أحد من أسيافكم، وإنا لاكثر منكم وإن كنا قليلين، لان حجة الله فينا، والله لولا أنى أعلم أن طاعة إمامى أولى
بى لشهرت سيفى ولجاهدكم فى الله إلى أن ابلى عذرى. فقال له أمير المؤمنين: اجلس يا خالد، فقد عرف الله مقامك و شكر
لك سعيك، فجلس.

وقام إليه سلمان الفارسي وقال:

الله أكبر! الله أكبر! سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وإلا صمتا، يقول : بينا أخى وابن عمى جالس فى مسجدى مع نفر من
أصحابه، إذ يكبسه جماعة من كلاب أهل النار يريدون قتله وقتل من معه، ولست أشك إلا وأنكم هم! فهم به عمر بن الخطاب.

فوثب إليه أمير المؤمنين عليه السلام وأخذ بمجامع ثوبه ثم جلد به الارض، ثم قال : يا ابن صهاك الحبشية! لولا كتاب من الله
سبق وعهد من رسول الله صلى الله عليه وآله تقدم لأريتك أينما أضعف ناصرا وأقل عددا، ثم التفت إلى أصحابه، فقال : انصرفوا

رحمكم الله، فوالله لا دخلت المسجد إلا كما دخل أخوای موسى وهارون، إذ قال له أصحابه : إذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، والله لا أدخل إلا لزيارة رسول الله صلى الله عليه وآله أو لقضية أفضيها،

ص: ٤٣٢

فانه لا يجوز لحجة أقامه رسول الله صلى الله عليه وآله أن يترك الناس في حيرة^{٣٥٣}.

ولا بأس بنقل ما ذكره الصدوق - رحمه الله - في الخصال بأسناده عن زيد بن وهب.

قال: كان الذين أنكروا على أبي بكر جلوسه في الخلافة وتقدمه على علي ابن أبي طالب عليه السلام اثني عشر رجلا من المهاجرين والانصار، كان من المهاجرين : خالد بن سعيد بن العاص^{٣٥٤}، والمقداد بن الاسود، وابي بن كعب، وعمار بن ياسر، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، و عبد الله بن مسعود، وبريدة الاسلمي، وكان من الانصار : خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وسهل بن حنيف، وأبو أيوب الانصاري، وأبو الهيثم بن التيهان، وغيرهم.

فلما صعد المنبر تشاوروا بينهم في أمره، فقال بعضهم: هلا نأتيه فننزله عن منبر رسول الله صلى الله عليه وآله؟ وقال آخرون: إن فعلتم ذلك أعنتم على أنفسكم وقد قال الله عز وجل : " ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة " ولكن امضوا بنا إلى علي بن أبي طالب عليه السلام نستشير به ونستطلع أمره.

فأتوا عليا عليه السلام فقالوا : يا أمير المؤمنين ضيعت نفسك وتركت حقا أنت أولى به، وقد أردنا أن نأتي الرجل فننزله عن منبر رسول الله صلى الله عليه وآله فان الحق حقيق وأنت أولى بالامر منه، فكرهنا أن ننزل له من دون مشاورتك فقال لهم علي عليه السلام: لو فعلتم ذلك ما كنتم إلا حربا لهم، ولا كنتم إلا كالكلح في العين أو كالملح في الزاد، وقد اتفقت عليه الامّة التاركة لقول:

نبهها والكاذبة على ربه، ولقد شاورت في ذلك أهل بيتي فأبوا إلا السكوت، لما يعلمون من وعر صدور القوم وبغضهم لله عز وجل ولاهل بيت نبيه، وإنهم

ص: ٤٣٣

يطالبون بثارات الجاهلية، والله لو فعلتم ذلك لشهروا سيوفهم مستعدين للحرب والقتال، كما فعلوا ذلك حتى قهروني وغلبوني على نفسي ولبيوني وقالوا لي: بايع وإلا قتلناك، فلم أجد حيلة إلا أن أدفع القوم عن نفسي، وذلك : أني ذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وآله: " يا علي! إن القوم نقضوا أمرك واستبدوا بها دونك وعصوني فيك فعليك بالصبر حتى ينزل الله الامر، ألا

^{٣٥٣} (١) البحار: ج ٢٨ ص ٢٠٣ - ١٨٩ عن الاحتجاج: ج ١ ص ٩٧ وص ٢٠٨ عن الخصال وص ٢١٤ عن كشف اليقين وذكر محل الخلاف من الروايات من طرق

العامة والخاصة

^{٣٥٤} (٢) في الاحتجاج: " عمرو بن سعيد "

وإنهم سيغدرون بك لا محالة فلا تجعل لهم سبيلا إلى إذ لا لك وسفك دمك، فان الامّة ستغدر بك بعدى، كذلك أخبرنى جبرئيل عليه السلام عن ربي تبارك وتعالى " ولكن أئتوا الرجل فأخبروه بما سمعتم من نبيكم، ولا تدعوه فى الشبهة من أمره، ليكون ذلك أعظم للحجة عليه: وأبلغ فى عقوبته إذا أتى ربه وقد عصى نبيه وخالف أمره.

قال: فانطلقوا حتى حفوا بمنبر رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الجمعة، فقا لوا للمهاجرين: إن الله عزوجل بدءكم فى القرآن، فقال: " لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار " فبكم بدء.

فكان أول من بدأ وقام خالد بن سعيد بن العاص بادلاله بنى امية.

فقال: يا أبا بكر اتق الله! قد علمت ما تقدم لعلى من رسول الله صلى الله عليه وآله، ألا تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لنا ونحن محتوشوه فى يوم بنى قريظة، وقد أقبل على رجال منادى قدر، فقال : معاشر المهاجرين والانصار! اوصيكم بوصية فاحفظوها، وإنى مود إليكم أمرا فاقبلوه، ألا إن عليا عليه السلام أميركم من بعدى وخليفتى فيكم، أوصانى بذلك ربي وربكم، وإنكم إن لم تحفظوا وصيتى فيه وتؤوه وتتصروه اختلفتم فى أحكامكم واضطرب عليكم امر دينكم وولى عليكم الامر شراركم، ألا وإن أهل بيتى هم الوارثون أمرى القائمون بأمر امتى، اللهم فمن حفظ فيهم وصيتى فاحشره فى زمرتى، واجعل له من مرافقتى نصيبا يدرك به فوز الآخرة، اللهم ومن أساء خلافتى فى

ص: ٤٣٤

أهل بيتى فاحرمه الجنة التى عرضها السماوات والارض.

فقال له عمر بن الخطاب: اسكت يا خالدا! فلست من اهل الشورى، ولا ممن يرضى بقوله.

فقال خالد: بل اسكت أنت يا ابن الخطاب! فوالله إنك لتعلم أنك لتتطرق بغير لسانك وتعتصم بغير أركانك، والله إن قريشا لتعلم أنك ألامها حسبا، وأقلها أدبا، وأخملها ذكرا، وأقلها غناء^{٣٥٥} عن الله عزوجل وعن رسوله، وأنت لجبان عند الحرب، بخيل فى الجذب، لثيم العنصر، مالك فى قريش مفخر.

قال: فأسكته خالد، فجلس.

ثم قام أبو ذر - رحمه الله عليه - فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه:

أما بعد، يا معاشر المهاجرين والانصار! لقد علمتم وعلم خياركم أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: " الامر لعلى عليه السلام بعدى، ثم للحسن والحسين، ثم فى أهل بيتى من ولد الحسين عليهم السلام " فاطر حتم قول نبيكم وتناسيتهم ما أوعز إليكم، واتبعتم الدنيا، وتركتم نعيم الآخرة الباقية التى لا يهدم بنيانها ولا يزول نعيمها ولا يحزن أهلها ولا يموت سكانها، وكذلك الامم

^{٣٥٥} (١) ليس فى الخصال " غناء " وأثبتناه لموافقة السياق

التي كفرت بعد أنبيائها بدلت وغيرت، فحاذيتموها حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل فعمما قليل تذوقون وبال أمركم وما الله بظلام للعبيد.

ثم قام سلمان الفارسي رضى الله عنه فقال:

يا أبا بكر! إلى من تستند أمرك إذا نزل بك القضاء؟ وإلى من تفرع إذا سئلت عما لا تعلم؟ وفي القوم من هو أعلم منك وأكثر في الخير أعلما

ص: ٤٣٥

ومناقب منك، وأقرب من رسول الله صلى الله عليه وآله قرابة وقدمه في حياته، وقد أو عز إليكم، فتركتم قوله وتناسيتم وصيته، فعمما قليل يصفو لك الامر، حين تزور القبور وقد أثقلت ظهرك من الاوزار، لو حملت إلى قبرك لقدمت على ما قدمت، فلو راجعت الحق وأنصفت أهله لكان ذلك نجاه لك يوم تحتاج إلى عملك وتفرد في حفرتك بذنوبك، وقد سمعت كما سمعنا ورأيت كما رأينا، فلم يردعك ذلك عما أنت له فاعل، فالحمد لله! في نفسك، فقد أعذر من أنذر.

ثم قام المقداد بن الاسود - رحمه الله - فقال:

يا أبا بكر! إربع على نفسك، وقس شبرك بفترك، والزم بيتك، وابك على خطيئتك، فان ذلك أسلم لك في حياتك ومماتك، ورد هذا الامر إلى حيث جعله الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وآله، ولا تترك إلى الدنيا، ولا يغرنك من قد ترى من أوغادها، فعمما قليل تضمحل دنيك، ثم تصير إلى ربك فيجزيك بعملك، وقد علمت أن هذا الامر لعلي، وهو صاحبه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد نصحتك إن قبلت نصحي.

ثم قام بريدة الاسلمى فقال:

يا أبا بكر! نسيت أم تناسيت؟ أم خادعتك نفسك؟ أما نذكر إذ أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله فسلمنا على على بامرة المؤمنين ونبينا بين أظهرنا؟ فاتق الله ربك، وأدرك نفسك قبل أن لا تدركها، وأنقذها من هلكتها، ودع هذا الامر وكله إلى من هو أحق به منك، ولا تماد في غيك، وا رجع وأنت تستطيع الرجوع، وقد منحتك نصحي وبذلت لك ما عندي، وإن قبلت وفقت ورشدت.

ص: ٤٣٦

ثم قام عبد الله بن مسعود فقال:

يا معشر قريش! قد علمتم وعلم خياركم أن أهل بيت نبيكم أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله منكم، وإن كنتم إنما تدعون هذا الامر بقرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وتقولون: إن السابقة لنا، فأهل بيت نبيكم أقرب إلى رسول الله صلى الله

عليه وآله منكم وأقدم سابقة منكم، وعلى بن أبي طالب صاحب هذا الأمر بعد نبيكم، فاعطوه ما جعله الله له، ولا ترتدوا على أعقابكم فتقلبوا خاسرين.

ثم قام عمار بن ياسر - رحمه الله - فقال:

يا أبا بكر! لا تجعل لنفسك حقا جعله الله عز وجل لغيرك، ولا تكن أول من عصى رسول الله وخالفه في أهل بيته، وارتد الحق إلى أهله يخف ظهرك، ويقل وزرك، وتلقى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو عنك راض، ثم تصير إلى الرحمن فيحاسبك بعملك ويسألك عما فعلت.

ثم قام خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين فقال:

يا أبا بكر! أأستعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله قبل شهادتي وحدي ولم يرد معي غيري؟ قال: نعم، قال: فأشهد بالله أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أهل بيتي يفرقون بين الحق والباطل وهم الائمة الذين يقتدى بهم.

ثم قام أبو الهيثم بن التيهان فقال:

أنا أشهد على النبي أنه أقام عليا، فقالت الانصار: ما أقامه إلا

ص: ٤٣٧

للخلافة، وقال بعضهم: ما أقامه إلا ليعلم الناس أنه ولي من كان رسول الله صلى الله عليه وآله مولاه، فقال عليه السلام إن أهل بيتي نجوم أهل الارض فقدموهم ولا تقدموهم.

ثم قام سهل بن حنيف فقال:

أشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله قال على المنبر:

إمامكم من بعدى على بن أبي طالب عليه السلام، وهو أنصح الناس لامتي.

ثم قام أبو أيوب الانصارى فقال:

اتقوا الله في أهل بيت نبيكم، وردوا هذا الأمر إليهم، فقد سمعتمكم ا سمعنا في مقام بعد مقام من نبي الله صلى الله عليه وآله انهم أولى به منكم، ثم جلس.

ثم قام زيد بن وهب، فتكلم.

وقام جماعة بعده، فتكلموا بنحو هذا.

فأخبر الثقة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أن أبا بكر جلس في بيته ثلاثة أيام، فلما كان اليوم الثالث أتاه عمر بن الخطاب وطلحة والزبير وعثمان بن عفان و عبد الرحمان بن عوف وسعد بن أبى وقاص وأبو عبيدة بن الجراح، مع كل واحد منهم عشرة رجال من عشائريهم شاهرين للسيوف، فأخرجوه من منزله، وعلا المنبر، فقال قائل منهم : والله لئن عاد منكم أحد فتكلم بمثل الذى تكلم به لنملئن أسيفنا منه! فجلسوا فى منازلهم، ولم يتكلم احد بعد ذلك^{٣٥٦}.

ص: ٤٣٨

أقول، روى^{٣٥٧} ذلك عن كشف اليقين عن أحمد بن محمد الطبرى المعروف بالخليلى من رواء العامة ورجالهم. وهنا تعاليق على البحار وتحقيق العلامة المجلسى - رحمه الله - فى الكتاب، فليراجع، لما فيها من الفوائد . وقد ذكر بعد ذلك بعض جمل رواية كشف اليقين عن الطبرى، لم بينه وبين ما تقدم من الروايتين من الاختلاف.

وهو:

ثم قام عمار بن ياسر فقال:

معاشر قريش! هل علمتم أن أهل بيت نبيكم أحق بهذا الامر منكم؟ فمروا صاحبكم فليرد الحق إلى أهله قبل أن يضطرب حبلكم ويضعف مسلككم و تختلفوا فيما بينكم، فقد علمتم أن بنى هاشم أول بهذا الامر منكم، واقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وإن قلتم: إن السابقة لنا، فأهل بيت نبيكم أقدم منكم سابقة واعظم غناء من صاحبهم، وعلى بن أى طالب صاحب هذا الامر من بعد نبيكم، فاعطوه ما جعله الله له، ولا تفتدوا على أدباركم فتقلبوا خاسرين.

ثم قام سهل بن حنيف الانصارى فقال:

يا أبا بكر! لا تجحد حقاً ما جعله الله لك، ولا تكن أول من عصى رسول الله صلى الله عليه وآله فى أهل بيته، وأد الحق إلى أهله يخف ظهرك ويقل وزرك وتلقى رسول الله راضياً، ولا تختص به نفسك، فعمّا قل يل ينقضى عنك ما أنت فيه، ثم تصير إلى الملك الرحمن فيحاسبك بعملك ويسألك عما جئت له، وما الله بظلام للعبيد.

ص: ٤٣٩

ثم قام خزيمه بن ثابت ذو الشهادتين فقال:

^{٣٥٦} (١) راجع الخصال ص ٤٦٥ - ٤٦١

^{٣٥٧} (١) أى العلامة المجلسى قدس سره

يا أبا بكر! أأنت تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله قبل شهادتي وحدي ولم يرد معي غيري؟ قال: نعم، قال: فاشهد بالله إنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: علي إمامكم بعدى.

قال:

وقام أبى بن كعب الانصارى فقال:

أشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أهل بيتي يفرقون بين الحق والباطل، وهم الائمة الذين يقتدى بهم.

وقام أبو الهيثم بن التيهان فقال:

وأنا أشهد على نبينا محمد صلى الله عليه وآله أنه أقام عليا لتسلم له، فقال بعضهم : ما أقامه إلا للخلافة، وقال بعضهم : ما أقامه إلا ليعلم الناس أنه مولى من كان رسول الله صلى الله عليه وآله مولاه، فتشاجروا في ذلك، فبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله رجلا يسأله عن ذلك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: هو وليكم بعدى، وأنصح الناس لكم بعد وفاتي.

وقام عثمان بن حنيف الانصارى فقال:

سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : " أهل بيتي نجوم الارض ونور الارض، فلا تقدموهم وقدموهم فهم الولاة بعدى " فقام إليه رجل، فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وأى أهل بيتك أولى بذلك؟ فقال:

علي وولده.

ص: ٤٤٠

وقام أبو أيوب الانصارى فقال:

اتقوا الله في أهل بيت نبيكم، وردوا إليهم حقهم الذي جعله الله لهم، فقد سمعنا مثل ما سمع إخواننا في مقام بعد مقام لنبينا صلى الله عليه وآله ومجلس بعد مجلس يقول: أهل بيتي أئمتكم بعدى.

قال: فجلس أبو بكر في بيته ثلاثة أيام، الخ.

(٢٧٨) أبى وأبو بكر

عن علي عليه السلام قال : لما خطب أبو بكر قام أبى بن كعب يوم جمعة - وكان أول يوم من شهر رمضان - فقال: يا معشر المهاجرين الذين هاجروا واتبعوا مرضات الرحمن وأثنى الله عليهم في القرآن، ويا معشر الانصار الذين تبوءوا الدار والايمان

وأثنى الله عليهم فى القرآن، تناسيتم أم نسيتم؟ أم بدلتم أم غيرتم؟ أم خذلتهم أم عجزتم؟ ! أستم تعلمون أن رسول الله قام فىنا مقاماً أقام الله عليه وآله لنا علياً، فقال: من كنت مولاه فعلى مولاه ومن كنت نبيه فهذا أميره؟

أستم تعلمون أن رسول الله قال: يا على أنت منى بمنزلة هارون من موسى طاعتك واجبة على من بعدى؟

أو لستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : اوصيكم بأهل بيتى خيراً فقدموهم ولا تتقدموهم وأمروهم ولا تأمروا عليهم؟

أو لستم تعلمون أن رسول الله قال: أهل بيتى الائمة من بعدى؟

أو لستم تعلمون أن رسول الله قال: أهل بيتى منار الهدى والمدلون على الله؟

أو لستم تعلمون أن رسول الله قال: يا على أنت الهادى لمن ضل؟

أو لستم تعلمون أن رسول الله قال: على المحيى لستى، ومعلم امتى، والقائم.

ص: ٤٤١

بحجتى، وخير من اخلف بعدى، وسيد أهل بيتى، وأحب الناس إلى، طاعته من بعدى كطاعتى على امتى؟

أو لستم تعلمون ان رسول الله لم يول على على عليه السلام أحدا منكم وولاه فى كل غيبة عليكم؟

أو لستم تعلمون أنهما كانا منزلتهما واحدا وأمرهما واحدا؟

أو لستم تعلمون انه قال: إذا غبت عنكم وخلفت فيكم علياً فقد خلفت فيكم رجلاً كنفسى؟

أو لستم تعلمون أن رسول الله جمعنا قبل موته فى بيت ابنته فاطمة عليها السلام فقال لنا : إن الله أوحى إلى موسى أن اتخذ أخاً من اهلك أبعده نبياً وأجعل أهله لك ولدا واطهرهم من الآفات وأخلعهم من الذنوب، فاتخذ موسى هارون وولده، وكانوا ائمة بنى إسرائيل من بعده والذين يحل لهم فى مساجدهم ما يحل لموسى . ألا وإن الله تعالى أوحى إلى أن اتخذ علياً أخاً كموسى اتخذ هارون أخاً، واتخذ هارون، فقد طهرتم كما طهرت ولد هارون، إلا وأنى ختمت بك النبيين فلا نبى بعدك، فهم الائمة؟^{٣٥٨}.

أفما تفقهون؟ أما تبصرون؟ أما تسمعون؟ ضربت عليكم الشبهات فكان مثلكم كمثل رجل فى سفر أصابه عطش شديد حتى خشى أن يهلك، فلقي رجلاً هادياً بالطريق فسأله عن الماء، فقال : أمامك عينان: إحداهما مالحة والآخرى عذبة، فان أصبت من المالحة ضللت وهلك، وإن أصبت من العذبة هديت ورويت، فهذا ا مثلكم أيها الائمة المهملة، كما زعمتم ! وأيم الله! ما

اهملتم، لقد نصب لكم علم يحل لكم الحلال ويحرم عليكم الحرام، ولو أطعتموه ما اختلفتم ولا تدابرتم ولا تعللتم ولا برئ بعضكم من بعض،

ص: ٤٤٢

فوا الله! إنكم بعده لمختلفون في أحكامكم، وإنكم بعده لناقضون عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإنكم على عترته لمختلفون ومتباغضون، إن سئل هذا عن غير ما علم أفتى برأيه، وإن سئل هذا عما يعلم أفتى برأيه، فقد تحاربتم وزعمتم أن الاختلاف رحمة، هيهات! أبى كتاب الله ذلك عليكم، يقول الله تبارك وتعالى: "ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات أولئك لهم عذاب عظيم" وأخبرنا باختلافهم، فقال: "ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم" أى للرحمة، وهم آل محمد وشيعتهم، وسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يا على أنت وشيعتك على الفطرة والناس منها براء.

فهلا قبلتم من نبيكم؟ كيف! وهو يخبركم بانتكاصكم، وينهاكم عن خلاف وصيه وأمينه ووزيره وأخيه ووليه، أظهركم قلبا وأعلمكم علما وأقدمكم إسلاما وأعظمكم غناء عن رسول الله صلى الله عليه وآله، أعطاه تراثه وأوصاه بعداته واستخلفه على امته ووضع عنده سره فهو وليه دونكم أجمعين، وأحق به منكم أكتعين، سيد الوصيين، وأفضل المتقين، وأطوع الامة لرب العالمين، وسلم عليه بخلافة المؤمنين في حياة سيد النبيين وخاتم المرسلين.

فقد أعذر من أنذر، وأدى النصيحة من وعظ، وبصر من عمى وتعاشى وردى، فقد سمعتم كما سمعنا، ورأيتم كما رأينا، وشهدتم كما شهدنا.

فقام عبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل، فقالوا:

اقعد يا أبى! أصابك خبل أم أصابتك جنة؟ فقال: بل الخبل فيكم، كنت عند رسول الله صلى الله عليه وآله فألفيته يكلم رجلا وأسمع كلامه ولا أرى وجهه.

[فقال فيما يخاطبه: ما أنصحك لك ولا متك وأعلمه بسنتك! فقال رسول الله أفترى امتى تنقاد له من بعدى؟ قال: يا محمد يتبعه من امتك أبرارها، ويخالف

ص: ٤٤٣

عليه من امتك فجارها، وكذلك أوصياء النبيين من قبلك. يا محمد إن موسى ابن عمران أوصى إلى يوشع بن نون، وكان أعلم بنى إسرائيل وأخوفهم لله وأطوعهم له، وأمره الله عز وجل أن يتخذه وصيا كما اتخذت عليا وصيا وكما امرت بذلك فحسده بنو إسرائيل سبط موسى خاصة، فلعنوه وشتموه وعنفوه ووضعوا منه، فان اخذت امتك سنن بنى إسرائيل كذبوا وصيك وجحدوا أمره وابتزوا خلافته وغالطوه في علمه.

فقلت: يا رسول الله من هذا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله هذا ملك من ملائكة ربي عز وجل ينبئني أن امتي تختلف على وصيى على بن أبى طالب، وإنى أوصيك يا أبى بوصية إن حفظتها لم تزل بخير، يا أبى ! عليك بعلى، فانه الهادى المهدى الناصح لامتى المحيى لسننتى، وهو إمامكم بعدى، فمن رضى بذلك لقينى على ما فارقتة عليه، يا أبى! ومن غير أو بدل لقينى ناكثا لبيعتى عاصيا أمرى جاحدا لنبوتى، لأشفع له عند ربي وألا أسقيه من حوضى.

فقامت إليه رجال من الانصار، فقالوا: اقعد رحمك الله يا أبى! فقد أديت ما سمعت ووفيت بعهدك^{٣٥٩}.

(٢٧٩) بريدة وأبو بكر

قال: ثم قام بريدة الاسلمى، فقال : يا أبا بكر! أتتاسيت أم تعاشيت؟ أم خادعتك نفسك؟ أما تذكر إذ أمرنا رسول الله فسلمنا على على بامرة المؤمنين وهو بين أظهرنا؟ فاتق الله، وتدارك نفسك قبل أن لاتداركها، وأنقذها من هلكتها، وادفع هذا الامر إلى من هو أحق به منك من أهله، ولا تماد فى اغتصابه، وارجع وأنت تستطيع أن ترجع، فقد محضت نصيحتك وبذلت لك

ص: ٤٤٤

ما عندى، ما إن فعلته وفقت ورشدت^{٣٦٠}.

(٢٨٠) أبو ذر وبريدة عند أبى بكر

نقل هنا ما نقله سليم من الاحتجاج بعد حذف واختصار.

(سليم عن سلمان الفارسى): وقام أبو ذر، فقال: أيتها الامة المتحيرة بعد نبينا المخذولة بعصيانها، إن الله يقول: "إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم" " وآل محمد صلى الله عليه وآله الاخلاف من نوح، وآل إبراهيم من إبراهيم والصفوة والسلالة من إسماعيل . وعتره النبى صلى الله عليه وآله محمد أهل بيت النبوة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، وهم كالسماء المرفوعة، والجبال المنصوبة، والكعبة المستورة، والعين الصافية، والنجوم الهادية، والشجرة المباركة أضاء نورها وبورك زيتها، محمد خاتم الانبياء، وسيد ولد آدم، وعلى وصى الاوصياء، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، و هو الصديق الاكبر، والفاروق الاعظم، ووصى محمد صلى الله عليه وآله ووارث علمه، وأولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم، كما قال الله تعالى: "النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه امهاتهم وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله" فقدموا من قدم الله، وأخروا من أخر الله، واجعلوا الولاية والوزارة لمن جعل الله.

فقام عمر فقال لابی بكر- وهو جالس فوق المنبر- : ما يجلسك فوق المنبر وهذا جالس محارب لا يقوم فيبايع (يعنى عليا عليه السلام)؟ أو تأمر به فنضرب عنقه؟ والحسن والحسين عليهما السلام قائمان، فلما سمعا مقالة عمر بكيا،

^{٣٥٩} (١) البحار: ج ٢٨ ص ٢٢١. ما بين العلامتين ساقط من طبع الكمباني، اضافه من المصدر

^{٣٦٠} (١) وفى الطبعة ص (٢٢١) جعل ذلك رواية اخرى مستقلة قبل نقله الرواية المتقدمة وراجع ايضا ص (٣٠٠) من البحار

ص: ٤٤٥

فضمهما إلى صدره فقال: لا تبكيا فوالله ما يقدران على قتل أبيكما.

وأقبلت أم أيمن حاضنة رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت : يا أبا بكر ما أسرع ما أبديتكم حسدكم ونفاقكم ! فأمر بها عمر فاخرجت من المسجد، وقال: مالنا وللنساء؟

وقام بريدة الاسلمى وقال:

يا عمر! أتنب على أخى رسول الله وأبى ولده، وأنت الذى نعرفك فى قريش بما نعرفك؟ ألستما اللذين قال لكما رسول الله صلى الله عليه وآله:

" انطلقا إلى على عليه السلام وسلم عليه بامرء المؤمنين " فقلتما: أعن أمر الله وأمر رسوله؟ فقال: نعم؟

فقال أبو بكر: قد كان ذلك، ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله قال بعد ذلك : لا يجتمع لاهل بيتى الخلافة والنبوة فقال : والله ما قال هذا رسول الله صلى الله عليه وآله، والله لاسكنت فى بلدة أنت فيها أمير! فأمر به عمر فضرب وطرده.

ثم قال: قم يا ابن أبى طالب فبايع، فقال عليه السلام: فان لم أفعل؟ قال:

إذا والله تضرب عنقك! فاحتج عليهم ثلاث مرات، ثم مد يده من غير أن يفتح كفه، فضرب عليها أبو بكر ورضى بذلك منه.

فنادى على عليه السلام قبل أن يبايع والحبل فى عنقه: " يا ابن ام ان القوم استضعفونى وكادوا يقتلونى ".

وقيل للزبير: بايع، فأبى فوثب عمر وخالد والمغيرة بن شعبة فى اناس، فانتزعوا سيفه فضربوا به الارض حتى كسروه لبيوه. فقال الزبير وعمر على صدره: يا ابن صهاك! أما والله لو أن سيفى فى يدى لحدث عنى، فبايع.

قال سلمان: ثم أخذونى فوجأوا عنقى حتى تركوها كالسلعة. ثم أخذوا

ص: ٤٤٦

يدى وقتلوها، فبايعت مكرها.

ثم بايع أبو ذر والمقداد مكرهين، وما بايع أحد من الامة مكرها غير على وأربعتنا، ولم يكن منا أحد أشد قولا من الزبير، فانه لما بايع قال : يا بن هاك! أما والله لولا هؤلاء الطغاة الذين أعانوك لما كنت تقدم على ومعى سيفى، لما أعرف من جبنك ولؤمك، ولكن وجدت طغات تقوى بهم وتصون.

فغضب عمرو قال: اذكر صهاكا؟ فقال: ومن صهاك؟ وما يمنعني من ذكرها، وقد كانت صهاك زانية؟ أو تنكر ذلك؟ أو ليس قد كانت أمة حبشية لجدي عبد المطلب، فزنا بها جدك نفيل، فولدت أباك الخطاب، فوهبها عبد المطلب له بعد مازنا بها، فولدته، وإنه لعبد جدى ولد زنا! فأصلح بينهما أبو بكر كف كل واحد منهما عن صاحبه.

قال سليم: فقلت لسلمان: فبايعت أبا بكر يا سلمان ولم تقل شيئا؟ قال:

قد قلت بعد ما بايعت: تبا لكم سائر الدهر! أو تدرون ما صنعتم بأنفسكم؟

أصبت وأخطأتم، أصبت سنة من كان قبلكم من الفرقة والاختلاف، وأخطأتم سنة نبيكم صلى الله عليه وآله حتى أخرجتموها من معدنها وأهلها^{٣٦}.

فقال عمر: يا سلمان أما إذا بايع صاحبك وبايعت فقل ما شئت وافعل ما بدا لك، وليقل صاحبك ما بدا له.

قال سلمان: فقلت: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إن عليك وعلى صاحبك الذي بايعته مثل ذنوب امته إلى يوم القيامة ومثل عذابهم جميعا. فقال: قل ما شئت أليس قد بايعت؟ ولم يقر الله عينك بأن يليها صاحبك! فقلت: أشهد أنى قد قرأت في بعض كتب الله المنزلة أنه باسمك ونسبك وصفتك باب من أبواب جهنم، فقال لى: قل ما شئت أليس قد أزالها

ص: ٤٤٧

الله عن أهل البيت الذين اتخذتموهم أربابا من دون الله؟ فقلت له: أشهد أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول وسألته عن هذه الآية: "فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد" فأخبرنى أنك أنت هو، فقال لى عمر:

اسكت اسكت الله نأمتك! أيها العبد ابن اللخناء! فقال لى على عليه السلام:

أقسمت عليك يا سلمان لما سكت.

فقال سلمان: والله لو لم يأمرنى على عليه السلام بالسكوت لخبرته بكل شئ نزل فيه وكل شئ سمعته من رسول الله فيه وفى صاحبه. فلما رآنى عمر قد سكت قال: إنك له لمطيع مسلم.

فلما أن بايع أبو ذر والمقداد ولم يقولوا شيئا، قال عمر: يا سلمان ألا تكف كما كف صاحبك؟ والله! ما أنت بأشد حبا لاهل هذا البيت منهما ولا أشد تعظيما لحقهم منهما، وقد كفا كما ترى وبايعا، قال أبو ذر: أفتعيرنا يا عمر بحب آل محمد صلى الله عليه وآله وتعظيمهم؟ لعن الله - وقد فعل - من أبغضهم وافترى عليهم، وظلمهم حقهم، وحمل الناس على رقابهم، ورد هذه الامة القهقرى على أذارها، فقال عمر: آمين! لعن الله من ظلمهم حقوقهم، لا والله! ما لهم فيها حق وما هم فيها وعرض الناس إلا سواء.

^{٣٦} (١) راجع شرح النهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢ ص ١٧٠

قال أبو ذر: فلم خاصمتم الانصار بحقهم وحجتهم؟ الحديث^{٣٦٢}.

وقال البراء بن عازب: لم أزل لبني هاشم محبا حبا شديدا في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وبعد وفاته فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله (أوصى عليا أن لا يلى غسله غيره وأنه لا ينبغي لاحد أن يرى عورته غيره وأنه ليس أحد يرى عورة رسول الله صلى الله عليه وآله إلا ذهب بصره، فقال على عليه السلام: يا رسول الله فمن يعينني على غسلك؟ قال: جبرئيل

ص: ٤٤٨

عليه السلام في جنود من الملائكة، فكان على عليه السلام يغسله والفضل بن العباس مربوط العينين يصب الماء والملائكة يقلبونه له كيف شاء، ولقد أراد على عليه السلام أن ينزع قميص رسول الله صلى الله عليه وآله فصاح به صائح:

لا تنزع قميص نبيك يا على، فأدخل يده تحت القميص فغسله، ثم حنطه وكفنه، ثم نزع القميص عند تكفينه وتحنيطه).

فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله خفت أن تتمالا قريش على إخراج هذا الامر من بني هاشم، فأخذني ما يأخذ الوالهة العجول، مع ما في نفسي من الحزن لوفاء رسول الله صلى الله عليه وآله، فكنت أتردد إلى بني هاشم وهم عند النبي صلى الله عليه وآله في الحجرة وأفقد وجوه قريش، فاني كذلك إذ فقدت أبا بكر وعمر ! وإذا قائل يقول: القوم في سقيفة بني ساعدة، وإذا قائل آخر يقول: قد بويع أبو بكر!! فلم ألبث وإذا أنا بأبي بكر قد أقبل ومعه عمر وأبي عبيدة قد أقبلوا في أهل السقيفة وهم محتجزون بالازر الصنعانية لا يمر بهم أحد إلا خبطوه، فإذا عرفوه مدوا يده على يد أبي بكر شاء ذلك أم أبي، فأنكرت عند ذلك عقلي جزعا منه مع المصيبة برسول الله صلى الله عليه وآله فخرجت مسرعا حتى أتيت المسجد، ثم أتيت بني هاشم والباب مغلق دونهم، فضربت عليهم الباب ضربا عنيفا وقلت: يا أهل البيت! فخرج إلى الفضل بن العباس، فقلت: قد بايع الناس أبا بكر!! فقال العباس: قد تربت أيديكم منها آخر الدهر! أما إني قد أمرتكم فعصيتُموني.

فمكثت اكابد ما في نفسي، فلما كان الليل خرجت إلى المسجد، فلما صرت فيه تذكرت أني كنت أسمع همهمة رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرآن، فانبعثت من مكاني فخرجت نحو الفضاء، فوجدت نفرا يتناجون، فلما دنوت منهم سكتوا، فانصرفت عنهم، فعفروني وما عرفتهم، فدعوني فأتيهم، وإذا المقداد وأبو ذر وسلمان وعمار بن ياسر وعبادة بن الصامت وأبو الهيثم بن

ص: ٤٤٩

التيهان وحذيفة بن اليمان والزبير بن العوام، وحذيفة يقول: "والله ليفعلن ما أخبرتكم به! فوالله ما كذبت ولا كذبت!" وإذا القوم يريدون أن يعيدوا الامر شورى بين المهاجرين والانصار، فقال: حذيفة: انطلقوا بنا إلى ابي بن كعب، فقد علم مثل ما علمت.

قال: فانطلقنا إلى ابي بن كعب، وضربنا عليه بابه، فأتى حتى صار خلف الباب، ثم قال: من أنتم؟ فكلمه المقداد، فقال: ما جاء بك؟ فقال له: افتح فان الامر الذي جئنا فيه أعظم من أن يجري وراء الباب، فقال: ما أنا بفاتح بابي وقد علمت ما جئتم له وما

أنا بفتح بابي، كأنكم أردتم النظر في هذا العقد؟ قلنا: نعم، فقال: أفيكم حذيفة؟ قلنا: نعم، فقال: القول ما قال حذيفة، فأما أنا فلا أفتح بابي حتى يجرى على ما هو جار عليه، وما يكون بعدها شرمها ! وإلى الله جل ثناؤه المشتكى . قال: فرجعوا ثم دخل ابى بن كعب بيته.

قال: وبلغ أبا بكر وعمر الخبر، فأرسلا إلى ابى عبيدة بن الجراح والمغيرة بن شعبة فسألاههما الرأي، فقال المغيرة بن شعبة : أرى أن تلقوا العباس بن عبد المطلب، فتطمعوه في أن يكون له في هذا الامر نصيب يكون له ولعقبه من بعده، فتقطعوه بذلك عن ابن أخيه على بن أبى طالب، فان العباس لو صار معكم كانت الحجة على الناس، وهان عليكم أمر على بن أبى طالب وحده.

قال: فانطلق أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح والمغيرة بن شعبة حتى دخلوا على العباس في الليلة الثانية من وفاة رسول الله قال: فتكلم أبو بكر، فحمد الله عز وجل وأثنى عليه، وقال:

إن الله ابتعث لكم محمدا صلى الله عليه وآله نبيا وللمؤمنين وليا، فمن الله عليهم بكونه بين ظهرانيهم حتى اختار له ما عنده، وترك للناس أمرهم ليختاروا لانفسهم مصلحتهم متفقين لا مختلفين، فاختاروني عليهم واليا

ص: ٤٥٠

ولامورهم راعيا، فتولوني ذلك، وما أخاف بعون الله وهنا ولا حيرة ولا جبننا، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه انيب.

غير أنى لا أنفك من طاعن يبلغنى، فيقول بخلاف قول العامة، فيتخذكم لجا فتكونون حصنه المنيع وخطبه البديع، فإما دخلتم مع الناس فيما اجتمعوا عليه أو صرفتموهم عما مالوا إليه، فقد جئناك ونحن نريد أن نجعل لك في هذا الامر نصيبا يكون لك ولعقبك من بعدك، إذ كنت عم رسول الله صلى الله عليه وآله وإن كان الناس قد رأوا مكانك ومكان صاحبك، فعدلوا بهذا الامر عنكما وعلى رسلكم بنى هاشم، فان رسول الله صلى الله عليه وآله منا ومنكم.

فاعترض كلامه عمر وخرج إلى مذهبه في الخشونة والوعيد وإتيان الامر من أصعب جهاته، فقال:

إي والله! واخرى يا بنى هاشم على رسلكم، فان رسول الله صلى الله عليه وآله منا ومنكم، ولم تأتكم حاجة منا إليكم، ولكن كرهنا أن يكون الطعن فيما اجتمع عليه المسلمون فيتفاقم الخطب بكم وبهم، فانظروا لانفسكم وللعامة!.

فتكلم العباس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

إن الله ابتعث محمدا نبيا كما وصفت ووليا للمؤمنين، فمن الله به على امته حتى اختار له ما عنده، فخلى الناس على أمرهم ليختاروا لانفسهم مصيبيين للحق مائلين عن زبغ الهوى، فان كنت برسول الله طلبت الامر هذا فحقنا أخذت، وإن كنت بالمؤمنين طلبت فنحن منهم، ما تقدمنا في أمركم فرطا ولا حللنا منكم وسطا وبرحنا شحطا، فان كان هذا الامر يجب لك بالمؤمنين فما وجب إذ كنا كارهين؟ وما أبعد قولك: إنهم طعنوا عليك من قولك: انهم مالوا إليك! وأما ما بذلت لنا فان يكن حقا أعطيتناه

فأمسكه عليك، وإن يكن حق المؤمنين فليس لك أن تحكم فيه، وإن يكن حقنا لم نرض لك ببعضه دون بعض، وما أقول هذا أروم صرفك عما دخلت فيه، ولكن للحجة نصيبها

ص: ٤٥١

من البيان. وأما قولك يا عمر: "إن رسول الله صلى الله عليه وآله منا ومنكم" فان رسول الله صلى الله عليه وآله من شجرة نحن أغصانها وأنتم جيرانها. وأما قولك يا عمر: "إنك تخاف الناس علينا" فهذا الذي قدمتموه أول ذلك، وبالله المستعان.

فخرجوا من عنده، وأنشأ العباس يقول:

عن هاشم ثم منها عن أبي حسن!

ما كنت أحسب هذا الامر منحرفا

وأعلم الناس بالآثار والسنن؟

أليس أول من صلى لقبلكم

جبريل عون له بالغسل والكفن

وأقرب الناس عهدا بالنبى ومن

وليس فى الناس ما فيه من الحسن

من فيه ما فى جميع الناس كلهم

ها إن بيعتكم من أول الفتن^{٣٦٣}

من ذا الذى ردكم عنه فنعرفه؟

(٢٨١) راع وأبو بكر

روى رافع بن أبي رافع الطائي عن أبي بكر وقد صحبه فى سفر، قال: قلت له: يا أبا بكر علمنى شيئا ينفعنى الله به.

قال، كنت فاعلا ولو لم تسألنى، لا تشرك بالله شيئا، وأقم الصلاة، وآت الزكاة، وصم شهر رمضان، وحج البيت واعتمر، ولا تتأمرن على اثنين من المسلمين.

قال: قلت له: أما ما أمرتنى به من الايمان والصلاة والحج والعمرة والزكاة فأنا أفعله، وأما الامارة: فانى رأيت الناس لا يصيبون هذا الشرف وهذا الغنى

ص: ٤٥٢

^{٣٦٣} (١) راجع شرح النهج لابن أبى الحديد: ج ١ ص ٢١٩ وج ٢ ص ٥١. والبحار: ج ٢٨ ص ٢٨٥. وقد دخل رواية بعضهم فى بعض. وراجع قاموس الرجال: ج ٥ ص ٢٣٥-٢٣٤. وبهج الصباغة: ج ٥ ص ٤٠-٤١. والغدير: ج ٥ ص ٣٧٤. والامامة والسياسة: ج ١ ص ٢١

والعز والمنزلة عند رسول الله صلى الله عليه وآله إلا بها.

قال: إنك استنصحتني فأجهدت نفسي لك.

فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله واستخلف أبا بكر جئته وقلت له: يا أبا بكر! ألم تنهني أن أتأمر على اثنين؟ قال: بلى، قلت: فما لك تأمرت على أمة محمد صلى الله عليه وآله؟ قال: اختلف الناس وخفت عليهم الضلالة ودعوني، فم أجد من ذلك بدا^{٣٦٤}.

(٢٨٢) سلمان يخطب

خطب الناس سلمان الفارسي - رحمه الله - بعد أن دفن النبي عليه وآله السلام بثلاثة أيام، فقال فيها:

ألا أيها الناس! اسمعوا عني حديثي ثم اعقلوه عني، ألا! إنني أوتيت علما كثيرا، فلو حدثتكم بكل ما أعلم من فضائل أمير المؤمنين عليه السلام لقال طائفة منكم: هو مجنون، وقال طائفة أخرى: اللهم اغفر لقاتل سلمان، ألا! إن لكم منايا تتبعها بلايا، ألا! وإن عند علي بن أبي طالب عليه السلام المنايا والبلايا وميراث الوصايا وفصل الخطاب وأصل الانساب على منهاج هارون بن عمران بن موسى عليهما السلام إذ يقول له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

أنت وصبي في أهلي وخليفتي في امتي وبمنزلة هارون بن موسى، ولكنكم أخذتم سنّة بني إسرائيل، فأخطأتم الحق، تعلمون فلا تعملون، أما والله! لتركبن طبقا عن طبق على سنّة بني إسرائيل حذو النعل بالنعل والقذّة بالقذّة. أما والذي نفس سلمان بيده! لو وليتموها عليا عليه السلام لاكلتم من فوقكم ومن تحت أرجلكم، ولو دعوتهم الطير في جو السماء لاجابتنكم، ولو دعوتهم الحيتان من

ص: ٤٥٣

البحار لا تتكم، ولما عال ولي الله، ولا طاش لكم سهم من فرائض الله، ولا اختلف اثنان في حكم الله، ولكن أبيتم فوليتموها غيره، فابشروا بالبلاء، واقنطوا من الرخاء، وقد نابذتكم على سواء، فانقطعت العصمة فيما بيني وبينكم من الولاء، عليكم بآل محمد عليهم السلام فإنهم القادة إلى الجنة والدعاء إليها يوم القيامة.

عليكم بأمر المؤمنين على بن أبي طالب، فوالله لقد سلمنا عليه بالولاية وإمرة المؤمنين مرارا جمّة مع نبينا، كل ذلك يأمرنا به ويؤكده علينا، فما بال القوم عرفوا فضله فحسدوه؟ وقد حسد قبايلها بيل فقتله، وكفارا قد ارتدت أمة موسى بن عمران عليه السلام فأمر هذه الأمة كما أمر بني إسرائيل، فأين يذهب بكم أيها الناس؟ ويحكم! ما أنا وأبو فلان وفلان؟ أجهلتكم أم تجاهلتكم؟

أم حسدتهم أم تحاسدتهم؟ والله لثرتدن كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيف، يشهد الشاهد على الناجي بالهلكة، ويشهد الشاهد على الكافرين بالنجاة.

ألا! وإنى أظهرت أمرى وسلمت لنبيي، واتبعت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة عليا أمير المؤمنين وسيد الوصيين وقائد الغر المحجلين وإمام الصديقين والشهداء والصالحين^{٣٦٥}.

(٢٨٣) أبي وأبو بكر

احتجاج أبي بن كعب مع أبي بكر برواية الاحتجاج، وقد مر برواية كشف اليقين، ولقد أوردنا الروایتين لما بينهما من الاختلاف.

عن علي بن أبي طلب صلوات الله عليه قال: لما خطب أبو بكر قام أبي

ص: ٤٥٤

ابن كعب، فكان يوم الجمعة أول يوم من شهر رمضان، فقال:

يا معاشر المهاجرين الذين اتبعوا مرضات الله وأثنى الله عليهم في القرآن! يا معاشر الانصار الذين تبوأوا الدار والايمان وأثنى الله عليهم في القرآن! تناسيتم أم نسيتم؟ أم بدلتهم أم غيرتم؟ أم خذلتهم أم عجزتم؟

ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله قام فينا مقاما أقام فيه عليا فقال: من كنت مولاه فهذا مولاه - يعني عليا - ومن كنت نبيه فهذا أميره؟

ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: يا علي أنت منى بمنزلة هارون من موسى، طاعتك واجبة علي من بعدى كطاعتى فى حياتى، إلا أنه لاني بعدى؟

ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أوصيكم بأهل بيتي خيرا، فقدموهم ولا تتقدموهم، وأمروهم ولا تتأمروا عليهم؟

ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أهل بيتي منار الهدى والدالون على الله؟

ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعلي: أنت الهادي لمن ضل؟

ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: علي المحيي لسنننى، ومعلم امتى، والقائم بحجتى، وخير من أخلف من بعدى، وسيد أهل بيتى، أحب الناس إلى، طاعته كطاعتى على امتى؟

أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَمْ يُولَ عَلَى عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَحَدًا مِنْكُمْ وَوَلَاهُ فِي كُلِّ غَيْبَتِهِ عَلَيْكُمْ؟

أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ كَانَ مَنْزِلَهُمَا فِي أَسْفَارِهِمَا وَاحِدًا، وَارْتِحَالَهُمَا وَأَمْرُهُمَا وَاحِدًا؟

أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ قَالَ: إِذَا غَبْتُ فَخَلَفْتُ فِيكُمْ عَلِيًّا فَقَدْ خَلَفْتُ فِيكُمْ

ص: ٤٥٥

رجلا كنفسى؟

أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ قَدْ جَمَعَنَا فِي بَيْتِ ابْنَتِهِ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ فَقَالَ لَنَا: إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ اتَّخَذَ أَخًا مِنْ أَهْلِكَ فَاجْعَلْهُ نَبِيًّا، وَاجْعَلْ أَهْلَهُ لَكَ وَلَدًا أَطْهَرَهُمْ مِنَ الْآفَاتِ وَاخْلَصَهُمْ مِنَ الرِّيبِ، فَاتَّخَذَ مُوسَى هَارُونَ أَخًا وَوَلَدَهُ أُمَّةً لِبْنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِهِ، يَحِلُّ لَهُمْ فِي مَسَاجِدِهِمْ مَا يَحِلُّ لِمُوسَى، وَإِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ اتَّخَذَ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ أَخًا كَمُوسَى اتَّخَذَ هَارُونَ أَخًا وَاتَّخَذَ وَلَدَهُ وَلَدًا، فَقَدْ طَهَرْتَهُمْ كَمَا طَهَرْتُ وَلَدَ هَارُونَ، إِلَّا أَنِّي خَتَمْتُ بِكَ النَّبِيِّينَ فَلَا نَبِيَّ بَعْدَكَ، فَهَمُّ الْأُمَّةِ الْهَادِيَّةُ؟

أَفَمَا تَبْصُرُونَ؟ أَفَمَا تَفْقَهُونَ؟ أَمَا تَسْمَعُونَ؟ ضَرَبْتُ عَلَيْكُمْ الشَّبَهَاتِ، فَكَانَ مِثْلُكُمْ كَمِثْلِ رَجُلٍ فِي سَفَرٍ فَأَصَابَهُ عَطَشٌ شَدِيدٌ حَتَّى خَشِيَ أَنْ يَهْلِكَ، فَلَقِيَ رَجُلًا هَادِيًا فِي الطَّرِيقِ فَسَأَلَهُ عَنِ الْمَاءِ، فَقَالَ لَهُ: أَمَامَكَ عَيْنَانِ: أَحَدُهُمَا مَالِحَةٌ وَالْآخَرَى عَذْبَةٌ، فَإِنْ أَصَبْتَ الْمَالِحَةَ ضَلَلْتَ، وَإِنْ أَصَبْتَ الْعَذْبَةَ هَدَيْتَ وَرَوَيْتَ، فَهَذَا مِثْلُكُمْ أَيْتُهَا الْأُمَّةُ الْمَهْمَلَةُ كَمَا زَعَمْتُمْ.

وَأَيُّمَ اللَّهِ! مَا أَهْمَلْتُمْ، لَقَدْ نَصَبَ لَكُمْ عِلْمَ يَحِلُّ لَكُمْ الْحَلَالَ وَيَحْرُمُ عَلَيْكُمْ الْحَرَامَ، لَوْ أَطْعَمْتُمُوهُ مَا اخْتَلَفْتُمْ وَلَا تَدَابَرْتُمْ وَلَا تَقَاتَلْتُمْ، وَلَا بَرِيءٌ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ.

فَوَاللَّهِ! إِنَّكُمْ بَعْدَهُ لِمُخْتَلِفُونَ فِي أَحْكَامِكُمْ، وَأَنْكُمْ بَعْدَهُ لِنَاقِضُوا عَهْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَإِنَّكُمْ عَلَى عَتْرَتِهِ لِمُخْتَلِفُونَ، إِنْ سَأَلَ هَذَا عَنْ غَيْرٍ مِنْ يَعْزِمُ أَفْتَى بِرَأْيِهِ.

فَقَدْ أَبْعَدْتُمْ وَتَجَارَيْتُمْ^{٣٦٦} وَزَعَمْتُمْ الْإِخْتِلَافَ رَحْمَةً، هِيَ هَاتِ! أَبَى الْكِتَابُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ^{٣٦٧}، يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: "وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ

ص: ٤٥٦

مَا جَاءَ تَهُمُ الْبَيِّنَاتِ وَأَوَّلُكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ" ثُمَّ أَخْبَرْنَا بِاخْتِلَافِكُمْ، فَقَالَ:

^{٣٦٦} (١) فِي الْإِحْتِجَاجِ: "تَخَارَسْتُمْ"

^{٣٦٧} (٢) فِي الْإِحْتِجَاجِ: "عَلَيْكُمْ"

"ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم" أى الرحمة وهم آل محمد.

سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: "يا على أنت وشيعتك على الفطرة والناس منهم براء" فهلا قبلتم من نبيكم صلى الله عليه وآله، كيف! وهو خبركم بانتكاصكم عن وصيه عليه السلام وأمينه ووزيره وأخيه ووليه دونكم أجمعين، أظهركم قلبا، وأعلمكم علما، وأقدمكم سلما، وأعظمكم غناء عن رسول الله صلى الله عليه وآله، أعطاه تراثه، وأوصاه بعداته، واستخلفه على أمته، ووضع عنده سره، فهو وليه دونكم أجمعين، وأحق به منكم على التعيين^{٣٦٨}، سيد الوصيين، وأفضل المتقين، وأطوع الأمة لرب العالمين، سلمتم عليه بخلافة المؤمنين فى حياة سيد النبيين وخاتم المرسلين.

فقد أعذر من أنذر، وأدى الرصيحة من وعظ، وبصر من عمى، فقد سمعتم كما سمعنا، ورأيتم كما رأينا، وشهدتم كما شهدنا.

فقام عبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل - لعنهم الله - فقالوا: يا أبى! أصابك خبل؟ أم بك جنة؟ فقال: بل الخبل فيكم! كنت عند رسول الله صلى الله عليه وآله يوما فالفيتة يكلم رجلا أسمع كلامه ولا أرى وجهه، فقال فيما يخاطبه: ما أنصحك لك ولا متك! وأعلمه بسنتك! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أفترى امتى تتقاد له من بعدى؟ قال: يا محمد تتبعه من امتك أبراها وتخالف عليه من امتك فجارها، وكذلك أوصياء النبيين من قبلك، يا محمد صلى الله عليه وآله إن موسى بن عمران عليه السلام أوصى ليوشع بن نون، وكان أعلم بنى إسرائيل وأخوفهم لله وأطوعهم له، وأمره

ص: ٤٥٧

الله أن يتخذة وصيا، كما اتخذت عليا وصيا وكما أمرت بذلك، فحسده بنو إسرائيل سبط موسى خاصة، فلعنوه وشتموه وعنفوه ووضعوا منه، فان أخذت امتك سنن بنى إسرائيل كذبوا وصيك وجحدوا أمره وابتزوا خلافته وغالطوه فى علمه.

فقلت: يا رسول الله من هذا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: هذا ملك من ملائكة الله ربى عز وجل ينبئنى أن امتى تختلف^{٣٦٩} على وصيى على بن أبى طالب عليه السلام، وإنى أوصيك يا أبى ب وصية إن حفظتها لم تزل بخير: يا أبى عليك بعلى، فانه الهادى المهدي والناصح لامتى، المحبى لسنتى، وهو إمامكم بعدى، فمن رضى بذلك لقينى على ما فارقتة عليه. يا أبى ومن غير وبدل لقينى ناكثا لبيعتى، عاصيا أمرى جاحدا لنبوتى، لا أشفع له عند ربى ولا اسقيه من حوضى.

فقامت إليه رجال من الانصار، فقالوا: قد رحمك الله يا أبى! فقد أديت ما سمعت ووفيت بعهدك^{٣٧٠}.

(٢٨٤) اسامة وأبو بكر

^{٣٦٨} (١) فى الاحتجاج "منكم أكتعين"

^{٣٦٩} (١) فى الاحتجاج: تتخلف

^{٣٧٠} (٢) البحار: ج ٨ ص ٨٧ ط الكمباني عن الاحتجاج: ج ١ ص ١٥٣.

روى عن الباقر عليه السلام: أن عمر بن الخطاب قال لابي بكر: اكتب إلى اسامة يقدم عليك، فان في قدومه قطع الشنعة عنا، فكتب أبو بكر إليه:

من أبى بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله إلى اسامة بن زيد، أما بعد: فانظر إذا أتاك كتابي فأقبل إلى أنت ومن معك، فان المسلمين قد اجتمعوا وولوني أمرهم، فلا تتخلفن فتعصى ويأتيتك منى ما تكره، والسلام.

ص: ٤٥٨

قال: فكتب إليه أسامة جواب كتابه:

من أسامة بن زيد عامل رسول الله صلى الله عليه وآله على غزوة الشام أما بعد، فقد أتاني لك كتاب ينقض أوله آخره! ذكرت في أنك خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وذكرت في آخره أن المسلمين اجتمعوا عليك فولوك أمورهم ورضوا بك! واعلم أنى أنا ومن معى من جماعة المسلمين والمهاجرين، فلا والله ما رضينا بك ولا وليناك أمرنا! وانظر أن تدفع الحق إلى أهله وتخليهم وإياه، فانهم أحق به منك، فقد علمت ما كان من قول رسول الله صلى الله عليه وآله فى على عليه السلام يوم غدیر خم، فما طال العهد فتنسى. انظر بمركزك ولا تخالف فتعصى الله ورسوله وتعصى ما استخلفه رسول الله صلى الله عليه وآله عليك وعلى صاحبك، ولم يعزلنى حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وآله، وإنك وصاحبك رجعتما وعصيتما فأقمتهما فى المدينة بغير إذن، الخ^{٣٧١}.

(٢٨٥) خطبة الزهراء عليها السلام فى المسجد

روى عبد الله بن الحسن بإسناده، عن آبائه عليهم السلام: أنه لما أجمع أبو بكر وعمر على منع فاطمة عليها السلام فدكا وبلغها ذلك، لاثت خمارها على رأسها، واشتملت بجلبائها، وأقبلت فى لمة من حفدتها ونساء قومها، تطأ ذيولها، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله حتى دخلت على أبى بكر، وهو فى حشد من المهاجرين والانصار وغيره م.

فنيطت دونها ملاءة، فجلست، ثم أنت أنه أجهش القوم لها بالبكاء! فارتج المجلس، ثم أمهلت هنيئة حتى إذا سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم،

ص: ٤٥٩

افتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، فعاد القوم فى بكائهم، فلما أمسكوا عادت فى كلامها، فقالت عليها السلام:

^{٣٧١} (١) البحار: ج ٨ ص ٨٨ ط الكباني عن الاحتجاج وكشف اليقين

الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم، والثناء بما قدم : من عموم نعم ابتدأها، وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن أولها، جم عن الاحصاء عددها، ونأى عن الجزاء امدها، وتفاوت عن الادراك ابدتها، وندبهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها، واستحمد إلى الخلائق بإجزالها، وثنى بالنذب إلى أمثالها.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كلمة جعل الاخلاص تأويلها وضمن القلوب موصولها، وانا في التفكير معقولها، الممتنع من الابصار رؤيته، ومن الالسن صفته، ومن الاوهام كيفيته، ابتدع الاشياء لامن شئ كان قلبها، وأنشأها بلا احتذاء أمثلة امتثلها، كونها بقدرته، وذراها بمشيئته، من غير حاجة منه إلى تكوينها، ولا فائدة له في تصويرها، إلا تنبينا لحكمته وتنبيها على طاعته، وإظهارا لقدرته تعبدا لبريته، وإعزازا لدعوته، ثم جعل الثواب على طاعته، ووضع العقاب على معصيته، زىادة لعباده من نعمته وحياسة لهم إلى جنته.

وأشهد أن أبى محمدا صلى الله عليه وآله وسلم عبده ورسوله، اختاره قبل أن أرسله وسماه قبل أن اجتبا، واصطفاه قبل أن ابتعثه، إد الخلائق بالغيب مكنونة، وبستر الالهوئل مصونة، وبنهاية العدم مقرونة، علما من الله تعالى بما يللى الامور (بما يللى الامور خ) وإحاطة بحدوث الدهور، ومعرفة بمواقع الامور.

ابتعثه الله إتماما لامره، وعزيمة على إمضاء حكمه، وإنفاذا لمقادير حتمه (رحمته خ) فرأى الامم فرقا فى أديانها، عكفا على نيرانها، عابدة لاوثانها، منكرة لله مع عرفانها، فأنا لله بأبى محمدا صلى الله عليه وآله ظلمها، وكشف

ص: ٤٦٠

عن القلوب بهما، وجلى عن الابصار غمما (عماها خ) وقام فى الناس بالهداية، فأنقذهم من الغواية، وبصرهم من العماية، وهداهم إلى الدين القويم ودعاهم إلى الطريق المستقيم.

ثم قبضه الله إليه قبض رافة واختيار، ورغبة وإيثار، فمحمدا صلى الله عليه وآله من تعب هذه الدار فى راحة، قد حف بالملائكة الابرار، ورضوان الرب الغفار، ومجاورة الملك الجبار، صلى الله على أبى نبيه وأمينه وخيرته من الخلق وصفيه، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته.

ثم التفتت إلى أهل المجلس، وقالت:.

أنتم عباد الله! نصب أمره ونهيه، وحمله دينه ووحيه، وامناء الله على أنفسكم وبلغاؤه إلى الامم، زعيم حق له فيكم، وعهد قدمه إليكم، وبقية استخلفها عليكم : كتاب الله الناطق، والقرآن الصادق، والنور الساطع، والضياء اللامع، بينة بصائر، منكشفة سرائره، منجليه ظواهره، مغتبطة به أشياعه، قائد إلى الرضوان اتباعه^{٣٧٢}، مؤد إلى النجاة استماعه، به تنال حجج الله، المنورة، وعزائم المفسرة، ومحارمه المحذرة، وبياناته الجالية، وبراهينه الكافية، وفضائله المندوبة، ورخصه الموهوبة، وشرائعه المكتوبة.

^{٣٧٢} (١) فى الاحتجاج: "قائدا إلى الرضوان أتباعه"

فجعل الله الايمان تطهيراً لكم من الشرك، والصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر، والزكاة تزكية للنفس ونماء في الرزق، والصيام تنبيهاً للاخلاص، والحج تشبيهاً للدين، والعدل تنسيقاً للقلوب، وطاعتنا نظاماً للملة، وإمامتنا أماناً للفرقة، والجهاد عزاً للإسلام، والصبر معونة على استيجاب الاجر، والامر بالمعروف مصلحة للعامة، وبر الوالدين وقاية من السخط، وصلة الارحام منسأة في العمر ومنماء للعدد، والقصاص حقناً للدماء، والوفاء بالندى تعريضاً للمغفرة، وتوفية

ص: ٤٦١

المكائيل والموازين تغييراً للبخس، والنهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس، واجتناب القذف حجاباً عن اللعنة، ترك السرقة إيجاباً للعفة، وحرم الله الشرك إخلاصاً له بالربوبية " فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وانتم مسلمون " وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه، فانه " إنما يخشى الله من عباده العلماء ".

ثم قالت:

أيها الناس! اعلّموا أنى فاطمة وأبى محمداً صلى الله عليه وآله أقول عوداً وبدواً، ولا أقول ما أقول غلطاً، ولا أفعل شططاً " لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم " فان تعزوه تعرفوه تجدوه أبى دون نساءكم وأخا ابن عمى دون رجالكم، ولتعم المعزى إليه صلى الله عليه وآله وسلم فبلغ الرسالة صادعاً بالندارة، مائلاً عن مدرجة المشركين، ضارباً ثبجهم، آخذاً بأكظامهم، داعياً إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، يجف (يكسر خ) الاصنام، وينكت الهام، حتى انهزم الجمع وولوا الدبر، حتى تفرى الليل عن صبحه، وأسفر الحق عن محضه، ونطق زعيم الدين، وخرست شقاشق الشياطين، وطاح وشیط النفاق، وانحلت عقد الكفر والشقاق، وفهت بكلمة الاخلاص فى نفر من البيض الخماصر وكنتم على شفا حفرة من النار، مذقة الشارب، ونهزة الطامع، وقبسة العجلان، وموطئ الاقدام، تشربون الطرقي، وتقتاتون القد، أدلة خاسئين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم، فأقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد صلى الله عليه وآله .

بعد اللتيا والتى وبعد أن منى بهم الرجال وذؤبان العرب ومردة أهل الكتاب " كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله " أو نجم قرن الشيطان أو فغرت فاغرة من المشركين، قذف أخاه فى لهواتها، فلا ينكفى حتى يطاء جناحها (صماخها خ) بأخمصه، ويخمد لهبها بسيفه، مكدوداً فى ذات الله، مجتهداً فى أمر

ص: ٤٦٢

الله، قريباً من رسول الله، سيداً فى أولياء الله، مشمراً ناصحاً، مجداً كادحاً، لا تأخذه فى الله لومة لائم، وأنتم فى رفاهية من العيش وادعون فاكهون آمنون، تتربصون بنا الدوائر، وتتوكفون الاخبار، وتنكصون عند النزال، وتفرون من القتال.

فلما اختار الله لنبيه دار أنبيائه ومأوى أصفائه، ظهر فيكم حسكة النفاق، وسمل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ حامل الاقلين، وهدر فنيق المبطلين، فخطر فى عرصاتكم، وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفا بكم، فألفاكم لدعوته مستجيبيين، وللغرة فيه ملاحظين، ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً، وأحمشكم فألفاكم غضاباً، فوسمتم غير إبلكم، ووردتم غير شربكم .

هذا، والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لما يندمل، والرسول لما يقبر، ابتدارا زعمتم خوف الفتنة، " ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين".

فهيئات منكم! وكيف بكم! وأنى تؤفكون؟ وكتاب الله بين أظهركم : اموره ظاهرة، وأحكامه زاهرة، وأعلامه باهرة، وزواجه لائحة، وأوامره واضحة، وقد خلفتموه وراء ظهوركم، أرغبة عنه تريدون؟ أم بغيره تحكمون؟ " بئس للظالمين بدلا!" ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين".

ثم لم تلبثوا إلا ريث أن تسكن نفرتها، ويسلس قيادها، ثم أخذتم تورون وقدرتها، وتهيجون جمرتها، وتستجيبون لهتاف الشيطان الغوى، وإطفاء أنوار الدين الجلى، وإهمال سنن النبي الصفى، تشربون حسوا فى ارتغاء، وتمشون لاهله وولده فى الخمرة والضراء، ويصبر منكم على مثل حز المدى ووخز السنن فى الحشا.

ص: ٤٦٣

وأنتم الآن ترعمون ان لا إرث لنا ! " أفحكم الجاهلية تبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون "؟ أفلا تعلمون؟ بلى قد تجلى لكم كالشمس الضاحية.

إنى ابنته أيها المسلمون! أغلب على إرثي؟! يا ابن أبى قحافة! أفى كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبى؟ لقد جئت شيئا فريا! أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم؟ إذ يقول " وورث سليمان داود " وقال فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا عليهما السلام إذ قال : " فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب " وقال: " واولو الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله " وقال: " يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين " وقال: " إن ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقا على المتقين".

وزعمتم أن لا حظوة لى ولا أرث من أبى ولا رحم بيننا، أفخصكم الله بآية أخرج منها أبى؟ أم تقولون : أهل ملتين لا يتوارثان؟ أو لست أنا وأبى من أهل ملة واحدة؟! أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبى وابن عمى؟

فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرک، فنعم الحكم الله، والزعيم محمد، والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون، ولا ينفعكم إذ تدمون " لكل نبا مستقر وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم".

ثم رمت بطرفها نحو الانصار، فقالت:

يا معشر النقية^{٣٧٣} وأعضاء الملة وحضنة الاسلام! ما هذه الغميرة فى حقى والسنة عن ظلامتى؟ أما كان رسول الله صلى الله عليه وآله أبى يقول:

^{٣٧٣} (١) فى الاحتجاج: " النقية"

" المرء يحفظ في ولده "؟ سرعان ما أحدثتم! وعجلان ذا إهالة! ولكم طاقة بما احاول، وقوة على ما أطلب وازاول، أتقولون : مات محمد؟ فخطب جليل:

ص: ٤٦٤

استوسع وهنه، واستنهر فتقه، وانفتق رتقه، وأظلمت الارض لغيبته [واكتأبت خيرة الله لمصيبته ^{٣٧٤}] وكسفت الشمس والقمر، وانتشرت النجوم لمصيبته، وأحدث الآمال، وخشعت الجبال، واضيع الحريم، وازيلت الحرمه عند مماته، فتلك والله النازلة الكبرى والمصيبة العظمى ! لاملتها نازلة، ولا باتقة **باقية خ** عاجلة، اعلن بها كتاب الله جل ثناؤه في افنيتمكم وفي ممساكم ومصبحكم **يهتف في أفنيتمكم خ** هتافا وصراخا وتلاوة وألحانا، ولقبله ما حلت بأنبياء الله ورسله، حكم فصل وقضاء حتم " وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين".

إيها بنى قيلة! أهضم تراث أبى؟ وأنتم بمرأى منى ومسمع ومنندى ومجمع، تلبسكم الدعوة وتشملكم الخبرة، وأنتم ذوا العدد والعدة والاداء والقوة، وعندكم السلاح والجنة، توافيكم الدعوة فلا تجيبون، وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون، وأنتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير والصلاح، والنخبة التي انتخبت، والخيرة التي اختيرت لنا أهل البيت، قاتلتهم العرب، وتحملتم الكد والتعب، وناطحتهم الامم، وكافحتهم البهم، لان برح أو تبرحون نأمركم فتأتمرون، حتى إذا دارت بنا رحي الاسلام، ودر حلب الايام، وخضعت ثغرة الشرك، وسكنت فورة الافك، وخمدت نيران الكفر، وهدأت دعوة الهرج، واستوسق نظام الدين، فأنى حزتم بعد البيان، وأسررتم بعد الاعلان، ونكصتم بعد الاقدام، وأشركتم بعد الايمان؟ يؤ سا لقوم! " نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدؤوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين".

ألا! قد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض، وأبعدتم من هو أحق بالبسط

ص: ٤٦٥

والقبض، وخلوتم بالدعة، ونجوتهم بالضيق من السعة، فمجبتم ما وعيتهم، ودسعتهم الذى تسو غتم " فان تكفروا أنتم ومن فى الارض جميعا فان الله لغنى حميد " ألا! وقد قلت ما قلت هذا على معرفة منى بالجدلة التى خامرتكم، والغدرة التى استشعرتها قلوبكم، ولكنها فيضة النفس، ونفنة الغيظ، وخور القنائة، وبنة الصدر، وتقدمة الحجة، فدونكموها ! فاحتقبوها دبرة الظهر، ن قبة الخف، باقية العار، موسومة بغضب الله وشنار الايد، موصولة بـ" نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة!" فبعين الله ما تفعلون" وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون "، وأنا ابنه " نذير لكم بين يدي عذاب شديد "، " فاعملوا إنا عاملون وانتظروا إنا منتظرون".

فأجابها أبو بكر عبد الله بن عثمان، وقال:

يا ابنه رسول الله ! لقد كان أبوك بالمؤمنين عطوفا كريما رؤوفا رحيمًا، وعلى الكافرين عذابا أليما وعقابا عظيما، إن عزوناه وجدناه أباك دون النساء، وأخا إلفك دون الاخلاء، أثره على كل حميم، وساعده في كل أمر جسيم، لا يحبكم إلا سعيد ولا يبغضكم إلا شقى بعيد، فأنتم عتره رسول الله صلى الله عليه وآله الطيبون الخيرة المنتجبون، على الخير أدلتنا وإلى الجنة مسالكنا، وأنت ياخيره النساء وابنة خير الانبياء صادقة في قولك، سابقة في وفور عقلك، غير مردودة عن حقك، ولا مصدودة عن صدقك، والله ما عدوت رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ولا عملت إلا باذنه، وإن الرائد لا يكذب أهله، فاني أشهد الله وكفى به شهيدا: أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: " نحن معاشر الانبياء لا نورث ذهبا ولا فضة ولا دارا ولا عقارا، وإنما نورث الكتاب والحكمة والعلم والنبوة، وما كان لنا من طعمة فلولى الامر بعدنا أن يحكم فيه بحكمه " وقد جعلنا ما حاولته فى الكراع والسلاح يقاتل بها المسلمون ويجاهدون الكفار ويجالدون المردة الفجار، وذلك باجماع من المسلمين لم أنفرد به وحدى، ولم.

ص: ٤٦٦

استبد بما كان رأى فيه عندى، وهذه حالى، ومالى هى لك وبين يديك لاتزوى عنك ولاندخر دونك، وإنك وأنت سيده أمة أبيك، والشجرة الطيبة لبنيك، لاندفع مالك بن فضلك، ولا يوضع فى فرعك وأصلك، وحكمك نافذ فيما ملكت يداى، فهل ترين أن اخالف فى ذلك أباك صلى الله عليه وآله؟!

فقال عليها السلام:

سيحان الله! ما كان أبى رسول الله صلى الله عليه وآله عن كتاب الله صادفا ولا لاحكامه مخالفا، بل كان يتبع أثره ويقفو سوره، أفتجمعون إلى الغدر اعتلالا عليه بالزور؟ وهذا بعد وفاته شبيه بما بغى له من الغوائل فى حياته، هذا كتاب الله حكما عدلا وناظفا فصلا يقول: " يرثنى ويرث من آل يعقوب " ويقول: " وورث سليمان داود " فبين عزوجل فيما وزع من الاقساط وشرع من الفرائض والميراث وأباح من حظ الذكران والاناث، ما أزاح به علة المبطلين، وأزال التظنى والشبهات فى الغابرين، كلا! بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون."

فقال أبو بكر:

صدق الله ورسوله وصدقت ابنته ! أنت معدن الحكمة وموطن الهدى والرحمة، وركن الدين، وعين الحجة، لا ابعد صوابك ولا انكر خطابك، هؤلاء المسلمون بينى وبينك قلدونى ما تقلدت، وباتفاق منهم أخذت ما أخذت غير مكابر ولا مستبد ولا مستأثر، وهم بذلك شهود.

فالتفتت فاطمة عليها السلام إلى الناس، وقالت:

معاشر الناس! المسرعة إلى قيل الباطل، والمغضية على الفعل القبيح الخاسر " أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها "؟ كلا! بل ران على قلوبكم ما أسأت من أعمالكم، فأخذ بسمعكم وأبصاركم ولبس ما تأولتم! وساء ما به أشرت!

ص: ٤٦٧

وشر مأمنه اغتصبت^{٣٧٥} لتجدن والله محمله ثقيلا وغيه ويلا، إذا كشف لكم الغطاء وبان ما وراءه^{٣٧٦} الضراء، وبدا لكم من ربكم ما لم تكونوا تحتسبون، وخسر هنالك المبطلون.

ثم عطفت على قبر النبي صلى الله عليه وآله وقالت:

قد كان بعدك أنباء وهنيئة	لو كنت شاهدا لم تكثر الخطب
إنا فقدناك فقد الارض وابلها	واختل قومك فاشهدهم ولا تغب
وكل أهل له قربي ومنزلة	عند الاله على الادنين مقترب
أبدت رجال لنا نجوى صدورهم	لما مضيت وحالت دونك الترب
تجهمتنا رجال واستخف بنا	لما فقدت وكل الارض مغتصب
وكنت بدرا ونورا يستضاء به	عليك ينزل من ذى العزة الكتب
وكان جبرئيل بالآيات يؤنسنا	فقد فقدت وكل الخير محتجب
فليت قبلك كان الموت صادفنا	لما مضيت وحالت دونك الكتب

ثم انكفأت عليها السلام وأمير المؤمنين عليه السلام يتوقع رجوعها إليه ويتطلع طلوعها عليه، فلما استقرت بها الدار قالت لأمير المؤمنين عليه السلام:

يا ابن أبي طالب! اشتملت شملة الجنين، وقعدت حجرة الظنين، نقضت قادمة الاجدل، فخانك ريش الاعزل، هذا ابن أبي قحافة يبتزني نحلة أبي وبلغه ابني، لقد أجهد في خصامي، وألفيته ألد في كلامي، حتى حبستني قيلة نصرها، والمهاجرة وصلها،

^{٣٧٥} (١) في البحار: "اعتضتم"

^{٣٧٦} (٢) في الاحتجاج: "ياورائه"

وغيضت الجماعة د ونى طرفها، فلا دافع ولا مانع، خرجت كاظمه وعدت راغمه، أضرعت خدك يوم أضعت خدك، افترست الذئاب وافترشت التراب، ما كففت قاتلا ولا أغنيت طائلا، ولا

ص: ٤٦٨

خيار لى، ليتنى مت قبل هنيئتى ودون ذلتى، عذيرى الله منه عاديا ومنك حاميا، ويلأى فى كل شارق ! ويلأى فى كل غارب! مات العمدة ووهن العضد، شكواى إلى أبى وعدواى إلى ربى، اللهم إنك أشد منهم قوة وحولا وأشد بأسا وتنكيلا.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام:

لاويل لك، بل الويل لسانك، ثم نهى عن وجدك يا ابنه الصفوة وبقية النبوة فما ونيت عن دينى، ولا أخطأت مقدورى، فان كنت تريدن البلغة فرزقك مضمون وكفيلك مأمون، وما اعد لك افضل مما قطع عنك، فاحتسبى الله.

فقلت: حسبى الله، وأمسكت.

" مصادر الخطبة "

أقول: هذه الخطبة الشريفة التي فيها مسحة من النبوة ولمعة من الرسالة منقولة عن سيده النساء بطرق كثيرة أخرجها الاعلام فى كتبهم من المؤرخين والمحدثين واللغويين والادباء.

ولاهمية المورد نورد كل ما عثرنا عليه من المصادر، وإن كان بعضها مشتملا على نقل الخطبة تماما وبعضها على نقلها بعضا أو إيعازا، ونحن نقلناها عن الاحتجاج: ج ١ ص ١٤٦ - ١٣١:

١- نقلها الطبرسى فى الاحتجاج مع التزامه فى أول الكتاب بأن لا ينقل فيه إلا ما كان مؤيدا بالاجماع أو العقل أو الشهرة بين المخالف والمؤلف.

واللفظ له.

٢- وأخرجها المسعودى فى كتابيه " أخبار الزمان " و " الكتاب الاوسط " على ما ذكره فى تاريخه المختصر " مروج الذهب " قال ما لفظه: وما كان من قصة

ص: ٤٦٩

فدك وما كان من فاطمة وكلامها متمثلة حتى عدلت إلى قبر أبيها عليه السلام من قول صفيّة بنت عبد المطلب - ثم ذكر البيت الاول - ثم قال:

إلى آخر الشعر، إلى غير ذلك مما تركنا ذكره من الاخبار فى هذا الكتاب، إذ كنا قد أتينا على جميع ذلك فى كتاب أخبار الزمان والكتاب الاوسط^{٣٧٧}.

٣- وأخرها السيد - رحمه الله تعالى - فى الشافى فى رد قاضى القضاء باسناده وفى تلخيصه للشيخ - رحمه الله - قال^{٣٧٨}: أخبرنا جماعة عن أبى عبد الله محمد بن عمران المرزبانى، قال : حدثنى محمد بن أحمد الكاتب، قال : حدثنا أحمد بن عبيد ناصح النحوى، قال : حدثنى الزنادى، قال : حدثنى شرقى بن قطاء، عن محمد بن اسحاق، قال : حدثنا صالح بن كيسان، عن عروة، عن عائشة، قالت ...

ثم قال: قال المرزبانى: وحدثنى أبو بكر أحمد بن محمد المكى، قال: حدثنا محمد بن القاسم التمامى أبو العيناء، قال: حدثنا ابن عائشة، قال: لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله ...

٤- وأو عز إليها اليعقوبى فى تاريخه المعروف، وذكر بعض جمل الخطبة^{٣٧٩}.

٥- ونقل أبو المؤيد الموفق بن أحمد المكى أخطب خوارزم (المتوفى ٥٦٨) فى مقتل الحسين عليه السلام^{٣٨٠} الخطبة كما تقدم باختلاف يسير زيادة ونقصانا بهذا الاسناد : أخبرنا الحافظ أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه، أخبرنا عبد الله ابن اسحاق، أخبرنا محمد بن عبيد، أخبرنا محمد بن زياد، أخبرنا شرقى بن

ص: ٤٧٠

قطامى، عن صالح بن كيسان، عن الزهرى، عن عروة، عن عائشة، قالت:

٦- وقال الاربلى فى كشف الغمّة : وحيث انتهى القول إلى هنا، فلنذكر خطبة فاطمة عليها السلام فانها من محاسن الخطب وبدايعها، عليها مسحة من نور النبوة، وفيها عبقة من أرج الرسالة، وقد أورده المؤلف والمخالف . ونقلتها من كتاب السقيفة عن عمر بن شبة تأليف أبى بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهرى من نسخة قديمة مقروءة على مؤلفها المذكور، وقرئت عليه فى ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة، روى عن رجاله بعده طرق. ثم نقل الخطبة كما مر عن الاحتجاج مع اختلاف فى الالفاظ، ثم قال بعد نقلها: هذه الخطبة نقلتها من كتاب السقيفة وكانت مع قدمها مغلوطة، فحققتها من مواضع اخر.

٧- وفى دلائل الامامة لآبى جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبرى^{٣٨١} نقلها بهذا الاسناد:

^{٣٧٧} (١) مروج الذهب: ٢ / ٣٠٤

^{٣٧٨} (٢) ج ٣ ص ١٣٩ الطبعة الثالثة

^{٣٧٩} (٣) تاريخ اليعقوبى: ج ٢ ص ١٢٧

^{٣٨٠} (٤) ج ١ ص ٧٧ ط نجف سنة ١٣٤٧

^{٣٨١} (١) ط نجف ص ٣٠

حدثني أبو الفضل محمد بن عبد الله، حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني، حدثنا أحمد بن محمد بن عثمان بن سعيد الزيات، حدثنا محمد ابن الحسين العضباني، حدثنا أحمد بن محمد بن نصر البزنطي السكوني، عن أبان بن عثمان الاحمر، عن أبان بن تغلب الربيعي، عن عكرمة، عن ابن عباس.

وأخبرني أبو الحسين محمد بن هارون التلعكبري، حدثنا أبي، حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني، حدثني محمد بن المفضل بن إبراهيم ابن قيس الاشعري، حدثنا علي بن حسان، عن عمه عبد الرحمن بن كثير، عن

ص: ٤٧١

أبي عبد الله جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده علي بن الحسين، عن عمته زينب بنت أمير المؤمنين.

قال أبو العباس: وحدثنا محمد بن المفضل بن إبراهيم، حدثني أبي، حدثنا أحمد بن محمد بن عمرو بن عثمان الجعفي، حدثني أبي، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده علي بن الحسين، عن عمته زينب بنت أمير المؤمنين وغير واحد.

وحدثني القاضي أبو إسحاق إبراهيم بن مخلد بن جعفر بن سهل بن حمران الدقاق، حدثني أم الفضل خديجة بنت محمد بن أبي الثلج، حدثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الصفواني، حدثنا أبو أحمد عبد العزيز بن يحيى الجلودى البصري، حدثنا محمد بن زكوي، حدثنا جعفر بن عمارة الكندي، حدثني أبي، عن الحسن بن صالح بن حي، قال: وما رأيت عيناي مثله، حدثني رجلان من بني هاشم عن زينب بنت علي.

قال الصفواني: حدثني محمد بن محمد بن يزيد مولى بني هاشم، حدثني عبد الله بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسن، عن عبد الله بن الحسن بن الحسن، عن جماعة من أهله.

قال الصفواني: حدثني أبي، عن عثمان، حدثنا نابل بن نجيع، عن عمر ابن شمر، عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر، عن آبائه.

قال الصفواني: حدثنا عبد الله بن ضحاک، حدثنا هشام بن محمد، عن أبيه وعوانة.

قال الصفواني: حدثنا ابن عثينة ببعضه.

وحدثنا العباس بن بكار، حدثنا حرب بن ميمون، عن زيد بن علي عن آبائه عليهم السلام، ثم ساق الخطبة بتمامها كما في الاحتجاج، مع تفاوت في النظم والالفاظ.

٨- أشار ابن الاثير في النهاية في مادة "لمم" إلى هذا الحديث، وتشبيد

ص: ٤٧٢

المطاعن، عن الفائق للزمخشري في "لمم" أيضا و"هنيئة".

٩- وأخرجها ابن شهر آشوب فى المناقب^{٣٨٢}.

١٠- أخرجها الصدوق - رحمه الله - فى كتبه بهذه الاسانيد:

محمد بن موسى المتوكل، عن على بن الحسين السعد آبادي، عن احمد بن أبى عبد الله البرقي، عن إسماعيل بن مهران، عن أحمد بن محمد بن جابر^{٣٨٣} عن زينب بنت على.

على بن حاتم، عن محمد بن أسلم، عن عبد الجليل الباقطاني، عن الحسن ابن موسى الخشاب، عن عبد الله بن محمد العلوي، عن رجال من أهل بيته عن زينب بنت على عليه السلام.

ومحمد بن أبى عمير، عن محمد بن عمار، عن محمد بن إبراهيم المصرى، عن هارون بن يحيى الناشب، عن عبيد الله بن موسى العيسى، عن عبيد الله ابن موسى العمري، عن حفص الاحمر، عن زيد بن على، عن عمته زينب بنت على عليه السلام^{٣٨٤}.

١١- روى العلامة المحقق المجلسي - رحمه الله - هذه الخطبة عن الاحتجاج بتمامها، ثم عن بلاغات النساء لكثرة الاختلاف بين الروايتين ونحن أيضا نقتفى أثره إن شاء الله تعالى وذكر مصادرها من شرح ابن أبى الحديد، وكشف الغمة والطرائف لابن طائوس، والمسعودي، والصدوق - رحمه الله - والسيد المرتضى - رحمه الله تعالى - وشرحها شراح وافيا (راجع البحار)^{٣٨٥}.

ص: ٤٧٣

١٢- نقلها الجاحظ فى كتاب إمامة ولد العباس، على ما نقله المسعودي فى مروج الذهب فى بيان ابتداء دولة بنى العباس.

١٣- نقل ابن أبى الحديد فى شرح كتابه عليه السلام إلى عثمان بن حنيف هذه الخطبة بهذه الاسانيد:

قال أبو بكر (يعنى أبا بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري فى كتاب السقيفة وفدك، كما صرح به فى أول الفصل الاول): فحدثني محمد بن زكريا، قال: حدثني جعفر بن محمد بن عمار الكندي، قال: حدثني أبى، عن الحسين بن صالح بن حى، قال: حدثني رجلان من بنى هاشم عن زينب بنت على بن أبى طالب عليه السلام.

قال: وقال جعفر بن محمد بن على بن الحسين، عن أبيه.

قال أبو بكر: وحدثني عثمان بن عمران العجيفي، عن نائل بن نجيع بن عمير بن شمر، عن جابر الجعفي، عن أبى جعفر محمد بن على عليه السلام.

^{٣٨٢} (١) المناقب: ج ١ ص ٣٨١ الطبعة القديمة

^{٣٨٣} (٢) أخرجه فى الفقيه: ٥٦٧/٣ فى باب معرفة الكبار بهذا السند وفيه "أحمد بن محمد عن جابر" ولعله الصحيح

^{٣٨٤} (٣) العلل: ٢٤٨/١ باب ١٨٢ علل الشرائع وأصول الاسلام حديث ٢ و ٣ و ٤

^{٣٨٥} (٤) راجع البحار: ج ٨ ص ١٠٥ وما بعدها

قال أبو بكر: وحدثني أحمد بن محمد بن يزيد، عن عبد الله بن محمد بن سليمان، عن أبيه، عن عبد الله بن حسن بن الحسن، قالوا جميعا: لما بلغ فاطمة عليها السلام إجماع أبي بكر على منعها فذك، لاثت خمارها وأقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها، تطأ في ذبولها، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله حتى دخلت على أبي بكر وقد حشد الناس من المهاجرين والانصار، فضرب بينها وبينهم ريطه بيضاء - وقال بعضهم قبطيه، وقالوا: قبطيه بالكسر والضم - ثم أنت أنه أجهش لها القوم بالبكاء، ثم أمهلت طويلا حتى سكنوا من فورتهم، ثم قالت:

أبتدئ محمد من هو أولى بالحمد والطول والمجد، الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر بما ألهم.

وذكر خطبة طويلة جيدة، قالت في آخرها:

ص: ٤٧٤

فاتقوا الله حق تقاته! وأطيعوه فيما أمركم به، فانما يخشى الله من عباده العلماء، واحمدوا الله الذي لعظمته ونوره يبتغي من في السموات والارض إليه الوسيلة، ونحن وسيلته في خلقه، ونحن خاصته ومحل قدسه، ونحن حجته في غيبه، ونحن ورثة أنبيائه (ثم قالت): أنا فاطمة ابنة محمد، أقول عودا على بدء، وما أقول ذلك سرفا ولا شططا، فاسمعوا بأسماع واعية وقلوب راعية (ثم قالت): "لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم" فان تعزوه تجدوه أبي دون آبائكم وأخا ابن عمي دون رجالكم.

ثم ذكرت كلاما طويلا سنذكره فيما بعد في الفصل الثاني، تقول في آخره:

ثم أنتم الآن تزعمون أن لا ارث لي " أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون".

إيها معاشر المسلمين! ابتز إرث أبي! أبي الله أن ترث يا ابن أبي قحافة أباك ولا أرث أبي، لقد جئت شيئا فريا، فدونهاها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشر، فنعم الح كم الله، والزعيم محمد، والموعود القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون، ولكل نبأ مستقر، وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم.

ثم التفتت إلى قبر أبيها فتمثلت بقول هند بنت أئانة:

لو كنت شاهدا لم تكثر الخطب

قد كان بعدك أنباء وهينة

لما قضيت وحالت دونك الكتب

أبدت رجال نجوى صدورهم

إذ غبت عنا فنحن اليوم نغتصب

تجهمتنا رجال واستخف بنا

قال: ولم ير الناس أكثر باك ولا باكية منهم يومئذ! ثم عدلت إلى مسجد الانصار، فقالت:

ص: ٤٧٥

يا معشر البقية، وأعضاء الملة، وحضنة الاسلام ! ما هذه الفترة عن نصرتي والونية عن معونتي، والغمة في حقى، والسنة عن ظلامتي؟ أما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: " المرء يحفظ في ولده "؟ سرعان ما أحدثتم وعجلان ما أتيتم! الآن مات رسول الله صلى الله عليه وآله أتم دينه؟ إن موته لعمري خطب جليل، استوسع وهنه، واستبهم فتقه، وفقد راتقه، وأظلمت الارض له، وخشعت الجبال، وأكدت الآمال، اضيع بعده الحريم، وهتكت الحرمه، واذبلت المصونه، وتلك نازلة أعلن بها كتاب الله قبل موته وأنباكم بها قبل وفاته، فقال: " وما محمد إلا رسول الله قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين ".

إيها بنى قبيله! اهتضم تراث أبى وأنتم بمرأى ومسمع، تبلغكم الدعوة ويشملكم الصوت، وفيكم العدة والعدد، ولكم الدار والجنن، وأنتم نخبة الله التى انتخب وخيرته التى اختار، باديتهم العرب، وبادهتم الامور، وكا فحتم البهم، حتى دارت بكم رضى الاسلام، ودر حلبه، وخبت نيران الحرب، وسكنت فورة الشرك، وهذأت دعوة الهرج، واستوثق نظام الدين، أفتأخرتم بعد الاقدام؟ ونكصتم بعد الشدة؟ وجبتتم بعد الشجاعة عن قوم " نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر أنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون " ألا! وقد أرى أن قد أخذتم إلى الخفض، وركنتم إلى الدعة، فجحدتم الذى وعيتهم، وسغتم الذى سوغتم، وإن تكفروا أنتم ومن فى الارض جميعا فان الله لغنى حميد، ألا ! وقد قلت لكم ما قلت على معرفة منى بالخذلة التى خامرتكم وخور القنأه وضعف اليقين ، فدونكموها، فاحتووها مدبرة الظهر، ناقبة الخف، باقية العار، موسومة الشعار، موصولة بد" نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة " فبعين الله ما تعملون " وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب

ص: ٤٧٦

ينقلبون".

ثم نقل كلام أبى بكر فى جوابها، فقال:

قال أبو بكر: وحدثنى محمد بن زكريا، قال: حدثنا جعفر بن محمد بن عماره بالاسناد الاول، قال : فلما سمع أبو بكر خطبتها شق عليه مقالتها، فصعد المنبر وقال: أيها الناس ما هذه الرعة إلى كل قالة؟ أين كانت هذه الامانى فى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله؟ ألا! من سمع فليقل ومن شهد فليتكلم، إنما هو ثعالة شهيد ذنبه، مرب لكل فتنة، هو الذى يقول : كروها جذعة بعد ما هرمت، يستعينون بالضعفة ويستنصرون بالنساء، كام طحال أحب أهلها إليها البغى، ألا ! إني لو أشاء أن أقول لقلت ولو قلت لبحت، إني ساكت ما تركت. ثم التفت إلى الانصار، فقال: قد بلغنى يا معشر الانصار مقالة سفهائكم، وأحق من لزم عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنتم، فقد جاءكم فأويتهم ونصرتهم، الا ! إني لست باسطا يدا ولسانا على من لم يستحق ذلك منا. ثم نزل.

فانصرفت فاطمة عليها السلام إلى منزلها.

قلت: قرأت هذا الكلام على النقيب أبي يحيى جعفر بن يحيى بن أبي زيد البصرى وقلت له : بمن يعرض؟! فقال: بل يصرح، قلت: لو صرح لم أسألك، فضحك وقال: بعلى بن أبي طالب عليه السلام، قلت: هذا الكلام كله لعل يقوله! قال: نعم إنه الملك يا بني! قلت: فما مقالة الانصار؟ قال:

هتفوا بذكر على عليه السلام، الخ^{٣٨٦}.

أقول: وذكر في الفصل الثاني إسنادا آخر، قال : أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، قال : حدثني محمد بن أحمد الكاتب، قال: حدثنا

ص: ٤٧٧

أحمد بن عبيد بن ناصح النحوي، قال : حدثني الزيادي، قال : حدثنا الشرقي ابن القطامي، عن محمد بن إسحاق قال : حدثنا صالح بن كيسان، عن عروة، عن عائشة، قالت : لما بلغ فاطمة إجماع أبي بكر عن منعها فدك لا ث ث خمارها على رأسها، وأشتملت بجلبابها، وأقبلت في لمة من حفدتها ...

قال المرتضى : وأخبرنا المرزباني، قال : حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد المكي، قال : حدثنا أبو العيناء بن القاسم اليماني، قال : حدثنا ابن عائشة، قال : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله أقبلت فاطمة إلى أبي بكر في لمة من حفدتها - ثم اجتمعت الروايتان من هاهنا - ونساء قومها تطأ ذيولها، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله حتى دخلت على أبي بكر، وهو في حشد من المهاجرين والانصار وغ يرههم، فنيطت دونها ملاءة، ثم أنت أنه أجهش لها القوم بالبكاء، وارتج المجلس، ثم أمهلت هنيئة، حتى إذا سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم، افتتحت كلامها بالحمد لله عز وجل والثناء عليه والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم قالت:

" لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم " فان تعزوه تجدوه أبى دون آبائكم وأخا ابن عمى دون رجالكم، فبلغ الرسالة صادعا بالندارة، مائلا عن سنن المشركين، ضاربا ثبجهم يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، آخذا بأكظام المشركين، يهشم الاصنام، ويفلق الهام، ح تى انهزم الجمع وولوا الدبر، وحتى تفرى الليل عن صبحه واسفر الحق عن محضه، ونطق زعيم الدين وخرست شقاشق الشياطين، وتمت كلمة الاخلاص، وكنتم على شفا حفرة من النار، نهزة الطامع ومذقة الشارب، وقبسة العجلان وموطأ الاقدام، تشربون الطرق

ص: ٤٧٨

وتقتاتون القدر، أذلّه خاسئين، يختطفكم الناس من حولكم حتى أنقذكم الله برسوله صلى الله عليه وآله بعد اللتياء التي، وبعد أن منى بهم الرجال وذوبان العرب ومردة أهل الكتاب و " كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله " أو نجم قرن الشيطان أو فغرت فاعرة، قذف أخاه فى لهواتها، ولا ينكفى حتى يظاً صم أخها بأخمصه، ويطفئ عاديةً لهابها بسيفه - أو قالت: يخدم لهابها بحدّه - مكدودا فى ذات الله، وأنتم فى رفاهية فكهون آمنون وادعون.

إلى هنا انتهى خبر أبى العبناء عن ابن عائشة . وأما عروة عن عائشة، فزاد بعد هذا : حتى إذا اختار الله لنبيه دار أنبيائه، طهرت حسيكة النفاق، و شمل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ خامل الآفكين، وهدر فنيق المبطلين، فحظر فى عرصاتكم، وأطلع الشيطان رأسه صارخا بكم، فدعاكم فالفاكم لدعوته مستجيبين، ولقربه متلاحطين، ثم استنهضكم فوجدكم خفافا، وأحمشكم فالفاكم غضابا، فوسمتم غير إيلكم، ووردتم غير شربكم، هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لما يندمل، إنما زعمتم ذلك خوف الفتنة " ألا فى الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين " فهبها! وأنى بكم وأنى تؤفكون؟ وكتاب الله بين أظهركم، زواجه بينة وشواهد لا تحة، وأوامره واضحة، أرغبة عنه تريدون؟ أم لغيره تحكمون؟

بئس للظالمين بدلا! " ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين " .

ثم لم تلبثوا إلا ريث أن تسكن نفرتها تسرون حسوا فى ارتغاء، ونحن نصبر منكم على مثل حز المدى، وأنتم الآن تزعمون ألا إرث لنا " أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون " .

يا ابن أبى قحافة! أترث أباك ولا أترث أبى؟ لقد جئت شيئا فريا.

ص: ٤٧٩

فدونكها مخطومة مرحولة، تلقاك يوم حشر، فنعمة الحكم الله والزعيم محمد والموعود القيامة وعند الساعة يخسر المبطلون.

ثم انكفأت إلى قبر أبيها عليه السلام فقالت:

قد كان بعدك أنباء وهنبئة

لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب

إنا^{٣٨٧} فقدناك فقد الأرض وابلها

واختل قومك فاشهدهم ولا تغب

وروى حرمى بن أبى العلاء مع هذين البيتين بيتا ثالثا:

^{٣٨٧} (١) فى المصدر " إذا "

ثم بعد ذكره جواب أبي بكر قريبا مما مر، قال:

قال المرتضى: وأخبرنا أبو عبد الله المرزباني، قال: حدثني علي بن هارون، أخبرني عبيد الله بن أحمد بن أبي طاهر، عن أبيه، قال: ذكرت لأبي الحسين زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام كلام فاطمة عليها السلام عند منع أبي بكر إياها فذكر، وقلت له: إن هؤلاء يزعمون أنه مصنوع وأنه من كلام أبي العيناء، لأن الكلام منسوق البلاغة.

فقال لي: رأيت مشايخ آل أبي طالب يروونه عن آبائهم ويعلمونه أولادهم، وقد حدثني به أبي عن جدي يبلغ به فاطمة عليها السلام على هذه الحكاية، وقد رواه مشايخ الشيعة وتدارسوه قبل أن يوجد جد أبي العيناء، وقد حدث الحسين بن علوان عن عطية العوفى أنه سمع عبد الله بن الحسن بن الحسن يذكر عن أبيه هذا الكلام.

ثم قال أبو الحسين زيد: وكيف تنكرون هذا من كلام فاطمة عليها السلام وهم يروون من كلام عائشة عند موت أبيها ما هو أعجب من كلام فاطمة عليها السلام ويحققونه لولا عداوتهم لنا أهل البيت؟! ثم ذكر

ص: ٤٨٠

الحديث بطوله على نسقه، وزاد في الابيات بعد البيتين الاولين:

وسيم سبطاك خسفا فيه لي نصب

ضاق على بلادي بعد ما رحبت

قوم تمنوا فاعطوا كل ما طلبوا

فليت قبلك كان الموت صادفنا

مذغت عنا وكل الارث قد غصبوا

تجهمتنا رجال واستخف بنا

قال: فما رأينا يوما أكثر باكيا أو باكيا من ذلك اليوم.

قال المرتضى: وقد روى هذا الكلام على هذا الوجه من طرق مختلفة ووجوه كثيرة، فمن أرادها أخذها من مواضعها، فكيف يدعى أنها عليها السلام كفت راضية وأمسكت قانعة لولا البهت وقلة الحياء؟!^{٣٨٨}.

^{٣٨٨} (١) راجع شرح النهج لابن أبي الحديد ج ١٦ ص ٢٥٣ - ٢١١. وقاموس الرجال: ج ١١ ص ١٠ وبهج الصباغة: ج ٥ ص ٢٤

١٤- نقل في بلاغات النساء^{٣٨٩} الخطبة مختصرا قريبا مما مر عن ابن أبي الحديد. ثم نقل في ص ١٥ وقال:

حدثني جعفر بن محمد - رجل من أهل ديار مصر لقيته بالرافقة - قال:

حدثني أبي، قال: أخبرنا موسى بن عيسى، قال: أخبرنا عبد الله بن يونس، قال: أخبرنا جعفر الاحمر، عن زيد بن علي - رحمه الله عليه - عن عمته زينب بنت^{٣٩٠} الحسين عليهما السلام قالت: لما بلغ فاطمة عليها السلام إجماع أبي بكر علي منعها فذك، لا ثت خمارها، وخرجت في حشدة نسائها ولمة من قومها، تجر أذراعها، ما تخرم من مشية رسول الله صلى الله عليه وآله شيئا، حتى وقفت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والانصار، فأنت أنه اجهش لها القوم بالبكاء، فلما سكنت فورتهم قالت: أبدأ بحمد الله، ثم أسبلت بينها وبينهم سجفا، ثم قالت:

ص: ٤٨١

الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم، والثناء بما قدم، من عموم نعم ابتدأها، وسبوغ الاء أسداها، وإحسان منن والاهاء، جم عن الاحصاء عددها، ونأى عن المجازات أمدها، وتفاوت عن الادراك آمالها، واستثنى^{٣٩١} الشكر بفضائلها، واستحمد إلى الخلائق بأجزالها، وثنى بالنذب إلى أمثالها، وأشهد أن لا إله إلا الله، كلمة جعل الاخلاص تأويلها، وضمن القلوب موصولها، وأنى في الفكرة معقولها، الممتنع عن الابصار رؤيته، ومن الاوهام الاحاطة به، ابتدع الاشياء لامن شئ قبله، واحتذاها بلا مثال، لغير فائدة زادته، إلا إظهارا لقدرته، وتعبدا لبريته وإعزازا لدعوته، ثم جعل الثواب على طاعته والعقاب على معصيته زيادة لعباده عن نعمته، وجيشا لهم إلى جنته، وأشهد ان أبي محمدا عبده ورسوله، اختاره قبل أن يجتبله، واصطفاه قبل أن ابتغته، وسماه قبل أن استنجه، إذ الخلائق بالغيوب مكنونة، وبستر الاهاويل مصونة، وبنهاية العدم مقرونة، علما من الله عزوجل بمايل الامور، وإحاطة بحوادث الدهور، ومعرفة بمواضع المقدور، ابتغته الله عزوجل إتماما لامره، وعزيمة على امضاء حكمه، فرأى الامم صلى الله عليه فرقا في أديانها، عكفا على نيرانها، عابدة لاوثانها، منكرة لله مع عرفانها، فأثار الله عزوجل بمحمد صلى الله عليه [وآله] ظلمها، وفرج عن القلوب بهمها، وجلى عن الابصار غممها، ثم قبض الله نبيه صلى الله عليه [وآله] قبض رافة واختيار، رغبة بأبى الله عليه [وآله] عن هذه الدار، موضوع عنه العبء والاوزار، محتف بالملائكة الابرار، ومجاورة الملك الجبار ورضوان الرب الغفار، صلى الله على محمد نبي الرحمة، وأمينه على وحيه، وصفيه من الخلائق ورض يه، صلى الله عليه [وآله] وسلم ورحمة الله وبركاته.

ص: ٤٨٢

ثم أنتم عباد الله تريد اهل المجلس نصب أمر الله ونهيه، وحملة دينه ووحيه، وامناء الله على أنفسكم وبلغاؤه إلى الامم، زعمتم حقا لكم الله فيكم عهد قدمه إليكم، ونحن بقيه استخلفنا عليكم، ومعنا كتاب الله بينة بصائره، وآى فينا منكشفة سرائره، وبرهان

^{٣٨٩} (٢) بلاغات النساء: ص ١٢

^{٣٩٠} (٣) كذا والصحيح اخت الحسين

^{٣٩١} (١) في المصدر: "واستثنى"

منجلىة ظواهره، مديم البرية إسماعه، قائد إلى الرضوان أتباعه، مؤد إلى النجاة استماعه، فيه بيان حجج الله المنورة، وعزائمه المفسرة، ومحارمه المحذرة، وتبيان الجالية، وجمله الكافية، وفوائده المندوبة، ورخصه الموهوبة، وشرائعه المكتوبة.

ففرض الله الايمان تطهيرا لكم من الشرك، والصلاة تنزيها عن الكبر، والصيام تنبيها للاخلاص، والزكاة تزييدا فى الرزق، والحج تسليية للدين، والعدل تنسكا للقلوب، وطاعتنا نظاما، وإمامتنا أمنا من الفرقة، وحبنا عزا للاسلام، والصبر منجاة، والقصاص حقنا للدماء، والوفاء بالنذر تعرضا للمغفرة، وتوفية المكائيل والموازين تغييرا للبخسة، والنهى عن شرب الخمر تنزيها عن الرجس، وقذف المحصنات اجتنابا للعنة، وترك السرقة إيجابا للعفة، وحرم الله عزوجل الشرك إخلاصا له بالربوبية، فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، وأطيعوه فيما أمركم به ونهاكم عنه، فإنه إنما يخشى الله من عباده العلماء .

ثم قالت:

أيها الناس! أنا فاطمة، وأبى محمد صلى الله عليه [وآله] أقولها عودا على بدء، لقد جاءكم رسول من أنفسكم - ثم ساق الكلام على ما رواه زيد بن على عليه السلام فى رواية أبيه - ثم قالت فى متصل كلامها:

أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم؟ إذ يقول تبارك وتعالى: "وورث سليمان داود" وقال الله عزوجل فيما قص من خبر يحيى ابن زكريا: "رب هب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب" وقال

ص: ٤٨٣

عز ذكره: "واولو الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله" وقال:

"يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين" وقال: "إن ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقا على المتقين".

وزعمتم أن لا حق ولا إرث لى من أبى ولا رحم بيننا! أفخصكم الله بآية أخرج نبيه صلى الله عليه [وآله] منها؟ أم تقولون اهل ملتين لا يتوارثان؟

أو لست أنا وأبى من أهل ملء واحدة؟! لعلكم اعلم بخصوص القرآن وعمومه من النبى صلى الله عليه [وآله]؟ أفحكم الجاهلية تبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون؟ أغلب على إرثى جورا وظلما؟" وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون".

وذكر أنها لما فرغت من كلام أبى بكر والمهاجرين عدلت إلى مجلس الانصار، فقالت:

يا معشر البقية وإعضاد الملة وحصون الاسلام! ما هذه الغميرة فى حقى والسنة عن ظلامتى؟ أما قال رسول الله صلى الله عليه [وآله]: "المرء يحفظ فى ولده"؟ سرعان ما أجديتم فأكديتهم! وعجلان ذا إهالة! أتقولون: مات رسول الله صلى الله عليه [وآله]؟ فخطب جليل استوسع وهيه، واستنهر فتقه وبعد وقته، وأظلمت الارض لغييبته، واكتأبت خيرة الله لمصيبته، وخشعت الجبال،

وأكدت الآمال، واضيع الحريم، وازيلت الحرمة عند مماته صلى الله عليه [وآله]، وتلك نازلة أعلن بها كتاب الله^{٣٩٢} في أفنييتكم في ممساكم ومصبحكم، يهتف بها في أسماعكم، وقبله حلت بأنبياء الله عزوجل ورسله " وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين".

ص: ٤٨٤

إيها بنى قبيلة! أهضمم تراث أبى^{٣٩٣} وانتم بمرأى منه وسممع، تلبسكم الدعوة، وتتملكم الحيرة، وفيكم العدد والعدة، ولكم الدار، وعندكم الجنن، وأنتم الالى نخبة الله التى انتخب لدينه، وأنصار رسول الله وأهل الاسلام، والخيرة التى اختار لنا اهل البيت، فباديتم العرب، وناهضتم الامم، وكافحتم البهم، لانبرح نأمركم وتأتُمرون، حتى دارت لكم بنا رحي الاسلام، ودر حلب الانام، وخضعت نعره الشرك، وباخت نيران الحرب، وهدأت دعوة الهرج، واستوسق نظام الدين، فأنى حرتم بعد البيان؟ ونكصتم بعد الاقدام؟ وأسررتم بعد الاعلان؟ لقوم نكنوا أيمانهم "أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين".

ألا! قد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض، وركنتم إلى الدعة، فعجتكم عن الدين، وبحجتكم الذى وعيتم، ودسعتم الذى وسوغتم " فان تكفروا أنتم ومن فى الارض جميعا فان الله لغنى حميد".

ألا! وقد قلت الذى قلته على معرفة منى بالخذلان الذى خامر صدوركم واستشعرته قلوبكم، ولكن قلته فيضة النفس ونفثة الغيظ وبثه الصدر ومعذرة الحجة، فدونكموها فاحتقبوها مدبرة الظهر، ناكبة الحق، باقية العار، موسومة بشنار الابد، موصولة بـ "د" نار الله الموقدة التى تطلع على الافتدة " فبعين الله ما تفعلون " وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون " وانا ابنه نذير لكم بين يدي عذاب شديد فاعملوا إنا عاملون وانتظروا إنا منتظرون.

قال أبو الفضل: وقد ذكر قوم: أن أبا العيناء ادعى هذا الكلام، وقد رواه قوم وصححوه وكتبناه على ما فيه . وحدثنى عبد الله بن أحمد العبدى، عن حسين بن علوان، عن عطية العوفى، أنه سمع أبا بكر - رحمه الله - يومئذ يقول

ص: ٤٨٥

لفاطمة عليها السلام:

يا ابنه رسول الله، لقد كان صلى الله عليه [وآله] وسلم بالمؤمنين رؤؤفا رحيمًا وعلى الكافرين عذابا أليما، وإذا عزوناه كان أباك دون النساء وأخا ابن عمك دون الرجال، أثره على كل حميم وساعده على الامر العظيم، لا يحبكُم إلا العظيم السعادة ولا يبغضكم إلا الردى الولادة، وأنتم عتره الله الطيبون وخيرة الله المنتخبون، على الآخرة أدلتنا، وباب الجنة لسالكنا، وأما منعك ما سألت فلا ذلك لى، وأما فذك وما جعل لك أبوك فان منعك فأنا ظالم، وأما الميراث فقد تعلمين أنه صلى الله عليه [وآله] قال: لا نورث وما أبقيناه صدقة.

^{٣٩٢} (١) فى المصدر: "وتلك نازل علينا بها كتاب الله"

^{٣٩٣} (١) فى المصدر: "أبيه"

قالت: إن الله يقول عن نبي من أنبيائه: " يرثني ويرث من آل يعقوب " وقال: " وورث سليمان داود " فهذان نبيان، وقد علمت أن النبوة لا تورث وإنما يورث ما دونها، فمالى امنع ارث أبى؟ أنزل الله فى الكتاب " إلا فاطمة بنت محمد "؟ فتدلى عليه فأفنع به.

فقال: يا بنت رسول الله أنت عين الحجة ومنطق الرسالة، لا يد لى بجوابك ولا أدفعك عن صوابك، ولكن هذا أبو الحسن بينى وبينك هو الذى أخبرنى بما تفقدت، وأنبأنى بما أخذت وتركت.

قالت: فان يكن ذلك كذلك فصبرا لمر الحق، والحمد لله آله الخلق.

قال أبو الفضل: وما وجدت هذا الحديث على التمام إلا عند أبى حقان.

قال الاحمدى: الخطبة الشريفة رويت بأسانيد كثيرة كما عرفت، ولا يختص الراوى بأبى العيناء ولا بشرقى بن قطامة، بل ظاهر نقل الاحتجاج والمناقب أنها مما لاريب فى صدورهما، لانهما تعهدا فى أول الكتابين بنقل ما هو مؤيد بالاجماع أو العقل، أو كان متواترا كما فى الاحتجاج، أو ما كان صحيحا كما فى المناقب.

ص: ٤٨٦

نعم نقلها مفصلا يختص بالاحتجاج، وكشف الغمة، وبلاغات النساء، ودلائل الامامة، على اختلاف فى رواياتهم.

وأما احتجاجها على أبى بكر وجوابه: فقد نقل بأنحاء مختلفة، فان شئت الوقوف عليها، فراجع البحار^{٣٩٤}، وابن أبى الحديد^{٣٩٥}.

وأما كلامها مع على عليه السلام: فقد نقله الاحتجاج كما مر والمناقب لابن شهر آشوب، والشيخ فى الامالى^{٣٩٦}، والبحار^{٣٩٧} عن الاحتجاج وكشف الغمة^{٣٩٨} والشيخ رحمه الله^{٣٩٩}، وأما خطبة أبى بكر فى جوابها: فقد نقلها ابن أبي الحديد، وبهج الصباغة^{٤٠٠}.

١٥- قال سبط ابن الجوزى فى تذكرة الخواص^{٤٠١}، فى بيان أحوالها عليها السلام : وقال الشعبى : لما منعت ميراثها لاثت خمارها على رأسها، حمدت الله وأتنت عليه، ووصفت رسول الله بأوصاف، فكان مما قالت:

^{٣٩٤} (١) البحار: ج ٨ ط الكمباني

^{٣٩٥} (٢) شرح النج لابن أبى الحديد: ج ١٦

^{٣٩٦} (٣) أمالى الشيخ: ص ٦٩ ط الحجريه

^{٣٩٧} (٤) البحار: ج ٨ ط الكمباني

^{٣٩٨} (٥) عن الاحتجاج وكشف الغمة فى هامشه وجد بخط السيد المرتضى رحمه الله

^{٣٩٩} (٦) راجع ص ١٢٣ - ١٢١. وراجع ج ٤٣ الطبعة الحديثة ص ١٤٨ عن المناقب

^{٤٠٠} (٧) بهج الصباغة: ج ٥ ص ٣٥، وفى الطرائف: ص ٢٦٣ عن الفائق للشيخ أسعد

^{٤٠١} (٨) تذكرة الخواص: ص ٣١٧

كان كلما فغرت فاغرة من المشركين فهاها أو نجم قرن من الشياطين .. ثم ساق قليلا من الخطبة الشريفة.

١٦- قال فى مقاتل الطالبين^{٤٠٢}، فى ذكر تاريخ الحسين عليه السلام فى مقتل عون بن عبد الله بن جعفر : أمه زينب بنت على بن أبى طالب وأمها

ص: ٤٨٧

فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله والعقيلة هى التى روى ابن عباس عنها كلام فاطمة فى فذك، فقال : حدثتنى عقيلتنا زينب بنت على.

١٧- وفى هامش إحقاق الحق^{٤٠٣} عن بلاغات النساء^{٤٠٤} عن ابن أبى الحديد^{٤٠٥}، وعن اعلام النساء وتظلم الزهراء.

١٨- قاموس الرجال^{٤٠٦} عن بلاغات النساء والطرائف وغيرهما.

١٩- تشييد المطاعن^{٤٠٧} عن كشف الغمة وكتاب السقيفة للجوهري^{٤٠٨}، وعن التذكرة للسبط ابن الجوزى وفائق الزمخشري فى مادتي "لمة" و"هنبئة" ونهاية ابن الاثير فى مادتي "لمة" و"هنبئة" وطرائف السيد ابن طاوس . ثم نقل^{٤٠٩} كلام بعض المنكرين، فراجع.

٢٠- كلام فاطمة فى فذك لابی الفرج على بن الحسين الاصفهاني الزيدى صاحب الاغانى، كما ذكره العلامة المتضلع الشيخ آغا بزرك فى الذريعة^{٤١٠} وخطبة فاطمة الزهراء لابن عبدون^{٤١١} وقد ذكر هذا التحرير^{٤١٢}: أن جمعا كتبوا فى فذك كتابا، كابراهيم الثقفى المتوفى سنة ٢٨٣ وجعفر بن بكير الخياط، وطاهر غلام أبى الجيش الذى قرأ عليه المفيد فى

ص: ٤٨٨

^{٤٠٢} (٩) مقاتل الطالبين: ص ٩١

^{٤٠٣} (١) إحقاق الحق: ج ١٠ ص ٢٩٦

^{٤٠٤} (٢) إحقاق الحق: ص ٣٠٣

^{٤٠٥} (٣) إحقاق الحق: ص ٣٠٥

^{٤٠٦} (٤) قاموس الرجال: ج ١١ ص ١٠

^{٤٠٧} (٥) تشييد المطاعن: ج ٢ ص ٢٠٤ ط سنة ١٣٩٩، وص ٣٠٢-٢٩٧ ج ١ ط ١٣٨٣

^{٤٠٨} (٦) عن الجوهري: ص ٣٠١-٢١١

^{٤٠٩} (٧) التذكرة: ٣٠٢-٣٠١

^{٤١٠} (٨) الذريعة: ج ١٨ ١٠٩

^{٤١١} (٩) راجع الذريعة: ج ٤ ص ٣٤٨

^{٤١٢} (١٠) انظر: ج ١٦ ص ١٢٩

أوائل أمره، و عبد الرحمان بن كثير الهاشمي، والانباري، والنصير آبادي، وأبي الجيش المتوفى سنة ٣٦٧ تلميذ النوبختي، ويحيى بن زكريا الترماشيري، والسيد محمد باقر الصدر الشهيد، والاطروش.

وذكر^{٢١٣} كتباً في شرح هذه الخطبة، كاللمعة، والروضة، والدرّة، وكشف المحجّة، واللمّة البيضاء. وذكر في طي الكتاب بعناوين وأسماء مختلفة كتباً كثيرة أيضاً.

(٢٨٦) الزهراء مع نساء المهاجرين والانصار

عن عبد الله بن الحسن، عن فاطمة بنت الحسين عليهما السلام قال : لما اشتدت علة فاطمة بنت رسول الله صلوات الله عليها اجتمع عندها نساء المهاجرين والانصار، فقلن لها: يا بنت رسول الله كيف أصبحت من علتك؟

فقالت:

أصبحت والله عائفة لديناكم، قالية لرجالكم، لفظتهم قبل أن عجمتهم، وشنتهم بعد أن سبرتهم، فقبحا لفلول الحد وخور القناه وخطل الرأي! وبئس ما قدمت لهم أنفسهم! ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون، لاجرم لقد قلدهم م ربقتهم وشنت عليهم عارها، فجدها وعقرا وسحقا للقوم الظالمين! ويحهم! أنى زحزحوها؟ عن رواسى الرسالة، وقواعد النبوة، ومهبط الوحي الامين، والطبين بأمر الدنيا والدين؟ ألا ذلك هو الخسران المبين.

وما تقموا من أبي حسن؟ نعموا والله منه نكير سيفه، وشدة وطأته، ونكال وقعته، وتتمره في ذات الله عزوجل، والله لو تكافوا عن زمام نبذه رسول الله

ص: ٤٨٩

صلى الله عليه وآله لا اعتقله، ولسار بهم سيرا سجحا لا يكلم خشاشه، ولا يتعتع راكبه، ولا وردهم منهلا نميرا فضفاضا تطفح ضفتاه، ولا صدرهم بطانا قد تخير لهم الرى غير متحل منه بطائل إلا بغمر الماء، وردعه سورة الساعب، ولفتح عليهم بركات السماء والارض، وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون.

ألا! هلم فاسمع وما عشت أراك الدهر العجب، وإن تعجب وقد أعجبك الحادث، إلى أى سناد استندوا؟ وبأيّة عروة تمسكوا؟ استبدلوا الذنابى والله بالقوادم، والعجز بالكاهل، فرغما لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعا " ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون "" أفمن يهدى إلى الحق أحق ان يتبع أمن لا يهدى إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون ".^{٢١٤}

أما لعمر الهك لقد لقحت ! فنظرة ريثما ننتجوا^{٢١٤}، ثم احتلبوا اطلاق القعب دما عبيطا وزعافا ممقرا، هنال يخسر المبطلون، ويعرف التالون غب ما أسس الاولون، ثم طيبوا عن أنفسكم [أ] نفسا، واطمانوا للفتنة جأشا، وأبشروا بسيف صارم، وهرج

^{٢١٣} (١) انظر الذريعة: ج ١٣ ص ٢١٥

شامل، واستبداد من الظالمين يدع فيئكم زهيدا وزرعكم حصيدا، فيا حسرتي لكم ! وأنى بكم؟ وقد عميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون.

أقول: رواها الصدوق - رحمه الله - في معاني الاخبار^{٤١٥} قال: حدثنا أحمد بن الحسن القطان، قال: حدثنا عبد الرحمن بن محمد الحسيني، قال: حدثنا أبو الطيب محمد بن الحسين بن حميد اللخمي، قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن زكريا، قال: حدثنا محمد بن عبد الرحمن المهلبی، قال: حدثنا عبد الله بن

ص: ٤٩٠

محمد بن سليمان، عن أبيه، عن عبد الله بن الحسن، عن امه فاطمة بنت الحسين عليهما السلام.

وقال بعد نقلها: وحدثنا بهذا الحديث أبو الحسن علي بن محمد بن الحسن - المعروف بابن مقبرة القزويني - قال: أخبرني أبو عبد الله جعفر بن محمد بن الحسن بن جعفر بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام قال: حدثني محمد بن علي الهاشمي، قال: حدثنا عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن جده، عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: لما حضرت فاطمة الوفاة، الحديث.

ورواها الشيخ - رحمه الله - في أماليه^{٤١٦} بأسناده عن ابن مسعود، عن ابن عباس، قال: دخلن نسوة من المهاجرين والانصار، الحديث.

ورواها الطبرسي - رحمه الله - في الاحتجاج^{٤١٧} ونقلها الاربلي في كشف الغمة عن كتاب السقيفة للجوهري، ونقل شطرا منها الكراجكي في كتاب التعجب^{٤١٨}.

وأوردها ابن أبي الحديد^{٤١٩} عن محمد بن زكريا، عن محمد بن عبد الرحمن المهلبی، عن عبد الله بن حماد بن سليمان، عن أبيه، عن عبد الله بن الحسن ابن الحسن، عن امه فاطمة بنت الحسين عليه السلام وقال بعد نقله الخطبة:

قلت: هذا الكلام وإن لم يكن فيه ذكر فدك والميراث، إلا أنه تنمة ذلك، وفيه إيضاح لما كان عندها، وبيان لشدة غيضاها وغضبها، فانه سيأتى فيما بعد

^{٤١٢} (١) كذا في معاني الاخبار، والصحيح "تنتج" كما في سائر المصادر

^{٤١٥} (٢) معاني الاخبار: ص ٣٥٤ ط تحقيق الغفاري

^{٤١٦} (١) الشيخ في أماليه: ص ٢٣٨ ط الحجرية و ٣٨٤ ط النجف

^{٤١٧} (٢) الاحتجاج: ص ١٤٧ ج ١ دار النعمان النجف

^{٤١٨} (٣) الكراجكي في كتاب التعجب: ص ١٢

^{٤١٩} (٤) شرح الرهيج لابن أبي الحديد ج ١٦ ص ٢٣٣

ذكر ما يناقض به قاضى القضاء والمرضى فى أنها هل كانت غضبى أم لا؟

ونحن لانتصر مذهبا بعينه وإنما نذكر ما قيل، وإذا جرى بحث نظرى قلنا ما يقوى فى أنفسنا منه . واعلم أنا إنما نذكر فى هذا الفصل ما رواه رجال الحديث وثقاتهم، وما أودعه أحمد بن عبد العزيز الجوهري فى كتابه، وهو من الثقات الامناء عند أصحاب الحديث

وأخرجها الطبرى فى دلائل الامامة باسناده نحو مما مر.

ونقلها فى البحار عن معانى الاخبار^{٢٢٠} عن كشف الغمة.

ونقلها فى هامش إحقاق الحق^{٢٢١} عن بلاغات النساء وأعلام النساء^{٢٢٢} وابن أبى الحديد، و^{٢٢٣} عن نفحات اللاهوت.

ونقلها فى قاموس الرجال^{٢٢٤}، وكذا عن معانى الاخبار وابن أبى الحديد والمرضى وابن طاووس فى الطرائف.

قال اليعقوبى: دخلت نساء النبى ونساء قريش على فاطمة عليها السلام فى مرضها، فق لن: كيف أنت؟ قالت: أجدنى كارهة لدنياكن، مسرورة لفراقكن، ألقى الله ورسوله بحسرات منكن، فما حفظ لى الحق، ولا رعيت منى الذمة، ولا قبلت الوصية، ولا عرفت الحرمه^{٢٢٥}.

(٢٨٧) هشام بن الحكم وضرار

قال ضرار لهشام بن الحكم: ألا دعا على الناس عند وفاة النبى صلى الله عليه وآله إلى الائتنام به إن كان وصيا؟ قال: لم يكن واجبا عليه، لانه قد دعاهم إلى مولاته والائتنام به النبى صلى الله عليه وآله يوم الغدير ويوم تبوك وغيرهما فلم يقبلوا منه،

^{٢٢٠} (١) البحار: ج ٤٣ ص ١٥٨ عن معانى الاخبار وص ١٦١ عن الامالى وص ١٦٢ عن الامالى أيضا وص ١٦٢ عن كشف الغمة

^{٢٢١} (٢) إحقاق الحق: ج ١٠ ص ٣٠٦ عن بلاغات النساء

^{٢٢٢} (٣) أعلام النساء: ج ٣ ص ١٢١٩، وابن أبى الحديد: ج ٤ ص ٨٧ ط قاهرة

^{٢٢٣} (٤) إحقاق الحق: ج ١٠ ص ٣٠٨ عن نفحات اللاهوت

^{٢٢٤} (٥) قاموس الرجال: ج ١١ ص ١٥. وكذا عن معانى الاخبار وابن أبى الحديد والمرضى وابن طاووس فى الطرائف

^{٢٢٥} (٦) راجع بهج الصباغة: ج ٥ ص ١٧

ولو كان ذلك جائزا لجاز على آدم عليه السلام أن يدعو إبليس إلى السجود له بعد أن دعاه ربه إلى ذلك، ثم إنه صبر كما صبر أولوا العزم من الرسل^{٤٢٦}.

(٢٨٨) عمرو بن قيس مع صدقة

سأل صدقة بن مسلم عمرو بن قيس الماصر عن جلوس على في الدار.

فقال: إن عليا في هذه الامة كان فريضة من فرائض الله أداها نبي الله إلى قومه، مثل الصلاة والزكاة والصوم والحج، وليس على الفرائض أن تدعوهم إلى شيء، إنما عليهم أن يجيبوا الفرائض، وكان علي أعذر من هارون لما ذهب موسى إلى الميقات، فقال له هارون: "اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين" فجعله رقيبا عليهم. وإن نبي الله نصب عليا لهذه الامة علما ودعاهم إليه، فعلى في عذر لما جلس في بيته، وهم في حرج حتى يخرجوه فيضعوه في الموضع الذي وضعه فيه رسول الله صلى الله عليه وآله. فاستحسن منه جعفر الصادق عليه السلام^{٤٢٧}.

ص: ٤٩٣

(٢٨٩) متكلم ورجل

سئل متكلم: لم لم يقاتل الاولين حقه وقاتل الاخرى؟ فقال: لم لم يقاتل رسول الله صلى الله عليه وآله على إبلاغ الرسالة في حال الغار ومدة الشعب وقاتل بعدهما؟^{٤٢٨}.

(٢٩٠) مؤمن الطاق مع بعض النواصب

قال بعض النواصب لشيطان الطاق: كان على عليه السلام يسلم على الشيخين بإمرة المؤمنين، أفصدق أم كذب؟ قال: أخبرني أنت عن الملكين اللذين دخلا على داود، فقال أحدهما: "إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة" كذب أم صدق؟ فانقطع الناصبي^{٤٢٩}.

(٢٩١) هشام وسليمان

سأل سليمان بن حريز هشام بن الحكم: أخبرني عن قول علي لابي بكر: يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله، أكان صادقا أم كاذبا؟ فقال هشام: وما الدليل على أنه قال؟ ثم قال: وإن كان قاله فهو كقول إبراهيم:

^{٤٢٦} (١) البحار: ج ٨ ص ١٤٤ ط الكمباني عن المناقب، وبهج الصباغة ج ٤ ص ٣٤٠

^{٤٢٧} (٢) البحار: ج ٨ ص ١٤٥. الكمباني.

^{٤٢٨} (١) البحار: ج ٨ ص ١٤٥ ط الكمباني

^{٤٢٩} (٢) المصدر السابق

"إني سقيم"، وكقوله: "بل فعله كبيرهم"، وكقول يوسف: "أيتها العير إنكم لسارقون"^{٤٣٠}.

ص: ٤٩٤